منشورات
المركز الليبي للأبحاث والدراسات
سلسلة الندوات والمؤتمرات (07)

الزَّعِيمُ بَشِيرُ السَّعْدَاوِيُّ

سِيرَةُ وَطَنٍ مِنْ خِلَالِ سِيرَةِ مُنَاضِلٍ

فِي الذِّكْرَى السِّتِّينَ لوَفَاتِهِ

1884 - 1957 م

أَعْمَالُ النَّدْوَةِ الْعِلْمِيَّةِ الرَّابِعَةِ

الْمُنْعَقِدَة بِطرَابلس -لِيبيا يَوْمَي 03-04 أكتُوبر 2017 م

بُحُوثٌ مُحَكَّمَة



L.R.S.C
المركز الليبي للأبحاث والدراسات
Libyan Research & Studies centre

جَمْعُ وَتَحْرِيرُ وَتَقْدِيم
أ. مَحْمُود الْمَهْدِي الغتْمِي

بشير السعداوي -وطني من المنطقة الغربية حاول انشاء دولة موحدة تستلهم [خطها] من مصر و جامعة الدول العربية بدلا من بريطانيا و الولايات المتحدة.

لقد شكل [السعداوي] تحديا عظيما لادريس [السنوسي] و للإنجليز، فالمنطقة الغربية تضم ثلثي سكان ليبيا، و اذا نجح السعداوي في تكوين قيادة متماسكة للمنطقة، "فسنجد انفسنا على الأرجح خلال سنة في مواجهة حكومة في طرابلس ترتبط ارتباطا وثيقا بمصر و بالدول العربية، و تعارض بشدة النفوذ الغربي. و لن نتمكن من تأسيس دولة ليبية فيدرالية يحكمها امير برقة الموالي لنا. الامر الذي سيعرض للخطر خططنا الاستراتيجية في الشرق الأوسط [خصوصا] و ان ترتيباتنا في مصر تتجه نحو افق مجهول." [1]

(1) مذكرة وزير الدولة للشئون الخارجية البريطاني (كينيت يونجر) رقم [FO371/90385] المؤرخة في 27-04-1951م.

> resemble a plague of locusts and much of the substance of the country is bound to be devoured by them.[44]

"I can see no immediate solution," Malcolm Walker added, in words which were even more perplexing and urgent in the 1960s than the 1950s.

In the period before the transfer of power, Idris's political stamina was certainly misjudged by his foremost political rival, Beshir Saadawi. Beshir was the Tripolitanian nationalist who attempted to forge a unitary state that would draw its inspiration from Egypt and the Arab League rather than Britain and the United States. To Idris and the British he represented a formidable challenge. Tripolitania comprised two-thirds of the Libyan population. If Beshir could provide cohesive leadership, then, according to Kenneth Younger (minister of state at the Foreign Office), "we shall probably find ourselves faced in a year or so with a Government in Tripolitania which is closely linked with Egypt and the Arab League and strongly opposed to Western influence. We shall not get a Federal Libya under the rule of the Amir of Cyrenaica who is friendly to us. This will endanger our strategic plans in the Middle East at a time when our arrangements in Egypt are precarious."[45]

Beshir had a chequered political and personal history. The catalyst in his early life had been the Italian invasion in 1911. In the interwar period in exile he became head of the Libyan Defence Committee and his name became indelibly associated with the pan-Arab extremists, including the Mufti of Jerusalem. Though no one doubted his patriotism, everyone regarded him as a political opportunist of the first rank. So often did he switch his allegiances that he was distrusted among Tripolitanians as well as pan-Arabs, even though he could maintain that he was entirely consistent in his anti-British attitude. Thus he could explain that before the war he had briefly allied himself with the Italians in the belief that Arab liberation could be best achieved by cooperation with the Axis powers. His enemies believed that he had been bribed to abandon his pro-Italian position. In any case the British in the postwar period possessed evidence that he was in the pay of the Egyptians. According to an appraisal written by the British Resident in Tripolitania, "he is regarded as a paid tool of Egypt—a mercenary who will sell himself at any time."[46] This did not lessen his potential for damage to the British position. Beshir had considerable demagogic powers. For the British the question was one of how to minimize his influence, perhaps by banishing him. In mid-1950 he threw things into confusion by proclaiming that he would support Idris as head of a federal state. For Beshir this proved to be a miscalculation in the sense that he

44. Walker to Stewart, 13 Dec. 1950, FO 371/81034.
45. Minute by Younger, 27 Apr. 1951, FO 371/90385.
46. Memorandum by T. R. Blackley, 7 May 1951, FO 371/90386.

ترجمة من الصفحة 175-176 من (الاستقلال الليبي 1951: تكوين دولة عميلة) تأليف البرفسور وليم روجر لويس رئيس اللجنة الاستشارية التاريخية بوزارة الخارجية الامريكية.

Libyan Independence, 1951: The Creation of a Client State , WM. ROGER LOUIS

كان هاجس الانجليز هو اضعاف تأثيره [بشير السعداوي] أو ربما القضاء عليه، و في منتصف سنة 1950م قام السعداوي بلخبطة الأمور و خلط الأوراق حيث أعلن أنه سيؤيد ادريس على رأس دولة فيدرالية، لقد كان ذلك رهانا خاطئا بالنسبة للسعداوي لأنه اعتقد أنه سيستطيع توجيه ادريس بالدخول في تحالف معه. سمعة ادريس كقائد سياسي هزيل جعلت ذلك الرهان يبدو معقولا.

الانجليز رأوا أن وراء ذلك الرهان هدف خفي هو استعادة [الليبيين] لزمام الأمور فيما يتعلق بالدولة الليبية المستقبلية، و اصبح ذلك بالنسبة لهم واحدا من اعظم الاخطار التي قد تحيق بعملية نقل السلطة.

ملاحظة: (نقل السلطة) استعمل في الادبيات بديلا عن (الاستقلال) باعتبار أن الدول الاستعمارية لم تمنح الدول استقلالها و إنما نقلت السلطة الى عملائها المحليين.

حسن يوسف الكموشي

الزَّعيم

بَشِير السَّعداوِي

سِيرةُ وَطنٍ مِن خِلَالِ سِيرةِ مُناضِلٍ

1884 - 1957م في الذِّكرى السِّتّين لوفاتِهِ

المركز الليبي للأبحاث والدِّراسات

شارع ابن فرّاج، حي الأندلس ـ طرابلس ـ ليبيا

ص. ب: 81295 طرابلس ـ ليبيا

website: www.LRSC.org.ly

email: research@LRSC.org.ly

www.lrsc.org.ly / lrsc.libya

*** الزَّعِيمُ بَشِيرٌ السَّعْدَاوِي، سِيرَةُ وَطَنٍ مِنْ خِلَاَلِ سِيرةِ مُنَاضِـلٍ 1884 ـ1957م، في الذِّكْرَى السِّتِّينَ لِوفَاتِهِ، أعمال النَّدْوة العلميَّة الرَّابعة سنة 2017م.**

بحوث محكمة.

جمع وتحرير وتقديم: أ. محمود المهدي الغتمي.

*** الطبعة الأولى: 2019م.**

رقم الإيداع القانوني: 428/ 2018 ـ دار الكتب الوطنية ـ بنغازي.

رقم الإيداع الدولي: ردمك: ISBN 9789959965919

قامت بعمليات التنضيد الضوئي والإخراج الفني والطباعة: دار النوادر: سوريا ـ دمشق، ص. ب: 34306، هاتف: 00963112227001 ـ 00963112227011، لبنان ـ بيروت، ص.ب: 14/ 4462، هاتف: 009611652528 ـ 009611652529، E-mail: info@daralnawader،

website: www.daralnawader.com

مَنشُوراتُ ٱلمَركَزِ ٱللِّيبِيِّ لِلأَبحَاثِ وَٱلدِّراسَاتِ
سِلسِلَةُ ٱلنَّدوَاتِ وَٱلمُؤتَمَرات (07)

ٱلزَّعِيمُ

بَشِيرُ السَّعدَاوِيُّ

سِيرَةُ وَطَنٍ مِن خِلَالِ سِيرَةِ مُنَاضِلٍ
1884 - 1957م فِي ٱلذِّكرَى ٱلسِّتِّينَ لِوَفَاتِهِ

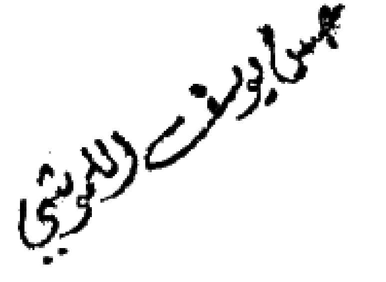
أَعمَالُ ٱلنَّدوَةِ ٱلعِلمِيَّةِ ٱلرَّابِعَةِ
ٱلمُنعَقِدَة بِطرَابلُس - لِيبيَا يَومَي 03 - 04 أكتُوبَر 2017م

بُحُوثٌ مُحكَمَة

جَمعُ وَتَحرِيرُ وَتَقدِيمُ
أ. مَحمُود ٱلمَهدِي ٱلغَتمِي

L.R.S.C
المركز الليبي للأبحاث والدراسات
Libyan Research & Studies centre

بسم الله الرحمن الرحيم



الإهداء

عيسى يوسف الأحوشي

إلى روح الزّعيم والمناضل بشير إبراهيم السّعداويّ

وإلى جميع الآباء المؤسِّسّين لليبيا الحديثة

❐ ❐ ❐

مَدخلٌ مُصوَّرٌ

مَطوِيَّةُ النَّدوَةِ





الورقة الخلفية للندوة

إن من القيم الأساسيّة للمعرفة التّاريخيّة معرفة الإنسان بذاته وبما يجري حوله، وتُعدُّ إعادة قراءة التاريخ وفق متطلبات الحاضر المعاش أحد الأهداف الكبرى للدراسات التاريخية المعاصرة، بغية البحث عن العبرة ورصد المواقف والممارسات الوطنية التوافقية، التي يمكن الاستئناس والاسترشاد بها في مواجهة مُعضلات وأزمات الزمن الراهن، والتي لا يمكن الوصول إليها إلاَّ من خلال إعادة بناء الحدث التاريخي، وتعدد مستويات التحليل في ضوء المستجدات من الشواهد والشهادات والمنهجيّات التاريخية، وطرح أسئلة انتقائية جديدة من وحي الحاضر على الماضي، من منطلق أن كل المشاكل التي يطرحها البحث التاريخي لم تَجِد بعد حلولها النهائية، ذلك لأن المعارف التاريخية نسبية أساساً، ولأن تأثير الحاضر على الكتابة التاريخية كبير جداً، فكل المدوّنات التاريخية لا تعدو أن تكون محاولة اقتراب أو قراءة مُعادة لماضٍ يصعب احتواؤه في شمولية، قراءة تتم تحت ضغط ومتطلبات الحاضر.

لذلك فإن الاهتمام بالتأريخ للحركة الوطنية الليبية ورجالاتها يُعدُّ من أخصب حقول التاريخ الوطني، بغية مراكمة الدراسات والأبحاث حول التجربة السياسية الليبية وما تحتويه من فضائل ومآثر يُقتدَى بها، ومعرفتها تُجنب الوقوع في أخطائها وهفواتها، ويُشَخِّص ذلك أحد المؤرخين بقوله: «**إن التاريخ الوطني هو المَصْلُ الذي يَتطّعم به أبناء الوطن ضد التأثيرات الخارجية، والأزمات السياسية والأمنية، وهو مصدر إلهامهم، ومبعث حياتهم ورقيهم، ولأن التاريخ ذاكرة الشعوب ومرآة الماضي، عليه يُبنى الحاضر ويُستشرف المستقبل**».

وفي سياق استمرار المشروع الثقافي الذي تتبنّاه وترعاه **مؤسسة الشيخ الطاهر الزاوي**

الخيرية، والتقليد السنوي الذي سَنّته لنفسها في رعاية الثقافة الليبية من خلال التأريخ لرجالات الوطن الأفذاذ، فإن إدارة الشؤون العلميّة بالمؤسسة تطرح على الباحثين والمهتمين بالتاريخ الليبي شخصية **الزّعيم بشير السّعداوي** في ندوتها العلميّة **الرّابعة** لسنة 2017م، بمناسبة الذّكرى السّتين لوفاته.

والزّعيم بشير إبراهيم السّعداوي 1884 ـ 1957م، شخصية ليبية مُخضرمة عاصرت الأحداث بفاعلية وحضورٍ لافت في سيرورة الحدث التاريخي اللّيبي والعربي والإسلامي في أدق مراحله المفصليّة، بدءاً من مرحلة الانفصال العربي العثماني مطلع القرن العشرين، مروراً بالحرب العالمية الأولى التي كانت له فيها مواقف ثابتة، ورؤيته العثمانيَّة التي حتّمت عليه الاستمرار في وظيفته الإداريَّة في الإدارة العثمانيَّة من متصرفيّة **الخُمْس** الليبية، إلى **يَنْبع البحر** بولاية الحجاز بالجزيرة العربية، ومن ثم إلى **جزّين** بلبنان حتى أواخر أيام الدولة العثمانيّة؛ حيث كان وفياً لمبادئ الجامعة الإسلاميّة، وهذا الوفاء المفرط هو سر مواقفه من ثورة الشّريف حسين سنة 1916م، وغيرها من الحركات المُعاديّة للدّولة العثمانيّة.

في المقابل فإن القضية اللّيبيّة 1911 ـ 1951م كانت حاضرة وبقوّة في مسيرة وفكر السّعداوي بوصفها قضية وطنٍ آمنَ بالانتماء إليه، ولم تأخذه دوائر الانتماء الأخرى بعيداً عنه في الدّاخل، أو في ديار المهجر الشامي والمصري والسعودي، حتى عَدَّته بعض الدّراسات رائداً للحركة الوطنيّة اللّيبيّة في المهجر دون منازع، مُثابراً دون ملل من أجل فضح الممارسات الإيطاليّة القمعيّة وغير الإنسانيّة في ليبيا، وبعدها مناضلاً من أجل وحدة واستقلال الوطن اللّيبي، ومن ثم سياسياً ليبياً ضمن أبرز النُّخب السّياسيّة والاجتماعيّة اللّيبيّة المتنافسة عشيّة الاستقلال على إدارة الدّولة الوليدة سنة 1951م.

بشير السّعداوي المجاهد ورجل التوفيق بين النُّخب الاجتماعية والسياسية، والتي التحق بها مجدداً سنة 1920م، في لحظاتٍ عصيبة وحسّاسة مشحونة بالصراعات والأحداث المحليّة والجهويّة والقبلية، كان وطنياً صادقاً في محاولة لرأب الصدع وترميم المشهد الليبي المنقسم على نفسه، وكان حاضراً في مؤتمر غريان سنة 1920م وتأسيس حكومة

هيئة الإصلاح المركزية، التي عمل من خلالها على معالجة الخلافات اللّيبيّة اللّيبيّة بين النُّخب القبليّة والاجتماعيّة والمناطقيّة، ومن ثم شارك في عقد اتفاقية سرت للمصالحة الوطنية سنة 1922م، لتقريب وجهات النظر بين الفرقاء اللّيبيّن، ولكن وصول الفاشيين للحكم في إيطاليا سنة 1922م عَجّل ببداية هجوم استعماري جديد، دفع بالعديد من قيادات المرحلة إلى الهجرة من جديد.

نشط الزّعيم بشير السّعداوي في إنشاء عدد من المؤسّسات اللّيبيّة في المهجر، والتي كان لها دورٌ في فضح الممارسات الإيطاليّة من خلال المنشورات والبيانات والبرقيّات للرأي العام العربي والإسلامي والعالمي، والمنظمات الدّولية والإقليميّة، ذات أسلوبٍ مقاوم يتناغم مع روح ذلك العصر، فشكّل مع إخوته المهاجرين اللّيبيين اللجنة التنفيذيّة للجاليّات الطرابلسيّة والبرقاويّة سنة 1928م للدفاع عن طرابلس وبرقة في دمشق، ولمناصرة القضيّة اللّيبيّة بهدف إدماجها في سيرورة القضيّة العربيّة والإسلاميّة.

وعقب طرد الاستعمار الإيطالي من ليبيا سنة 1943م، ونهاية الحرب العالميّة الثّانية، نشط السّعداوي مجدداً من أجل وحدة وتحرير ليبيا واستقلالها، حيث شارك في تأسيس هيئة تحرير ليبيا سنة 1947م، بدعمٍ من جامعة الدّول العربيّة وأمينها العام عبد الرحمن عزّام المتضلع في الشأن اللّيبي، ومن ثم تأسيس حزب المؤتمر لخوض أول انتخاباتٍ نيابيّة ليبيّة.

مسيرة طويلة من الجهاد والنّضال السّياسي، والنجاحات والفشل أحياناً، والمواقف المشهودة على المستوى المحلي والعربي والإسلامي خلال النّصف الأول من القرن العشرين، جعلت الآراء حول هذه الشّخصيّة متباينة ومختلفة، إلاَّ أن جميعها تُجمع على وطنية الزعيم بشير السّعداوي وإيمانه العميق بالوطن اللّيبي المُوحَّد، وإن اختلفت رؤيته للمستقبل ووسائله مع بقية رجال الاستقلال اللّيبيين، الأمر الذي يجعل من السّعداوي «أنموذجاً متميزاً»، يُعطي مشروعية لعقد ندوةٍ علميّةٍ تكون حاضنةً للبحث العلمي الرّصين، الذي ينسحب بدوره على هذه الشّخصيّة، والأحداث التي عاصرها بموضوعيّةٍ في ضوء

المصادر الوثائقيّة وشهادات معاصريه، وأدوات المؤرّخ الـوطني القـادر علـى المعالجـة والتحّليل بروحٍ ليبيّةٍ جامعة، من خلال محاور وهمومٍ تلامـس الواقـع اللّيبـي وأزماتـه، وتنفتح على جوانب مجهولة أو خفيّة من مسيرة الحركة الوطنيّة اللّيبيّة في النّصـف الأول من القرن العشرين، وبناءً على ما سبق نقترح المحاور الرّئيسة التالية:

*** محاور النّدوة:**

*** المحور الأول: البحث عن منهجيّة للتأريخ للحركة الوطنيّة اللّيبيّة:**

- التأريخ للوطن، محاولات للتنظير المنهجي.
- قراءة تقييميّة للدراسات والأبحاث المُنجزة.

*** المحور الثاني: السّعداوي والإدارة العثمانيّة:**

- الخلفيّة الاجتماعيّة والفكريّة للزّعيم بشير السّعداوي.
- دور بشير السّعداوي في الإدارة العثمانيّة في طرابلس الغرب وخارجها.
- السّعداوي والأحداث العربية العثمانيّة.

*** المحور الثالث: دور السّعداوي في حركة الجهاد اللّيبي بالداخل والخارج:**

- السّعداوي وحركة الجهاد اللّيبي بالداخل 1911 ـ 1923م.
- نضال السّعداوي في ديار الهجرة (سوريا، الحجاز، مصر 1924 ـ 1947م).
- رد فعل السُّلطات الاستعماريّة من نشاطات بشير السّعداوي.
- اتصالات السّعداوي بالقوى المناهضة للفاشست عربياً ودولياً.

*** المحور الرابع: السّعداوي والحركة الوطنيّة حتى الاستقلال وما بعده 1943 ـ 1957م:**

- رؤية السّعداوي لمستقبل ليبيا عقب هزيمة إيطاليا في الحرب العالميّة الثّانية.
- الخلافات بين النُّخب السّياسيّة اللّيبيّة ودور السّعداوي فيها.

ـ السّعداوي وحزب المؤتمر الوطني: المنافسة السّياسيّة وآثارها على مشروع الاستقلال.

ـ موقف السّعداوي من التّطور الدّستوري في ليبيا (لجنة الواحد والعشرين، الجمعيّة الوطنيّة التأسيسية «لجنة الستين»، إعلان الدّستور).

ـ السّعداوي وموقفه من إعلان استقلال المملكة اللّيبيّة المتحدة، ثم الانتخابات النّيابيّة سنة 1952م.

ـ نشاط السّعداوي في المنفى 1952 ـ 1957م.

*** المحور الخامس: السّعداوي والقضيّة اللّيبيّة في المُنظمات الإقليميّة والدّوليّة:**

ـ الجامعة العربيّة والقضيّة اللّيبيّة: الممارسات الإيجابيّة والسّلبيّة.

ـ القضيّة اللّيبيّة في أروقة الأمم المتحدة.

ـ السّعداوي والمجلس الاستشاري للأمم المتحدة في ليبيا (مجلس العَشْرَة).

*** المحور السّادس: شهادات ومناقشات:**

ـ أهمية الشّهادات الشّخصيّة في كتابة التّاريخ اللّيبي المعاصر.

ـ الاستماع إلى عددٍ من شهادات معاصري الزّعيم بشير السّعداوي.

❐ ❐ ❐

جدول جلسات النّدوة العلميّة الرّابعة

(سيرة وطن من خلال سيرة مناضل، الزّعيم

بشير السّعداوي

في الذّكرى السّتّين لوفاته 1884 - 1957م)

03 - 04 أكتوبر 2017م، فندق باب البحر - طرابلس

جدول جلسات النّدوة اليوم الأوّل

الموافق الثّلاثاء 03 أكتوبر 2017م

التّسجيل يبدأ من السّاعة 45 : 09

جلسة الافتتاح

من 30 : 10 إلى 30 : 11 صباحاً

ت	الاسم	المشاركة	الوقت
1	القارئ سراج الدين علي جحيدر	القرآن الكريم	5 دقائق
2	. . . .	النّشيد الوطني	5 دقائق
3	أ. محمود المهدي الغتمي	كلمة رئيس اللّجنة التّحضيريّة	5 دقائق
4	م. سالم عبد السلام رمضان	كلمة رئيس مؤسّسة الشّيخ الطّاهر الزّاوي الخيريّة	5 دقائق
5	د. فاتح رجب قدارة	كلمة رئيس اللّجنة العلميّة	5 دقائق
7	أ. أحمد مصطفى السّعداوي	كلمة أسرة الزّعيم بشير السّعداوي	5 دقائق
8	أ. د. صلاح الدّين حسن السّوري	السّعداوي والزّاوية والزّاويّ، من ذكرياتي عن المرحلة	30 دقيقة
تكريم الأديب الكبير علي مصطفى المصراتي لجهوده في الحركة الوطنيّة			
تكريم أحفاد الزّعيم بشير السّعداوي			
تكريم الأستاذ الدّكتور صلاح الدّين حسن السّوري على جهوده في التّأسيس للدّراسات التّاريخيّة اللّيبيّة			
استراحة شاي		**من 30 : 11 إلى 00 : 12**	

الجَلسَةُ العِلمِيّةُ الأُولَى

المشاركون وأبحاثهم

ت	الاسم	المشاركة	الوقت
1	د. نصر الدين البشير العربي جامعة المرقب	موقف بشير السّعداوي من التّغلغل السّلمي الإيطالي لاحتلال ليبيا 1884 ـ 1911م	15 دقيقة
2	د. عبد المنعم محمد الصادق جامعة الجبل الغربي	مواقف وطنيّة في حياة المناضل بشير بك السّعداوي (1884 ـ 1957م)	15 دقيقة
		مناقشة عامة	15 دقيقة

* * *

الجَلسَةُ العِلمِيّةُ الثّانِيَةُ

المشاركون وأبحاثهم

ت	الاسم	المشاركة	الوقت
1	أ. د. محمود أحمد الديك جامعة طرابلس	بشير السّعداوي ودوره في المصالحة الوطنية	15 دقيقة
2	أ. محمد الهادي البوسيفي باحث في التاريخ الحديث	محطات مضيئة من حياة الزّعيم بشير السّعداوي 1884 ـ 1957م	15 دقيقة
		مناقشة عامة	15 دقيقة

* * *

جَدْوَلُ جَلَسَاتِ ٱلنَّدْوَةِ ٱلْيَوْمُ ٱلثَّانِي

الموافق الأربعاء 04 أكتوبر 2017م

ٱلْجَلْسَةُ ٱلْعِلْمِيَّةُ ٱلثَّالِثَةُ

المشاركون وأبحاثهم

ت	الاسم	المشاركة	الوقت
1	د. ارويعي محمد قناوي جامعة بنغازي	بشير السّعداوي مستشاراً سياسياً للملك عبد العزيز بن سعود 1939 ـ 1946م	15 دقيقة
2	د. مفتاح بلعيد غويطة جامعة المرقب	الدبلوماسيّة المصريّة والمناضل بشير السّعداوي 1945 ـ 1952م	15 دقيقة
3	د. هاشم منصور بدر جامعة عمر المختار د. أكرم عثمان عمر جامعة طبرق	نشاط بشير السّعداوي السياسي خارج ليبيا من أجل نشر فضائح الاحتلال الإيطالي ضد الشعب الليبي 1924 ـ 1931م	15 دقيقة
	مناقشة عامة		15 دقيقة

* * *

الجلسة العلمية الرابعة

المشاركون وأبحاثهم

من 30 : 12 إلى 45 : 13

ت	الاسم	المشاركة	الوقت
1	د. إبراهيم أحمد أبوالقاسم المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية	مراسلات بشير السّعداوي مع قادة حركة المقاومة والأعيان في ليبيا (1932 ـ 1952م)	15 دقيقة
2	د. عائشة محمد بن مسعود جامعة طرابلس	قراءة وثائقيّة لتهنئة الزّعيم السّعداوي للمؤرخ محمد مسعود بصدور كتابه (تاريخ ليبيا العام)	15 دقيقة
3	د. المبروك محمود صالح جامعة طبرق	الجمعيّة التّنفيذيّة الطّرابلسيّة ـ البرقاويّة في سوريا بقيادة بشير السّعداوي ودورها في النّضال ضد الايطاليين (1925 ـ 1931م)	15 دقيقة
		مناقشة عامة	15 دقيقة

* * *

الجلسة العلمية الخامسة

المشاركون وأبحاثهم

من 30 : 3 إلى 00 : 17

ت	الاسم	المشاركة	الوقت
1	د. أحمد امراجع نجم جامعة بنغازي أ. عبد الناصر علي اشتيوي جامعة سرت	موقف فرنسا من القوى الوطنية في طرابلس: بشير السعداوي نموذجاً (1945 ـ 1951)	15 دقيقة

ت	الاسم	المشاركة	الوقت
2	جمال احميدة دويش باحث جامعي	الفترة الحرجة والحاسمة في تاريخ ليبيا السياسي ودور بشير السعداوي فيها (1948 ـ 1952م)	15 دقيقة
3	د. محمود العارف قشقش جامعة المرقب	السعداوي ومشروع بناء الدولة الوطنية المستقلة، المؤتمر الوطني الطرابلسي 1949 ـ 1952م أنموذجاً	15 دقيقة
4	د. إدريس مفتاح حمودة الجامعة الأسمرية الإسلامية	التأريخ للوطن: محاولات للتنظير المنهجي	15 دقيقة
5	د. فاتح رجب قدارة جامعة الزاوية	الكتابة التاريخية عن الحركة الوطنيّة اللّيبيّة 1931 ـ 1951م، بين الهواة والأكاديميين	15 دقيقة
	مناقشة عامة		15 دقيقة

* * *

الجَلسَةُ الخِتَامِيَّةُ

من 17:00 إلى 17:30

ت	الاسم	المشاركة	الوقت
1	د. نزيهة أبوالقاسم الرجيبي	تلاوة التّوصيات والنّتائج المنبثقة عن النّدوة	5 دقائق
	تكريم الباحثين		

اَللَّجنةُ ٱلتَّحضِيرِيَّةُ وٱللَّجنةُ ٱلعِلمِيَّةُ لِلنَّدوَةِ

* اللّجنة التّحضيريّة :

ت	الاسم	الصِّفة
1	أ. محمود المهدي الغتمي	رئيساً
2	م. سالم عبد السلام رمضان	رئيس النّدوة
3	فرج دغيم	عضواً
4	رضوان عبد القادر	عضواً
5	م. محمد المنصف محمد	عضواً
6	آمال هدية	عضواً
7	عبد العزيز الطّراف	عضواً

* اللّجنة العمليّة :

ت	الاسم	الصِّفة
1	د. فاتح رجب قدارة جامعة الزاوية	رئيساً
2	د. ارويعي محمد قناوي جامعة بنغازي	عضواً
3	د. نزيهة أبوالقاسم الرجيبي جامعة الزاوية	عضواً

❒❒❒

هَذَا ٱلْإِصْدَار

م. سالم عبد السلام رمضان
رئيس مجلس إدارة مؤسسة الشيخ الطاهر الزاوي الخيرية ورئيس النّدوة

هذا هو الكتاب السابع في سلسلة الندوات والمؤتمرات الذي يُصْدِره «**المركز الليبي للأبحاث والدراسات L.R.S.C**»، بعد أن قمنا بضم جميع رصيدنا من أنشطةٍ علميّة وثقافيّة ومنشوراتٍ عَملت عليها إدارة الشؤون العلميّة بشكلٍ أساسي، وباقي الإدارات والمكاتب عبر السّنوات السّبع الماضية، وأوكلناها إلى هذا المركز الذي استحدثناه في الأول من يوليو من هذا العام 2018م، وذللك لعدة أسبابٍ وعوامل، منها: أن حجم العمل قد زاد في الفترة الأخيرة، وطموحنا من أجل المساهمة في النّهضة العلميّة لأمتنا لا يعرف الحدود، وأملنا بأن المركز سيعمل على خدمة المشهد الثقافي الليبي، وسيكون ملتزماً بقضايا وثوابت الأمة أكيد، وكذلك ليأخذ عملنا في المجال الثقافي والعلمي مساره الصحيح، ويُحقق التراكم المعرفي المطلوب، ولتحقيق كل ذلك ينبغي تطوير وسائل العمل، والاستعانة بذوي الكفاءة من أكاديميين وأساتذةٍ وخبراء، كان لزاماً علينا أن نؤسّس هذا المركز، الذي نأمل أن يعمل على تحقيق أهدافه التي أُنشئ من أجلها، ويُسهم في تحقيق النهضة المنشودة لبلادنا، ولسائر البلاد العربيّة والإسلاميّة قاطبةً، ونحن نَعِدُ القائمين على هذا المركز بأننا لن نبخل بالدّعم الماديّ والمعنويّ، وسنقوم بما يُحتّمه علينا واجبنا في إبراز وإنجاح أنشطة المركز، لأننا نؤمن بأن العمل الخيري بمفهومه الحديث، لا يتوقف على بعض المساعدات الغذائية وغير الغذائية تُقدم للمحتاجين والمعوزين، وإنما ننظر إلى ما سيبقى بعد عقودٍ من الآن، وهو الثقافة والكتاب، فبالعلم يرتقي الإنسان، وتنهض الأُمم، وتتراكم الخبرات والمعارف، ويمكن لأمتنا أن تُنافس غيرها من الأمم التي تجاوزتنا

بمراحل طويلة. ويحذوني أملٌ كبير بأن هذا المركز الفَتيّ سيشُق طريقه بثباتٍ ونجاح، وسنراه بعد سنواتٍ من مراكز التفكير المعتبرة على المستوى الإقليمي. وحظ سعيد للجميع.

❒ ❒ ❒

مُقَدِّمَة

يَسُرُّنا في المركز الليبي للأبحاث والدراسات L.R.S.C، أن نُقدّم هذا الكتاب الجديد، وهو حصيلة أعمال الندوة العلمية الرابعة التي نظّمتها إدارة الشؤون العلمية بمؤسسة الشيخ الطاهر الزاوي الخيرية[1]، يومي 03 ـ 04 أكتوبر 2017م، بعنوان «**الزعيم بشير السعداوي 1884 ـ 1957م في الذكرى الستين لوفاته، سيرةُ وطنٍ من خلال سيرة مناضل**» ويضم الكتاب بين دفتيه خمسة عشر بحثاً، قدّمها مجموعة من المؤرخين والباحثين من مختلف الجامعات والمؤسسات البحثية الليبية، تناولت معظم محاور الندوة، وأرَّخت لحياة الزعيم بشير السعداوي في أدق تفاصيلها، وما يخص الحركة الوطنية وتاريخها.

تأتي هذه الندوة في الذِّكرى الستين لوفاة الزعيم بشير السعداوي ـ رحمه الله ـ، الذي توفي يوم 17 يناير 1957م بمدينة بيروت؛ حيث كان يتلقّى العلاج، بعد نفيه إلى دمشق سنة 1952م، ورغم السجل النضالي والجهادي والوطني للزعيم السعداوي، إلاّ أن هذه الندوة تُعدُّ الأولى التي تُعقد لتدارُس سيرته وأبرز الأعمال التي قدّمها طيلة حياته التي امتدت لثلاثة وسبعين عاماً، أمضى جُلّها في مقارعة القوى الاستعمارية، في الداخل والخارج، ولا شك أن هذا يُعدُّ تقصيراً كبيراً من الجامعات ومراكز البحوث في بلادنا؛ فشخصية الزعيم بشير السعداوي هي من أكبر الشخصيات التي أنجبتها ليبيا في القرن العشرين، وقد اجتمعت فيه صفاتٌ قلّ أن تجتمع في إهاب رجل واحد، فهو المثقف، والوطني الغيور، والمجاهد، والمناضل السياسي المحنك، والخطيب المُفوّه، والمدافع عن حقوق الإنسان من خلال كتاباته العديدة عن حقوق بَنِي قومه في الحرب الطاحنة ضد

---

(1) تم ضم رصيد جميع الأعمال السابقة من ندواتٍ ومؤتمراتٍ وورش عمل وإصداراتٍ ثقافية وعلميّة التي عملت عليها إدارة الشؤون العلمية خاصة، وباقي إدارات ومكاتب المؤسسة عامةً إلى (المركز الليبي للأبحاث والدِّراسات L.R.S.C) الذي تم تأسيسه يوم الأول من يوليو 2018م بمدينة طرابلس ـ ليبيا.

الاستعمار الإيطالي، والزعيم ذي «الكاريزما» الطَّاغية، والمدافع عن الجامعة الإسلاميَّة إلى آخر لحظة في تفكك سُلطة الدولة العثمانية في الجزيرة العربية وبلاد الشام، والداعم لحركة التحرر في بلاد الشام ضد الاستعمار الفرنسي، وغيرها من صفاتٍ ندر أن نجدها عند غيره من القياديين الذين أنجبتهم ليبيا في أحلك ظروفها التاريخية، أثناء الصراع مع إيطاليا المستعمِرة، ولذلك قررنا عقد هذه الندوة المهمة عن حياة هذا الزَّعيم، وكانت بمناسبة ذكرى وفاته الستين الموافقة لسنة 2017م، فتواصلنا مع العديد من الباحثين في الجامعات ومراكز الأبحاث الليبية، ومع عائلة السعداوي في الداخل والخارج، ولمسنا من معظمهم رغبةً أكيدة في إحياء ذكرى الزعيم، وتدراس سيرته ومسيرة حياته، وجهزنا كلّ ما يلزم لإنجاح الندوة، وقد استجاب العديد من الباحثين، وبلغ عدد البحوث المُشارِكِ بها في الندوة أربعة وعشرين بحثاً، نشرنا منها في هذا الكتاب عدد خمسة عشر بحثاً، تفادياً للتكرار الذي وقع فيه بعض الباحثين، ولعدة أسبابٍ علمية وجيهة أخرى ارتأتها اللجنة العلمية المشرفة، هذا وقد رتّبنا البحوث في الكتاب حسب ورودها في جدول أعمال النّدوة، دون أية اعتباراتٍ أخرى.

وفي الحقيقة على الرغم من أنه لم تُنظّم ـ عن الزّعيم بشير السَّعداويّ ـ أية ندوة ولا مؤتمر في السَّابق، إلاّ أنه قد صدرت العديد من الكتب والدراسات العلميَّة عن شخصيته الفذّة، وسيرته الحافلة بجليل الأعمال والإنجازات، منها أعمال أكاديميَّة وعلميّة جادّة[1]، بذل فيها مؤلفوها جهوداً كبيرة في محاولة منهم لإعطاء صورة واضحة عن سيرة حياة زعيمٍ أفنى حياته في النضال الوطني، وتنقّل بين العديد من العواصم والمدن والبُلدان

(1) خصّص الدكتور محمد فؤاد شكري الجزء الأول من كتابه «ميلاد دولة ليبيا الحديثة، وثائق تحريرها واستقلالها»، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1957م لسيرة الزعيم بشير السعداوي، وهو كتاب جامع لسيرة هذا المناضل الوطني، إذ كان المؤلف مستشاره السياسي الخاص؛ وهناك دراسة الدكتور أكرم عثمان عمر «دور بشير السعداوي في الحركة الوطنية الليبية 1912ـ 1952م» وهي رسالة ماجستير سنة 2005م، غير منشورة، دعّمها الباحث بعشرات الوثائق المهمة؛ وأخيراً صدر كتاب المؤرخ ارويعي محمد قناوي «بشير السعداوي ودوره في الحركة الوطنية الليبية 1884ـ 1957م» عن المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، سنة 2014م، وهي أطروحة دكتوراه في الأصل.

موظفاً أو مناضلاً يحمل قضية وطنه أينما حلّ، ولذلك كانت المهمة على الباحثين شاقة في الإلمام التام بكل أعمال السّعداوي.

في حين كانت لبعض الكتابات الأخرى صبغة المذكرات السياسية(1) التي كان أصحابها شاهدين على كفاح السعداوي وطول باعه في النضال الوطني، ونحن نَعتقدُ أننا بإصدارنا هذا الكتاب قَدْ قدّمنا خدمةً جليلةً للمكتبةِ الليبية، وذلك لأهمية معظم البحوث التي يضمها الكتاب، وتنوع موضوعاتها في تناول حياة وشخصية ونضال السعداوي.

وقد ألحقنا في آخر الكتاب مجموعة من الصور تُمثِّلُ عدّةَ مراحل من حياة الزعيم ـ رحمه الله ـ تحصَّلنا على معظمها من أرشيف الأستاذ «فيصل عبد الحميد بشير السعداوي»، فتفضّل مشكوراً بإرسالها لنا، وكذلك جمعنا بعضها بمجهودنا الشخصي.
ولا يسعني في آخر هذه المقدمة المختصرة إلاّ أن أشْكُرَ كلّ من أسهم معنا في خروج هذا الكتاب إلى حيّز الوجود، وعلى رأسهم المهندس سالم عبد السلام رمضان رئيس مؤسسة الشيخ الطاهر الزاوي الخيرية، لمتابعته الحثيثة لكلّ ما يخص الشأن الثقافي، والمدقق اللغوي جمال احميدة دويش الذي لا يكتفي بالمراجعة اللغوية فحسب، ولكنه كثيراً ما يُتحفنا بآرائه الصائبة بعد قراءاته المتعددة والعميقة للنص، فله منا جزيل الشكر.
ولا ننسى كذلك أعضاء اللجنة التحضيرية والعلمية الذين تفانوا في العمل ليَظهر هذا الكتاب بمظهرٍ يليق بمكانة الزعيم بشير السعداوي، ويكون هدية متواضعة لروحه في ذكرى رحيله السِّتين، تُعبّر عمّا نحمله له ولرفاقه المناضلين الذين كانوا سبباً في استقلال بلادنا من حبٍ وعرفانٍ عميقين.

أ. محمود المهدي الغتمي

رئيس المركز الليبي للأبحاث والدراسات

جنزور 18 ـ 08 ـ 2018م

(1) مثل كتاب مصطفى السراج «السعداوي والمؤتمر، وضع النقاط على بعض الحروف» الصادر سنة 2006م، وكان رداً على كتاب محمد محمد المفتي «السعداوي بين التمجيد والنسيان» في طبعته الأولى سنة 2005م.

جَلسَةُ ٱلافْتِتَاح

* القرآن الكريم:

القارئ سراج الدين علي جحيدر.

* النشيد الوطني.

* كلمة رئيس اللّجنة التّحضيريّة: أ. محمود المهدي الغتمي.

* كلمة رئيس مؤسّسة الشّيخ الطّاهر الزّاوي الخيريّة: م. سالم عبد السلام رمضان.

* كلمة رئيس اللّجنة العلميّة: د. فاتح رجب قدارة.

* كلمة أسرة الزّعيم بشير السّعداوي:

أ. أحمد مصطفى السّعداوي.

* السّعداوي والزّاويّة والزّاويّ، من ذكرياتي عن المرحلة:

أ. د. صلاح الدّين حسن السّوري.

افتتاح الندوة

آيات من الذِّكر الحكيم

تلاها على مسامعنا القارئ سراج الدين علي جحيدر

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِىٓ أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ الآيات: 1، 2، 3، 4، من سورة الفتح.

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ سورة الإخلاص.

* * *

النّشيد الوطني

❑ ❑ ❑

افْتِتَاحُ ٱلنَّدْوَةِ

كلمة رئيس اللّجنة التّحضيريّة

أ. محمود المهدي الغتمي

بسمِ الله، والصلاةُ والسّلامُ على رسولِ الله،،،

السّادةُ الحضور،،،

يطيبُ للجنةِ التّحضيريّةِ للنّدوةِ العلميّةِ الرّابعةِ لمؤسّسةِ الشّيخِ الطّاهرِ الزّاويّ الخيريّةِ والتي تُعقدُ تحت عنوان «**سِيرةُ وطَنٍ مِنْ خلالِ سِيرَةِ مناضلٍ، الزَّعِيمُ بَشِيرُ السَّعْدَاوي فِي الذِّكْرَى السِّتين لوفاتهِ 1884 ـ 1957م**» أَنْ تُرَحِبَ بكم أجملَ ترحيب، وتَشكركمْ عَلى حُضُوركم وتلبيةِ الدّعوة، لاسيما الأساتذةِ الباحثين والمؤرّخين، الذين كانوا في الموعد، وقدّموا عدد أربعةَ وعشرينَ بحثاً للتعريفِ بصاحبِ الشّخصيّة المحوريّةِ لهذه النّدوةِ ـ الزّعيم بشيرُ السّعداويّ ـ وجهودُه في الجهادِ ضد الإيطاليين، والنضالِ من أجل استقلال ليبيا، وغيرِها من بُحوثٍ قيّمة يجد القارئُ عناوينها ومُلخّصاتِهَا في الإصْدَارِ الذي بينَ أيديكم.

سيداتي، سادتي،،،

هذه النّدوةُ العلميّةُ الرّابعةُ التي تعقِدُها **مُؤسّسةُ الشّيخ الطّاهر الزّاوي الخيريّة** (S.T.A.C.O)، والتي تأتي ضِمْنَ النّشاطِ الثّقافي الذِي تَضطلعُ به المؤسّسةُ منذُ إنشائها قبل سِتِّ سَنَواتٍ، ونَهدفُ فِي كُلّ ندواتِنَا السّابقة واللاّحقة في هذه السّلسلة إلى توثيقِ سِير أعْلاَمِ ليبيا من مناضلين ومجاهدين وعلماءَ وأدباءَ ومشاهيرَ وغيرِهم، والذين لم يُعرّف بجُهودهم وأدوراهم بشكلٍ أفضل؛ على الرّغم ممّا قدّموه من جليلِ الأعمالِ وعظيمِ الأفعال، فكلّنا يَعْلَم مدى الإهمالِ والنّسيان الذي تعرّضتْ لَهُ هذه الشّخصيات خلال أكثرَ من نِصْفِ قرنٍ. ولا شكّ أن إدارةَ الشّؤونِ العلميّةِ لها ندواتٌ ومؤتمراتٌ أخرى لا تقلُّ

أهميةً عن هذهِ السّلسلةِ، وجميعُها تقعُ ضِمْنَ الاهتمامِ بتراثِ ليبيا وتاريخِها وثقافتِها، وذلك من أجْلِ تَحْقيقِ أَكْبرَ مقاربةٍ ممكنةٍ مع الشّأنِ اللّيبي في جميع أبعاده وَأنْساقِهِ، وإحياءً للمشهد الثّقافي في بلادنا الذي يمرّ بحالةِ ركودٍ تام، جرّاءَ الأوضاعِ المضطربةِ وغيرِ المستقرّةِ التي تعيشُها البلادُ منذُ عدّةِ سنوات.

سيداتي سادتي،،،

يُصادفُ هذا العام 2017م الذّكرى السِّتّين لوفاةِ المناضلِ والزّعيمِ بشير إبراهيم السّعداوي، والذي وافتهُ المنيّةُ في بيروتَ يوم 17 من يناير سنة 1957م، بعد أن أمضى حياتَهُ التي امتدّتْ لسبعةِ عقودٍ ونيّفٍ، في الجهادِ والنّضالِ من أجلِ حريةِ ليبيا واستقلالِها؛ حيث نُحْيي في هذه النّدوة الذِّكْرى السِّتّين لوفاته، لتكونَ سيرتُهُ نبراساً يَقْتدِي بها شبابُنا اليومَ، ونُذَكّرهم بأن لنا رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فأنكروا ذواتهم، وغلّبوا مصلحة الوطن فوق كلّ اعتبار، ولم يُغيّروا من قناعاتهم رَغْمَ ضَنَكِ العيشِ، ومُطَاردةِ عُمَلاءِ الاستعمارِ لَهمْ في الدّاخل والخارج؛ حيثُ أفلحوا في مقارعةِ قوى الاحتلالِ الإيطالي ودعايته الضّخمة، وتمكّنوا من إدارة مفاوضاتِ الاستقلالِ في أروقةِ الأُممِ المتحدة، وفي دهاليز السّفارات الأجنبيّة، وفي العواصم العربيّة والغربية بكلّ اقتدارٍ وحنكة.

وَمِنَ الغريب أنَّ رجلاً بهذا الحجم والقدر، وبعدَ مُضيٍّ ستونَ عاماً على وفاتهِ تأتي هذه النّدوة المُحكّمة كأولِ ندوةٍ علميّةٍ تُعقدُ لدراسة شخصيّته والتّأمل في سيرته!!!، وهذا ما يدفعنا للْمُضيّ قُدماً في عَقْدِ مثل هذه النّدوات، والوفاءَ لرجالِ الوطنِ الخالدين، ونَعْتقدُ بأنّ التّأريخ لهؤلاء الأفذاذ، والوقوفَ على نضالاتهم سبيلٌ لاجتيازِ هذه المرحلة، ورؤيةٌ لمستقبلِ ليبيا بشكلٍ أفضل، فبلادُنا اليوم تتلمّسُ طريقَها نحوَ بناءِ دولةٍ جديدة، يكونُ أساسُها العدلَ والقانونَ والحُكْمَ الرّشيد، فينبغي على المتصدرين للمشهدِ السّياسي اليوم أن يقفُوا على سير الآباءِ المؤسّسينَ لليبيا الحديثة، وكيف شقّوا طريقهم بثباتٍ نحو الهدف الأسمى «وهو الاستقلال»، وتناسَواْ من أجلِ ذلك كُلّ خِلافاتِهم ومُشاحناتِهم، وتجاوزُوا الانقساماتِ فيما بينهم، واجتمعوا على كلمةٍ سواء خوفاً على مستقبل ليبيا وأمنِها،

فما أَحْوَجَنا اليوم لمثل تلك القياداتِ الرّاشدةِ الواعيةِ، لِنَصِلَ ببلادنا إلى برّ الأمان.

سيداتي سادتي،،،

ولا نريدُ أن نتحدّثَ طويلاً عمّا واجَهَنا في تنظيمِ هذه النّدوةِ، والتّحضيرِ لَهَا طِيلَةَ العَشْرةِ شُهورٍ الماضية من مشاكلَ ومعضلاتٍ، فانقطاعُ الكهرباءِ لساعاتٍ طويلةٍ يومياً، وغِيابِ خدمة «الانترنت» مع غياب الكهرباء، وانعدامِ خدمةِ البريدِ في التواصل مع المؤسساتِ العلميّةِ داخل البلاد، كُلُّ ذلك شكّل عائقاً كبيراً أمام عملِنا المتواصل، إلاّ أن إيمانَنَا العميقَ برسالتنا الثقافيةِ التي نؤديها، والتجاوبَ الذي لمسناه من الباحثينَ والمؤرِّخين، والتّشجيع الذي نحظى به من مجلس إدارة المؤسسةِ، كل ذلك كان أكبر دافعٍ في التّغلب على تلك التّحديات، وأملُنا في ذلك أن تتحوّل هذه النّدوة السّنويّة إلى تقليدٍ علميٍ أصيل، يُضيف الجديدَ إلى الدّورةِ الثّقافيّةِ في بلادنا.

وسوفَ نعملُ بكلّ جِدٍ على نشرِ أفضل البحوثِ في هذه النّدوةِ المُحكّمةِ كما فعلنا مع باقي النّدوات، بعد أن يقرأَها الباحثون في الجلساتِ العلميّة، ويتمَّ تنقيحُهَا بناءً على ما يُطرحُ في فعاليات النّدوة من تعليقاتٍ وإضافاتٍ واستدراكاتٍ من المهتمين والحضور. ونُقدِّم بذلك إصداراً مُحكَّماً قيِّماً نَرْفدُ به المكتبةَ اللّيبيّة.

وفي الختام، نتمنّى من أعماقِ قلوبِنا التّوفيقَ والسّدادَ لكلّ الباحثينَ في عَرْضِ بُحوثِهم، وأن تتمكّن أواصرُ العلاقةِ بشكلٍ أكبرَ بينهم وبين مؤسّستنا، والتي تسعى جاهدةً لتقديم المفيد، دعماً للمعرفةِ وتعميقاً للهويّة اللّيبيّة، كما نتمنّى التّوفيق لجميع أعضاءِ اللّجنتين العلميّةِ والتّحضيريّةِ في عملهم الجادِّ منذ شهورٍ طويلة تحضيراً لأعمال النّدوة، والوقوفِ على كلّ صغيرةٍ وكبيرةٍ من أجل راحةِ الباحثين، وليحظى الحضورُ الكريم بأوقاتٍ مفيدةٍ وممتعةٍ في متابعةِ هذا الحدثِ الثّقافي المهم. كما أشكرُ رئيسَ مجلسِ إدارة المؤسّسة المهندس سالم عبد السّلام رمضان على حرصِهِ في توفير جميعِ الإمكانياتِ المُتاحةِ ـ كَمَا تعوّدنا منه دائماً ـ ولا بد من توجيه شكرٍ خاصٍ لأحفادِ أسرة السّعداوي في الدّاخل

والخارج، والذين وَجَدْنا منهم كل ترحيبٍ وامتنان، وكان لهم دورٌ مهم في التّواصل مع أكبر قدرٍ من المهتمين بشخصيّة الزّعيم رحمه الله.

شكراً جزيلاً على حسن استماعكم، والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

❒ ❒ ❒

افتتاح الندوة

كلمة مؤسّسة الشّيخ الطّاهر الزّاويّ الخيريّة

للمهندس سالم عبد السلام رمضان

رئيس مجلس الإدارة ورئيس النّدوة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، أفضل صلاةٍ وتسليم.

إن مؤسّسة الشّيخ الطّاهر الزّاوي الخيريّة، تفتخر دوماً باحتِضَانها لمثل هذه النّدوات العلميّة المهمة، والتي من خلالها نحاول إثراء التاريخ والنضال الليبـي، والتعريف بأعلام هذه الأمة، وأعلام هذه البلاد، لكي نقتفي أثرهم.

أيها السيدات والسادة:

يتزامن افتتاح هذه الندوة العلمية، للزعيم السياسي الراحل البشير السّعداوي مع الذكرى الستين لوفاة هذا الرجل المناضل، الذي عاش طيلة حياته مُدافعاً عن وطنه وأمته، والذي قدّم التّضحيات الجسام، وتنازل عن الكثير من أجل وحدة التراب الليبي.

إن هذه الندوة تأتي في ظل الظروف الأمنية والاقتصادية والاجتماعية الصعبة التي تعيشها بلادنا، ناهيك عن ارتفاع صوت السلاح وغياب صوت الحكمة والعقل، وغياب الخطاب الوطني العقلاني الجامع.

إن الزعيم بشير السعداوي يُمثِّل القدوة الوطنية التي ناضلت من أجل توحيد البلاد؛ فأين ساستنا اليوم من هذه الشخصية العظيمة؟

إننا ومن منطلق تلك المسؤولية، نفخر بتنظيم مثل هذه الندوات التي تجعلنا نستذكر تاريخنا المشرِّف المليء بالمواقف والقيم والمبادئ التي قدّمها أجدادنا من أجل هذا الوطن.

واستشعاراً من المؤسسة لدورها المنوط بها في خدمة المجتمع، لن نتوانى عن عقد مثل هذه الندوات، فلدينا خطط سنوية متكاملة تهتم بالشأن الثقافي، من ندوات، ومؤتمرات، وورش عمل، وأيام دراسية، وكتب ودوريات، وغيرها من أنشطة تُسهم في تراكم المعرفة في مجتمعنا المتعطش لمثل هذه المناسبات الثقافية.

سيداتي سادتي:

باسمي وباسم المؤسسة أدعوكم للانضمام إلى مؤسستنا ومساندتنا ودعمنا، لنصل جمعياً للهدف الوطني المنشود الذي نَصبوا إليه، فوقوفكم معنا مطلوب في هذه الأوقات بالذات، وأعتبره واجباً وطنياً لكي نتغلّب على الصعاب، ونستطيع مواجهة التحديات.

وأخيراً، لا يسعني إلاّ أن أتقدّم بجزيل الشّكر وعظيم الامتنان، لكلٍّ من اللّجنة التّحضيريّة، واللّجنة العلميّة، لإنجاح هذه النّدوة العلميّة، وللحضورِ الكريمِ على تكرّمهم بتشريفنا، فلهم منّا جزيل الشّكر والتّقدير.

رحم الله الزعيم البشير السعداوي رحمةً واسعة وأسكنه فسيح جنّاته.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

❐ ❐ ❐

افتتاح الندوة

كلمة رئيس اللّجنة العلميّة

د.فاتح رجب قدارة

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين، والصّلاة والسّلام على سيد المرسلين سيدنا محمدٍ ﷺ.

السّادة الضيوف المحترمون:

السّادة ممثلو أسرة المناضل بشير السّعداوي:

السّادة القائمون على مؤسسة الشيخ الطاهر الزاوي الخيرية:

السّادة الباحثون:

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نهنئكم ببداية العام الهجري الجديد (1439هـ) الذي نرجوا من العلي القدير أن يجعله عام الأمن والسّلام في بلادنا، ونُرحب بحضوركم وإسهامكم في فاعليات هذه النّدوة العلميّة الرّابعة، التي تُعقد في إطار سلسلة النّدوات العلميّة التي تتبنّاها مؤسّسة الشّيخ الطّاهر الزّاوي الخيريّة.

السّادة الحضور الكرام:

باشرت اللجنة العلمية للندوة عملها أولاً في اختيار شخصية عَلَمٍ من الأعلام الليبيين ليكون الشخصية المحورية للندوة العلمية في نسختها الرابعة، وَوَقَع الاختيار على شخصية المناضل السيد بشير السعداوي، المجاهد، والسياسي الليبي، والعربي، والإسلامي الذي حَظِيَ باحترام وتقدير معاصريه، واعترافٍ إقليميٍ ودوليٍ بمكانته، ودوره كسياسي، ورجل المصالحات في المحيط العربي والإسلامي، وغيرها من المواقف والأعمال التي تجعل

من السعداوي شخصيةً نموذجيّة لانعقاد هذه النّدوة العلميّة الرّابعة في سياق التقاليد العلمية الليبية، التي تسعى المؤسسة إلى التأسيس لها وتجذيرها في المشهد الثقافي والأكاديمي الليبي الراهن، والتي تُحيِي من خلاله مآثر أعلام هذا الوطن، وترعى البحث العلمي، وتثمنه، وتتيح الفرصة لاجتماع الباحثين لتبادل الآراء والأفكار، وتوثيق الصِّلة بينهم.

السادة الأفاضل:

استقبلت اللجنة العلمية للندوة ما يزيدُ عن ثلاثين بحثاً علمياً تتعلّق بشكلٍ مباشرٍ أو غير مباشر بشخصية السيد بشير السعداوي، حسب برنامج الندوة الذي بين أيدي سيادتكم؛ حيث أُخضعت ملخصات البحوث، ومن ثَمَّ البحوث التي وردت على اللجنة للتحكيم العلمي الرصين، خلال مسيرة أشهرٍ من العمل المتواصل، كانت نتيجته الاعتذار لأصحاب عددٍ من البحوث، واعتماد أو طلب التّعديلات العلميّة على أربعة وعشرين بحثاً، نظراً للجديّة التي اتّسمت بها، والروح البحثية التي أبداها الباحثون المشاركون في هذه الندوة.

وبشأن المستوى العلمي للبحوث، والمصادر والمراجع والمنهجيات العلمية المتبعة، فكانت في جملتها جيِّدة، وإن اتسم عددٌ منها بالتميّز من حيث رصانة التركيب والعرض التاريخي، وترسانة المصادر الوثائقيّة الموظّفة في انجازها، وسلاسة وسلامة لغة الكتابة، الأمر الذي يُطمئن المُنظِّمين، والمؤسّسة الرّاعية للندوة، واللّجنة العلميّة على الأُسس والمنطلقات العلمية التي تنطلق منها سلسلة الندوات والمؤتمرات العلمية التي ترعاها مؤسسة الشيخ الطاهر الزاوي الخيرية العتيدة، التي استطاعت المقاومة والاستمرار في برنامجها الثقافي على الرغم من التحديات والمتغيرات التي يمر بها المجتمع الليبي، ونرجو في هذه اللحظات من العلي القدير أن نتجاوز الحالة العصيبة الراهنة في القريب العاجل.

السادة أعضاء مجلس إدارة مؤسسة الشيخ الطاهر الزاوي الخيرية، إن حرصكم الـذي لمسناه على استمرار البرنامج الثقافي وما تتحملونه من أعباءٍ إنما يدل على عقليـةٍ وطنيـةٍ واعية ومنفتحة على متطلبات المجتمع في جوانبه الثقافية غيـر المنظـورة، وإن تثمينـكم للثقافة الليبية وأعلامها، إلى جانب نشاطكم الخيري الملموس، لهـو دليـلٌ علـى نجـاح مشروع المؤسسة، واستلهامها من رؤية الشيخ الطاهر الزاوي الوطنيّة، عليه، نبارك لكـم جهودكم ونشدُّ على أيديكم راجين لكم التوفيق والسداد.

السادة البُحّاث:

إن عمل اللجنة العلمية ونتائج عمليات التحكيم والتقييم والتقويم للبحوث المقدّمـة، أُسِّس على أُسسٍ علمية واضحة ومتعارف عليها، فتمّ قبول البحـوث، أو الاعتـذار عـن بعضها، جاء بعد أن دُفع بالبحوث لمُحكّمين مختصّين، وفي أحيانٍ عِـدّة دُفـع بالبحـث الواحد لأكثر من مُحكِّم للاسترشاد بأكثر من رأيٍ علمي، والاطمئنان بـأن المُشَـارَكَة ضـمن محاور الندوة تُقدِّم جديداً في موضوعها. ولذلك نأمل تفهّم دور اللجنـة والتزاماتهـا العلميـة والأدبية التي جعلتها قاسيةً في بعض قراراتها، ولكن الروح العلمية التي تنضح بهـا بحـوثكم تجعلنا نَعْلم مسبقاً تقديركم وتفهمكم لطبيعة عمل اللجنة.

وأخيراً، أشكر زملائي أعضاء اللجنة العلمية: الـدكتور ارويعـي محمـد قنـاوي، والدكتورة نزيهة أبوالقاسم الرجيبي، والأساتذة المُحكّمين الذين تم الاسـتعانة بهـم فـي مراجعة البحوث، والشكر موصولٌ لأعضاء اللجنة التحضيرية للندوة وعلى رأسهم أخـي الأستاذ محمود الغتمي، وموظفي المؤسسة الذي سهّلوا على اللّجنة العلميّـة والبـاحثين عملية التّواصل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

❒❒❒

افتتاح الندوة

كلمة أسرة الزعيم بشير السّعداوي

أ. أحمد مصطفى السّعداوي

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه ومن والاه أجمعين.

أمّا بعد:

نودُّ أن نتقدّم بأحر الشكر والتقدير لمؤسسة الشيخ الطاهر الزاوي الخيرية التي أتاحت لنا الفرصة للتذكير بقصة وطنٍ من خلال سيرة المناضل الزّعيم بشير بك إبراهيم السّعداوي، في الذّكرى الستين لوفاته سنة 1957م؛ حيث توفّاه الله خارج الوطن الذي تم نفيه منه هو وشقيقه الأكبر محمد نوري بك بقوة السّلاح، كما نشكر كلّ من أسهم في إحياء هذه الندوة العلمية الرابعة.

وُلِد بشير بك إبراهيم السعداوي سنة 1884م في مدينة الخُمس، والتحق بالكُتّاب بمدينة سرت، وأتمّ حفظ القرآن الكريم وهو في الثالثة عشر من عمره، وأنهى دراسته في الأستانة بتركيا، وتقلّد عدة مناصب أيام الدّولة العثمانيّة، منها مأمور عشائر، وقلم التحريرات بالخُمس، وعُيِّن قائمقام في جزّين بلبنان، وكان أول مسلمٍ يتولّى هذا المنصب في بلدة مسيحية، واشترك في المؤتمر الإسلامي الذي عُقد بمدينة القدس سنة 1931م بدعوةٍ من الشيخ أمين الحسيني، وقدّم تقريراً بَسَطَ فيه القضيّة اللّيبيّة ومساوئ الاستعمار الإيطالي، تلاها العديد من الاجتماعات واللقاءات في كثيرٍ من الدّول دعماً للقضيّة اللّيبيّة.

وعيّنه الملك عبد العزيز آل سعود مستشاراً سياسياً له، في حين عَيّن شقيقه الأكبر محمد نوري مستشاراً مالياً في المملكة العربيّة السّعوديّة، أمّا في الدّاخل، فقد استطاع بشير بك السّعداوي وشقيقه محمد نوري بك من توحيد معظم الأحزاب الطرابلسيّة من

أجل تنسيق الجهود، والرّد على مشروع بيفن سفورزا الرّامي لتقسيم ليبيا، والوصاية عليها، ونتج عن هذا تأسيس حزب المؤتمر الوطني العام، كما نَقَل القضية اللّيبيّة إلى الجمعيّة العامة للأمم المتحدة مطالباً باستقلال ليبيا موحدة. هذه نبذة عن الزّعيم بشير بك السّعداوي السّياسي والقيادي والوطني، والذي ناضل وشقيقه محمد نوري بك وضحّيا بالغالي والنّفيس وأسرتيهما في سبيل استقلال ليبيا.

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وتحيا ليبيا حرة مستقلة.

❐❐❐

السَّعداويّ والزّاوية والزّاويّ، من ذكرياتي عن المرحلة

أ. د. صلاح الدّين حسن السّوري
مؤرّخ وأكاديميّ ورئيس مصلحة الآثار اللّيبيّة الأسبق

السيّدات والسّادة السّلام عليكم ورحمه الله وبركاته، أنتهز الفرصة لتحيّة مؤسسة الشيخ الطاهر الزاوي الخيرية على عقدها هذه الندوة المهمة التي تتعلّق بحياة الزعيم بشير السعداوي ـ رحمه الله ـ عَرفت الرّجلين في مدينة الزاوية، الزاوية في ذلك الوقت كانت دائماً في المُقدِّمة، مدينة هادئة جميلة تتوسّطها حديقةٌ خضراء مُعبّرة تحيط بها أشجار النخيل والزيتون، وأهلها متقاربون، وهناك اعتزاز بالنفس، ودائماً تأتي منها المبادرة، أذكر في تلك الأثناء كانت الأمور في بداياتها، خرجنا من الاحتلال الإيطالي وبدأنا فترة الإدارة البريطانية وبدأت الدراسات، كانت في البديات يعني، أنا كنت في ذلك الوقت في المدرسة الإبتدائية، لم تكن هناك مدرسة ثانوية، أهل الزاوية هم الذين أنشؤوا المدرسة ثانوية، أيضاً لم تكن هناك مدرسة إعدادية، هم بمجهودهم الخاص الذين أنشؤوا الشركة العربية التعاونية، وهم الذين أنشؤوا النادي وفريق كرة القدم، كانت لديهم ريادة في كل الأمور، وخاصة الأمور السياسية، النسيج الإجتماعي كان متماسكاً في ذلك الوقت، أهل الزاوية كانوا دائماً على اتصالٍ وعلى توافق، وأذكر أن من بين أهل الزاوية إلى الأن هناك من مختلف المدن الليبية الذين أصبحوا جزءاً من تلك المدينة، هناك المصراتي، وهناك الترهوني بالاسم إلى الآن، وهناك الورفلي، والزليتني ولكنهم يُمثّلون جزءاً لا يتجزء من أهل الزاوية، ولا تستطيع أن تُفرّقهم، أو تستطيع أن ترى الفروق فيهم، وكانت قريبة من طرابلس، طبعاً العوامل التي جعلتها في المقدِّمة أيضاً كانت قربها من العاصمة، فكان هناك اتصال باستمرار، وكان أيضاً الحراك السياسي وما يجري في طرابلس، كان دائماً له

صدى في مدينة الزاوية، في هذا الإطار كانت زيارة الزعيم إلى مدينة الزاوية، الزاوية مركزٌ مهم، وله مؤيدوه لأن هناك ثلاثة أحزاب، الزعيم كانت له قدرة وإمكانيات حتى مادية، لأنه كان له دعم من الجامعة العربية، هذا مكنه من التغلغل في المدن الريفية الليبية، بقية الأحزاب لم يكن لها ذلك التأييد، وأيضاً لم تكن لها تلك الإمكانيات المادية التي تمكنها من التغلل داخل لأن هذه مصاريف، وأيضاً التأييد الذي وجده الزعيم من الدواخل هو الذي مكنه أيضاً من الاستمرار في هذا الموضوع لأنه كانت كل الأمور بالمجهود الذاتي، يعني كلها تُموّن بالمجهودات الذاتية، بالتبرعات بالأعمال التطوعية كل ذلك ساعد الزعيم على التغلغل بالداخل في المدن الداخلية وفي مقدمتها الزاوية، طبعاً زيارته الأولى مثل ما قلت أنا تعرفت على الرجلين رأيتهم في الزاوية، الزعيم بشير السعداوي، والشيخ الطاهر الزاوي.

زيارته الأولى كانت قبل الاستقلال في ذلك الوقت، كان هناك انسجام كامل بين معظم فئات الشعب؛ لم تكن توجد فُرقة إطلاقاً أو خلاف حول المواضيع التي كانت مطروحة، أو المبادئ التي كانت مطروحة في ذلك الوقت، كانت مبادئ الاستقلال والحرية والانضمام للجامعة العربية كانت هذه هي المبادئ، وهو قام بجولة في المدن الريفية وكان في مقدمتها وبدايتها مدينة الزاوية، الاستقبال تستطيع أن تقول رسمي وشعبي، الرجل أخذ نوعاً من «الكاريزما» هو كان من المجاهدين وأتى للقيام بهذا العمل وبذل جهوداً كبيرة في الأمم المتحدة، وكانت المنشورات تأتينا أولاً بأول، وكنا نقرأ التحركات والنشاطات التي كان يقوم بها على المستوى الإقليمي العربي، والدولي، والزيارة كانت رسمية لم نجتمع به، كان من بعيد وتبادلنا التحيات ولكن لها استعداد كبير جداً على الجدران، وأمام الدكاكين، ورُفعت الأعلام في الواجهات، الزاوية ليست مثل الآن بها مباني كبيرة، ولكنها كانت مدينة صغيرة ومُنظّمة وجميلة، والحماس كان في منتهاه، كان اللقاء أيضاً من خلال حتى الخطابات كان خطباء من البلد نفسها وكان أيضاً خطيب حزب المؤتمر الأستاذ علي مصطفى المصراتي الذي ظل دائماً مع السعداوي في كل زياراته، وكان المتوقع منه

والمطلوب دائماً أن نسمع خطاباته، والتي كانت دائماً حماسية بقدر ما تقتضيها تلك الفترة، تلك الفترة بحاجة إلى رفع المعنويات.

الزعيم كان خطاباته دائماً هادئة يبدؤها دائماً «أبناء وطني الأعزّاء» وتشعر بأنها في الصميم أنها تدخل إلى الصميم وانتهت الحفلة وودّع واللقاء الذي يتوقع الناس أن يلتقوا بهذا الزعيم كان رسمياً وشعبياً.

اللقاء الثاني بعد الخلاف بعد جمعية الستين التي تضع الدستور، وكان الخلاف حول الفيدرالية، الزعيم كان يرى ـ هذا رأيه الشخصي وهذا رأي الكثير في طرابلس الغرب ـ يرى أن البلد يجب أن تكون موحدة، وأن أي تقسيم تحت أي مُسمّى قد يؤدي إلى الانفصال، خاصة أن قبلها كانت برقة ستذهب كدولة منفصلة عن طرابلس، وطرابلس أيضاً منفصلة، هكذا كانت الأمور، وربما تخوّف الزعيم من هذا الجانب، فاعترض على الفيدرالية، طبعاً الفيدرالية هذه كانت شرطاً مسبقاً من إقليم برقة للدخول في الاتحاد، شروطهم كانت أن الأمير إدريس السنوسي يكون ملكاً على البلاد، والفيدرالية نظاماً سياسياً، والعاصمة بنغازي، كانت هذه هي الشروط، لأنهم كانت عندهم ذاتية مستقلة، طبعاً هذه أحدثت فُرقة، لأن هناك من أيّد الفيدرالية، الحكومة المؤقتة أيّدت الفيدرالية وكان هذا جزء من النظام، لأن الجمعية التأسيسية عملت بالفيدرالية، فالتزمت بهذه الشروط في سبيل الوحدة وأعلنت القبول بهذه الأشياء، الزعيم رفض، وحتى فصل ممثلي المؤتمر الذي كانوا في الجمعية التأسيسية، منهم الذي استقال، والذي بقي فُصل منها، هو اعتمد من هذا الجانب على القاعدة الشعبية، يتصل بالناس، ويتنقّل بين الجماهير، وأيضاً كان مُحَارَبَاً، لأن الحكومة عندها قوة وإمكانيات وعندها البوليس. التحركات كانت محدودة ليس مثل المرة الأولى، المرة الثانية كانت شعبية أكثر، وكانت تجد معاكسة من الرسميين يعني الرسميون كانوا يعاكسون هذه التحركات، فنجد حزب الاستقلال مناقضاً لهذا لحزب المؤتمر، والسعداوي أو حزب المؤتمر كان لديه جريدة «شعلة الحرية»، كان رئيسها (أحمد زارم الرحيبي) الذي كان أيضاً سكرتير المؤتمر.

في هذا الإطار نحن في مدينة الزاوية، وقبيل مجيء الزعيم أسّسنا فرعاً للمؤتمر الوطني، الفرع أُسس على غرار النظام الذي أُسس عليه حزب المؤتمر من حيث الرئيس، ونائب الرئيس وشُعبة للشباب، وكان في سينما الزاوية، كانت هناك سينما، يعني كانت مدينة حضارية صغيرة، صالة السينما كبيرة، عُقد فيها اجتماع كبير جداً، وكانت الصالة ملأى بالحضور، وعُرضت فيها مسألة الإنتخابات والمداخلات، وربما من جانب التشجيع أُعطيت فرصة للحديث في ذلك الاجتماع، وتم العمل كله تطوّعاً، يعني تمويل الفرع، مصاريفه كلها كان تطوعياً من أهل الزاوية المؤيدين للمؤتمر، مثل ما نُسميهم «مؤتمريين»، نحن نُقسّمهم إلى: مؤتمري، وفيدرالي، طبعاً التوقعات دائماً يعني بأن النجاح سيكون كاسحاً في الانتخابات، هو حتى تغيير الدستور لم يكن ببساطة، لأن تغييرها يعني تغيير الدستور من الفيدرالي كما هو موجود وكما هو معمول به إلى نظام الوحدة، ـ نحن مازلنا في فترة الحكومة المؤقتة ـ، تغييره إلى نظام الوحدة يحتاج إلى موافقة المجالس التشريعية في الأقاليم الثلاثة: طرابلس، وفزان، وبرقة، ويحتاج إلى موافقه مجلسي الشيوخ والنواب وكلها بثلثي الأعضاء، يعني من أصعب ما يمكن أن تُغيّر هذا النظام، ولكن الزعيم قبل هذا التحدي على أساس أنه بالسياسة وبالإقناع عندما يستلم الحكومة سيكون بمقدوره ولو على المدى البعيد أن يُغيّر هذا النظام، حتى فكرة الفيدرالية والوحدة سُوقت أو تقريباً الدعاية نفسها، الناس أنفسهم عندهم هذه القابلية لاستخدام الدِّين على أساس أن الفيدرالية فُرقة، وهذه الفُرقة هي تقسيم، حتى أن وصل من قال أنهم كَفَرة، وصدرت حتى فتوى بأن هذه الجوانب السياسية وليست لها علاقه بالدِّين، وأيضاً كان هناك العداء للإنجليز.

كل ذلك كان أثناء الزيارة الثانية للزعيم السعداوي، وأذكر أنه قد استُقبل شعبياً، ولم يكن استقبال رسمي، وكان البوليس في كل مكان تحسباً من أي شيء في المظاهرة، فاستُقبل في مدخل مدينة الزاوية، وارتجل من السيارة وركب فرساً، وأتوا به إلى الفرع نحو مسافة كيلو متراً أو أقل قليلاً، ونزل أمام الفرع ودخل، وبدأت الخُطب، وفي الوقت نفسه كان منبهراً بهذا الاستقبال الجميل والحافل، وجلس واستمع إلى الخُطب والشعراء

والزجالين، ثم لاحظناه أنه فجأة قام من مكانه وخرج من باب المكان الذي دخل منه، وكانت الجماهير محتشدة، تلاحظ الحس الجماهيري الذي يتميز به، كيف أن الرجل بالرغم من الخُطب وما إلى ذلك لم ينسَ الجمهور الذي في الخارج الذي لم يتمكن من الدخول إلى المكان، وخرج إلى الجمهور وخاطبه، كان الحماس في منتهاه، في القمة، ورفع معنوياتهم، ولاحظت أنه قال لن نقف أمام المؤامرات الاستعمارية وخاصة حدد أعداءنا الإنجليز يعني كانت حتى ملفتة للنظر أن من خلال اتصالاته من خلال ما يراه كان أكثر معرفة بالوضع السياسي.

بقدر ما كان هذا الحماس، كان متوقعاً أن يكون النصر كاسحاً مائة في المائة، في طرابلس يوم الانتخابات، كان في شهر فبراير 1952م، ظهرت النتيجة في طرابلس هي الأولى، كان هناك صناديق اقتراع، والخمسة الذين رشّحهم المؤتمر في الخمس دوائر انتخابية في طرابلس نجحوا باكتساح، مثلاً الشيخ «عبد الرحمن القلهود، عبد العزيز الزقلعي، مصطفى ميزران، محمد الزقعار، ومصطفى السراج» خمسة أعضاء من اللجنة التنفيذية في المؤتمر، كانوا مرشحين واكتسحوا الانتخابات، إلى درجة أن تجد لمرشح المؤتمر مثلاً 2400 صوت، تجد للخصم 120 أو 130 صوتاً فقط، في نسبةٍ كهذه يكون المرشح الخاسر خسر التأمين أيضاً، لأنه هناك تأمين يُدفع إذا لم تتجاوز نسبة معيّنة، فيخسر بذلك التأمين، الذي كان خمسين ديناراً، وكان هذا المبلغ في ذلك الوقت يعادل نحو خمسة الآف دينار الآن، مبلغ كبير في ذلك الوقت.

توقّع ما حدث في طرابلس، المعارضون لم يجرؤوا حتى على الخروج، النتيجة أن الانتخابات زُوِّرت، لم تكن هناك صناديق، على أساس أنها مناطق أرياف، لا يُدركون، لا يقرؤون، الأُمية منتشرة، ولذلك عملوا سجلاّت ووضعوها أمام الموظف، وأعطوه تعليمات، بأنه إذا جاء مُرشّح للمؤتمر «فلان بن فلان مثلاً» يكتب بأنه مرشح الحكومة، ولذلك حتى الهزيمة لم تكن مُغلّفة، يعني حتى إذا أردت أن تُزوّر فزوّر بطريقة معقولة لتكون غير واضحة، لكن في واقع الأمر كانت مكشوفة، مثلاً أحد المرشحين بما له من

أنصار، بما له حتى من عائلة يتحصّل على أربعة أصوات، غير معقول، لذلك ردة الفعل كانت عنيفة، لأن الناس ثارت، في مدينة الزاوية كنت في المظاهرة، في الصباح كان يوم جمعة، دخل الناس بالفؤوس، والأعمدة، وبقايا الأسلحة، وهاجموا مقر المتصرفية، قوات البوليس حاولت بقدر الإمكان أن تُقنع الجميع بأن ينصرفوا، ولكن كان الحماس في منتهاه، وكان الغضب شديد، وليس الحماس فقط، واضطرت قوات البوليس لإطلاق النار، وتفريق المتظاهرين، وأُصيب من أصيب، ولم يحدث حالات قتل في ذلك اليوم، حدثت بعد ذلك، كان هناك جرحى، وكانوا من مختلف الأعمار، أذكر أنه كانت هناك عجوز ليست بعيدة عن بيتي، كانت تحاول أن تُثنيهم بالنداءات نفسها التي كانت تُستعمل في فترة الجهاد، وبعد أن سيطرت الحكومة على الموقف، تم اعتقال جميع أعضاء حزب المؤتمر، وكبار القادة، وأُخذوا إلى السجون.

كانت لحظات إحباط وفترة عصيبة جداً، والناس مكتئبون وحزينون، طبعاً الحكومة استوعبت الموقف، وتمت محاكمة أعضاء حزب المؤتمر، وتم الحكم عليهم بمُدد متفاوتة، من أشهر قليلة إلى ثمان سنوات، لأنه كانت هناك تُهم بحمل السلاح.

لاحظت أثناء المظاهرة أنه كان هناك معسكر إنجليزي ليس بعيد من المتظاهرين، لم يتدخلوا إطلاقاً، كانوا في حالة استنفار، وتم تسفير الزعيم إلى ما وراء الحدود إلى القاهرة، والأستاذ أحمد زارم الرحيبي إلى تونس.

ونقفز قليلاً إلى انقلاب 1969م استظل بمظلة السعداوي في هذا المشهد، أولاً: فتح تحقيق في هذا الموضوع، أشاد ببشير السعداوي، بالثناء على عمله الوطني، وكيف أن النظام الملكي استعمل أساليب القهر ضده. أول محاكمة كانت محاكمة تزوير انتخابات 1952م، وأصبحوا الجماعة الذين كانوا متصدرين المشهد في ذلك الوقت سنة 1952م في قفص الاتهام سنة 1969م.

كلمات قليلة عن الشيخ الطاهر الزاوي، رأيته أكثر من مرتين، الأولى كانت في الزاوية في بيت والدي عندما استضافه في البيت، رأيته من بعيد. المرة الثانية رأيته في

دار الإفتاء بخصوص موضوع يتعلّق ببحث. والمرة الثالثة تتعلّق بكتابٍ يريد نشره، ولكن عرفته أكثر من خلال كتابه «جهاد الأبطال في طرابلس الغرب» كتاب أثار ضجة، كان الموضوع يثير الحماس، في منشوراته كان ضد الزعيم، لماذا ضد الزعيم؟ لأنه في القاهرة كانت اللجنة الطرابلسية ضد السنوسية، كان هناك خلاف بين أهل برقة بزعامة الأمير إدريس السنوسي، وأهل طرابلس بزعاماتهم المعروفة، كانت خصامات وفُرقة، وفي دمشق كان العكس، كان السعداوي وعمر فائق شنيب، كان هناك اتصال بينهما، في هذا الجانب استطاع بشير السعداوي أن يَجمع ليبيا، وتمكّن من أن يُقنع أهل طرابلس بضرورة القبول بالسنوسية بزعامة الأمير إدريس السنوسي، كلمة أخيرة لكم أنتم، ذهب السعداوي، وذهب الشيخ الطاهر الزاوي، وذهب جيلنا، ولكن الاعتماد هو على الشباب:

ذَهَبَ الزَّعِيمُ وأنتَ باقٍ خالدٌ ... فانقُد رِجَالك وَاخْتَرِ الزُّعَمَاءَ
وأَرِح شُيُوخَكَ من تكاليفِ الوَغَى ... وَاحْمِل على فَتيانِكَ الأعْبَاء[1]

وشكراً والسلام عليكم.

❐ ❐ ❐

(1) من قصيدة رثاء عمر المختار لأمير الشعراء أحمد شوقي. (المُحرِّر).

الجلسة العلمية الأولى

رئيس الجلسة

د.إبراهيم أحمد أبوالقاسم

وقائع الجلْسة

* موقف بشير السّعداوي من التّغلغل السِّلمي الإيطالي لاحتلال ليبيا (1884 ـ 1911م):

د. نصر الدين البشير العربي.

* مواقف وطنيّة في حياة المناضل بشير بك السّعداوي (1884 ـ 1957م):

د. عبد المنعم محمد الصادق.

موقف بشير السّعداوي
من التّغلغل السِّلْمي الإيطالي لاحتلال ليبيا
(1884 ـ 1911م)

د. نصر الدين البشير العربي
عميد كلية الآداب بمسلاّتة ـ جامعة المرقب

إن القارئ لتاريخ ليبيا المعاصر، يجد أن تراثه هذا ما هو إلا نتيجة لجهود ونضال وتضحيات قدّمها أبناؤها من أجلها، وبذلك تركوا لنا بصمات من نور في مسار حركة الجهاد والمقاومة بأشكالها الثقافية والسياسية، باعثين نهضة أمة في مجالات شتَّى أهمها التّصدي للتغلغل السلمي للخطط الاستعمارية ذات الوجهين لعملة واحدة، إيطاليّة كانت أو أوروبيّة.

وعليه فإن البحث في تراجم السِّير والأعلام يُعدُّ من أهم السبل لدراسة المجتمعات وتاريخها، خاصة تلك التي تندمج في إطار الطبقة المثقفة، والتي تشكل عماد المسألة التاريخية، فالفاعل الاجتماعي يفتكُّ منزلته من عدة عوامل أهمها ذلك الحيز الذي تشكل فيه، وإذا ما وجهنا نظرنا حول هذه المسألة المتعلقة بالمناضلين والزعماء وقادة الجهاد، فإننا نجدهم اللبنة الأساسية الصانعة لشرارة حركة الجهاد ضد الاستعمار الإيطالي، وحركة الجهاد والمقاومة ما هي إلا نتاج لهم، وهنا يتجلّى لنا أهمية دراسة التراجم المحركة لهذا الحدث المحوري لتاريخ ليبيا والمتمثلة في الكشف عن الحقائق الغامضة، وإزالة الغبار حول القضايا والأحداث التي تشكل السجل التاريخي لليبيا.

فتاريخ ليبيا ما هو إلا انعكاس لمواقف نضالية وسياسية للعديد من الشخصيات، سواء كانت في قائمة الشهداء أم المجاهدين، وهذه الأخيرة تُعدُّ خزينة لتراث تاريخي بالنسبة لتاريخ بلد عانى ويلات الاستعمار الإيطالي فترة زمنية طويلة تجاوزت ثلاثين سنة، راح

ضحيتها عشرات الآلاف من الشهداء، وشهد على مواقفهم البطولية ثلة من المجاهدين من خلال شهاداتهم التي أدلوا بها وعلى رأسهم: سليمان الباروني، وعبد النبي بالخير، ورمضان السويحلي، وأحمد المريّض، وفرحات القاضي، وبشير السعداوي، هذا الأخير اخترته كموضوع للمشاركة به بالندوة العلمية الرابعة لمؤسسة الشيخ الطاهر الزاوي والموسوم بـ: «موقف بشير السعداوي من التغلغل السِّلمي الإيطالي لاحتلال ليبيا 1884 ـ 1911م».

ولمعالجة موضوع هذه الشخصية في هذه الجزئية انطلقت من إشكالية عامة مفادها: إلى أي مدى أسهم بشير السعداوي كرجل مثقف ومناضل سياسي في التصدي لمشروع التغلغل السلمي الإيطالي في ليبيا؟ تفرّعت عنها عدة أسئلة واستفهامات فرضت نفسها في هذا السياق وهي: من يكون بشير السعداوي؟ وكيف أثَّرت البيئة التي يعيش فيها في تكوين شخصيته النضالية؟ وما هو الدور الذي قام به من أجل التصدي للتغلغل السلمي قبيل الاحتلال الإيطالي، وأثناء الاحتلال؟

إن المرحلة التي أتناولها بالدراسة تنحصر بين عامي 1884 و1911م، وهي الفترة المحددة بميلاد بشير السعداوي بمدينة الخُمس، وبداية الاحتلال الإيطالي للبلاد في أكتوبر 1911م، وللإلمام بأطراف الموضوع والإجابة على التساؤلات اتّبعت أكثر من منهج في هذه الدراسة وهي كالآتي:

ـ المنهج التاريخي الوصفي: اتّبعته في رصد جل الأحداث والعمل على ترتيبها ترتيباً كرونولوجياً، ووصفها حسب خطة البحث.

ـ المنهج التحليلي: اعتمدت عليه في دراسة وتحليل الوقائع والآثار التي صاحبت هذه الشخصية، وصولاً لاستنتاج الحقائق العلمية.

ـ المنهج المقارن: يظهر ذلك من خلال مقارنتي بين المصادر والمراجع وما تحويه من تضارب في المادة العلمية.

وقسَّمت بحثي إلى مقدمة ومبحثين تليها خاتمة وجاءت على النحو التالي:

ـ المبحث الأول: جاء بعنوان «بشير السعداوي، نسبه، مولده، ونشأته، وتكوينه العلمي والثقافي والسياسي».

ـ المبحث الثاني: اخترت عنوانه: «بشير السعداوي ونضاله ضد التغلغل السلمي الإيطالي وتزعمه لحركة النضال».

وأنهيت بحثي بخاتمة استعرضت فيها الأحداث التي مرّت بها بداية حركة الجهاد والمقاومة، والتي كانت لها انعكاسات في تكوين شخصية بشير السعداوي، وجعلته يكتسب القدرة والحنكة في حل المشاكل ومواجهة التحديات.

* * *

المبحث الأول

مولده ونشأته وتعليمه وتكوينه

هو بشير بن إبراهيم السعداوي من أقطاب مدينة الخُمس البارزين ومن القادة الأوائل الذين وقفوا ضد التغلغل السِّلمي الإيطالي في ليبيا، وسلكوا مسلك التحريض والجهاد ضد التدخلات الإيطالية بالشأن الليبي؛ حيث قام بدورٍ كبير في الدعوة إلى عقد المؤتمرات والمظاهرات وتوعية أبناء الشعب الليبي بمدى خطورة ما تقوم به السياسة الإيطالية بالأراضي الليبية، فمن يكون؟ وكيف تكوَّنت شخصيته؟

أ ـ مولده ونشأته:

وُلِد بشير بن إبراهيم السعداوي بمدينة الخُمس في أواخر سني القرن التاسع عشر الميلادي في سنة 1310هـ الموافق 1884م، أي في العقود الأخيرة من العهد العثماني الثاني في تاريخ ليبيا، نشأ وترعرع في بداية حياته ومطلعها بمسقط رأسه بمدينة الخُمس، وينتسب إلى عائلة السعداوي التي ترجع أصولها إلى قبيلة الغلالبة نسبة إلى جدهم عبد الغالب، وينتهي نسب هذه القبيلة إلى بني الأغلب[1] الذين أسسوا دولتهم في الشمال الأفريقي

(1) الأغالبة «بنو الأغلب» سلالة إسلامية، مؤسّسها إبراهيم بن الأغلب (184 ـ 997هـ/ 800 ـ 909م) حَكَمت =

«القيروان ـ تونس» في القرن الثالث الهجري والتاسع الميلادي، وتعلّم بمسقط رأسه؛ حيث توفّي والده وعمره سنتين، فتولّى أمره عمه الصادق السعداوي والذي اهتم به ورباه تربية إسلامية حسنة حتى بلغ سن التمييز[1]، عاش السعداوي وعاصر من تاريخ ليبيا الحديث أربعة عهودٍ سياسية مختلفة، فقد أدرك أواخر العهد العثماني، الذي انتهى بالاحتلال الإيطالي لليبيا، والتي استمرت من عام 1911م إلى عام 1943، ليصل بعدها عهد الإدارة البريطانية من عام 1943 إلى عام 1952م تلاه العهد الملكي من عام 1952 إلى عام 1969م إذ توفِّي في 17/ 1/ 1957م[2].

ب ـ تعليمه:

عندما بلغ سن الإدراك والتمييز صار يُلقّن مبادئ الكتابة والقراءة مع تحفيظ كتاب الله المبين وذلك ببلدة الخُمس في كتاتيب مساجدها، وواصل تعليمه وتعلّمه للعلوم الفقهية واللغوية عن شيوخها الفضلاء، إلاّ أننا لم نهتد إلى معلومات وافرة عن شخصية معينة أو أسماء لأحد الشيوخ الذين تلقّى عنهم العلم، وما توصلنا إليه أنه في بداية مشواره العلمي أخذ العلم بكتاتيب مدينة الخُمس، ومكث بها فترة غير يسيرة حتى أنهى تعليمه الأولي[3].

بعد توديع الكُتّاب القرآني وقضاء الوطر منه اشتاقت نفسه التوّاقة للمعالي ونيل الشّرف العلمي للاغتراف من جداول العرفان؛ فشد الرّحال إلى بلدة سرت التي انتقل إليها رفقة شقيقه الأكبر نوري السّعداوي الذي تولّى مدير مال قضاء سرت والتحق بكُتّاب الزاوية السنوسية اللاّمعة الذكر، والتي بها أخذ على فقهائها البارزين، وأكمل حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب وهو في الثالثة عشر من عمره وذلك في عام 1897م، رَجَع بعدها إلى مسقط

= في بلاد شمال أفريقيا وكانت عاصمتها القيروان، في عهد الخلافة العباسية، للمزيد، انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ط28، دار المشرق، بيروت، 1986م، ص52.

(1) اورفعي محمد علي قناوي، بشير السعداوي ودوره في الحركة الوطنية الليبية 1884 ـ 1957م، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2014م، ص44.

(2) المرجع نفسه، ص45.

(3) المرجع نفسه، ص46، 47.

رأسه الخُمس وواصل تعليمه للأمور الشرعية واللغوية المتمثّلة في الفقه، والميراث، والتفسير، والحديث، والنحو، والصرف، والبلاغة، والأدب، بزواياها العامرة، ونظراً لرغبته الجامحة في التّعمق بالعلم والدراسة قصد المدرسة الرشيديّة بالخُمس، وقد مكّنه هذا الأمر من الإطلاع على المناورات الداخلية والخارجية التي كانت تعصف بليبيا، كما كانت له فرصة التشبع بعلوم التاريخ، والجغرافيا(1)، بالإضافة إلى مطالعته لكتب الأولين ككتاب النهاية لابن الأثير، والطبقات لابن سعد، ورحلة ابن جبير، وكذلك كتب اللغة، والأدب، والشعر مثل ديوان المتنبي، والطغرائي وشرحه، فضلاً عن اطّلاعه على كتابات بعض المعاصرين من أمثال محمد عبده(2)، وغيره من الأعلام الذين ظهروا وتميزوا بأفكارهم النيرة المتجددة، وكذلك ما كتبه جمال الدين الأفغاني(3) الذي تمحورت أفكاره حول الإصلاح الديني والرد على المستشرقين الذين هاجموا الإسلام، كما تعرَّف على

(1) المرجع السابق نفسه، ص47.

(2) محمد عبده بن حسن خير الله «الشيخ» (1266 ـ 1323هـ/ 1849 ـ 1905م)، أحد أبرز رواد الإصلاح والتجديد في الإسلام، وُلد في قرية «محلة نصر» بمركز «شبراخيت» من أعمال مديرية البحيرة، تعلّم بالجامع الأحمدي بطنطا، ثم الأزهر، اشتغل بالتعليم، ثم انتقل إلى عالم الصحافة، حرّر جريدة «الوقائع المصرية» وجاهر بعدائه للانجليز، فنُفي لوقوفه إلى جانب الثورة العرابية «أحمد عرابي» إلى بيروت، ثم ما لبث أن التحق بأستاذه الأفغاني في باريس ليؤسّسا معاً جريدة «العروة الوثقى» عام «1301هـ/ 1883م» التي توقفت عن الصدور في السنة نفسها، ثم عاد أدراجه إلى بيروت ليشتغل بالتدريس والتأليف، ثم سُمح له بدخول مصر، فعاد عام «1306هـ/ 1888م» وتقلّد مناصب عدة أهمها مفتي الديار المصرية عام «1317هـ/ 1899م» وهَجَر السياسة وعاد إلى مواصلة معركة الإصلاح والتجديد عن طريق التربية والتعليم حتى وفاته، من أهم مؤلفات الشيخ عبده، رسالة التوحيد، وشرح نهج البلاغة، والإسلام والرد على منتقديه، للمزيد انظر: محمد عمارة، سيرة الشيخ محمد عبده وترجمته، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1974م، ص252 ـ 253.

(3) جمال الدين الأفغاني الحسيني (1254 ـ 1315هـ/ 1838 ـ 1897م) فيلسوف الإسلام في زمنه، ولد في أسعد أباد، في أفغانستان، عرفه الشرق والغرب جوّالاً ثائراً مصلحاً، واسع الثقافة غزير العلم، خطيباً مفوهاً داعياً إلى الوحدة الإسلامية، أقام في باريس وأنشأ فيها مع تلميذه الشيخ محمد عبده جريدة «العروة الوثقى» للمزيد، انظر: محمد عمارة، جمال الدين الأفغاني، الأعمال الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1979م، وكذلك انظر: قدري قلعجي، ثلاثة من أعلام الحرية، جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، سعد زغلول، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ص9.

آثار محمد رشيد رضا[1] صاحب مجلّة المنار التي نبّهت المسلمين إلى حاجتهم للإصلاح الديني والاقتصادي والاجتماعي، بالإضافة إلى انتشار أفكار المنور العربي عبد الرحمن الكواكبي[2] الذي كان يقف مع الفقراء والمستضعفين ضد الاستبداد، وتأثره الشديد بأحد أساتذته بالمدرسة الرشيدية المعلّم «حقي شيناص» والذي كان له دور كبير في الاهتمام ببشير السعداوي، كل هذه الظروف بمدرسة الرشيدية بمدينة الخُمس أثّرت تأثيراً كبيراً في إسهامات السعداوي في بناء الفكر والنهضة الوطنية الليبية.

عُرف السعداوي بذكائه ونشاطه الكبيرين اللذين وظفهما في ملاحظاته وتجاربه الثقافية والاجتماعية والدينية والنضالية، ولا سيما أثناء دراسته بالمدرسة الرشيدية بمدينة الخُمس، فقد كان وهو طالب على مقاعد الدراسة، أو موظفاً مدركاً وواعياً للأحداث السياسية التي تمر بها ليبيا من حيث تتبعه لأطماع الدول الغربية لوطنه، ولا سيما ما كانت تقوم بها إيطاليا من خطوات وتحركات سياسية[3]،

(1) رشيد رضا «1282 ـ 1354هـ/ 1865 ـ 1935م» محمد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين القلموني، البغدادي الأصل، صاحب مجلة المنار ذائعة الصيت والسُّمعة، أحد أبرز علماء الدين الإسلامي المرموقين، الذين اشتُهروا بعلم الحديث، والأدب، والتاريخ، والتفسير، وأحد أهم رجال الإصلاح والفكر الإسلامي في مصر والعالم العربي، للمزيد انظر: ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة «1798 ـ 1939م»، ترجمه إلى العربية، كريم عزقول، ط3، دار النهار للنشر، بيروت، 1977م، ص260.

(2) عبد الرحمن بن أحمد بن مسعود الكواكبي «1271 ـ 1320هـ/ 1854 ـ 1903م» رائد من رواد الإصلاح العرب المسلمين ومن رموز نهضتها الحديثة، ومن الكُتّاب والأدباء المرموقين، وُلد وتعلّم في حلب، أسّس فيها صحافة خاصة، منها جريدته الأولى «الشهباء» التي ما أن رأت النور حتى أجهضتها السُّلطات، وتكالب عليه أعداء الإصلاح والتغيير، فهاجر إلى مصر، واستقرّ فيها إلى أن توفي سنة 1902م، من أعماله أم القرى، وطبائع الاستبداد، للمزيد انظر: نوربيرو «المستشرق الفرنسي»، الكواكبي المفكر الثائر، إسهام في دراسة الإسلام الحديث، ترجمة علي سلامة، ط2، دار الآدب، بيروت، 1981م، ص82 وما بعدها.

(3) وهنا نقصد بالتحركات السياسية الإيطالية، هي تلك الاتفاقيات والمعاهدات مع الدول الأوروبية الكبرى، فقد قامت بتوقيع اتفاقٍ مع فرنسا في عام 1902م، والذي أكد بموجبه على احترام إيطاليا لمصالح فرنسا في المغرب، مقابل تنازل فرنسا عن نشاطاتها كافة بليبيا، وجُدِّد هذا الاتفاق عام 1907م، والذي تم بموجبه استغناء فرنسا لصالح إيطاليا عن أية مطامع في طرابلس، وكذلك قامت إيطاليا بتوقيع اتفاقٍ مع بريطانيا عام =

واقتصادية[1]، واجتماعية[2] ودورها في التغلغل السلمي بليبيا قبيل الوصول إلى الخطوة العسكرية والاحتلال.

ج ـ وظائفه الإدارية:

يُعدُّ بشير السعداوي ثمرة من ثمار المدرسة الرشيدية بالخُمس، التي اكتشفها واهتم بها الأستاذ التركي «حقي شيناص»، الذي توسّم فيه النباهة، والنبوغ، والجدية، والمثابرة،

= 1902م، تعهّدت فيه إيطاليا بأنها لن تقوم بعقد أي اتفاقٍ ضد مصالح بريطانيا في البحر المتوسط، وأن تساند إيطاليا بريطانيا في قضية احتلال مصر مقابل الموافقة على إعطاء الضوء الأخضر لإيطاليا باحتلال ليبيا، كما أنها قامت بالدّخول في الحلف الثلاثي مع النمسا وألمانيا والذي تنصّ المادة الرابعة في هذا الحلف بإعطاء إيطاليا الإذن في أي تحركٍ عسكري لاحتلال طرابلس والذي تم في عام 1892م، وتم تجديده في عام 1902م، أما روسيا فكانت آخر القوى التي استُشيرت حول موضوع طرابلس، فقد تم الاتفاق معها في أكتوبر 1909م بمدينة راكونجي والذي تم بموجبه إعطاء الوعود من قبل الإيطاليين بمساندة روسيا في طموحها في المضايق العثمانية، نظير موافقة روسيا لإيطاليا باحتلال طرابلس الغرب، للمزيد انظر: نصر الدين العربي، الأطماع الإيطالية في ليبيا واتفاقها مع الدول الكبرى بشأن التمهيد لاحتلال ليبيا «1881 ـ 1911م» دراسة تاريخية، مركز البحوث والدراسات الأفريقية، طرابلس، 2013م، ص25 وما بعدها، وكذلك مصطفى حامد رحومة، المقاومة الليبية التركية الغزو الإيطالي، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1988م، ص53 وما بعدها.

(1) التحركات الاجتماعية التي قامت بها إيطاليا على الأراضي الليبية أثناء فترة التغلغل السلمي كانت من خلال ما قامت به من إجراءاتٍ متمثلة في حل مشكلة المهاجرين وتوجيههم إلى ليبيا بدلاً من الأمريكتين، والاهتمام بهم وتوفير الاحتياجات اللاّزمة والضرورية من مدارس ومستشفيات وملاجئ؛ حيث بلغ عدد أفراد الجالية الإيطالية في ليبيا عام 1902م، حسب ما جاء في تقرير القنصل الإيطالي «ميدانا» 714 نسمة، وارتفع ليصبح 1100 نسمة قبيل الاحتلال، وكذلك تشجيع إرسال البعثات الاستكشافية إلى ليبيا ودعمها مادياً، وإرسال المبشرين وغيرها من الإجراءات، للمزيد انظر: نصر الدين العربي، المرجع السابق، 79، 80، وكذلك مصطفى حامد رحومة، المرجع السابق، ص92.

(2) أما التحركات الاقتصادية فكانت متمثلة في بنك دي روما الذي تم افتتاحه في طرابلس عام 1907م، وفَتَح فروع له في عدة مدن ليبية أخرى، والذي يُعدُّ النواة الأولى والأداة التي يمكن أن يُحقَّق بها التغلغل السِّلمي الإيطالي بإيالة طرابلس الغرب وبرقة من خلال المشاريع وتمويلها وشراء الأراضي من المواطنين الليبيين، وإعطاء القروض لأبناء الجالية الإيطالية، والعمل على قيام المشاريع الاستثمارية، للمزيد انظر: نصر الدين العربي، المرجع السابق، ص83 وما بعدها.

فقرَّبه من مؤسسات الدولة العثمانية بعد أن ظهرت بوادر موهبته ورجاحة عقله، واجتهاده العلمي، فبعد تخرّجه في عام 1904م اصطحبه أستاذه إلى متصرف الخُمس[1] «الحاكم والمدير» «خلوصي بك» طالباً منه تعيينه في إحدى وظائف الحكومة، فاستجاب المتصرّف لطلبه واستلم أول منصب بالنسبة له وهو «مأمور أعشاري» وعمله يتعلّق بالضرائب النوعية، وهذه الوظيفة لا تُمنح إلاّ لأشخاصٍ تتوفّر فيهم شروط المسؤولية باعتباره منصباً سياسياً، تم منشئاً في قلم التحريرات في الخُمس، ونظراً لما أظهره من إخلاص وثقة في أداء عمله على أحسن وجه انتُدب لمرافقه قائمقام مصراته للتفتيش على الأعشار في القائمقاميات التابعة لمتصرفية الخُمس، ما بين سنتي 1904 ـ 1908م، وذلك للتفتيش على الأعشار وزيارة الحقول والأراضي في الأودية البعيدة، وللتفتيش على الهيئات التي تقوم بتقدير المحاصيل وقيمة الضرائب في تلك القائم مقاميات[2].

وفي السياق نفسه فإن الطريقة المتبعة في تخريص الأعشار من الأهالي عن طريق «مأمور الأعشار» أمثال السَّعداوي كانوا يقومون بتقدير الكمية كيف يشاؤون، ويقومون بقيدها في السجل «الدفتر» الخاص بهذه الأعشار، وأخذ العشر من ذلك الزرع والزيتون وغيره من المحاصيل، وهذه الطريقة غالباً ما يتضرّر منها الأهالي بسبب ظلم التخريص الواقع عليهم[3].

لقد أظهر السَّعداوي في منصبه هذا كفاءة نادرة في تسيير أمور التفتيش في تلك الفترة، ثم عُيِّن مفتشاً لدوائر النفوس «مصلحة الإحصاء» وهي ذات صلة وثيقة بعمل

---

(1) كانت متصرفيّة الخُمس «130 ألف نسمة» تضم أقضية الخُمس، مسلاّته، زليتن، مصراته، سرت، بالإضافة إلى ناحيتي تاورغاء، وطمينة، للمزيد انظر: ن. أ. بروشين، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969م، ترجمة وتقديم عماد الدين حاتم، مراجعة ميلاد المقرحي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2005م، ص51.

(2) غيث عبدالله العربي، مسلاّته في العهد العثماني الثاني «1835 ـ 1911م» دراسة في الأوضاع السياسية والإدارية والاقتصادية والثقافية، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2010م، ص131.

(3) المرجع نفسه، ص132.

المحاكم الشرعية، وعلى أثر ذلك ذاع صيته وخاصّة أنه أصبح يجيد اللغة التركية قراءةً وكتابةً، فتم تعيينه محققاً في محاكمة الموظفين المخالفين للقوانين التركية، وفي عهد رشيد بك الذي تولّى منصب متصرفية الخُمس، تم اختيار السعداوي ليكون «باشكاتباً» لمجلس إدارة الخُمس، ونظراً لقوة شخصيته وحنكته السياسية استطاع أن يحل الخلافات التي حدثت بين أهالي تاورغاء بسبب تقسيم الأراضي هناك، وبفضل هذه البراعة استطاع أن يصل إلى مبتغاه، وأن يستلم أعلى المناصب السياسية بتعيينه في عهد ولاية المشير أدهم باشا «1909 ـ 1911م» مديراً للتحريرات بموجب قرار صادر من الأستانة مباشرةً وهو أول مواطن ليبي يتولّى ذلك المنصب الإداري المرموق، وبذلك يدخل السعداوي ميدان المسؤولية الكبرى كرجل دولة لما أثبته من كفاءة ميدانية على جميع الأصعدة، وقد كانت سنوات توليه هذا المنصب، حتى وقع الغزو الإيطالي على إيالة طرابلس في 5 أكتوبر 1911م[1].

وطيلة فترة توليه هذه المناصب الإدارية كانت تربطه علاقة متينة مع القوى الحاكمة المتمثلة في العثمانيين، ليس بمتصرفيّة الخُمس فحسب، إنما بالنسبة للعديد من مناطق الوطن، إذ كان أساس هذه العلاقة يقوم على حثّ السّعداوي على توحيد الصفوف، ضد التغلغل الأجنبي، وقد وصلت تحركاته إلى العديد من المناطق مثل طرابلس، والخُمس، ومسلاته، وتاورغاء، لإعلان ومقاطعة تحركات الإيطاليين داخل إيالة طرابلس الغرب، وهذه المواقف الشجاعة والتي كانت بدعم من السُّلطات العثمانية، هي التي اكسبته ثقة الأهالي، فانضموا إليه، وزادوا من قوته وعزيمته على دحر محاولات الإيطاليين رغم ما أتوا به من قوة.

* * *

(1) ارويعي محمد علي قناوي، المرجع السابق، ص50، 51.

المبحث الثاني
السّعداوي وموقفه من التغلغل السلمي(1)

بعد أن اتضح نشاط الإيطاليين الاستعماري عن طريق البعثات الاستكشافية ومصرف روما وفروعه في محاولات متعددة، رأى المواطنون ضرورة الوقوف في وجه هذا التغلغل والحد منه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وهنا برز دور السعداوي الذي تنبّه لدور البعثات الاستكشافية الإيطالية التي جاءت إلى المنطقة وما تشكله من خطر، وما ستخلّفه كتاباتهم التي ستصبح أداة للتغلغل الاستعماري في الفترة الموالية.

1 ـ موقف السّعداوي من بعثة الرحالة سيفورزا:

ارتبط إيفاد الرحلات والبعثات الاستكشافية بدوافع متعددة من قبيل الرغبة في ركوب المغامرة واكتشاف عوالم المجهول والغرائب، ولعلّ ما قام به في سنة 1904م الرحالة الإيطالي البروفسور «ورفنيا سادي» مرافقة الرحالة الموظف الاستعماري كابتن «هوجو فراندي» بدراسات على طول الساحل الطرابلسي، والذي زار فيه الخُمس، ولبدة، وعاد إلى طرابلس(2)، والذي كان دافعه الفضول والكتابة الجيولوجية على المنطقة والتي استفادت منه السُّلطات الإيطالية، وكذلك هناك من جملة الرحالة من كان محكوماً بدافع البحث العلمي والرغبة في معرفة الآخر من قبل الرحالة الألماني «غيرهارد رولفس» الذي قام بزيارة

(1) اتيليو موري، الرحالة والكشف الجغرافي في ليبيا منذ مطلع القرن التاسع عشر حتى الاحتلال الإيطالي، تعريب خليفة محمد التليسي، مكتبة الفرجاني، طرابلس، 1971م، ص106 ـ 108، وكذلك انظر: فرانشيكو كورو، ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، تعريب وتقديم خليفة محمد التليسي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1984م، ص146.

(2) التغلغل السّلمي هو من المصطلحات السياسية الحديثة التي دخلت القاموس السياسي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وبالنسبة لليبيا هو اصطلاح قَصَد به واضعوه من رجال الاستعمار ذلك المجهود الذي تبذله الدولة الاستعمارية ومواطنوها، لخلق شبكةٍ من المبادرات والمصالح الاقتصادية التي تساعد على الامتصاص والابتلاع التدريجي الخفي للبلاد المراد استعمارها، والعمل على ضمها دون القيام بأي عمل حربي، للمزيد انظر: جيوفاني جيوليتي، الأسرار السياسية والعسكرية لحرب ليبيا 1911 ـ 1912م، تعريب خليفة محمد التليسي، الدار الجماهيرية [سابقاً] للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته، 1986م، ص10، 11.

ليبيا عبر رحلة في سنة 1873 ـ 1874م على رأس فريق عمل اشترك فيه جيولوجي، وعالم نبات، ومصور، وأصدر كتابه بعنوان: «ثلاثة شهور في الصحراء الليبية»[1]، كما كان منهم من دفعه حب المال والبحث عن الثراء لركوب المغامرة لأجل الفوز بجوائز الشركات والجمعيات، مثل الرحالة النمساوي لودفيغ سلفاتور[2] والذي قام برحلة في خليج سرت في اليوم الأول من شهر أبريل 1873م، والتي بدأها من الإسكندرية وانتهت بحلق الوادي في تونس يوم 15 يونيو من العام نفسه، والذي كان حريصاً بالدرجة الأولى على وصف الشاطئ ومراسيه، ومروره بالرؤوس والخلجان والمراكز العمرانية على امتداد الساحل، وزار خلالها شاطئ تاجوراء والخُمس ولبدة[3].

واستفادت حركة الرحالة والمستكشفين من مُعطيين اثنين: أولهما في نشاط وحركة الجمعيات الجغرافية سواء في إيطاليا وغيرها من الدول المتطلعة للتراب الليبي، وثانيهما جلب المعلومات والتقارير التي يتم كتابتها وترجمتها، وهكذا فقد مثَّل هؤلاء الرحالة طيلة القرن التاسع عشر مصدر المعلومات المتاحة عن مختلف المناطق المستكشفة، وما قدّمته معلوماتهم وكتاباتهم التي كان لها وقعها الكبير على توجيه السياسات الاقتصادية، ومن ثم على المخططات الاستعمارية بالمناطق التي ستعطيها هذه الدراسات، وعليه سنحاول في هذا المبحث التعرف على بعض المخططات الإيطالية التي كانت تستهدف جزءاً من التراب الليبي، خاصة منه مدينة الخُمس، والتي نقاربها بنوع من التوسع، لذا سنكون ملزمين ـ هنا ـ بالحديث عن بعثة الرحالة سيفورزا والتي جاءت للمنطقة وكان لمترجمنا موقف منها:

(1) غيرهارد رولفس، رحلة إلى الكُفرة، ترجمة عماد الدين غانم، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2000م، ص33.

(2) وُلِدَ لودفيغ سلفاتور في 4 أغسطس 1847م في فلورنسا عاصمة توسكانة، للمزيد انظر: الرحلة البحرية للأمير النمساوي لودفيغ سلفاتور، السواحل الليبية التونسية، دراسة وترجمة عماد الدين غانم، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2005م، ص20.

(3) المرجع السابق نفسه، ص35.

تنبّه بشير السعداوي إلى الخطر الذي تشكّله البعثات الاستكشافية الإيطالية التي جاءت لمنطقة الخُمس، وأشهرها على الإطلاق بعثة سيفورزا «الكونت سكاتيو ميشيل سيفورزا» التي أوهمت السُّلطات العثمانية بأنها جاءت للقيام برحلة أثرية وللكشف عن معدن الفوسفات فأعطتها الموافقة على عملها، وحدّدت موعد بداية عملها والأماكن التي سيتم البحث فيها[1]، ولكن بشير السعداوي كان له رأي آخر وموقف من هذه البعثة والتصدي لها، وسعى إلى مقابلة سيفورزا وأنذره بأن الطرابلسيين لن يفرطوا في تراب ورثوه عن آبائهم وأجدادهم، وفوجئ الكونت سيفورزا من اللهجة التي خاطبه بها بشير السّعداوي، وأدهشته مقابلته، وصار يتلطف في الجواب عليه[2]. فمن خلال هذا الموقف المتصلب الذي أقدم عليه السعداوي، والذي كان على إدراكٍ تام، من دوافع مثل هذه الرحلات إلى ليبيا، والتي ترجع في معظمها إلى دوافع سياسية والحصول على أكبر كم من المعلومات والتقارير عن الأوضاع كافة في ليبيا، ويعي السعداوي جيداً مدى أهميتها والاستفادة منها في الإعداد العسكري والجانب الاستخباراتي عند القيام بالعمليات العسكرية، وكذلك فإن إيطاليا لم تكتفي بما أخذته عن الرحالين أمثال الكونت سيفورزا، إنما يعتقد أنها قد كلفت أشخاص آخرين بمثل هذه الأعمال والرحلات لسببين:

السبب الأول: التأكد من صدق المعلومات التي استقاها عن الرحالين أمثال سيفورزا حتى لا تقع تحت رحمة الصدفة والمفاجأة.

السبب الثاني: الوقوف على التطور الذي حدث والتغيير في تلك المعلومات بعملية التصحيح لها، والتأكد من صدقها وواقعيتها في خدمة الجانب العسكري.

ولهذين السببين نجد أن السعداوي كان على علمٍ ويقين تامين ما تهدف له زيارة الكونت سيفورزا منذ اللحظة الأولى التي حط رحاله على شاطئ البحر المتوسط، وكان لاستعماله نبرة التهديد والانذار واضحة من خلال المحادثة التي جرت بينهما، وهذا يعود

(1) اورويعي محمد قناوي، المرجع السابق، ص64.

(2) المرجع السابق، ص64.

لوعي السعداوي وإدراكه لمجريات الأحداث وما كان يجري على الساحة الليبية، ولم يكن السعداوي ليتوقف عند هذا الحد وهو يَشعر بأنه يحمل مسؤولية وطنية تجاه وطنه، لذلك تباحث بشير السعداوي مع متصرف الخُمس الدكتور «رشيد بك» في إمكانية عقد مؤتمر وطني يحضره مندوبون عن الأقضية التابعة لمتصرفية الخُمس للتنديد بما يقوم به الإيطاليون من تدخلات في الشأن الليبي.

2 ـ موقف السّعداوي من بنك دي روما:

شَرَعت إيطاليا في تنفيذ مخططها عن طريق التغلغل السلمي الاقتصادي، وكان مصرف روما[1] هو النواة الأولى والأداة التي يمكن أن تحقق هذا التغلغل، خاصة وأنها كانت في طرابلس تمتلك تحت تصرفها مؤسسة مالية مماثلة للبنك الصيني - الروسي في منشوريا، وبنك باريس والأراضي المنخفضة في المغرب[2].

شَرَع مصرف روما بتنفيذ الخطة المُكلّف بها وهي إنشاء المشاريع الاقتصادية وأولها شراء الأراضي والمزارع والممتلكات بطرق غير مشروعة وملتوية، وكذلك عن طريق الإغراء المالي بمضاعفة الأسعار؛ حيث قام المصرف بالشراء وبالسطو بطرقٍ عديدة على العديد من الأراضي، إذ قام بأول عملية شراء للأراضي عام 1907م خلال شهورٍ فقط من فتحه لفرعه في البلاد، وقد اشترى المصرف هذه الأرض من بعض أفراد الأقليات الأجنبية

(1) مصرف روما انشيء في 19 مارس سنة 1880م في مدينة لاتزيو بإيطاليا بناءً على مبادرة بعض النبلاء الرومانيين الكاثوليك ومنهم فرانشيسكو بورجيس، وسيجموند، وجوستناني بانديتي، وجوليو ميريقي، وبيترو بريللسي، وكان رأس مال المصرف عند إنشائه 3 مليون ليرة فقط، ثم ازداد رأس ماله إلى 100 مليون ليرة سنة 1910م، وبدأ نشاط المصرف رسمياً في ولاية طرابلس الغرب يوم 15 أبريل سنة 1907م، وذلك بتأسيس فرع له في طرابلس، وفيما بعد افتُتحت فروع تجارية أخرى له في بنغازي، ودرنة، وسرت، ومصراته، وزوارة، والخُمس، وزليتن، وطبرق. محمد مصطفى الشركسي، لمحات عن الأوضاع الاقتصادية في ليبيا أثناء العهد الإيطالي، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس، 1976م، ص13، 14.

(2) فرانسيس ماكولا، حرب إيطاليا من أجل الصحراء، مشاهدات المراسل البريطاني مع الإيطاليين في طرابلس، ترجمة عبد المولى صالح الحرير، مراجعة، محمود حسن منسي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس 1991م، ص39.

غير الإيطالية ممن لم يتمكنوا من مقاومة الإغراءات المالية العالية التي كان يُقدِّمها المصرف، لقد كان المصرف يدفع في بعض الحالات ثلاثة أضعاف القيمة الحقيقية للأرض[1]، فهذه السياسة التي كان يتبعها مصرف روما، إنما كانت بداية الارتكاز على السند القانوني من خلال شراء تلك الأراضي وتمليكها للرعايا الإيطاليين.

لقد كان السعداوي يدرك أهمية وخطورة ما يقوم به مصرف روما من أعمال، ويراقب عن كثب الأحداث ويتفاعل معها، وينقل هذا التفاعل إلى زملائه ورفاقه، ولم يقف موقف المتفرج بانتظار النتائج فتباحث بشير السعداوي مع متصرف الخُمس الدكتور «رشيد بك» في إمكانية عقد مؤتمر وطني يحضره مندوبون عن الاقضية التابعة لمتصرفية الخُمس، فتقدَّم كل من بشير السعداوي، والشيخ عبد الرحمن الزقلعي بمقترح يقضي بعقد المؤتمر في مكانٍ عام يحضره المواطنين، فوافق المتصرف على ذلك، وعلى الفور تمت دعوة المندوبين عن الأقضية فحضر عن مصراته محمد نوري السعداوي «شقيق بشير السعداوي الأكبر»، وعن سرت محمد المحمودي «رئيس البلدية»، ومن زليتن عمر بن قدارة «رئيس البلدية»، ومثل الخُمس الشيخ عبد السلام بن يونس، وإبراهيم بن خليفة، ومحمد الترجمان، وحضر عن مسلاته الحاج فرحات القاضي، ومفتاح التريكي، والشيخ السنوسي بن صالح، وعن سيلين «من ضواحي الخُمس» الصادق بن هنيدي، وعن تاورغاء بشير السعداوي، وعُقد الاجتماع بميدان سوق الخميس، وتبادل المجتمعون وجهات نظرهم حول مخاطر التغلغل الإيطالي السِّلمي في الولاية[2].

إن حركة الأحداث وتسارعها وآثارها ومعطياتها على الساحة الليبية في تلك الفترة فرضت على السعداوي مسؤولياتٍ كبيرة، فقد كانت الاتفاقيات تُعقد ما بين الإيطاليين والدول الأوروبية الكبرى، والمدارس والمستشفيات والملاجئ انتشرت في جُل المدن

(1) خليفة الدويبي، سياسة التغلغل السلمي الإيطالي ودور مصرف روما في تنفيذها من خلال الوثائق، مجلة الوثائق والمخطوطات، عدد 4، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1990م، ص399.

(2) ارويعي محمد قناوي، المرجع السابق، ص64، 65.

الليبية، وأبناء الجالية الإيطالية في توافدٍ مستمر، ومصرف روما يشتري الأراضي ويُقدِّم القروض ويقوم بإنشاء المشاريع الاقتصادية، كل هذه المؤشرات كانت نقاطاً مهمة لدى السعداوي على المستوى الشخصي، وفي حياة المجتمع الليبي على المستوى الوطني، أنه كان يتحسس الخطر الداهم من ذلك التغلغل السلمي من قبل الإيطاليين، وبحكم قربه وعمله مع السُّلطات العثمانية التي كانت رافداً مهماً لحركته ونشاطاته، فقد وفّرت له الإمكانيات لعقد هذا المؤتمر، وبعد عدة نقاشات خرج المجتمعون بالقرارات التالية:

ـ منع التعامل مع بنك روما وخاصة فيما يتعلّق ببيع الأراضي واقتراض الأموال منه.

ـ المطالبة بإحضار بريد الأستانة على ظهر سفينة تركية بدلاً من السفينة الإيطالية التي تُحضره في العادة.

ـ المطالبة بتجنيد الطرابلسيين بكل سرعة.

ـ إبقاء الأسلحة بأيدي الأهالي للدفاع عن بلادهم.

ـ مطالبة الأهالي بمقاطعة المدارس الإيطالية في طرابلس، والخُمس، وقد أبرق المندوبون بتلك القرارات إلى بعض الصحف الأوروبية المهمة كصحيفة «التايمز» اللندنية، وصحيفة «الطان» الباريسية، وحَمَلوا نسخة منها إلى متصرف الخُمس للإطلاع عليها وتقديم المساعدة اللاّزمة لتنفيذها[1].

وبعد هذا المؤتمر تنادى أعيان وعلماء وأهالي لواء الخُمس وخرجوا في مسيرةٍ شعبية كبيرة معبرين عن استيائهم للخطط التي تتّبعها إيطاليا في تملّك الأراضي الزراعية والعقارات واستحواذها على التجارة وإقامة المشاريع الاستعمارية في البلاد، وخرجوا ببيانٍ أرسلوه إلى صاحب جريدة «أبو قشة» بتاريخ 27 ربيع الأول 1329هـ عقب اجتماعهم بميدان سوق الخميس[2] جاء فيه: تلغراف خطير ـ ملحق لعدد 57 من جريدة أبو قشة: ـ

(1) ارويعي محمد قناوي، المرجع السابق، ص65، 66.

(2) سوق الخميس إحدى نواحي مدينة الخُمس، وتبعد عنها بمسافة عشرة كيلو متر تقريباً.

التلغراف التالي من علماء لواء الخُمس وأعيانه وأشرافه، ونظراً للأهمية بادرنا لإصداره في هذا الخصوص ويتعلق عليه شرحاً ضافياً بعددنا الثاني:

«الخميس في 27 ربيع الأول 1329هـ إلى جريدة «أبو قشة البهية» تفتت أكباد غيرتنا، بل تقطعت أوصال حميتنا من الخطة التي لا تزال تتبعها جارتنا إيطاليا في استهلاك أراضينا وأملاكنا استفادة من بقائها مهجورة معطلة زيادة عن استحواذها على تجارتنا تحت ستار إعمار البلاد، وحيث أن أهالي هذه الولاية الحبيبة مرتبطون بالسلطنة العثمانية الحائزة على الخلافة الإسلامية بدرجة يفدون بها أنفسهم ونفيسهم، فقد قررنا عقد مظاهرة مؤلفة من عشرة آلاف نسمة مجتمعين من أهالي الأربعة أقضية ومن مقتضى قرارها تدارك تجارتنا البحرية في سواحل الولاية بباخرة تحت علمنا العثماني المحبوب وانقاذنا من يد أسارة الأجنبي واسترحام المقامات العالية في استكمال أسباب ذلك واتخاذ الجرائد العثمانية واسطة لتحريك عروق الحمية في الملة.

الإمضاء 35 ختماً.

يعيش رشيد بك تعيش أهالي اللواء تعيش الحمية»[1].

وعلى الرغم من ذلك المؤتمر وتلك المظاهرات المؤلفة من ألاف المواطنين من أهالي متصرفية الخُمس والأقضية الأربعة التابعة لها والبيانات المنددة لذلك التغلغل وما يقوم به مصرف روما من نجاحاتٍ في شراء الأراضي وتمويل المشاريع الاستثمارية، إلاّ أن ذلك كله لم يكن ليرضي الطموح المعوّل عليه في اتخاذ تلك الانجازات كذريعة للتدخل العسكري، ما دفع بالساسة الإيطاليين إلى المجاهرة بأن تركيا تعادي الرعايا الإيطاليين الموجودين على الأراضي الليبية، وبالتالي خَلَق ذلك شعوراً مناوئاً للإيطاليين لدى العرب والأتراك على حدٍ سواء، ذلك أن تلك النشاطات التي يقوم بها الإيطاليين وَلّدت استشعار الخطر الذي بدء يتهددهم جرّاء الأعمال التي يقوم بها مصرف روما،

(1) جريدة أبو قشة، ملحق للعدد 57، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات، ملف وثائق التمهيد للغزو، ص3.

وخاصة بعد تحركات السعداوي ورفاقه من المناضلين وقيامهم بعقد المؤتمرات والمظـاهرات المنددة لتلك الأعمال، والتي من ضمنها المطالبة بتدريب الأهالي على استعمال السلاح لمواجهة خطر العدوان الإيطالي الذي بدأ يلوح في الأفق، وبذلك لم يتـورَّع الإيطـاليون في وصف الدفاع عن الحق بأنه عداء، صرَّح بذلك أحد مؤرّخيهم بقوله: «بـأن العـداوة التركية وصلت حدها في المدة الواقعة ما بين 1910 ـ 1911م»[1] ليُبرّر العدوان الإيطـالي في غزو ليبيا.

وبتاريخ 3 أكتوبر 1911م بدأ القصف المدفعي على مدينة طرابلس والذي استمر لمـدة يومين متتاليين، حتى تم إسكات الدفعات التركية واحتلال المدينة نهائياً بتاريخ 5/ 10/ 1911م، وإنزال 1739 بحاراً من الأسطول الإيطالي، ورُفعت الرايات على قصر الحكومة.

أما دور السعداوي ورفاقه بعد الاحتلال، نجده ذهب من الوهلة الأولى ولبّى نداء الجهاد في متصرفية الخُمس، وتولّى مع رفقة القومندان خليل بك الاتصال بزعماء المقاومـة في المناطق القريبة من متصرفية الخُمس، وحثّهم على الجهاد، والذي بدورهم لبوا النـداء وتقاطروا على ميدان الجهاد من مناطق زليتن، ومصراته، ومسلاّته، وترهونة، والعلّـوص، والقره بولي، وسرت، وتجمّعوا على الساحل للتصدي للغزو ودارت مواجهات ومعارك شرسة أسفرت عن استشهاد ثلاثة جنود أتراك وضابط، وخمسة عشـر مجاهـداً، وجـرح جنديان، وثلاثة عشرة مجاهداً[2]، شارك فيها السعداوي ورفاقه وأظهروا كفـاءة قتاليـة عاليـة إلى جانب القوات العثمانية، ونؤكد أخيراً على أن السعداوي نجح في بعث مشـروع الكفـاح الليبي ضد الاستعمار الإيطالي، الذي بدأ بالدعوة إلى عقـد مـؤتمر متصـرفية الخُمـس، والمشاركة في المظاهرة الحاشدة بميدان سوق الخميس ضـد مشـاريع التغلغـل السـلمي الإيطالي بالتراب الليبي، وحقّق نتائج سياسية باهرة، خاصّة في تنوير النـاس بمـدى خطـورة

(1) فرانشيسكو مالجيري، الحرب الليبية الإيطالية، تعريب وهبي البوري، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تـونس، 1980م، ص33.

(2) ارويعي محمد قناوي، المرجع السابق، ص74، 75.

ما تقوم به إيطاليا من مشاريع استثمارية وشراء الأراضي والعقارات، وقد كان له الدور الرئيس في وضع اللبنات الأول لحركة الجهاد المسلح ضد الاستعمار الإيطالي في ليبيا حتى نيل الاستقلال.

* * *

الخاتمة

نظراً للاعتبارات التي أدليت بها سابقاً في بحثي المتواضع هذا، وسعياً مني لاستسقاء بعض الحقائق التاريخية في مسار حركة الجهاد، وما اقترن بها من جهود قطبٍ بارز بين المجاهدين، وهو بشير بن إبراهيم السعداوي، وإبراز دوره في حركة الجهاد وخدمته لوطنه، ترامت أمامي جملة من الاستنتاجات التي أخالها بالغة الأهمية، إذ نبعت عن قناعتي في كون السعداوي من أوائل من تنبّه وعارض التغلغل السلمي الإيطالي من خلال المشاريع الاستثمارية، وفتح مصرف روما وفروعه، وقيامه بشراء الأراضي من المواطنين، والبعثات الاستكشافية على التراب الليبي، بشهادة التاريخ وشهادة من معه وبالتالي يمكنني استعراض هذه الاستنتاجات المستخلصة من مضمون الدراسة على النحو التالي:

1 ـ إن المتتبع لحياة المناضل بشير السعداوي لابد أن يُقرّ بأنه أحد قادة الجهاد الأوائل في ليبيا إلى جانب رفاقه من المجاهدين أمثال: الشيخ عبد الرحمن الزقلعي، وعمر النعاس، فقد برز في الساحة الليبية التي كانت تعيش فترة ضعف الدولة العثمانية، وبداية تكالب الدول الاستعمارية الأوروبية على ليبيا، وبالنظر إلى الوسط الذي نشأ وترعرع فيه استفاد من ظروف بيئية وأسرية متميزة، ومغذيات فكرية، وتربوية، وأخلاقية، وثورية متنوعة أسهمت في تكوين شخصيته، فهذه البدايات دلّت على مستقبل ثري في الميادين الثقافية والسياسية والنضالية كافة، فقد لقنته مبادئ التربية الدينية والخلقية، وبمثل هذه القاعدة الرصينة استطاع بشير السعداوي أن يصبح مناضلاً سياسياً.

2 ـ توليه الوظائف والمناصب المهمة بالقرب من السُّلطات العثمانية والثقة التي

حصل عليها من العثمانيين، أسهمت في بروزه ودعمه مادياً ومعنوياً في تلك الفترة.

3 ـ كانت المدرسة الرشيدية في الخُمس هي النواة الأولى التي وَلَّدت فيه الروح الثورية وهو ما يزال طالباً بها للوقوف في وجه مخططات الاستعمار الإيطالي الذي بدأ بالتغلغل السلمي.

4 ـ يُعدُّ بشير السعداوي من أوائل الزعامات الليبية القلائل الذين كان لهم فضل وشرف التنبه لمخاطر المخططات الاستعمارية الإيطالية في ليبيا والتصدي لها.

5 ـ ظهور العديد من الشخصيات العربية التي تبنَّت النضال والكفاح أمثال محمد عبده، والكواكبي، والأفغاني في تلك الفترة وتأثر السعداوي بهم، كان له أثره في تمكنه من مواقفه السياسية.

6 ـ أصبح للسعداوي صيت وإشعاع كبير في الأوساط الليبية بصفةٍ عامة، وأصبح يتقاسم الأدوار مع رفاقه المجاهدين بمتصرفية الخُمس ونواحيها حتى يتولوا حركة القيادة، ليصبح المسؤول الأول لقيادة المجاهدين في المنطقة.

7 ـ موقفه من الرحالة سيفورزا وتهديده له بخطورة ما كان يقوم به من أعمالٍ لصالح الحكومة الإيطالية، وإنذاره دلالة على إدراكه المبكر لدوافع هذه الرحلات.

8 ـ كرَّس بشير السعداوي جهوده منذ شبابه في سبيل محاربة الاستعمار، رغم المصاعب والمشاق التي واجهته، وكان من الرواد الذين رافقوا سير التحركات السياسية في ليبيا بداية من التغلغل السلمي الإيطالي وحتى إعلان الاستقلال، ولم تزعزعه الحوادث.

وأخيراً نستطيع القول أن للمناضل بشير السعداوي دور مهم وريادي في المواجهة والتصدي للتغلغل السلمي الإيطالي في ليبيا، وإعلانه عن نفسه أنه لن يرضخ ولن يرضى بالاستعمار على أرض ليبيا.

ويبقى هذا العمل مجهوداً متواضعاً تم إنجازه لفتح آفاقٍ دراسية لأبحاثٍ ودراساتٍ علمية أكاديمية مستقبلية.

وختاماً نسأل الله سداد الرأي والروية، والحمد له وحده أولاً وأخيراً.

❒ ❒ ❒

المصادر والمراجع

أ ـ الكتب:

1 ـ اتيليو موري، الرحالة والكشف الجغرافي في ليبيا منذ مطلع القرن التاسع عشر حتى الاحتلال الإيطالي، تعريب خليفة محمد التليسي، مكتبة الفرجاني، طرابلس، 1971م.

2 ـ ارويعي محمد علي قناوي، بشير السعداوي ودوره في الحركة الوطنية الليبية (1884 ـ 1957م) المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2014م.

3 ـ ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة (1798 ـ 1939م) ترجمة إلى العربية كريم عزقول، ط3، دار النهار للنشر، بيروت، 1977م.

4 ـ جيوفاني جيوليتي، الأسرار السياسية والعسكرية لحرب ليبيا 1911 ـ 1912م، تعريب خليفة محمد التليسي، الدار الجماهيرية [سابقاً] للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته، 1986م.

5 ـ غيث عبدالله العربي، مسلاَّته في العهد العثماني الثاني (1835 ـ 1911م) دراسة في الأوضاع السياسية والإدارية والاقتصادية والثقافية، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2010م.

6 ـ غيرهارد رولفس، رحلة إلى الكُفرة، ترجمة عماد الدين غانم، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2000م.

7 ـ فرانسيس ماكولا، حرب إيطاليا من أجل الصحراء، مشاهدات المراسل الحربي البريطاني مع الإيطاليين في طرابلس، ترجمة عبد المولى صالح الحرير، مراجعة محمود حسن منسي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1991م.

8 ـ فرانشيسكو مالجيري، الحرب الليبية الإيطالية، تعريب وهبي البوري، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس، 1980م.

9 ـ قدري قلعجي، ثلاثة من أعلام الحرية، جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، سعد زغلول، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

10 ـ لودفيغ سلفاتور، السواحل الليبية التونسية، دراسة وترجمة عماد الدين غانم، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2005م.

11 ـ محمد عمارة، سيرة الشيخ محمد عبدة وترجمته، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1974م.

12 ـ محمد عمارة، جمال الدين الأفغاني، الأعمال الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1979م.

13 ـ محمد مصطفى الشركسي، لمحات عن الأوضاع الاقتصادية في ليبيا أثناء العهد الإيطالي، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس، 1976م.

14 ـ مصطفى حامد رحومة، المقاومة الليبية التركية ضد الغزو الإيطالي أكتوبر 1911 أكتوبر 1912م، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1988م.

15 ـ المنجد في اللّغة والأعلام، دار الشرق، بيروت، 1986م.

16 ـ ن. أ. بروشين، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى نهاية 1969م، ترجمة وتقديم عماد الدين حاتم، مراجعة ميلاد المقرحي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2005م.

17 ـ نصر الدين بشير العربي، الأطماع الإيطالية في ليبيا واتفاقها مع الدول الكبرى بشأن التمهيد لاحتلال ليبيا (1881 ـ 1911م) دراسة تاريخية، مركز البحوث والدراسات الأفريقية، طرابلس، 2013م.

18 ـ نوربيرو، الكواكبي المفكر الثائر ـ إسهام في دراسة الإسلام الحديث، ترجمة علي سلامة، ط2، دار الآداب، بيروت، 1981م.

ب ـ الدوريات:

1 ـ جريدة أبو قشة: العدد 57.

2 ـ خليفة الدويبي، سياسة التغلغل السلمي الإيطالي ودور مصرف روما في تنفيذها من خلال الوثائق مجلة الوثائق والمخطوطات، عدد 4، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1990م.

ج ـ الوثائق:

1 ـ ملف وثائق التمهيد للغزو شعبة الوثائق والمحفوظات، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس.

❑ ❑ ❑

مواقف وطنيّة في حياة المُناضل بشير بك السَّعداويّ
(1884 ـ 1957م)

د. عبد المنعم محمد الصَّادق
كلية الآداب ـ جامعة الجبل الغربي

المقدِّمة

بشير السعداوي رجل من رجالات ليبيا الأفذاذ الذين قضوا معظم حياتهم دفاعاً عن الوطن بالداخل والخارج، وحمل هموم وطنه في حله وترحاله، وقد كان للبيئة التي نشأ فيها دوراً بارزاً في تشكيل شخصيته النضالية، وانعكس تعليمه وثقافته التي اكتسبها خلال تجربته الطويلة على عطائه ونضاله.

ورغم قلة الدراسات والمصادر، ونظراً لأهمية الموضوع وهو مواقف وطنية في حياة المناضل بشير السعداوي ودوره الريادي في حركة النضال في بلده ليبيا وخارجها، فقد كانت تلك أسباباً كافيةً ودافعاً للباحث في العزم على البحث في هذا الموضوع بغية الوصول للحقيقة وكشفها، ولإبراز الأعمال النضالية ودور بشير السعداوي فيها، من خلال منهج تاريخي يقوم على جمع المادة التاريخية وتحليلها ونقدها للوصول إلى النتائج المنشودة، من خلال جملة من التساؤلات والافتراضات التي يجاب عنها خلال البحث وهي: مسيرة حياته منذ الولادة وتأثير البيئة التي نشأ بها على شخصيته الوطنية النضالية، سواء من حيث التعليم الذي تلقّاه أو من حيث الجانب العملي الذي مارسه، ومفهومه للوطن، ونظرته للوطن العربي والأمة الإسلامية ككيان واحد وأمة واحدة، ودوره النضالي في الداخل والخارج من خلال جملة من الأعمال والمواقف الوطنية، وما ترتب عن ذلك من النتائج، وغير ذلك من التساؤلات التي تظهر من خلال البحث ويجاب عنها، وقد أمكن تقسيم الموضوع ودراسته على النحو التالي:

المقدمة: وتتناول نبذة مختصرة عن حياة المناضل بشير السعداوي ونسبه ونشأته منذ الولادة حتى وفاته.

أولاً: الخلفية الاجتماعية والفكرية للزعيم المناضل بشير السعداوي.

ثانياً: السعداوي وحركة الجهاد الليبي بالداخل.

ثالثاً: مواقف ونشاطات السعداوي خارج حدود الوطن.

الخاتمة.

المصادر والمراجع.

* * *

مواقف وطنيَّة من حياة المناضل بشير السَّعداويّ

*** نسبه ونشأته:**

هو بشير بن إبراهيم بن محمد السعداوي المصراتي، ويبدو أن هناك شيء من الاختلاف في تحديد نسبه ونشأته، بيد أن ما يمكن الوثوق به أنه يرجع إلى قبيلة الغلالبة التي استوطنت الساحل عند قصر أحمد قرب مصراته (مسراته)، وُلد في منطقة الخُمس منتصف سنة (1301هـ/ 1884م)، وكان له من الإخوة نوري، وأحمد، وثالث من أمه هو مختار الصادق السعداوي، انتقل والده مع جدّه محمد السعداوي إلى الخُمس؛ حيث كان رئيساً لمحكمة التمييز، وشغل والده إبراهيم بن محمد السعداوي منصب مأمور الإجراء (تنفيذ الأحكام) ثم أمين صندوق متصرفية الخُمس[1]، وقد نشأ بشير السعداوي في هذه

(1) يذكر البعض أنه ينتمي إلى قبيلة زمورة في نواحي مصراته، محمد فؤاد شكري: ميلاد دولة ليبيا الحديثة، دار آل عيد للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، مجلد 1، 2012م، ص470. والجد الأكبر لآل السعداوي هو: أبو محمد عبد السلام بن عبد الغالب المسراتي، ت646هـ/ 1248م الذي يرجع نسبه إلى بني الأغلب الذين أسسوا دولة الأغالبة بإفريقية سنة 184هـ، واشتهروا بالعلم والدين، محمد سعيد القشاط: ليبيون في الجزيرة العربية، الدار العربية للموسوعات، ط2، 2008م، ص13، الطاهر أحمد الزاوي: أعلام ليبيا، دار المدار الإسلامي، ط3، 2004م، ص132 ومصراته من أكبر المدن الليبية وتقع شرقي طرابلس، ومركزها قصر حمد، =

البيئة يحفظ القرآن الكريم، ثم انتقل مع أخيه الأكبر نوري إلى سرت ليحفظ القرآن الكريم في زاوية السنوسية سنة (1315هـ/ 1897م) ثم رجع بعد سنة تقريباً إلى الخُمس وأخذ يستكمل دراسته، فدَرَس الفقه المالكي، والتفسير، وعلم التوحيد، والنحو، والمغازي، ثم التحق بالمدرسة الرشدية في الخُمس، وحظي بمكانةٍ خاصَّة لدى مديرها «حقي شيناس»[1]، الذي كان حريصاً على إعداد نخبة متميزة من تلاميذه، وتمكَّن بشير السعداوي من إتمام دراسته بهذه المدرسة في عامين ونصف العام سنة (1904م). ومن هنا تبدأ مرحلة جديدة من مراحل حياة هذا المناضل؛ حيث اصطحبه أستاذه حقي شيناس لمقابلة متصرف الخُمس «خلوصي بيك» لتوظيفه، فعُيِّن مأمور أعشار لجمع الضرائب، ثم أصبح منشئاً في قلم التحريرات في الخُمس، ثم نُدب للتفتيش على الأعشار بمشاركة قائمقام مصراتة بالخمس ومسلاَّته، وزليتن، وسِرْت، وقد مكَّنه ذلك من الإطلاع على الأوضاع العامة لتلك المناطق، ثم ترقَّى إلى مفتش على دوائر النفوس، ومحققاً عدلياً سنة (1908م)، وهكذا إلى أن صار كاتباً ومديراً للتحريرات سنة (1909م) في ولاية المشير إبراهيم أدهم باشا التي انتهت بالغزو الإيطالي في سنة (1911م).

وفي سنة (1912م) هاجر إلى الشام، وعُيِّن قائمقاماً في ينبع البحر من إقليم الحجاز، ثم قائمقاماً في جزّين بلبنان، وسار في سكانها المسيحيين سيرةً حسنة محمودة، جعلته محل احترام وإطراء لديهم، كما شغل مديراً للتحريرات بمدينة (ريزة) التركية أي (وكيل متصرف) وعمل مستشاراً للملك عبد العزيز آل سعود مؤسس المملكة السعودية، من

= واشتهرت بنشاطها التجاري منذ القدم، ص316، والخُمس مدينة بالقرب من مدينة لُبدة شرقي طرابلس، وغربي زليتن، وسُميت بذلك لأنها تدفع خُمس الضرائب في العهد التركي، الطاهر أحمد الزاوي: معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، طرابلس، ليبيا، 1968م، ص125 ـ 126.

(1) المدرسة الرشدية هي المدرسة النظامية التركية، يتولّى التعليم بها مُدرّس تركي يظل بها لعامين أو ثلاثة، ثم يعود لبلاده ويتوقف التعليم بها إلى أن يأتي مُعلّم آخر، وكان خلال فترة دراسة بشير السعداوي يُشرف عليها مُعلّم من طراز جديد هو حقي شيناس من مدينة ريزة في إقليم لازستان، والتي صار بشير السعداوي في ما بعد حاكما لها، محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، ص481.

سنة 1928 إلى 1949م.

* * *

الخلفية الإجتماعية والفكرية للزعيم المناضل بشير السعداوي

تحدَّثنا في ما سبق عن مراحل تعليمه الأولى وما تلقاه من صنوف العلوم المختلفة، الدينية منها والأدبية والفلسفية وغيرها، والتي كان لها الأثر المباشر في تكوين شخصيته الوطنية والنضالية، إضافة إلى المؤثرات الأخرى(1). لقد نشأ في بيئة عُرفت بالعلم والصلاح، واشتُهر من أجداده العديد من العلماء والفقهاء منهم الشيخ إبراهيم بن أحمد بن سليمان (أبوشروحة) الذي ارتحل إلى مصر ودَرَس بالأزهر الشريف، وتحصَّل على إجازة منه سنة 1664م، ومنهم أيضاً أبو عبدالله محمد بن خليل غلبون المصراتي صاحب كتاب (التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار) الذي كُتب أيام الوالي أحمد باشا القره مانلي (1711 ـ 1745م)، وكان جده الأكبر إبراهيم السعداوي الذي كان كاتباً لدى يوسف باشا القره مانلي، وقد انضم إلى ثورة عبد الجليل سيف النصر ضد القره مانليين، غير إنه تعرَّض للنفي، إلى أن رجع بعد عودة الولاة العثمانيين إلى طرابلس سنة (1835م) عند تولّي مصطفى نجيب باشا(2).

أما جدّه محمد بن إبراهيم السعداوي فكان من أهل العلم ورئيساً لمحكمة التمييز (النقض) في الخُمس، وترك مكتبة عامرة بالكتب في الدِّين والأدب، ما أتاح الفرصة للحفيد بشير السعداوي للإطلاع عليها واقتفاء أثر صاحبها في طلب العلم وتحصيله.

ولا شك أن حياة الاستقرار ورغد العيش التي كانت عليها أسرة بشير السعداوي قد انعكست إيجاباً على حياته العامة، فكانت أسرته تمتلك بساتين وأرض زراعية في مصراتة، ظلّت بحوزتهم إلى أن صادرها الإيطاليين عقب احتلالهم البلاد(3).

---

(1) محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص489.

(2) المرجع نفسه، ص474.

(3) محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص ص475 ـ 477.

وقد تأثر بشير السعداوي أثناء دراسته بالمدرسة الرشدية بأفكار جملة من المثقفين والمفكرين ودعاة الإصلاح في تلك الفترة منهم: محمد عبده، وجمال الدين الأفغاني، وكذلك آراء عبد الرحمن الكواكبي في كتابه (طبائع الاستبداد)، وظهرت اهتماماته بالحركات الإصلاحية التي ظهرت في الشرق، وَوَسَمت أفكاره بالتجديد[1]. وكانت لأساليب الحكم العثماني الفاسد قبيل إعلان الدستور العثماني انعكاساً سلبياً لدى السعداوي إبان إقامته بسرت، وتأثره بنشاط الأتراك الأحرار الذين يريدون إنهاء الاستبداد وإعلان الدستور، بالإضافة إلى سياسة عمر المنتصر وأبنائه والذي مارس سياسة استبدادية تسلطية همها جمع المال والإثراء، والبطش بأعدائه ومعارضيه[2].

ولا يمكننا أن نأتي على كل المواقف الوطنية للمناضل بشير السعداوي، لأن مسيرة حياته كلها كانت حلقات متصلة من النضال والجهاد والإصلاح، كما إنه ليس بالإمكان الفصل بين مواقفه النضالية الوطنية بالداخل والخارج، لأن محورها وأساسها وجوهرها هو الوطن سواء بمفهومه المحلي أو الإقليمي القومي، والعقيدة الإسلامية التي تجمع أبناء الأمة الواحدة في الهدف والمصير، غير أن الهدف من هذا التقسيم هو معرفة ما كان يجري داخل البلد التي ينتمي إليها هذا الرجل، وتسهيل تتبع رحلته النضالية، ومواقفه الوطنية، إضافة إلى أحوال البلاد الإسلامية في تلك الفترة، ونظرته للأمة العربية والإسلامية كأمة واحدة، وكيان واحد تربطه روابط مشتركة ومصير واحد[3].

---

(1) الطاهر الزاوي: أعلام ليبيا، ص133، ومحمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص ص487 ـ 488، ويقول محمد المفتي عن بشير السعداوي: «. . . بنظارته السميكة وطربوشه وبدلته يوحي بالأستاذية ويَعِد بالحداثة في مجتمع طرابلس. . .» السعداوي والمؤتمر بين التمجيد والنسيان، 2005م، ص25.

(2) محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص489، وعمر المنتصر هو قائم مقام سرت لمدة ثلاث وثلاثين سنة، وقد انفرد بمختلف الدوائر القضائية والمالية والإدارية.

(3) تيسير بن موسى: كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام (1935 ـ 1950م)، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1983م، ص43، وكان يرى أن كل بلاد العرب والمسلمين وطنه. محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، م1، ص485.

السَّعداوي وحركة الجهاد الليبي بالداخل:

الوطن بالنسبة لبشير السعداوي هو شغله الشاغل، والنهوض به وتخليصه من ربقة الاستعمار والتخلف هاجسه الأكبر، ولذلك سعى بكل وسيلة لتحقيق تلك المطالب، مع غيره من الوطنيين ورفاق النضال، وقد عرفنا من خلال ما سبق أنه أصبح يدرك جيداً من خلال ما تقلّده من وظائف، وما مارسه من أعمال، ومن خلال احتكاكه المباشر بالمواطنين حجم المعاناة التي يعانيها الأهالي من سياسة الأتراك، ومن بعدهم الإيطاليين إبان احتلالهم ليبيا، لذلك فقد تصدَّى مع رفاقه المناضلين لسياسة التغلغل التي اتبعتها إيطاليا قبيل احتلالها ليبيا، والمتمثلة في شراء الأراضي من المواطنين ورهنها وبيعها بعد عجز أهلها عن دفع ما عليهم من الضرائب باسم (بنك روما)، وذلك بتحريض الناس على عدم بيع أراضيهم للحيلولة دون سيطرة إيطاليا عليها، والوقوف ضد الأنشطة الإيطالية التجسسية والتبشيرية[1].

ولما هاجم الإيطاليون ليبيا في أكتوبر سنة 1911م، انبرى للجهاد بحكم وظيفته التي كان يشغلها وهي قائم مقام للساحل (ساحل آل حامد) صحبة رفاقه المجاهدين وعلى رأسهم الشيخ عمر النعاس، والشيخ عبد الرحمن الزقلعي[2].

وقد خاضوا العديد من المعارك في الخُمس والمرقب، كانت الأولى في 23 أكتوبر 1911م، وتمكّن المجاهدون خلالها من طرد الإيطاليين من المرقب ومطاردتهم إلى الخُمس؛ حيث نشبت معركة أخرى في 28 أكتوبر من الشهر نفسه، واستمرت لأربعة أيام، وفي 27 فبراير 1912م نشبت معركة كانت من أكبر المعارك بين الطرفين، تكبّد فيها الإيطاليون خسارة كبيرة، واستُشهد عدد كبير من المجاهدين، كما شارك بشير السعداوي في العديد

---

(1) محمد سعيد القشاط: ليبيون في الجزيرة العربية، ص17، وافتتح بنك روما أول فرع له في طرابلس في 15 أبريل 1907م، وأسّس وكالات تجارية تابعة له في بنغازي، وطبرق، ودرنة، وسرت، ومصراتة، والخُمس، وزوارة، ومصنع لعصر الزيتون في طرابلس، ومطحن للحبوب في بنغازي، تيسير بن موسى: المرجع السابق، ص21.

(2) القشاط: ليبيون في الجزيرة العربية، ص17.

من المعارك الأخرى كمعركة (سيدي الزروق) و(قصر حمد)[1]، واتخذ من ساحل (آل حامد) مركزاً له، وللاتصال بالقبائل وحثّهم على الجهاد، فوصل مسلاتة مع عبد الرحمن الزقلعي، واحتشد حولهم أعداد كبيرة، وراسلوا الدولة العثمانية محتجين على هذا العدوان، ومطالبين بمدِّهم بالمساعدات والذخائر للوقوف في وجهه[2].

وبعد توقيع اتفاقية (لوزان) في أكتوبر 1912م بين تركيا وإيطاليا، وانسحاب تركيا من ليبيا، غادر بشير السعداوي مع أخيه نوري إلى تركيا، ثم الحجاز، ولبنان، غير إنه لم يُطِل البقاء هناك ورجع في سبتمبر سنة 1920م مع أخيه نوري ومن معهما؛ حيث تولّى قائمقامية سرت، وخاض معارك الجهاد، وفي أكتوبر سنة 1920م تم انتخابه عضواً في الحكومة الوطنية المنبثقة عن مؤتمر غريان، والتي عُرفت بـ «هيئة الإصلاح المركزية»، وقد انتخبته هذه الهيئة في عدة مهام رسمية منها: مقابلة ولي العهد الإيطالي الذي زار طرابلس في أغسطس سنة 1921م مع وفد كبير من الشخصيات الوطنية برئاسته[3]، وألقى فيه خطاباً ذكر فيه قسوة الاستعمار الإيطالي وتنكيله بالليبيين، وأفعال الإيطاليين الشنيعة، وطالب فيه بحقوق الليبيين في الاستقلال والحرية.

والجدير بالذكر أن البلاد كانت تشهد خلال هذه الفترة التي رجع فيها بشير السعداوي ـ إلى جانب قسوة ووطأة الاستعمار الإيطالي ـ حالة من الانقسام في صفوف حركة الجهاد ونشوب الخلافات والنزاعات بين الزعامات القبلية، التي وصلت في أحيان كثيرة إلى درجة الصدام المسلح، تغذيها أسباب متعددة ومتنوعة منها: التحريض الذي مارسه الإيطاليون لتعميق الانقسام، ولتسهيل عملية السيطرة على البلاد، إضافة إلى الأسباب

(1) خليفة محمد التليسي: معجم معارك الجهاد في ليبيا (1911 ـ 1931م) دار الثقافة، بيروت، ط3، 466 وما يليها، محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص523 وما يليها.

(2) المرجع نفسه، ص ص522 ـ 523.

(3) يضم الوفد عدد من الأعيان منهم: صالح بن سليمان من ترهونة، وفرج بن إبراهيم من مسلاته، والمبروك المنتصر من ترهونة، وسليم الجباح من زليتن، وراسم كعبار من غريان، وغيرهم، الطاهر الزاوي: أعلام ليبيا، ص135، القشاط: ليبيون في الجزيرة العربية، ص ص38 ـ 39.

المتعلقة بالزعماء المحليين أنفسهم، والذين كانوا يتطلّعون للزعامة على حساب غيرهم، في فترة كانت البلاد في أمس الحاجة إلى توحيد صفوف رجالها وكلمتهم لمواجهة الاستعمار الإيطالي الذي أخذ يتغلغل في أنحاء البلاد شرقاً وغرباً.

وهنا كان لبشير السعداوي دور كبير في محاولة التصدي لهذه الظروف والأحوال، ومعالجة تلك الأزمات التي نشبت هنا وهناك، وأخذت رياحها العاتية تعصف بالبلاد، فكانت له مواقف مشرِّفة، ومساع محمودة في تهدئة الفتن وإطفاء فتيلها، وإصلاح ذات البين بين أبناء الوطن الواحد، بهدف توحيد صفوف المقاومة في مواجهة الغزاة الإيطاليين، وقد ذكر محمد فؤاد شكري إن مقصد بشير السعداوي منذ عودته سنة 1920م يقوم على السعي بكل الوسائل لتسوية المشاكل وحسم النزاعات بين مختلف المدن أو الرؤساء الذين شغلتهم الرياسة عن الهدف الأسمى وهو مقاومة الاستعمار، ومن جهةٍ أخرى العمل على تحقيق أماني الوطنيين من خلال إنشاء أو إقامة جبهة موحدة للمقاومة الوطنية ضد الإيطاليين[1].

ولمّا حصلت اتفاقية سرت سنة 1922م بين حكومة طرابلس (هيئة الإصلاح المركزية) برئاسة أحمد المريّض من جهة ـ وحكومة أجدابيا برئاسة السيد إدريس السنوسي من جهةٍ أخرى. كان بشير السعداوي ضمن الوفد الذي ذهب إلى برقة لتمثيل الهيئة هناك، ثم انتُخِب فيما بعد ضمن الوفد الذي حمل البيعة للسيد إدريس سنة 1922م، وكل ذلك بهدف توحيد صفوف المقاومة ضد الإيطاليين، وإصلاح ما يمكن إصلاحه من أحوال البلاد على الجملة[2].

---

(1) محمد فؤاد شكري: ميلاد دولة ليبية الحديثة، ص641.

(2) الطاهر الزاوي: المرجع السابق، ص135، محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص644، محمد المفتي: السعداوي والمؤتمر بين التمجيد والنسيان، ص27، ويقول: «وهو تنازل رآه السعداوي ضرورياً لتحقيق الاستقلال والحفاظ على وحدة البلاد»، القشاط: ليبيون في الجزيرة العربية، ص41، وكان ضمن أعضاء الوفد: عبد الرحمن عزام والصادق بالحاج.

وتجدر الإشارة إلى أن الإيطاليين (موسوليني) أصدروا حكماً بالإعدام على بشير السعداوي وكان يُعدُّ ذلك الحكم وسام شرفٍ على صدره بقوله: «إن حُكماً من هذا الطاغية يعتبر وساماً على صدري، وشرفاً عظيماً لي لأنه من طاغية يستعبد وطني الذي أنا مستعد للتضحية بحياتي دائما في سبيله»[1].

هيئة تحرير ليبيا (حزب المؤتمر):

شهدت فترة الأربعينات موجة من الخلافات السياسية والانتماءات التاريخية، إضافة إلى الجهوية، وتغيَّرت الولاءات والمواقف والتحالفات، واتّسمت التكوينات السياسية بالارتجالية والمبادرات العشوائية، أكثر من كونها أحزاباً مُنظّمة، وبالتالي أثَّرت تأثيراً مباشراً في أوضاع البلاد السياسية، وفي الوقوف في وجه التدخلات الأجنبية، غير إن ما يُميّز هذه المرحلة هو شعار الاستقلال الذي يرفعه الجميع، لذلك كانت الحاجة ماسَّة لتوحيد الصفوف، ولم شمل الأمة فانبثقت (هيئة تحرير ليبيا) التي يتزعمها بشير السعداوي، وطاهر المريّض، وأحمد السويحلي، ومنصور قدارة، ومحمود المنتصر[2]، في مارس 1947م، ومن أغراضها: السعي لاستقلال البلاد بحدودها الطبيعية، بالتنسيق مع جامعة الدول العربية، لتحقيق رفاهية الشعب الليبي وتقدّمه، وتوحيد الجهود والحفاظ على وحدة الكلمة أثناء الكفاح للحرية، وكانت من مهام هذه الهيئة أيضاً التوفيق بين مختلف وجهات نظر الليبيين حول مسألة الإمارة التي تأتي بعد الحصول على الاستقلال ووحدة البلاد، ولذلك أُسندت لبشير السعداوي مهمة رئاستها، لدوره الكبير والمرير في الكفاح ضد الإيطاليين منذ سنة 1911م، ولنشاطاته ونضاله خارج البلاد، ومبايعته للأمير إدريس السنوسي، اجتناباً لكلّ دواعي الشقاق والخلاف والجدل[3].

---

(1) القشاط: ليبيون في الجزيرة العربية، ص58.

(2) الهادي إبراهيم المشرقي: ذكريات في نصف قرن، مركز دراسات الجهاد الليبي، طرابلس، 1986م، ص ص261، 336 ـ 337، 340، محمد فؤاد شكري: ميلاد دولة ليبيا الحديثة، ص457.

(3) محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص465، وتجدر الإشارة إلى إن فكرة جامعة الدول العربية برزت خلال =

ولما أَرسلت هيئة الأمم لجنتها لتقصي الحقائق في ليبيا، كان السعداوي ورفاقه من المثقفين والسياسيين يعملون على تهيئة الشعب وتعبئته للمطالبة بالاستقلال والوحدة، والانضمام لجامعة الدول العربية، وتم تغيير اسم هذه الهيئة إلى (حزب المؤتمر) في يونيه 1949م[1].

ولم تكن الدول الاستعمارية لاسيما بريطانيا لتقف مكتوفة الأيدي أمام هذه التطورات التي تصب في مصلحة الشعب، وتوحيد صفوفه وحصوله على الاستقلال، وتقف ضد مصالحها في البلاد، لذلك عملت على تكوين (الحزب الفيدرالي) ونجحت في أن تكون الانتخابات في صالح هذا الحزب، وتم نفي بشير السعداوي إلى بيروت ومكث بها إلى وفاته سنة 1957م.

*** مواقف ونشاطات السَّعداويّ خارج حدود الوطن:**

تحدَّثنا في ما سبق إلى إن بشير السعداوي كان من ضمن الكادر الوظيفي للحكومة العثمانية في ليبيا، وتقلّد العديد من المناصب، وبلغ مكانة مرموقة لدى تلك السُّلطات، ولما عقدت تركيا اتفاق (لوزان) مع إيطاليا سنة (1912م) وقرَّرت بموجبه التنازل عن ليبيا، قرَّر الموظفون التابعون لتركيا الرحيل إلى اسطنبول، وكان من بينهم بشير السعداوي وأخوه نوري، ومنها غادر إلى مدينة (ريزة) على ساحل البحر الأسود من إقليم لازستان التابع لولاية طرابزون، وعمل مدير تحرير ووكيلاً للمتصرف[2].

= الحرب العالمية الثانية، في مؤتمر عُقد بالاسكندرية خلال الفترة من 25 سبتمبر إلى 7 أكتوبر 1944م، وتم خلاله الاتفاق على هذه الهيئة، وفي 22 مارس 1945م تم التوقيع على ميثاق الجامعة من سبع دول هي: مصر، والسعودية، وسوريا، والعراق، وشرق الأردن، ولبنان، واليمن، محمد الصالحين الخفيفي: جامعة الدول العربية وتأثيرها على الاتجاهات السياسية في ليبيا بعد الحرب العالمية الثانية، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، السنة الثالثة، العدد 1، يناير 2008م، ص ص77 ـ 78، 81.

(1) يَذْكر القشاط في كتابه (ليبيون في الجزيرة العربية) ص65، أن المؤتمر انعقد في مسجد مراد آغا بتاجوراء، بينما في كتابه الآخر (المجاهد الليبي بشير بك السعداوي)، دار السراج، ط1، 2012م، ص50، يَذْكر أن المؤتمر انعقد في مسلاتة.

(2) القشاط: ليبيون في الجزيرة العربية، ص ص20 ـ 21.

وخلال هذه الفترة التي نشبت فيها الحرب العالمية الأولى سنة 1914م طلب منه بعض العسكريين الأتراك إقحام أهل طرابلس في الحرب ضد روسيا وبريطانيا وفرنسا[1]، علماً أن ليبيا كانت قد وقعت ضحية الاستعمار الإيطالي، وأن أهلها يدافعون عن بلادهم ضد هؤلاء الغزاة، وليس بإمكانهم خوض حروبٍ لا قبل لهم بها، خاصّة في تلك الظروف، ولذلك كان موقفه من هذا الطلب موقف الرافض للأسباب سالفة الذكر.

وهكذا قرّر بشير السعداوي الرجوع إلى بلاده (ليبيا) لمشاركة أهله في التصدي للمحتل الإيطالي، خاصة إن بلاد الشام هي الأخرى واقعة تحت الاستعمار الفرنسي والإنجليزي، ونظراً للظروف التي كانت تمر بها تركيا من الصراعات الداخلية، والتحديات الخارجية من جهة أخرى.

غير أن بقاءَه لم يدم طويلاً بسبب ما أصاب حركة الجهاد من الفتور والضعف[2]، وفي سبتمبر سنة (1923م) غادر بشير السعداوي إلى مصر ثم بيروت؛ حيث كان يقيم أخوه نوري، وشَرَع في التواصل مع قيادات الجهاد الليبي الذين وصلوا مصر، وتونس بغية تكوين جبهة موحدة، للدفاع عن البلاد في المحافل السياسية والإعلامية.

*** تأسيس جمعية الدفاع الطرابلسي ـ البرقاوي:**

يُعدُّ وصول الحزب الفاشستي للحكم في إيطاليا سنة (1922م) نقطة تحول فارقة في تاريخ حركة النضال والمقاومة التي انتهجها الليبيون ضد إيطاليا. فقد تمكن الإيطاليون من تحقيق انتصاراتٍ حاسمة على الأرض، وتشديد الضغط على المجاهدين، الأمر الذي أدّى إلى سيادة حالة من الفتور في حركة المقاومة، ومن جهة أخرى إلى هجرة العديد من المناضلين إلى خارج البلاد لاسيما دمشق، والذين كان دافعهم حب الوطن ومواصلة الدفاع عنه في مختلف المحافل، وكان لبشير السعداوي دور كبير في هذه المرحلة النضالية،

---

(1) مفتاح بلعيد غويطة: الموقف الشعبي المصري من حركة الجهاد في ليبيا (1911 ـ 1931م)، رسالة ماجستير، طرابلس، 2000م، ص185.

(2) القشاط: ليبيون في الجزيرة العربية، ص42.

مع نخبة من الرفاق الذين أخذوا على عاتقهم تأسيس جمعية تعمل على تحشيد قوة الجالية الليبية لمواجهة إيطاليا في المحافل السياسية وفضح جرائمها الاستعمارية[1].

وفي شهر أغسطس سنة 1928م انتُخب بشير السعداوي رئيساً للجمعية، برفقة مجموعة من قيادات الجهاد الليبي الذين هاجروا إلى مصر والشام وتونس، وأَعدَّت اللجنة ميثاقاً وطنياً يتضمن عدة بنود تسعى لتحقيق استقلال ليبيا، وتحشيد جميع قوة الجالية الليبية لمواجهة إيطاليا سياسياً، إلى جانب توثيق الصِّلات بين أبناء هذه الجالية في المهجر، وبدؤوا العمل على جمع التبرعات من جهاتٍ عربية وإسلامية، وسعوا لفضح الأساليب اللاّ إنسانية، والأعمال الفظيعة التي يمارسها الإيطاليون ضد أبناء الشعب الليبي، من خلال الصحف السورية التي يمدّونها بأخبار الجهاد أولاً بأول[2].

وقد عمل بشير السعداوي على تكثيف اتصالاته بمختلف الشخصيات السياسية والدينية ذات التأثير، في كل أنحاء العالم العربي والإسلامي، وتوزيع المناشير والكتيبات ضد إيطاليا، الأمر الذي أوجد تعاطفاً وتجاوباً كبيرين من المواطنين في بلاد الشام للقيام بمظاهراتٍ مؤيدة للشعب الليبي، وكان السَّعداوي يستغل تلك المظاهرات، رغم تهديد الفرنسيين له[3].

---

(1) حَضَر الاجتماع إلى جانب بشير السعداوي كل من: أحمد راسم، ناجي التركي، عبد الغني الباجقني، فوزي النعاس، منصور قدارة، عبد السلام أدهم، مصطفى بن نوح، عمر فائق شنيّب، حسين ظافر بن موسى، أبو بكر قدورة، طارق الأفريقي، فوزي النوال، نور الدين قدارة، حسين البوصيري، أبو بكر التركي، مصطفى بدر الدين، فهمي الحشاني، الهادي الرئيس، محمد دريبيكة، فؤاد ضو، أديب الحاج. تيسير بن موسى: كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام، الطاهر الزاوي: أعلام ليبيا، ص136، القشاط: المجاهد الليبي بشير بيك السعداوي، ص36، ويذكر سبب تغيير اسم اللجنة الطرابلسية بالجمعية بقوله: «إن لذلك سبب جوهري وهو أنه قد بلغنا ـ بصورة أكيدة أن الإيطاليين قد سخّروا بعض من لا خلاق لهم ومن تستهويهم الآمال. . . بأن يقولوا بما أن هذه اللجنة تتكلم باسم الجاليات، ونحن أفراد الجالية فلا نُقرّ ما تقوله باسمنا، لذلك أردنا أن نقطع كل لسان مشاغب، ولا نترك مجالاً للفساد في صفوفنا، ورأينا من الضروري استبدال الاسم فقط، أما البرنامج والهدف فلم يتغيّر منها أدنا شيء» المرجع نفسه، ص189.

(2) تيسير بن موسى: كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام، ص ص74 ـ 75.

(3) القشاط: المجاهد الليبي بشير بك السعداوي، ص37.

هذا وأقام بشير السعداوي حفل تأبين الشهيد عمر المختار في 25 أكتوبر 1931م، الذي أعدمه الإيطاليون في 16 سبتمبر 1931م، بيّن من خلاله ممارسات الإيطاليين الفظيعة في ليبيا، وفضح أعمالهم وادعاءاتهم أمام العالم، ووجّه العديد من الرسائل إلى الصحف في سوريا وغيرها من أقطار العربية بهذا الغرض، ما أحدث أصداء واسعة في الأوساط العربية والإسلامية[1].

*** المؤتمر الإسلامي بالقدس (8 ديسمبر 1931م):**

كان الهدف من هذا المؤتمر هو مناقشة أوضاع المسلمين عامة، والتصدي لتلك الحملة الصليبية الاستعمارية على بلاد الإسلام، وكان بشير السعداوي من أوائل الدُّعاة لهذا المؤتمر، وقدَّم تقريراً عن أوضاع البلاد مستغلاً وجود عدد كبير من المثقفين والقادة العرب في هذا المؤتمر في إصدار بيان: (بيان إلى العالم العربي) يطالب العرب بوحدتهم وجمع شملهم وتضامنهم[2].

*** مساعي الصلح بين السعودية واليمن:**

قام بشير السعداوي بدورٍ مهم في الوساطة بين الأشقاء في السعودية واليمن، وذلك حقناً لدماء المسلمين حينما نشبت الحرب بين الملك عبد العزيز آل سعود الذي كان يسعى لتوحيد شبه الجزيرة العربية ـ من جهة ـ وبين الأمير يحيى حميد الدِّين إمام اليمن، وقد قام السعداوي بجهدٍ في إقناع الملك عبد العزيز لقبول الوساطة، وتوجّه وفد المؤتمر الإسلامي إلى مكة المكرمة برئاسة أمين الحسيني ـ رئيس المؤتمر ـ وعضوية مجموعة

---

(1) تيسير بن موسى: المرجع السابق، ص69، يتحدَّث بشير السعداوي في نصّ الكلمة التي ألقاها في حفل التأبين باسم اللجنة التنفيذية للجمعية عن تأثير استشهاد عمر المختار في نفوس الليبيين وعن وآثاره البطولية، وإلى إدعاءات الإيطاليين بقوله: «يدَّعي الإيطاليون أنهم جاؤوا لبلادنا لخدمة الإنسانية، ونشر المدنية، فسحقاً لها من مدنية ظاهرها رحمة، وباطنها من قبله العذاب، فليتفننوا في ارتكاب الفظائع، وليقترفوا من الجرائم ما هم مقترفون، فإن ذلك لا يزيدنا إلاّ إيماناً في مقاومة طغيانهم ومحاربة مطامعهم الاستعمارية مادام في آخر فرد منا عِرق ينبض، وقلب يخفق، ولسان ينطق...».

(2) القشاط: المجاهد الليبي بشير بك السعداوي، ص37.

من الأعضاء منهم بشير السعداوي، واجتمع الطرفان في الطائف، وتم توقيع معاهدة بين الجانبين في 9 مايو 1934م، انتهت بموجبها الحرب بين السعودية واليمن[1].

وهنا تجدر الإشارة إلى أن بشير السعداوي كان من بين أكبر المناضلين الذين سعوا بكل ما يستطيعون لإقامة الوحدة العربية، إلى جانب نخبة من الوطنيين العرب مثل أمين الحسيني، والسيد رياض الصلح، خاصة عندما بدأت تلوح في الأفق توترات عالمية تنذر بنشوب حربٍ مثل الحرب العالمية الأولى. ذلك أن معظم البلاد العربية كانت تحت وطأة الاستعمار الغربي، ولذلك توجهوا إلى الملك عبد العزيز لعرض المشروع عليه فقابلهم بالتأييد والقبول، وتم تكليف بشير السعداوي بالذهاب إلى مصر لمقابلة رئيس وزرائها مصطفى النحاس مُحمَّلاً برسالة من رئيس الوزراء السوري (جميل مردم)، غير أنه لم يُفلح في مقابلته، وظلَّت المساعي مستمرة إلى أن عُقد المؤتمر في سوريا في 8 سبتمبر 1938م، وتمخَّضت عنه عدة قرارات منها: استمرار النضال العربي، ومقاومة الاستيطان اليهودي في فلسطين باعتبارها جزءاً من الوطن العربي[2].

ويبدو أن الملك عبد العزيز آل سعود قد وعى جيداً مدى ما يتمتّع به بشير السعداوي من الخبرة والحنكة السياسية، والقدرات الذهنية في معالجة المستجدات الطارئة على الساحة، وما يحمله من الحب والوفاء للوطن في حدوده الإسلامية والقومية.. ولذلك طلب منه البقاء كمستشارٍ له عن طريق مستشاره خالد القرقني[3]، وقام بتكليفه بالعديد من المهام منها: إرساله إلى سوريا، فاجتمع مع (الكتلة الوطنية) بغية دعم زعمائها في

(1) القشاط: ليبيون في الجزيرة العربية، ص52.

(2) القشاط: المجاهد الليبي بشير بك السعداوي، ص ص41 ـ 42.

(3) هو أبو الوليد خالد القرقني، من مواليد طرابلس الغرب سنة 1883م، ويرجع نسبه إلى جزيرة قرقنة التونسية، وقيل إن جده نُفي إليها فلُقب بذلك، وبعد الاحتلال الإيطالي لليبيا نُفِي إلى روما، وفيها دَرَس الحقوق ثم عاد إلى ليبيا، غير إن مطاردة الإيطاليين له أجبرته على الهجرة إلى مصر ثم اسطنبول، ثم استقرّ في الحجاز للتجارة، واتّخذه الملك عبد العزيز مستشاراً. عاشور محمد سعيد أبو خريص: الهجرة من وإلى ليبيا وآثارها على المقاومة الوطنية 1911 ـ 1952م، رسالة دكتوراه، جامعة الحسن الثاني، المغرب، 2015م، ص75.

كفاحهم ضد الفرنسيين، والسعي من أجل الاستقلال. كما أرسله إلى اليمن في وفد لزيارة الإمام يحيى حميد الدِّين، لتوطيد علاقات التعاون من أجل إحلال السلام، وتحقيق الوحدة العربية الشاملة[1].

٭ المناشير والرّسائل والمقالات:

كان بشير السَّعداوي ورفاقه يدركون جيداً أهمية البقاع المقدسة، ومكانتها في نفوس عامة المسلمين، وخاصَّة في مواسم الحج الذي يأتيه المسلمون من كل بقاع الأرض، وبالتالي فهو المكان الذي يتواصون فيه بالحق وينصرونه، ويقفون ضد الباطل وأعوانه وأنصاره، ولذلك فقد عملوا على استغلال هذه المناسبة الدِّينية للتعريف بقضية الوطن لشحذ الهمم، واستنهاض الأمة ونجدة الشعب الليبي، من خلال توزيع المناشير التي تدعوا إلى تآلف المسلمين وتضامنهم وتعاونهم، لحفظ كيان الأمة والذود عن الديار، ونجدة الشعب (الطرابلسي البرقاوي) المظلوم، الذي يقاتل عدواً شديد البأس، بِنيّة مخلصة وعزيمة صادقة، في سبيل إعلاء كلمة الله.

ولذلك كانت الخطابات والمناشير التي تُوزّع في مواسم الحج، تدور حول تحريض عامة المسلمين ودعوتهم للاحتجاج على أفعال الدولة الإيطالية، التي وطَّدت العزم على تدمير البلاد وتنصير أهلها، ومن جهة أخرى إلى استنهاض مفكري الأمة الإسلامية في كل مكان، ودعوتهم للاحتجاج على ما يلاقيه أهل طرابلس من ظلم الإيطاليين، ونشر ذلك في الصحف والمقالات، ولم تقتصر تلك الحملات الإعلامية والمناشير التي يتم توزيعها في مواسم الحج فحسب، بل قاد ورفاقه حملة صحفية مشرِّفة بغية فضح جرائم الإيطاليين وعملائهم، وألَّف في ذلك كتاباً بعنوان (فظائع السود الحمر) من سنة 1911 إلى سنة 1931م، أو (التمدن بالحديد والنار)[2]، كما كانت تُستغل كل المناسبات وصفحات

(1) يبدو إن الملك عبد العزيز كان حريصاً على الاستفادة من المثقفين العرب فاتّخذ منهم مستشارين وأطباء وأساتذة، في بناء دولته، القشاط: بشير بك السنعداوي، ص43.

(2) يُعدُّ هذا الكتاب وثيقة مهمة في فضح جرائم الفاشستية الإيطالية، بإشراف هيئة الدفاع الطرابلسي ـ البرقاوي، =

الجرائد كجريدة (الشرق) اللبنانية، التي نَشَر فيها ـ على سبيل المثال ـ صورة (أنشودة الفاشستية في طرابلس) والتي يتحدَّث فيها ذلك الشاب الإيطالي المتوجِّه إلى طرابلس، للقتال في صفوف الجيش الإيطالي، وتحت راية بلاده المثلثة الألوان. . . مفتخراً بنفسه، مسروراً بسحق أمة الإسلام والديانة الإسلامية، واسترخاص نفسه في سبيل مجد إيطاليا، ويدعو أمه لعدم الحزن عليه ولا بكائه إذا مات هناك، لأنه مات في حرب الإسلام. . .

لذلك دعا بشير السعداوي ورفاقه المجاهدين أبناء الأمة الإسلامية إلى قراءة هذه الأنشودة، والتمعن في معانيها، ليعرفوا حجم ما يحمله هؤلاء الغزاة لأهل طرابلس ـ برقة من مشاعر الحقد والكراهية، ومن الدمار والخراب والاستهزاء بالدِّين والقومية والعروبة، كما يُذكّرهم بعمق الروابط الإسلامية التي تجمع أبناء الأمة في الهدف والمصير، وإن هذه الجموع الإسلامية يجب أن تساند وتعاضد أبناء ليبيا في وقوفها ضد هؤلاء الغزاة[1]، من منطلق الواجب الذي تَفرض عليهم وحدة العقيدة والهدف.

ويبدو أن بشير السعداوي بشخصه وصفته، كان شديد الحرص على عدم تفويت الفرصة كلما سنحت له، بعرض القضية الليبية والدفاع عن حقوق الوطن المسلوبة من الغزاة الطليان، وحق الليبيين في الاستقلال والحرية، ولذلك فقد بعث برسالة إلى (موسوليني) يوضّح له حقوق الأمم في أوطانها التي استوطنتها وسكنتها وجُبلت على حبها، وحب العيش فيها بحرية، مبيناً له مآسي تلك الحروب التي كَلفت الأنفس والأموال، منكراً فكرة الاستعمار التي لم تَعد مقبولة في عالم يُقدّر حقوق الأمم، وأمانيها في الحرية والاستقلال، بعيداً عن أساليب الإرغام والقهر والتسلط وقبول الاستعباد؛ لأن مثل هذه الأعمال لا تجدي نفعاً، ولا تُحقق غاية، خاصة في بلد اتصف أهله بصعوبة مراسهم، وحبهم للحرية وبذلهم لأجل ذلك النفس والنفيس.

= وقام بتأليفه نخبة من مثقفي الجالية الليبية بالخارج منهم: بشير السعداوي، ناجي التركي، فوزي النعاس، كامل عياد، عمر شنيب، عبد الغني الباجقني. تيسير بن موسى: كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام، ص65.

(1) تيسير بن موسى: المرجع نفسه، ص201، القشاط: بشير بك السعداوي، ص241.

ولعلّنا نختم بهذه الكلمات التي قالها بشير السعداوي في رسالته التي بعث بها إلى (محمد فكيني)[1]، بتاريخ 18 محرم 1352هـ الموافق 12 مايو 1933م، وقال فيها: «واعلموا يا إخواني جميعاً إن الحرية التي نسعى إليها إنما تُنال بالعمل. . . ولذلك يجدر بنا أن لا نتوانى عن العمل، ولا نترك فرصة تمرّ إلا ونتخذ منها وسيلة للتشهير بمظالم الإيطاليين والمطالبة وبحقوقنا»[2].

وهكذا هي مسيرة طويلة من النضال والريادة والعمل الدؤوب خاضها رجل من رجالات الوطن الأفذاذ، الذين أفنوا زهرة شبابهم في خدمته دون كلل ولا ملل، ولم يتهيّبوا عاديات الزمن ولا صروفه، بل قابلوا المحن بالصبر والمثابرة واجتهدوا في خدمة الوطن، فكانوا مثالاً يحتذى، وقدوة تقتدى، يتوجّب علينا السير على دربهم، والإقتداء بهم، واحترام جهودهم. . . وهذا أقل ما يؤدّى لهم من الأجيال اللاّحقة حتى لا تُطمس أعمالهم، وتخيب ظنون الذين يريدون نسيانهم.

* * *

الخاتمة

لم يكن بوسع الباحث تتبع كل المواقف النضالية للمناضل بشير بك السعداوي، لأن حياته التي زادت عن ستة عقود في مجملها سلسلة متصلة من الأعمال والمواقف الوطنية والنضالية، التي ترمي إلى تخليص البلاد من العبودية وقيود الاستعمار، والعيش بحرية واستقرار، فعرفته ساحات الجهاد وميادينها، كما أَلِفته صفحات الصحف والمقالات وأقلام الحرية والوطنية، سواءً داخل الوطن أو خارجه. وعليه فإنه يمكن ملاحظة ما يلي:

ـ إن التعليم الذي تلقّاه السعداوي سواء الدِّيني أو العام وثراءه الفكري الذي حصّله، إضافة إلى الوظائف التي شغلها، والمسؤوليات التي تقلّدها، فتح أمامه آفاقاً واسعة،

(1) محمد فكيني من قبيلة الرجبان بالجبل الغربي (جبل نفوسة) له دور في حركة الجهاد ضد الإيطاليين، وتنقّل بين فزان ثم الجزائر وتونس إلى أن توفي بها سنة 1950م، الطاهر الزاوي: أعلام ليبيا، ص331.

(2) القشاط: المجاهد الليبي بشير بك السعداوي، ص193.

كما كان للبيئة التي نشأ بها تأثيرها المباشر على شخصيته وتكوينه الذهني، ونبّهته إلى ميادين الفكر التي تهتم بالوطن والوطنية.

ـ منذ أن وطأت أقدام الإيطاليين أرض ليبيا، انضم بشير السعداوي إلى صفوف المجاهدين، بل كان من أبرز قياداتهم في العديد من المعارك.

ـ اضطرته الظروف إلى الخروج خارج البلاد بجسده، ومع ذلك ظلّت روحه مُعلَّقة بالوطن الذي ينتمي إليه، فكان هاجسه في ديار الهجرة التي تنقّل بينها من مصر إلى الشام إلى الجزيرة العربية، ومنها أخذ يمارس عمله السياسي الذي تتطلبه المرحلة، والمتمثل في كشف مخططات الاستعمار لاسيما الإيطالي وفظائعه التي يرتكبها بحق الشعب الليبي، وفضحها أمام الرأي العام العربي والإسلامي والعالمي، من خلال المؤسسات التي أسهم في تأسيسها، كهيئة الدفاع الطرابلسي ـ البرقاوي.

ـ قاد حملة مُشرِّفة في الصحافة هدفها فضح جرائم الإيطاليين الذين يدّعون التمدن والحضارة.

ـ عمل بكل جد وإخلاص من أجل حل الخلافات والصراعات الداخلية التي أثَّرت بشكلٍ مباشر على حركة الجهاد ضد الإيطاليين.

ـ أسهم في العديد من المؤتمرات مثل مؤتمر القدس سنة 1931م، والمؤتمر العربي، والتي كانت تهدف في مجملها مناقشة أوضاع المسلمين، والتصدي للحملات الصليبية، والمطالبة بوحدة العرب ولم شملهم.

ـ عمل مستشاراً للملك عبد العزيز آل سعود، الذي كان حريصاً على الاستفادة من الخبرات والعناصر المثقفة في بناء بلده، وقام بدورٍ كبير في وضع حدٍ للصراع بين الإخوة في السعودية واليمن، انتهى بتوقيع اتفاق الطائف.

والله ولي التوفيق.

❑ ❑ ❑

المراجع

*** الكتب:**

1 ـ الطاهر أحمد الزاوي: أعلام ليبيا، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط3، 2004م.

2 ـ الطاهر أحمد الزاوي: معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، طرابلس، ليبيا، ط1، 1968م.

3 ـ الهادي إبراهيم المشرقي: ذكريات في نصف قرن، مركز دراسات الجهاد الليبي، طرابلس، 1986م.

4 ـ تيسير بن موسى: كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام (1935 ـ 1950م)، مركز الجهاد الليبي، 1983م.

5 ـ خليفة محمد التليسي: معجم معارك الجهاد في ليبيا (1911 ـ 1931م) دار الثقافة، بيروت، ط3.

6 ـ عز الدين عبد السلام مختار العالم: تاريخ ليبيا المعاصر، السياسي والاجتماعي، (1922 ـ 1948م)، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ط1، 2000م.

7 ـ عمرو سعيد بغني: أبحاث في تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1996م.

8 ـ محمد محمد المفتي: السعداوي والمؤتمر بين التمجيد والنسيان، (بلا. ط)، 2005م.

9 ـ محمد سعيد القشاط: ليبيون في الجزيرة العربية، الدار العربية للموسوعات، ط2، 2008م.

10 ـ محمد سعيد القشاط: المجاهد الليبي بشير بك السعداوي، دار السراج للطباعة والنشر، ط1، 2012م.

11 ـ محمد فؤاد شكري: ميلاد دولة ليبيا الحديثة، دار آل عيد للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، مجلد 1، 2012م.

12 ـ مصطفى السراج: السعداوي والمؤتمر، وضع النقاط على بعض الحروف، ط2، 2006م.

*** الدوريات:**

1 ـ الصالحين جبريل الخفيفي: جامعة الدول العربية وتأثيرها على الاتجاهات السياسية في ليبيا بعد الحرب العالمية الثانية، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، السنة الثلاثون، العدد الأول، يناير 2008م، طرابلس ـ ليبيا.

* **الرسائل الجامعيّة:**

1 ـ عاشور محمد سعيد أبو خريص: الهجرة من وإلى ليبيا وآثارها على المقاومة الوطنية 1911 ـ 1952م، رسالة دكتوراه، جامعة الحسن الثاني، المغرب، 2015م.

2 ـ مفتاح بلعيد غويطة: الموقف الشعبي المصري من حركة الجهاد في ليبيا (1911 ـ 1931م)، رسالة ماجستير، طرابلس، 2000م.

❒ ❒ ❒

الجلسة العلمية الثانية

رئيس الجلسة

د. فاتح رجب قدارة

وقائع الجلسة

* بَشيرُ السّعْدَاوِيّ وَدَوْره في المُصَالحة الوَطنيَّة:

أ. د. محمود أحمد الديك.

* محطات مضيئة من حياة الزّعيم بشير السّعداوي 1884 ـ 1957م:

أ. محمد الهادي البوسيفي.

بشير السّعداوي ودوره في المصالحة الوطنيّة

أ.د. محمود أحمد الديك
جامعة طرابلس

مقدِّمة

تّعدُّ المصالحة قيمة أخلاقية اجتماعية، وهي ركيزة أساسية في التعايش بين البشر، وتَحُثُ عليها الأعراف والتقاليد والقيم، وهي مبادئ أساسية في كل الديانات، مبنية في الأساس على الاحترام والتقدير المتبادل بين أفراد كل مجتمع. وهي مرحلة مهمة في حياة ومسيرة البشر لتسوية أي خصامٍ أو خلاف، وذلك من خلال الحوار والإقناع بالحجة مع ضرورة احترام الرأي الآخر. ومن أهم خصائص العديد من المجتمعات وجود فئة الأعيان، والوجهاء، والعلماء، والحكماء، وأصحاب الرأي السديد، وغيرهم... وهؤلاء يحظون بتقدير واحترام أغلب أفراد المجتمع، وذلك لقيامهم بدورٍ فاعل في إحداث التوازن الاجتماعي من أجل حلحلة الخلافات بين المتخاصمين بصورة ودية، وهذه القيمة المجتمعية تستند على قاعدة (جبر الخواطر) بطلب من أحد أطراف النزاع، ويُفترض في المتدخل أن يكون محايداً وخارج دائرة الصراع، وكثيراً ما كانت هذه المبادرات تعطي نتائج إيجابية.

إن تاريخ ليبيا المعاصر يحتفظ لعدة شخصياتٍ ليبية بدورها الإصلاحي التصالحي على المستوى المحلي وفي إطار العالم الإسلامي، وقد تعدّدت قدراتهم وإمكانياتهم كشخصياتٍ متميزة، وقد عُرِفَ هولاء بنشاطهم السياسي والنضالي والتوفيقي في ظروفٍ كانت غاية في الصعوبة؛ حيث كانت المنطقة العربية تتعرّض للهجمة الاستعمارية المباشرة، وتشهد اضطراباتٍ وتنافس بين القادة والزعماء. إن الاحتلال الإيطالي لليبيا إلى جانب مساوئه الإنسانية وما أحدثه من قتلٍ وتشريدٍ وتهجيرٍ ونفي...، فقد شَكّل منعرجاً وشرخاً

خطيراً في النسيج الاجتماعي ومحاولاته لضرب الوحدة الوطنية. فحين استعصت على المحتل طول وشدة المقاومة عمل جاهداً على اتباع سياسة فرق تسد، وذلك من خلال زرع بذور الفُرقة وإحياء النزاعات المنسيّة وإحداث الشقاق بين القادة والزعماء الوطنيين، وإيقاد نار الفتنة وإشعال الحروب الأهلية. ومن هنا كانت مهمة بعض المصلحين الوطنيين صعبة، ولكنها لم تكن مستحيلة، صحيح أن بعض سياسات الحكومة الإيطالية قد حقّقت بعض من أهدافها ـ لكن تفطّن العقلاء من الأمة والحرصين عليها، أدركوا حجم المؤامرات التي كانت تحاك ضد الوطن وتم إحباط الكثير منها.

وقبل الحديث عن ذكر الخلافات والمنازعات في عددٍ من المناطق ـ وبشكلٍ خاص في المنطقة الغربية ـ إبّان فترة الإحتلال الإيطالي لليبيا، أودّ التأكيد على أن الخلافات كانت موجودة وقديمة جداً، فهي تخفت وتظهر على السطح بين بعض القبائل، ومحركها الأساسي العوامل الإقتصادية المناخية، فنزول الأمطار في المناطق المتاخمة لسكن وإقامة القبائل بقدر هي بشائر خير، فهي تثير حساسية التنافس لكلّ طرف في استغلال الأرض وحرثها وجعلها مرتعاً لقطعانهم، وهو ما يثير حفيظة بعض القادة والزعامات في الاستحواذ والتوسع على أكبر قدر ممكن من المساحة، ما قد يقود للتصادم وربما لسفك الدماء مع الطرف الآخر، وقد ينجم عن هذه الأحداث الدخول في تحالفاتٍ بين الصفوف لقادة القبائل، ثم يتدخل طرف ثالث ليصلح ويوفق بين المتخاصمين، ومن المهم الإشارة إليه أنه ليست لهذه المشاكل أية دوافع أو تداعيات سياسية، أو اجتماعية، أو عرقية، أو مذهبية على المجتمع.

غير أنه في مرحلة الاحتلال الإيطالي حدث تغيّر في المفاهيم والمواقف بين عدد من قادة حركة المقاومة، والتي تتحكم فيها الثقافات والمصالح التي تنجم عنها الخلافات بين الزعماء التقليدين الذين ورثوا المكانة والحظوة عن أسرهم الغنية، وبين قيادات أفرزتها الأحداث والحرب ومدى بلائهم فيها، هذان التياران دخلا في صراعٍ حول مفهوم قيادة المقاومة ضد الغزو الإيطالي، أو على الأقل أن يكون طرفاً بارزاً فيها. فالغزو الإيطالي

أحدث إشكالية لعدد من الزعماء، فهناك من كان مؤيداً للمقاومة والقتال، وآخر من فضّل التفاوض والسلام، وهؤلاء الزعماء بحكم تكوينهم الاجتماعي كانت لهم المكانة والقيمة الاجتماعية، مما يجعلهم مؤثرين في الأحداث على الأقل في مناطقهم.

* * *

*** بشير السّعداوي ودوره في المصالحة الوطنية[1]:**

إن الحديث عن شخصية بشير السّعداوي ودوره النضالي والسياسي محلياً ودولياً لفترة حوالي خمسة عقود، تظل محدودة ولا تتناسب مع حجم الدراسات المنشورة، وعلى الرغم من كل الجهود التي بُذلت من الباحثين والدارسين، يبدو أن مشوار البحث في هذا المضمار لا زال طويلاً، حتى يتم كشف اللثام عن دور الشخصيات الوطنية في تلك الحقب من تاريخ ليبيا المعاصر. وعودة على بدء، فإن بشير السعداوي وأمثاله عاشوا في ظروف غاية في الصعوبة، وقد صقلتهم التجربة المباشرة واكتسبوا خبرة في تعاملهم مع الأحداث محلياً ودولياً، وكانوا فاعلين ومؤثرين إزاء الأزمات التي كانت تمر بها المنطقة العربية إبان مرحلة الاستعمار، فكانوا واسعي الاطلاع يقرؤون بشغف كل ما يُحبّر في الصحف في المشرق العربي وغيره، وكان لتنقلهم بين عواصم الدول، قد مكنهم من الاتصال بالزعماء والقادة والمثقفين في عدد من دول العالم، كان له تأثير مباشر في صقل ذهنهم وتنمية أفكارهم، ومن ثم حملوا هموم أمتهم، وتحملوا في سبيلها أعباءً وتضحياتٍ جَمّة.

تتميز ليبيا بموقع جغرافي واستراتيجي في حوض المتوسط، وبحكم اتصالها بجناحي المشرق والمغرب العربي، الأمر الذي جعلها قريبة جداً لما يجري حولها من أحداثٍ وتغيّراتٍ وتطوراتٍ ومؤثرات سواء على المستوى الثقافي أو السياسي، وكان لأفول الدولة العثمانية ذا أثر سلبي عليها؛ حيث تناوبت عليها النكبات مع الظاهرة الاستعمارية.

(1) وُلِد بشير بن إبراهيم بن محمد السعداوي سنة 1884م بمدينة الخُمس، وهو ينتمي لأسرةٍ اشتُهرت بالعلم والصلاح، ثم تولى عدة وظائف إدارية، وقد شارك في الحركة الوطنية لمقاومة الغزو الإيطالي في عد معارك، ثم كان لدوره السياسي أثر كبير في انتصار القضية الليبية حتى حصولها على الاستقلال.

فالمثقفون في ليبيا رغم قلة عددهم كانوا على تواصل بالأفكار السياسية، خصوصاً مع صدور الدستور العثماني سنة 1908م الذي أقرّ إعلان الحريات، وانتشرت حركة الطباعة في المشرق العربي، ووصول الصحف والجرائد للمدن الليبية حتى عشيّة الاحتلال الإيطالي.

صحيح أن التواصل الإعلامي المباشر زمن الاحتلال قد شهد قطيعة بحكم الرقابة الصارمة من الحكومة الإيطاليّة، لكن انتقال الأفكار وتهريب الجرائد لم تصمد أمامها حدود أو تحدها قيود. ولقد ظلت النخب المثقفة الليبية في المهجر على تواصل دائم مع أبناء وطنهم في الداخل يتابعون الأحداث ويدافعون عن حرية ووحدة واستقلال بلادهم[1]. لقد شهدت هذه الفترة زخماً من الأفكار في تشكيل وعي قومي عربي إسلامي، ولقد ازدهرت البلاد بالصحف العثمانية والشامية والمصرية والمحلية، التي كوّنت رصيداً هائلاً في ذهنية وشخصية بشير السعداوي. وكان يرى بعينٍ ثاقبة الأوضاع التي تمرّ بالدولة العثمانية وولاية طرابلس الغرب، ولهذا نراه كان من الذين نادوا بضرورة الإصلاح الإداري وتعريب دواوينها[2].

ومن بين الأفكار التي استقاها السعداوي من المصلح المتنور السوري «عبد الرحمن الكواكبي»، مبدأ الإصلاحات التي تبنّاها عدد من الزعماء العرب منها: الوقوف إلى جانب المستضعفين، ومنع التعصب الديني، والدعوة إلى اللامركزية في الدولة العثمانية، وفي هذا السياق شكّل السعداوي جمعية سرية بمدينة الخُمس، كان أعضاءها يجتمعون لمناقشة هذه القضايا، وقد أعدّوا بعض المنشورات لإقامة خلافة عربية لمواجهة توجهات تركيا الفتاة التي تدعو لسياسة تتريك الدولة العثمانية. لكن متصرف الخُمس أوقف نشاط هذه

(1) وفي سنة 1908م تم تعيين بشير السّعداوي «باشكاتباً» لمجلس إدارة مدينة الخُمس الواقعة شرق مدينة طرابلس بحوالي 120 كيلومتر، وقد تمكن السّعداوي من حل الخلافات التي نشبت بين أهالي تاورغاء بسبب تقسيم الأراضي هناك. ارويعي محمد قناوي، بشير السعداوي ودوره في الحركة الوطنية الليبية، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، ط1، 2014م، طرابلس، ص51.

(2) محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، وثائق تحريرها واستقلالها، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1957م، ص59.

الجمعية وتغيَّر مسارها، وصار الاهتمام الأكبر لأعضاء الجمعية مناهضة مخططات أطماع إيطاليا في ليبيا، وتأييد السلطان ضد حركة الاستعمار للوطن العربي(1).

وكان بعض زعماء الحركة الوطنية يدركون أن الإيطاليين يسعون بكل جهدهم لبث بذور الخلافات والشقاق بأساليبٍ مختلفة بين قادة المناطق، فالإيطاليون كانوا يوزّعون على بعض الشخصيات الموالية لهم الأموال، والسلاح، والذخائر الحربية، بهدف إيقاد نار الفتن بين قادة المناطق حتى يُضعفوا من حدة المقاومة المسلحة، ويشغلوها في صراعاتٍ محلية، ولهذا سارع بعض قادة الحركة الوطنية الدعوة لعقد مؤتمر كبير يبحث في الوسائل لجمع الكلمة وتوحيد الصفوف، ووضع حد لسياسة المراوغة التي تنتهجها الحكومة الإيطالية. وقرّروا إنشاء حكومة وطنية واختيار الزعماء، وكان قصر غريان مكاناً لاجتماعهم، وأرسلوا الدعوات لسائر الرؤساء والشيوخ لحضور المؤتمر، لكن صعوبات خطيرة تفجرت في بعض المناطق، كادت أن تؤخر انعقاد المؤتمر بسبب ما وقع من خلاف بين قادة مصراته وترهونه، وحدث نزاع آخر بين رمضان السويحلي وعبد النبي بالخير، راح ضحيته رمضان السويحلي أحد ركائز حركة المقاومة في أغسطس 1920م. فهذا الحدث الجلل كاد أن يهدد المنطقة بحربٍ أهلية مدمرة وستكون لها تداعيات سلبية على حركة المقاومة، الأمر الذي حفَّز بشير السعداوي بذل الجهود المضنية في إطفاء الحرائق وإنهاء الخلافات، وجمع الكلمة وتأليف القلوب لصون مصالح الوطن، وقد طلب أهل مصراته برئاسة أحمد السويحلي من بشير السعداوي السعي في إنهاء الخلاف القائم، وبالفعل فقد تمكّن السعداوي من الاجتماع بعددٍ من الزعماء واحتواء الخلاف بين الأطراف المتصارعة(2).

وأمام ضراوة المعارك ضد القوات الإيطالية واتساع رقعة الجبهات، تنادى بعض قادة الحركة الوطنية للدعوة لعقد مؤتمر وطني كبير يبحث في أجدى الوسائل لجمع

(1) ارويعي محمد قناوي، مرجع سابق، ص61.

(2) محمد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص376.

الكلمة وتوحيد الصفوف، ووضع حداً لسياسة الحكومة الإيطالية التي لا تحترم اتفاق أو هدنة. ولهذا قرروا إنشاء حكومة وطنية واختار الزعماء قصر غريان مكاناً لاجتماعهم، وأرسلوا الدعوات لسائر الرؤساء والشيوخ لحضور المؤتمر، لكن صعوبات خطيرة تفجّرت في بعض المناطق كادت أن تؤخر انعقاد المؤتمر. وبسبب اندلاع الصراعات بين بعض الزعماء ضاعف بشير السعداوي جهوده المضنية في إطفاء الحرائق والخلافات، وجمع الكلمة وتأليف القلوب لصون مصالح الوطن، وقد طلب أعيان مصراته برئاسة أحمد السويحلي تدخل بشير السعداوي في إنهاء الخلاف القائم مع زعماء مسلاّته، وبالفعل تم عقد اجتماع بحضور قادة مسلاّته ورجال مصراته وزليتن في منطقة «شقران»؛ حيث اتفقت الأطراف على عقد المصالحة ونبذ العنف، ولبشير السعداوي الكثير من المبادرات ومحاولات إصلاح ذات البين بين أبناء وطنه في داخل البلاد وخارجها.

كانت الحكومة الإيطالية تراقب عن كثب التقارب بين قادة المنطقة الشرقية والغربية بخصوص البيعة للسيد محمد إدريس السنوسي، وهذا الأمر لا شك أنه سيُسهم في توحيد الجبهات تحت قيادة واحدة، وهو الأمر الذي لم تقبله الحكومة الإيطالية. لهذا أوفدت وزير مستعمراتها «أميندولا» إلى برقة للاجتماع بالأمير إدريس السنوسي، وقد طلب رئيس الوفد الإيطالي من الأمير إدريس السنوسي استبعاد الوفد المكون من الشيخ محمود المسلاتي، والطاهر الزاوي، والشيخ محمد بن الحسن، كما طلبت السُّلطات الإيطالية من بشير السعداوي ورفاقه مغادرة مدينة اجدابيا. ولكن من جهة أخرى فإنه عقب انتهاء اجتماع الأمير إدريس السنوسي بوزير المستعمرات الإيطالي أرسل إدريس خطاباً إلى السيد بشير السعداوي يتضمن رغبة السُّلطات الإيطالية عقد الصلح مع الزعماء الطرابلسيين.

وفي سنة 1920م عقدت قيادة المجاهدين اجتماعاً في مدينة غريان، وكوّنوا (هيئة الإصلاح الوطني) واختاروا لها أحمد المريّض زعيم ترهونة رئيساً لها، ولم يتمكن بشير السعداوي من حضور أعمال هذا المؤتمر، نظراً لانشغاله في فض الخلافات التي نشبت بين قيادات ترهونة ومصراته؛ حيث قام بدور مهم في تهدئة الأجواء ولم شمل المتخاصمين.

وقد اختارت قيادات المقاومة في (غريان) بشير السعداوي عضواً في الحكومة الوطنية رغم غيابه. وخلال هذه الفترة حاول الإيطاليون إذكاء الخصومات والنزاعات بين قادة الحركة الوطنية، لكن السعداوي تمكن من حل المشاكل التي نشبت بين أسرة آل كعبار من جهة، وبين قبيلة الأصابعة من جهة أخرى، كما حاول إنهاء الصدام بين قبيلتي الزنتان والرجبان وخليفة بين عسكر، لكن مؤامرات ودسائس الإيطاليين كانت أقوى من جهود السعداوي[1].

وفي تطور متسارع للوضع السياسي حَوْل من سيحكم البلاد أو يجمع الجهود في توحيد برقة وطرابلس، قام بشير السعداوي بالتواصل مع السيد محمد إدريس السنوسي بخصوص تولي الإمارة، وقد انطلق السعداوي إلى إقليم طرابلس للتمهيد للسيد إدريس في الحصول على البيعة من قبل الزعماء والقادة، وبمجرد وصوله إلى مدينة مصراته اجتمع بالزعماء ونادى بالبيعة للأمير إدريس، ثم انتقل السعداوي إلى مدينة مسلاّته ثم توجَّه إلى مدينة غريان، وخلال اجتماع هيئة الإصلاح المركزية برئاسة أحمد المريِّض، تلى عليهم نص البيعة ووافق عليها أعضاء الهيئة بالإجماع ودون مناقشة.

لقد حاول بشير السّعداوي وأخوُه نوري، تهدئة الأوضاع واحتواء الأزمة في المنطقة الوسطى. وأثناء وجود السعداوي في مدينة مصراته وصله خبر من سرت أن عبد الجليل سيف النصر، قد شن هجوماً على قصر سرت بهدف السيطرة عليه، وتم طرد (علي المنقوش) من مصراته؛ حيث كان نفوذه على منطقة سرت التي كانت تدفع له العشور والضرائب. وكانت دعوى عبد الجليل أن هذه المناطق هي ملك لأجداده منذ القدم. وهنا تدخّل السعداوي لحل الخلاف، وحين وصل سرت استطاع إقناع سيف النصر بالعودة من حيث أتى، واستعادة ما أخذه من عشورٍ وتسليمه لسكان سرت.

لقد تم دعوة بشير السعداوي لحضور مؤتمر غريان سنة 1920م بين قادة وزعماء

(1) محمد سعيد القشاط، ليبيون في الجزيرة العربية، 207، ص36.

المنطقة الغربية لمعالجة عدة قضايا، وبينما كان السعداوي يهيئ نفسه للسفر، وصلته أخبار عاجلة تفيد بتوقع انفجار الوضع الأمني بين زعماء مسلاّته وترهونة ضد زعماء مصراته، وحشد الطرفان قواتهما وكادا أن يدخلا في حربٍ لا يُعرف نهايتها أو حجم خسارتها، لكن حكمة وقدرة السعداوي استطاعت أن تتدخل في اللحظة الحاسمة، وتم إقناع الجانبين بنزع السلاح والاحتكام للغة الحوار وعدم الانجرار وراء الشائعات من أصحاب الشر والفتن[1].

وقد سجّل النشاط السياسي الدبلوماسي الليبي، تحركاً ونشاطاً لإثارة قضية البلاد في ظروف غاية في الصعوبة، كان ذلك عندما قام ولي عهد إيطاليا بزيارة لمدينة طرابلس في أواخر أغسطس سنة 1921م، وهي المرة الأولى التي يقوم بها مسؤول إيطالي منذ الاحتلال، فقد انتَخبت الحكومة الوطنية بشير السعداوي على رأس وفدٍ كبير من الأعيان لمقابلته، وقد ألقى السعداوي خطاباً أمامه، شرح فيه أماني الطرابلسيين والمطالبة بحقوقهم التي أقرتها الحكومة الإيطالية بما يُعرف (بالقانون الأساسي) الذي لم يُعمّر طويلاً، كما قدّم له شكاوي الأهالي جراء قسوة الاستعمار الإيطالي، وما يلاقونه من إرهاق وعنت مستمر من تصرفات قادة القوات الإيطالية، غير أن الوالي (فولبي) الذي رتّب ونظم هذا اللقاء، بادر بالقول أن زيارة الأمير لا تعدو عن كونها تفقدية وتشريفية، وأن الوالي فولبي سوف يهتم بنفسه بكل القضايا السياسية مع الزعماء بشكلٍ شخصي في وقت لاحق[2].

وحين استقرّ السعداوي في بلاد الشام، أصدر بيانه الأول المتضمن بنود الميثاق الوطني موجهاً إلى جميع المهاجرين، قائلاً فيه: «إن الواجب عليكم أن تعملوا لخير بلادكم، وذلك بتنظيم صفوفكم وجمع كلمتكم وأن تؤلفوا في كل قُطر تسكنونه جمعية تلم شعثكم وتجمع شملكم، . . .». ثم وجّه السعداوي كلمة لليبيين في الداخل والخارج عبر صحيفة المرصاد السورية، حثهم فيها على توحيد جهودهم، وقال بلهجة فيها

(1) محمد فؤاد شكري، الجزء الأول، مرجع سابق، ص532.

(2) الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، المدار الاسلامي، 2004م، بيروت، ص135.

استصراخ: «أيها الليبيون ما لي أرى كلمتكم مشتتة وشملكم متفرقاً. . . كيف تنامون والوطن ساهر قلق متوجع. . .» ثم استطرد حديثه في حثّهم على بذل الأرواح في سبيل تخليص الوطن من براثن الاستعمار.

إن الاهتمام الدولي بالمسألة الليبية أتاح للمناضل بشير بك السعداوي الاشتراك في المؤتمر الإسلامي بمدينة القدس سنة 1931م؛ حيث قدَّم تقريراً عن حالة الحرب في ليبيا، وذلك بهدف شحذ همم الأمة الإسلامية لدعم إخوانهم الليبيين لرفع الظلم والضيم عنهم. وبمناسبة زيارة (إيمانويل. . .) ملك إيطاليا لمصر، كتب بشير السعداوي رسالة يشرح له فيها أوضاع الليبيين، وما يعانونه من بطش الحكم الفاشستي، ويبدو أن الرسالة لم تصل إلى ملك إيطاليا، لأن الشرطة في مصر ضيقت الخناق على أقطاب الجالية الليبية في القاهرة، إذ كانت تخشى من أية ردة فعل قد يتعرّض لها ملك إيطاليا، وقد جرت محاولة أخرى من الشيخ أمين الحسيني الفلسطيني أمين رابطة العالم الإسلامي، فقد حرّر هو الآخر رسالة لملك إيطاليا أحاطه فيها بأحوال المستعمرَة ليبيا، وطلب منه النظر لما يقاسيه أهلها من ويلات الحرب[1].

وتأسيساً على المتغيرات الجديدة للسياسة الاستعمارية للحكومة الإيطالية، فقد أفلح الحاكم فولبي في توجيهها واستثمارها لصالحه، فقد مضى قدماً بإلغاء هيئة الإصلاح المركزية، وإجراء مفاوضات مع بعض الزعماء الليبيين بصورة أقل من الشكل الرسمي. وعبّر عن ذلك بإيفاد التاجر الإيطالي (بيللي) المعروف بصلاته الطيبة بالعناصر الوطنية، وقد تم اللقاء بصحبة المترجم (رابكس) وهو أحد موظفي ديوانه، وهذا المستوى من التمثيل الدبلوماسي الإيطالي القصد منه إهانة الجانب الوطني، بل إن غراتسياني اعتبر أن هذا التمثيل مَظهراً من مظاهر قوة حكومته، وخروجها من حالة الضعف التي سبق وأن انتقدها في موضع سابق. على أي حال لقد حضر المباحثات شخصيات مهمة تتكون كل

(1) صلاح العقاد، ليبيا المعاصرة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1970م، ص48. انظر أيضاً: ص45.

من: أحمد المريّض، وعمر أبودبوس، وبشير السعداوي، ومختار كعبار، ومحمد فكيني، والمهدي السّني، والصويعي الخيتوني، ومحمد فرحات، والصادق بن الحاج، وعثمان القيزاني وغيرهم...، وجرت الجلسات على مدار خمسة أيام من المفاوضات (25 ـ 30 مارس)، ثم أعقبه اجتماع آخر في يوم 5 أبريل 1922م، قام «رابكس» بإبلاغ الجانب الليبي وجهة النظر الإيطالية والشروط التي وضعها الوالي، وهي مستوحاة من خطاب وزير المستعمرات «أميندولا» أمام البرلمان الإيطالي كحلٍ سلمي للأزمة ذكر فيها:

- التّخلّي عن المسلك الحربي ضد إيطاليا، ونزع السلاح وتسليمه، وكذلك تسريح العناصر المسلحة.

- استباب الأمن والعودة إلى النظام، واستئناف الخدمات المدنية وأهمها الخطوط الحديدية.

- رفض فكرة إقامة حكومة ذاتية إسلاميّة موحّدة في ليبيا، ونبذ كل اتفاقٍ تم أو يتم التحضير له بين برقة وطرابلس.

وعَرَض الحاكم الإيطالي «فولبي» عن طريق مندوبيه تشكيل لجنة مشتركة مع الفريق المفاوض اللّيبي للبحث في المقترحات التي تُرفع إلى الحكومة المركزية، على ألاّ تخرج هذه المقترحات عن المبادئ التي تَقبل بها الحكومة الايطالية التي ترفض سحب القانون الأساسي، كما ترفض الدخول في نقاش حول إنشاء مؤسسات سياسية جديدة تحت تهديد السلاح. وقد تمسك الجانب الليبي بقرارات مؤتمري غريان، وسرت والتي تطالب بالحكم الذاتي، وإقامة حكومة إسلامية بزعامة رجل مسلم تختاره الأمة. ولقد اعتبر «فولبي» هذه المطالب مستحيلة التحقيق، واعتبرها فرصة للتهرب والتملص من الرد على خطاب «أحمد المريّض» كتابياً، وأرسل له مندوبه «رابكس» لإلقاء خطاب «فولبي» شفاهياً وهو مليء بالتسويف والمراوغة والتخلص لكل التعهدات السابقة.

ولا شك أن الزعامات والقيادات الليبية داخل الوطن وخارجه التي كانت تقود

حركة المقاومة، لم تكن لها رؤية موحدة حول مستقبل شكل الحكومة بعد تحرير البلاد من الاستعمار الإيطالي، وهذا الوضع يتضح أكثر في المنطقة الغربية، بينما في شرق البلاد فالقيادة التقليدية كانت متمثلة في الحركة السنوسية قد حسمت هذه المسألة منذ عدة عقود. وإن اشتراك ليبيا في الحرب العالمية الثانية وانحيازها للحلفاء بزعامة إنجلترا، جعل معظم المشائخ يفكرون بموضوعية ومسؤولية حول قيادة المرحلة القادمة من تاريخ ليبيا السياسي، ولهذا اجتمع مشائخ من طرابلس وبرقة في مصر، وبعد مشاورات بين هذه الأطراف اتفقوا جميعاً أنه لمصلحة الوطن ينبغي وضع الثقة في سمو الأمير محمد إدريس السنوسي لقيادة البلد، على أساس تكوين هيئة استشارية منتخبة تمثلهم جميعاً. وقد التحمت جمعية الدفاع البرقاوي التي أسّسها أصلاً السيد بشير السعداوي في دمشق عام 1928م، بإخوانهم في مصر وأعلنوا تأييدهم لمبايعة الأمير دون قيدٍ أو شرط[1].

وخلال المرحلة العصيبة من تطور تاريخ ليبيا السياسي خلال الحرب العالمية الثانية وما يليها، واجه السيد بشير السعداوي صعوباتٍ جمّة في سبيل إقناع عدد من الشخصيات من المنطقة الشرقية والغربية، لتقريب وجهات النظر حول مستقبل ليبيا، فكان كل طرف يقدّم الحجج للدفاع عن وجهة نظره. ورغم وجود أصوات داخل حزب الجبهة الوطنية ترى ضرورة التمسك بأفكاره وأطروحاته بمستقبل الوطن، أكّد السعداوي لهم أن الانحياز المطلق لأطروحات الحزب معناها ضرب لوحدة التراب الليبي. وقد صرّح السيد بشير السعداوي لقادة الحزب بالخيار الصعب الذي يجب اتخاذه في لحظة حاسمة هي لحظة بناء التوافق لإنجاز مشروع الاستقلال ووضعه موضع التنفيذ. والخيار الذي يقصده كانت تستوجبه طبيعة مرحلة العمل المُجدي لتوحيد ليبيا بالأقاليم الثلاثة. والملاحظ أن هناك مسارات مختلفة نحو التسوية السياسية أهمها إقليم برقة صار تحت إمرة محمد إدريس السنوسي بدعم كامل من الإنجليز، وفزان كانت ترزح تحت الوصاية الفرنسية، وطرابلس

(1) محمد فؤاد شكري، مرجع سابق، الجزء الأول، ص270.

التي أُخضِعتْ للحماية البريطانية، وهذا المشهد الذي تزعّمه مشائخ برقة يقتضي إقامة النظام الملكي ومناصرة إدريس السنوسي ليكون ملكاً، لأن هذا مطلب أهل برقة منذ عدة سنوات وهو يصبّ لصالح الأمير السنوسي وسياساته، بل والقبول بالمصير المحتوم الذي يأتي مع ركاب الملكية وهو إلغاء الأحزاب السياسية، لأن هذه هي التوجهات التي يراها الملك وما توافق عليه مع الدول الراعية لقيام نظام ملكي[1]. وهكذا انتصر المنطق الذي نادى به الزعيم السعداوي وأَقْنع به القيادات في المنطقة الغربية.

وحين تأسست الجبهة الوطنية في طرابلس سنة 1946م، كانت القضية الليبية قد أخذت مسارها في دهاليز الأمم المتحدة، وبالنظر لتحركات وزراء الخارجية للدول الكبرى حول طرح فكرة إعادة طرابلس إلى إيطاليا، أبرقت الجبهة الوطنية تكليفاً إلى السعداوي لتفويضه في الحديث أمام مؤتمر السلام عن القضية الليبية، لكن هذا الأمر لم يتحقق بسبب مواقف الدول الكبرى، وتأجل النظر في المسألة الليبية حتى انتظار ما تسفر عنه تحقيقات اللجنة الرباعية. ثم بعثت الجبهة الوطنية بوفد حاملاً معه رسالة إلى السيد محمد إدريس السنوسي تشرح فيها مطالب الجبهة الوطنية، أهمها العمل على توحيد الجهود بين طرابلس وبرقة، وإبطال دعاوى بعض أعضاء اللجنة الطرابلسية المناوئين لسياسة إدريس، وقد شارك السعداوي في تلك المداولات التي لخصت مطلبها للأمير: «إذا عرضت وصاية منفردة أو استقلال منفرد يُرفض، ولا يقبل أحد الطرفين أية مفاوضة أو حل منفرد». كما أراد وفد الجبهة أن تكون الإمارة مقصورة على شخص السيد إدريس فحسب، أي لا تكون إمارة وراثية. وهذه النقطة ظلّت مسألة خلاف جوهرية بين بعض الزعماء في برقة وطرابلس[2].

* * *

(1) أحمد إبراهيم الفقيه، جريدة العرب، العدد: 9559، 15/ 05/ 2014م، ص9.

(2) محمود فؤاد شكري مرجع سابق، ص219.

*** هيئة تحرير ليبيا:**

جاء تشكيل هيئة تحرير ليبيا بإيعازٍ من الجامعة العربية، ومن خلال اتصالات أمين الجامعة بممثلين من جميع الأحزاب، والهيئات السياسية الوطنية الليبية، تم الاتفاق على تأسيس هيئة تحرير ليبيا في 13 مارس 1947م برئاسة بشير بك السعداوي، وعضوية كل من: (أحمد السويحلي، ومحمود المنتصر، وجوّاد بن زكري، والطاهر المريّض، ومنصور بن قدارة). وحرصاً من السعداوي على الوحدة الوطنية قام بمراسلة السيد محمد إدريس السنوسي، وطلب منه تعيين أعضاء من برقة لينضموا للهيئة، غير أن الجبهة الوطنية رفضت الانضمام بحجة أن الزعماء البرقاويين لم يؤخذ رأيهم من قبل، وأن منهاج الهيئة لا يشير إلى الزعامة السنوسية[1].

وكان من بين أهداف تأسيس الهيئة جمع كلمة الليبيين في إقليم طرابلس وإنهاء الخلافات بين الأحزاب السياسية. وقد طلب من الجامعة العربية معاونة الهيئة في تحقيق مهامها، وذلك بالسعي لتوحيد كلمة الليبيين أمام لجنة التحقيق الرباعية الصادرة عن الأمم المتحدة المزمع إرسالها إلى ليبيا، وكان المبعوث الأُممي مكلّفاً باستطلاع واستفتاء آراء الليبيين، حول مصير ومستقبل بلادهم السياسي الذي كان متأرجحاً بين الاستقلال أو فرض الوصاية عليها، وقد أرسلت الهيئة نداءً للشعب الليبي أهابت فيه بالهيئات السياسية، أن تتكاتف وتقف صفاً واحداً لإنقاذ البلاد، وأن تحرص على الأهداف والمبادئ نفسها (الاستقلال، والوحدة الترابية للبلاد بحدودها الطبيعية) والتعاون مع جامعة الدول العربية، وشرح مطالب الليبيين بالاستقلال خارج الوطن ـ ليبيا ـ للحصول على تأييد الرأي العام العالمي، وكان دور السعداوي في هذا الاتجاه قد حالفه النجاح، بحيث تمكّن من إقناع الأحزاب والهيئات السياسية الوطنية وجعلها تتقدّم إلى لجنة التحقيق الرباعية بمذكرة موحدة المعاني، وظهرت نتيجة المجهود الذي بذله السعداوي في هذا الصدد في تقرير اللجنة الرباعية الذي جاء فيه: «تقدّمت الأغلبية الساحقة بطلب الاستقلال ووحدة ليبيا

(1) علي البوصيري علي، دور السعداوي في الحركة الوطنية، مجلة الشهيد، العدد الثالث، 1982م.

والانضمام للجامعة العربية من جميع طبقات الشعب»[1].

وإزاء التطورات السياسية التي تتعرض لها القضية الليبية، تجلّت شخصية السعداوي في قدرته السياسية في التعامل مع الأحداث، وكانت الخطب الحماسية المباشرة وسيلة في مخاطبة الجماهير، ومن بينها ما جاء في الخطبة التالية: «أيها المواطنون أبناء ليبيا ـ إخواني ـ . . . . إن البلاد مقبلة على معركة سياسية حاسمة، وإن الدول الاستعمارية وعلى رأسها إنجلترا بماضيها المخادع، لها مصالح ومآرب كثيرة في ليبيا، ولذا يجب على الشعب أن يكون يقظاً جداً لألاعيب الدول الكبرى التي ستلجأ حتماً إلى أسلوب فرق تسد. ويجب على ليبيا أن تتكتل وتحافظ على وحدتها بأجزائها الثلاثة (برقة، طرابلس، فزان) ولا بديل عن الاستقلال». وأشار السعداوي: « . . . إن الوضع يحتاج إلى جهد كل فرد من الأفراد مهما كان متواضعاً، علينا أن ننسى الضغائن، وأن نعفو وأن نتسامح، وأن نثق في أنفسنا وفي بعضنا البعض، وأن ننظر إلى المستقبل فلا وقت للحفر في الماضي والبحث عما يُفرِّق» وختم خطبته بتحذير الليبيين بقوله: «يا أبناء ليبيا الأبرار الشرفاء شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، كونوا على يقظة لما يُدبّر لليبيا العزيزة من مكائد في دهاليز السياسة الدولية، واتّحدوا وتكتلوا، إنكم تنتظرون أياماً عصيبة ولا وقت للمهاترات»[2].

ولقد ذهب بشير السعداوي إلى مدينة بنغازي ليرفع لأميرها السنوسي دعوة الطرابلسيين قبولهم أن يكون ملكاً على كامل ليبيا، وحدث ما توقعه بشير السعداوي من حل للأحزاب السياسية كافة، وهو قرار كان يستهدف حزب المؤتمر قبل أي كيان سياسي غيره، باعتباره كان يشكل ثقلاً ومزاحمة لسادة المشهد السياسي الجديد، وكان الزعيم بشير السعداوي نفسه المستهدف المباشر، ولم يكن ممكناً للتوجهات الملكية الجديدة، أن تنسجم مع الخط السياسي لحزب المؤتمر وكوادره، فتم تحييد هذه الكوادر والاستغناء

(1) مجيد خدوري، ليبيا الحديثة، ترجمة نقولا زيادة، دار الثقافة، بيروت، 1966م، ص114.

(2) مصطفى السراج، السعداوي والمؤتمر، وضع النقاط على بعض الحروف، الواحة، 2006م، ص57.

عنها، وهو ما كان يعرفه الزعيم بشير السعداوي وتنبأ به، وأبلغ كل أعضاء الحزب بتوقعاته، طالباً منهم التضحية بكل ذلك في سبيل هدفٍ أعلى هو أن يتحقق الاستقلال، وكان على السعداوي مغادرة البلاد على متن طائرة حكومية أقلته إلى القاهرة منفياً، وأن تُولَد ليبيا ولادة طبيعية كاملة النمو، لا ولادة مشوهة، كما كان يمكن أن يَحدث لو تشبث الحزب بأفكاره، وتخلّفت برقة وفزان عن الإلتحاق بركب الوحدة.

وظهرت إشكالية عند بعض القادة المخلصين مفادها ماذا إذا تعارضت أهداف حزب المؤتمر مع خير الوطن أو مع وحدة الوطن أو حرية الوطن؟، أو إذا تعارض الحراك السياسي الذي يخوضونه مع الصالح الوطني العام، فأين يجب أن نقف مع الحزب أم مع الوطن؟ وكان القرار السياسي الصائب الذي أُتخِذَ التضحية لصالح الوطن.

من الملاحظ أن من بين العوائق التي عطّلت مشروع قيام دولة ليبيا ككيان متوحد، هو ظهور الأحزاب السياسية مع نهاية الحرب العالمية الثانية، والتي تُعدُّ ظاهرة جديدة على المجتمع الليبي، نظراً لتعدد توجهاتها وميولها لقوى محلية وخارجية. وفي السابع من يوليو سنة 1949م، ارتأى السيد بشير السعداوي أن يلم شعث هذه التجمعات السياسية، فتم عقد مؤتمر «القصبات» في جامع المجابرة بمدينة مسلاّته، بحضور 400 زعيم؛ حيث تقرر دمج هيئة تحرير ليبيا مع الأحزاب الطرابلسية الخمسة تحت اسم المؤتمر الوطني العام الطرابلسي برئاسة بشير السعداوي، وقد حقق تشكيل المؤتمر قدراً كبيراً من النجاح في لم شمل التنظيمات المتعدد، وتوفير مظلة وحّدت الزعامات والمناطق والقبائل حتى مرحلة الإنتخابات، التي تكشّفت عن ملابسات وتضارب بين القوى السياسية[1]. وفي سنة 1950م عقب الإعلان عن استقلال إقليم برقة بزعامة محمد إدريس السنوسي، دخلت

(1) محمد المفتي، السعداوي والمؤتمر بين التمجيد والنسان، 2005، ص94. اللاّفت للنظر أن المؤلف محمد المفتي قد تأثّر بقراءة غير معمقة لخصوم السعداوي وبنى عليها أفكاره وتحليلاته لشخصية وسلوك السعداوي السياسي، وأعتقدُ أنه ليس من المنهجية ولا الانصاف فرض أحكامٍ تعسفية على مسيرة رجل ناضل لأربعة عقود في جرّة قلم، فالمشوار لا زال طويلاً والوثائق جلها غائبة، وأنه من المبكر تقويم شخصية كالسّعداوي أو غيره في مثل هذه الدراسة المبتورة، فلا أقل أن نقول إنها تمثل انتقاصاً لكفاح أمة، وتقليل من قيمة رجالاتها.

القيادات الوطنيّة في غرب البلاد وأعضاء جمعية عمر المختار في مدينة درنة من جهة، وبين أنصار إدريس من جهةٍ أخرى في جدلٍ سياسي، في الوقت الذي أقرّت فيه الأمم المتحدة إعلان استقلال ليبيا قبل نهاية 1952م، وفي ظل هذا الانقسام والتباين، قرَّر بشير السّعداوي رئيس حزب المؤتمر الوطني الطرابلسي دعوة زعماء طرابلس وفزان إلى الاجتماع بجامع مراد آغا بتاجوراء يوم 25 مارس 1950م، وذلك لبحث ودراسة ما وصلت إليه التطورات السياسية للمسألة الليبية محلياً ودولياً، واتخذوا عدة قراراتٍ تؤكد على الثوابت وهي: الحرية، والاستقلال، والوحدة لكل تراب ليبيا[1].

* * *

*** دور بشير السّعداوي في المصالحة في العالم الإسلامي:**

كان بشير السّعداوي يتابع تطور الأحداث الخطيرة الساخنة التي كانت تعصف بالدولة العثمانية، وكان واعياً ومدركاً للمؤامرات الغربية الاستعمارية التي تستهدف الأمة العربية. وخلال وجود السّعداوي في مدينة ينبع البحر أعلن الشريف حسين الثورة العربية الكبرى سنة 1916م، وقد تحالف مع الإنجليز لطرد العثمانيين من شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام ليصبح هو ملكاً على العرب. ونظراً لقوة العدة والعتاد للقوات البريطانية بمساعدة الشريف حسين تم هزيمة الجيش العثماني وطرده من آخر معقلٍ له في شمال سوريا. وكان موقف السّعداوي من هذه الثورة واضحاً واعتبرها خروجاً على السُّلطان وموالاة للكافر المسيحي وهم الإنجليز ضد القوات العثمانية المسلمة. وحين تحقق للإنجليز غايتهم في طرد العثمانيين تنكروا للشريف حسين بالوعود التي وعدوه بها، بل أنهم فرضوا على المنطقة اتفاقية «سايكس بيكو» سنة 1916م، وتم تقسيمها بين إنجلترا وفرنسا، ثم أَعطوا للصهاينة وعد بلفور باستيطان فلسطين لتشكل أزمة ومرضٍ عضال لدى العرب والمسلمين إزاء المشاريع الصهيونية في منطقة الشرق الأوسط.

---

(1) اورويعي محمد قناوي، مرجع سابق، ص346.

ومن بين مساعي بشير السعداوي قيامه بإحلال السلام والأمن بين الأشقاء في عدد من الدول الإسلاميّة، وأثناء هجرته إلى بلاد الشام تم تعيينه من قبل الدولة العثمانية، قائمقام (لقضاء جزين) بمتصرفية لبنان سنة 1918م، وقد حرص السّعداوي على مقابلة متصرف جبل لبنان في (بعبدا)، قبل أن يذهب إلى مقر عمله الجديد، ليتعرّف على توجيهات الحكومة وسياستها في الجبل. فأيد المتصرف وجهة نظر الدولة العثمانية وحرصها على استمالة أهالي الجبل إلى صالحها، ولا يتأتى ذلك إلاّ باتباع سياسة العدل والإنصاف ومراعاة شعور المواطنين وإحلال السلام والأمن بينهم. لقد حاول السّعداوي حل مشاكل السكان في القرى والأرياف الواقعة في نطاق عمله، فشكّل لجنة لحل المشاكل برئاسة (فيليب ناصيف) وعضوية (فؤاد عازوري). كما أسّس في كل قرية جمعية للإعاشة والتعاون في الأعمال الخيرية، وكان شغله الشاغل هو إقرار الأمن والسلام بين الناس وتوفير قوت يومهم، مستعيناً بأهل البلد من الخبراء الإقتصاديين والماليين. وكان المسيحيون ينظرون إلى نشاطه بإعجابٍ وتقديرٍ لكونه مسلماً في وسط بيئة مسيحيّة، وقد تميّزت شخصيته المتوازنة بالعدل والإنصاف والكياسة للجميع دون تفريقٍ لدينٍ أو لمذهب، بل نراه قد سعى في مصالح المسيحيين دون تفرقة، ما جعلهم يتفانون في احترامه ويشكرونه ويمدحونه في أمسياتهم الشّعرية. لكن هذه المساعي لم تستمر طويلاً؛ حيث اجتاحت بلاد الشام القوات الفرنسية والإنجليزية، وجرت محاولات فرنسية لتثبيته في منصبه، لكنه رفض العمل مع قواتٍ استعمارية.

وقد تطوّرت الأحداث السياسية الدولية لصالح الحكومة الإيطالية، بسبب هزيمة دول المحور (ألمانيا، النمسا، المجر، الدولة العثمانية). لا شك أن هذه النتائج قد أثَّرت بشكل سلبي على حركة المقاومة الليبية، خصوصاً في انحسار وتقلص الدعم الذي كانت تتلقاه من الدولة العثمانية وألمانيا. وخلال تلك الفترة تقابل السيد بشير السعداوي بالسيد أحمد الشريف في تركيا بمدينة (بورصة)، واقترح عليه تشكيل حكومة وفد من طرابلس لحضور مؤتمر الصلح المنعقد في باريس ليطالب بحقوق الليبيين، وافق السيد

أحمد الشريف على الفكرة وأوعز لبشير السعداوي بترأس الوفد لعرض قضية بلاده، شريطة أن يستشير الحكومة العثمانية في ذلك. ولكن يبدو أن الحكومة العثمانية كانت منشغلة بمشاكلها عقب هزيمتها في الحرب، وبالتالي تعذَّر على بشير السعداوي تنفيذ هذه المهمة، ثم استقرّ رأي الزعيمين على أنه في مثل هذه الظروف سيكون من المجدي العمل داخل الوطن ليبيا، والإسراع في حل الخلافات والنزاعات الداخلية بين قادة المقاومة. فكان للزعيم بشير السعداوي صولات وجولات في عقد المصالحة بين الفرقاء[1].

* * *

*** السعداوي والمؤتمر الإسلامي بالقدس 1931م:**

إن من أهم دواعي عقد هذا المؤتمر هو مواجهة الأخطار المحدقة بالمسلمين جرّاء ظاهرة الاستعمار التي صارت تقطع أوصال الأوطان الإسلامية. ومن أهم الأقطاب التي شاركت في هذا المؤتمر، الأمير شكيب أرسلان، ومفتي القدس سماحة الشيخ أمين الحسيني، كما حضره بشير السعداوي الذي قدَّم للمؤتمر تقريراً عن القضية الليبية التي

(1) بلغت ثقة الأتراك بالسيد أحمد السنوسي حداً جعل «مجلس المبعوثان» يُصدر قراراً بتعيينه ملكاً على العراق في أبريل 1921م، ولكن فيصل بن الحسين وبدعمٍ من الإنجليز نجح في الوصول إلى العراق قبله، ويذهب بعض الباحثين إلى أن مصطفى كمال أتاتورك قد عرض الخلافة على السنوسي ولكنه رفضها متعللاً بأن أحوال العالم الإسلامي آنذاك، لا تشجع على اتخاذ مثل تلك الخطوة. وقد شهدت سنتي 1921 ـ 1922م تحركاً سياسياً واسعاً للسنوسي محاولاً خلق جبهة إسلامية عريضة تضم الخديوي عباس في «مصر»، وعبد العزيز آل سعود «أمير نجد»، و«أحمد الجابر الصباح» أمير الكويت، والحسن الإدريسي «أمير عسير»، والإمام حميد الدين «إمام اليمن»، هدفها تحرير العالم العربي الإسلامي من الاستعمار الإيطالي والإنجليزي والفرنسي، ثم انتقل إلى سوريا محاولاً إثارة الشعور الديني، محرضاً أهلها على العمل لطرد الفرنسيين بمساعدة الأتراك، غير أن الفرنسيين كشفوا تحركاته وطردوه إلى تركيا عام 1924م. وعلى أثر الانقلاب الذي قاده مصطفى كمال أتاتورك وإلغاء الخلافة الإسلامية عام 1924م، أدرك السنوسي أن لا مكان له في دولة أتاتورك العلمانية، فانتقل إلى مكة المكرمة بعد أن سُدّت في وجهه أبواب البلاد العربية الأخرى راجع: ويكيبيديا الموسوعة الحرة: http://ar.Wikipedia.org، انظر كذلك: الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، دار الفرجاني، طرابلس، 1971م، ص116.

كانت مثار اهتمام أعمال المؤتمر. وقد اختير السعداوي عضواً في اللجنة التنفيذية ومكلف بلجنة الدعاية والإرشاد، كما عُيِّن مفتشاً لنشر فكرة المؤتمر في سوريا ولبنان. وقد انتهز السعداوي الفرصة بوجود عدد من المثقفين والقيادات العربية، وتداول معهم القضايا العربية الإسلامية، وأصدروا بياناً عُرف باسم (بيان إلى العالم العربي) يطالب العرب بالتوحد وجمع الشمل والتضامن، وقد وقّع على البيان مجموعة من الزعماء وهم: شكري القوتلي من سوريا، خيري الزركلي من دمشق، ورياض الصلح من بيروت، وحسن الطراونة من الكرك، ومحمد طارق من طرابلس الغرب، ومحمد بنونة من تطوان، وسعيد ثابت من بغداد، وبشير السعداوي من طرابلس الغرب، وعبد الرحمن عزام من مصر، ومحمد سعيد عبد القادر الجزائري من الجزائر، وغيرهم... وعلى الرغم أن المؤتمر لم يحقق ما يصبو إليه بسب الصعوبات التي وُضعت في طريقه، إلاّ أن بشير السّعداوي ظل يُلحّ ويستنهض الهمم بالرسائل والاتصالات.

وحين تولّى الملك عبد العزيز الحكم في بلاده أبرم معاهدة صداقة وحسن جوار مع الإمام يحيى حميد الدين، لكن الإمام يحيى نَقَضَ عهوده وحرّك الفتن في عسير. وهاجم المتمردون الحاميات السعودية، واستمرت القلاقل حتى أُعلنت الحرب بين الطرفين في 22/ 3/ 1934م. ووصلت الأخبار المؤسفة إلى الحاج أمين الحسيني رئيس المؤتمر الإسلامي، فانتدب بشير السعداوي عضو اللجنة التنفيذية للقيام بالمساعي الحميدة، ووضع حدٍ للصراع بين الأهل في السعودية واليمن. وعلى الفور توجّه إلى مكة المكرمة فاجتمع بالملك عبد العزيز وفاتحه بالموضوع فوعده خيراً، وقاما معاً بأداء فريضة الحج 1934م، وحضر السعداوي المأدبة الملكية بمناسبة موسم الحج كما حضرها كبار وفود الحجيج، وألقى الملك عبد العزيز خطاباً مطولاً بالوفود يتضمن شرحاً صادقاً لأسباب الخلاف مع اليمن. وبعد الخطاب تكلّم السعداوي مع الملك وطلب منه قبول الوساطة لحقن الدماء، فوافق الملك على حضور وفدٍ معتمد من قبل المؤتمر الإسلامي، وقد أبرق رئيس المؤتمر الإسلامي الحاج أمين الحسيني من القدس إلى جلالة الملك عبد العزيز

في مكة المكرمة، وإمام اليمن يحيى في صنعاء يُعلمهما بتشكيل وفد المساعي الحميدة. وقد وصل الوفد الذي اختاره المؤتمر الإسلامي الى جدّة سنة 1934م، وبعد مباحثات في مكة المكرمة، انتقل الوفد إلى الطائف، ووصل وفد يماني برئاسة عبدالله بن الوزير، وكانت المعارك دائرة في بعض المواقع الحدودية، وإزاء هذه الأحداث أبرق الإمام يحيى إلى مكة يطلب وقف القتال، وتم تحقيق هذا المطلب. وتولّى وفد المؤتمر الإسلامي الوساطة بين الوفد السعودي والوفد اليماني، وتوصلت الوفود إلى توقيع معاهدة الطائف، وتمت المصادقة على المعاهدة من طرف جلالة الملك عبد العزيز، وأُرسلت نسخة إلى الإمام يحيى فوقّع عليها في صنعاء. وهكذا وضعت تلك المعاهدة الأُسس الموضوعية لعلاقات حسن الجوار، ورسمت الحدود بين الدولتين الشقيقتين. وعاد وفد المؤتمر الإسلامي إلى أرض الوطن بعدما تكللت مهمته بالنجاح، ثم واصل بشير السعداوي كفاحه السياسي ضد الغزو الإيطالي وكان له دور كبير ومتميز في وحدة البلاد واستقلالها.

ومن نشاط بشير السّعداوي في الجانب الفني الثقافي أنه كتب مسرحية في الجانب التوعوي حينما كان في بلاد الحجاز، وتم تمثيلها مع عدد من تلاميذ مدرسة ينبع البحر وبمشاركة قوة من الدرك الشامية، وقد حضرها عدد من مشائخ المنطقة.

وكان بشير السّعداوي يدرك صعوبة عبور المنطقة الصحراوية في شبه الجزيرة العربية وما تتعرّض له قوافل الحجاج والمسافرين من مخاطر، وقد تعرّض هو نفسه لمحاولة اعتداء من بعض قُطّاع الطرق. وقد أتت المسرحية أُكلها من خلال التوجيه والإرشاد وتوعية قطاع الطرق الحد من مثل هذه الممارسات المشينة.

وفي سنة 1937م كثّف بعض القادة (بشير السعداوي، والحاج أمين الحسيني، ورياض الصلح)، جهودهم في لم شمل الأمة العربية الإسلاميّة، فقد تواصلوا مع ملك السعودية، وطلبوا منه تأسيس لجنة تدعو إلى الوحدة العربية، وأوضح لهم أن يبذلوا الجهد في جمع كلمة الشعوب وتوعيتهم لهذا الأمر، فهم أدعى من الملوك والحكام السياسيين الحريصين على مصالحهم، وتم اختيار مصر لتكون محوراً لتحقيق هذا الطموح. وتم

تكليف بشير السعداوي لمقابلة رئيس الوزراء مصطفى النّحاس، لكن السّعداوي لم يفلح في عقد اللقاء مع الحكومة المصرية. غير أن منطقة «بلودان» بسوريا احتضنت المؤتمر وتم عقده سنة 1938م، وصدرت عنه القرارات التالية: مواجهة توسع الصهيونية باعتبار فلسطين جزءاً من الوطن العربي، وأن العرب سوف يناضلون من أجل استقلالها.

* * *

الخاتمة

يبدو أنه من المهم الإشارة إلى تغييب السعداوي عن وطنه عقب الاستقلال قد صاحبها لغطٌ كبيرٌ في مسألة انتخابات الحكومة، الأمر الذي يتطلب من الباحثين والدارسين مراجعة تلك المرحلة بموضوعية وحيادية، لأنه مها كانت المطالب والاحتجاجات السلمية من الناخبين في نتائج الانتخابات لا يمكن القبول بالإجراءات التعسفية ضد المتظاهرين أو نفي شخصيات وطنية لها شعبية واسعة - فهي قد أصابت في عملها وتجربتها كثيراً وأخطأت قليلاً، ولكن لم يكن متوقعاً أن تكافأ بهذا الجزاء. ولن نزيد على ما قاله رفيق بشير السعداوي «مصطفى فوزي السراج»: «الملفت للنظر أن إدريس أقدم على طرد السعداوي وفرّط في كنز ثمين يحتوي على رصيد هائل من الخبرات الاجتماعية والإدارية والسياسية، وشبكة واسعة من العلاقات العامة على أعلى المستويات، مع إخلاص مطلق لقضية الوطن، ففرط في كل ذلك والبلد في أشد الحاجة إلى مثل هذه المواصفات».

لقد بات من المهم تقليب صفحات التاريخ في مواضيع تتعلّق بالمصالحة الوطنية، والتّعرف على الدور الذي قام به الأجداد في ظروفٍ صعبة ومعقدة، فالاحتلال كان جاثماً على البلاد، والزعامات والقيادة الوطنية لم تكن على وفاقٍ تام، ولا شكّ أن إعادة قراءة هذه الأحداث واستنباط الدروس والعِبر منها ستُسهم في معالجة الأحداث التي تمر بها بلادنا. فالمصالحة لا تهدف إلى حل النزاع فحسب، بل إلى تجاوزه لبناء مجتمع متكاتف يعزز النسيج الاجتماعي ويعيد مفهوم حق المواطنة والتعايش، والاعتراف بالحقوق

والبحث عن أطر قانونية وأخلاقية ترضي الفرقاء. ومن المهم أن تكون المصالحة مصحوبة بالعفو الصادق، ليس بهدف نسيان ومحو الماضي من الذاكرة بشكل نهائي، بل العيش في الحاضر والمستقبل بطريقة ذكية بعيدة عن كل الاحتقانات. وهي ليست فقط إرادة واعية لطي صفحة الماضي، بل تفترض وجود مقاربة نشيطة لإعادة الثقة، وأن كتابة التاريخ بموضوعية ووعي لا شك أنه سيُصلح الأخطاء ويمنع تكرارها من جديد. وهي ميزة الشعوب المحبة للسلام التي لا تنسى الماضي والآلام، ولكن لها القدرة في أن تتمكن من التخلص من الخوف والحقد، وتتوجّه نحو بناء مستقبل أكثر أمناً واستقراراً.

❐ ❐ ❐

المراجع

* **الكُتب:**

1 ـ ارويعي محمد قناوي، بشير السعداوي ودوره في الحركة الوطنية الليبية، المركز الليبـي للمحفوظـات والدراسات التاريخية، طرابلس، ط1، 2014م.

2 ـ صلاح العقاد، ليبيا المعاصرة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1970م.

3 ـ الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، المدار الإسلامي، بيروت، 2004م.

4 ـ مجيد خدوري، ليبيا الحديثة، ترجمة نقولا زيادة، دار الثقافة، بيروت، 1966م.

5 ـ محمد المفتي، السعداوي والمؤتمر بين التمجيد والنسان، 2005م.

6 ـ محمد سعيد القشاط، ليبيون في الجزيرة العربية، 2007م.

7 ـ محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، وثائق تحريرها واسـتقلالها، مطبعـة الاعتمـاد، القـاهرة، الجزء الأول، 1957م.

* **الدّوريات:**

1 ـ أحمد إبراهيم الفقيه، جريدة العرب، العدد: 9559، 15/ 05/ 2014م.

2 ـ علي البوصيري علي، دور السعداوي في الحركة الوطنية، مجلة الشهيد، العدد الثالث، مركـز جهـاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1982م.

❑ ❑ ❑

محطات مضيئة من حياة الزَّعيم بشير السَّعداويّ
1884 ـ 1957م

أ. محمد الهادي البوسيفي
باحث في تاريخ ليبيا الحديث

المقدِّمة

في تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر الحافل بالعديد من الشخصيات الوطنية، والزعامات الجهادية، والنضالية، والسياسية التي لا يمكن لنا مغادرتها دون أن نقف حيالها موقف الإعجاب والتقدير، لا لشيء إلا لأنها وقفت موقفاً مشرفاً في خدمة قضية الوطن في أصعب الأوقات وفي أحلك الظروف، إذ لم تمنعها تلك الظروف أن تغادر المشهد دون أن يكون لها دوراً مؤثراً فيه.

والزعيم بشير السعداوي (1884 ـ 1957م) هو أحد الشخصيات المناضلة التي تجبر الباحث على الوقوف والتأمل ملياً والتفكير ألف مرة قبل أن يكتب عنها، ويحسب ألف حساب قبل أن تحكم عليها، فهو المجاهد، والمناضل السياسي، والزعيم، والمثقف المستنير، والقدوة الحسنة في تاريخ ليبيا الحديث المعاصر، وهو أحد الأقطاب السياسية التي رسمت ملامح المشهد السياسي الليبي في القرن العشرين.

لقد جاهد ببندقيته، وحارب بقلمه، ودافع برأيه عن ليبيا، ولم تثنيه يوماً جسامة الأحداث وخطورتها، إذ وهب روحه في سبيل استقلال ليبيا، حتى وهو خارج حدود الوطن. ولم يكن السعداوي يوماً مهادناً، أو مساوماً، ولا طامعاً في منصب، مهما كان سياسياً أو اجتماعياً سوى أن يرى ليبيا موحدة مستقلة، من دون سيطرة أو هيمنة أجنبية.

بكل الصفات والملامح والخصائص، رجل سياسي من الطراز الأول، ومناضلاً لايشق له غبار، وقومياً يعشق عروبته ووطنه الكبير، ولم يقف نشاطه على ليبيا فقط،

وإن كان ذلك هدفه الأول فقد شارك في أحداث سوريا، ولبنان، والسعودية، واليمن، وغيرها من الأنشطة والمساعي الوحدوية للملمة الصف العربي بعيداً عن النظرة المحلية الضيقة.

وعلى الرغم من كل ذلك، فمازال هناك ما يقال عن هذه الشخصية التي يتفق على وطنيتها الجميع بمن فيهم المختص، وغير المختص في التاريخ، والذي يمكن للباحث أن يسلط المزيد من الضوء عليها ويكشف عن صفحات خبيئة في مسيرة نضاله المشرف.

هذا البحث محاولة متواضعة لإستقراء محطات في سيرة هذا المناضل السياسي والمثقف وهي كثيرة ومتنوعة لا يمكن الوقوف عندها جميعها، وهي محطات بلا أدنى شك مضيئة في حياته أولاً وفي تاريخ ليبيا الحديث ثانياً، كما أنها إضاءة لمسيرة عقود من تاريخ ليبيا الحديث.

لعل الكثيرين يشاطرونني الرأي، أن بشير السعداوي شخصية مثيرة للبحث والدراسة، وهو ما دفعني للكتابة عنها، محاولاً قدر الامكان استجلاء هذه الشخصية بعيداً عن أي أحكام مسبقة، أو الوقوف عند بعض الآراء التي لم تثبت صحتها حولها. فإشكالية الكتابة عن هذه الشخصية، تتمثل في تساؤل رئيسي هو: ما الذي يمكن لنا استقراءه واستنتاجه من شخصيات التاريخ الليبي الحديث، ومنهم السعداوي، لا سيما بعد مرور عقود عديدة على رحيلها؟ وهل في هذا الاستقراء ما يضيف لنا شيئاً جديداً حول حقيقة هذه الشخصيات؟ إن الإجابة في تقديري عن هذا التساؤل، تتمثل: في أن التباعد الزمني بين رجال تلك الشخصيات وواقعنا الحالي، وكذلك الظروف التي كُتب فيها عن هذه الشخصية تدعو إلى المزيد من الكتابة والبحث بموضوعية وشفافية، ومن هذا المنطلق فإنه لا يمكن لنا أن نحكم عن تلك الفترة البعيدة ومحطاتها إلاّ إذا تعرفنا جيداً عن الظروف السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية لتلك الفترة التي أحاطت بتلك الشخصيات، والتي شكلتها بعد ذلك.

أهمية البحث: تتمثل أهميته في أنه من الموضوعات التي تحاول تسليط الضوء على محطات مهمة من حياة وسيرة المناضل الليبي بشير السعداوي، من خلال المصادر

والمراجع التي اطلعت عليها.

أهداف البحث: يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1 ـ التعريف بالمناضل والسياسي بشير السعداوي، ورحلة نضاله داخل وخارج الوطن، والمؤثرات البيئية والاجتماعية، والتعليمية، والثقافية المؤثرة فيه.

2 ـ إلقاء الضوء على أبرز المحطات في حياته، وسيرته النضالية، ودوره السياسي والاجتماعي في خدمة الوطن في جميع المراحل التاريخية التي مرَّت بها ليبيا.

منهجية البحث: اعتمد البحث على المنهجية التاريخية المستندة على المراحل أو المحطات الزمنية المبنية على سنوات محددة في حياة بشير السعداوي منذ ولادته، وحتى اعتزاله العمل السياسي، وذلك عبر سرد تاريخي مركز على أهم المعلومات التي تختصر كثير من الأحداث التي مرت بها الشخصية هذه، دون أن تفقد قيمتها التاريخية.

هيكلة البحث: تعتمد هيكلة البحث على الإطار العام المتمثل في المقدمة التي تتضمن التعريف بالموضوع، والإشكالية، والأهمية، والأهداف، والمنهجية، وكذلك المحطات التاريخية التي شكلت مراحل مهمة من سيرة حياة بشير السعداوي، مع خاتمة بأهم نتائج البحث، وثبت المصادر والمراجع.

* * *

*** المحطة الأولى: من النشأة إلى أكتوبر 1911م:**

اسمه: بشير إبراهيم بن محمد بن إبراهيم السعداوي.

مولده ونشأته: وُلد بشير السعداوي في أواسط سنة 1884م في مدينة الخُمس الواقعة شرق طرابلس بنحو 120 كيلو متر، كما تتفق عليه جميع المصادر التاريخية، توفي والده وعمره سنتين فتكفله عمه الصادق السعداوي، وربّاه وفقاً لمبادئ الشريعة الإسلامية السمحاء، وهو الشقيق الأصغر للمجاهد الليبي نوري السعداوي، ثم انتقل إلى مدينة سرت الساحلية الليبية، وعمره لم يتجاوز الثالثة عشر، وتعلّم في الزاوية السنوسية بسرت

التي حفظ فيها القرآن الكريم أيام إقامته مع شقيقه الأكبر نوري الذي كان مدير مال «في سرت»[1].

صفاته: كان بشير السعداوي نشط الذاكرة، سريع الحفظ والاستيعاب، أُعجب بشخصية معلّمه التركي «حقي شيناص»، فأخذ يتقرَّب إليه وينهل من علمه، فنال إعجاب معلّمه الذي توسَّم فيه الجدية، والمثابرة، والنبوغ فقربه من مجلسه بعد أن ظهرت بوادر موهبته، ورجاحة عقله، وتفوقه العلمي، وشجعه على إكمال دراسته في غضون سنتين بدلاً من أربع سنوات[2].

ثقافته: كان السعداوي على درجة كبير من الثقافة، شغوفاً بالقراءة والاطلاع على كل ما يقع بين يديه، وكان يجيد قرض الشعر الفصيح[3]، ومن ضمن ما اطّلع عليه في بداية حياته قراءة صحيفة «المؤيد» التي كانت تصل إلى طرابلس، وصحيفة المنار التي كانت تحمل كثيراً من آراء الأفغاني[4] وسيرته، وتنشر أفكار الإمام محمد عبده ودعوته[5]، وإلى جانب من تأثر بهم أيضاً الكاتب والمفكر الإسلامي محمد فريد وجدي[6].

---

(1) سالم حسين الكبتي، السعداوي بين الأخطاء والتسرع . . . ملاحظات وتصويبات، مجلة الشهيد العدد 22 ـ 23 لسنة 2001 ـ 2002م، ص284.

(2) محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة وثائق تحريرها واستقلالها، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1957م، ج1، مجلد 2، ص453.

(3) إبراهيم علي الشويرف، الأصول الفكرية والثقافية للمجاهد الليبي بشير السعداوي (1884 ـ 1957م)، مجلة الوثائق والمخطوطات، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، العدد 25 ـ 26، سنة 2011 ـ 2010م، ص33.

(4) محمد جمال الدين بن السيد صفتر الحسيني الأفغاني الأسد آبادي (1838 ـ 1897م) أحد الأعلام البارزين في النهضة المصرية، ومن أعلام الفكر الإسلامي بالنسبة للتجديد، المصدر: ويكيبيديا.

(5) محمد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص404 ـ 406.

(6) هو المفكر والباحث محمد فريد وجدي، وُلِد ونشأ بالأسكندرية في مصر، وكان مولده سنة 1295هـ/ 1878م، وتنقل مع أبيه في بعضِ مدن مصر؛ حيث تولّى والده مناصب رسمية في دمياط، والسويس، وأصدر عدة مجلاّتٍ ورسائل، وأهمها صحيفة «الدستور»، ورسالة في بدائع «الأكوان» وغيرها.

ويشير محمد فؤاد شكري إلى بدايات تكوينه الثقافي، قائلاً: وجد كثيراً من كتب التراث في مكتبة جده «مُحمد»، فقرأ الكثير منها، وتأثر بما فيها من فكر متقدم[1]، كما تأثر بمدرسة الأفغاني، وإعجابه بآراء تلاميذه أمثال محمد عبده، وفريد وجدي، وغيرهما ممن حملوا أفكار الأفغاني[2].

وظائفه الإدارية: عند وصول عمره لخمس وعشرين سنة، تحصل على وظيفة كاتب للمجلس الإدارة بمدينة الخُمس، ثم عين مديراً للتحريرات في مدينة طرابلس، كما عُيِّن قائم مقام سرت، فكان إدرايًا محنكاً استطاع تأمين الإستقرار في تلك المنطقة.

* * *

*** المحطة الثانية: من 1911 إلى 1912م (دوره القتالي في معارك الجهاد):**

وهي المحطة الأكثر صعوبة في حياة الشعب الليبي عموماً، والسعداوي خصوصاً؛ حيث بدأت ليبيا تدخل مرحلة جديدة في تاريخها تتمثل في وقوعها تحت الاحتلال الإيطالي في سنة 1911م، والتي بدأ فيها الليبيون ـ ومنهم السعداوي ـ بإعلان المقاومة الوطنية الشاملة ضد المحتل.

إذ لم يكن من الصعب على إيطاليا اختلاق الذرائع الواهية لاحتلال ليبيا، فالدولة العثمانية التي أصبحت تمر بحالة من الضعف نتيجة لعوامل سياسية، واجتماعية، واقتصادية كثيرة، مما جعل إيطاليا تنظر بطمع كبير لهذا البلد، فأعدت العدة السياسية، والإقتصادية، والعسكرية لغزو ليبيا؛ حيث بدأ الأسطول الإيطالي بمهاجمة طرابلس وقصفها في الثالث من أكتوبر عام 1911م، وكان السعداوي حينها شاباً يافعاً يتولّى «قائم مقام» الساحل بمدينة الخُمس؛ فأخذ على عاتقه تولّي تنظيم وتجميع المجاهدين في تلك المنطقة ومواجهة القوات الايطالية، حيث يذكره السيد الهادي المشيرقي[3] قائلاً: وفي طليعة طلائعهم

(1) إبراهيم علي الشويرف، مرجع سابق، ص31.

(2) المرجع نفسه، ص26.

(3) الهادي إبراهيم المشيرقي، عمل مع مناضلي الثورة الجزائرية سنوات طويلة، من مؤسسي اللجنة الليبية لإعانة =

يقف بشير السعداوي. . . الذي يعرفه ويذكره أبناء وطنه من المجاهدين. . وتمتلئ نفوسهم حباً واحتراماً له[1].

كما يتحدّث محمود السيد الدغيم[2] عن هذه المرحلة بقوله: «دُفعت بقوات إضافية كثيفة أُجبرت المجاهدين على مغادرة المرقب، وانتقلت المعارك إلى معسكر السوالم، وفلاجة، ومصراته، واستمرت في الغرب بقيادة آل السعداوي»[3].

كما تشير المصادر التاريخية بأنه شارك في العديد من المعارك الجهادية، أهمها معارك قصر حمد التي وقعت في مدينة مصراته في 16 يونيو 1912م، والزروق في 8 يوليو 1912م، والغيران أوالرميلة في 20 يوليو 1912م، ومن أشهر المعارك التي حضرها بشير السعداوي (معارك زاوية الزروق، والمواطين[4]، وفالجة[5] التي كاد يفقد فيها حياته عندما حاصرته القوات الإيطالية بالثكنة العسكرية بالقصر الحكومي بالقرب من مدينة مصراتة)[6].

عاصر السعداوي فترة الخلافات التي وقعت بين قادة المجاهدين نتيجة الإخفاقات،

= جيش التحرير الجزائري في بداية انطلاقها، وكان له مواقف مشرفة كثيرة نحو الشعب الجزائري، توفي عام 2007م في طرابلس، ونُقل جثمانه للجزائر بناءً على وصيّته بأن يُدفن في مقبرة الشهداء هناك.

(1) الهادي المشيرقي، ذكرياتي في نصف قرن من الأحداث الإجتماعية والسياسية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ط1، 1988م، ص39.

(2) من مواليد سوريا 1949م، يعمل أكاديمياً في مركز الدراسات الإسلامية في كلية الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن.

(3) محمود السيد الدغيم (السعداوي، سيرة رجل وسيرة أمة) (1884 ـ 1957م) مقال نُشر على صفحته بموقع التواصل الاجتماعي (الفيس بك).

(4) والمراد بالمواطين: مدينة مصراتة، وإنما اشتهرت بهذا الاسم، لأن مدينة مصراتة تُسمى عند جميع أهالي مصراتة بالمواطين، محمد مفتاح قريو، معارك الجهاد التي وقعت في مصراتة زمن الحروب الإيطالية، الدار الجماهيرية [سابقاً] للنشر والتوزيع، طرابلس، ط1، 1994م، ص13.

(5) تقع جنوب غرب مدينة مصراته بمسافة 120 كيلو متر تقريباً.

(6) محمد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص344 ـ 349.

وتباين الآراء في مواجهة قوات الاحتلال الإيطالي، وسعى مع الكثير من المجاهدين، ومنهم المجاهد صفي الدين السنوسي[1] إلى لملمة الصفوف، وإقامة جبهة موحدة، ولكن لم يُكتب لها النجاح لإسباب متعددة لعلّ من أهمها: إن الإيطاليين استطاعوا التمدد والسيطرة على كثير من الأراضي، واختراق الصفوف، وبث الفرقة بين الليبيين، وهو أسلوب اتّبعه الإيطاليون في تفريق وحدة المجاهدين، وغرس النعرات القبلية، ويُمثل هذا النهج سياسة «تفرق تسد» التي أعطت ثمارها، فقد تأتّى للإيطاليين أن يعزلوا طرابلس عن برقة، وأن ينخروا حركة التحرر الوطني للطرابلسيين من الداخل[2].

وبعد أحداث عديدة شهدت كثيراً من المعارك الخالدة دامت عاماً كاملاً بين كل من الدولة العثمانية والمجاهدين الليبين من جهة، وإيطاليا من جهةٍ أخرى، تخلّى الأتراك العثمانيون عن هذه الولاية العربية بموجب معاهدة أوشي لوزان في «أكتوبر 1912م»[3] محققين بذلك مصالح إيطاليا فيها[4]، وهي المعاهدة التي وُقّعت في 18/ 10/ 1912م بين الدولة العثمانية وإيطاليا، وأُجبرت من خلالها السلطنة العثمانية منح ليبيا استقلالها، وتُرك الشعب الليبي أعزلاً من السلاح يدافع بإمكاناته البسيطة المتواضعة، الأمر الذي جعل بشير السعداوي، وعدد من الوطنيين يتخذون قراراً بالهجرة إلى الشام، لتبدأ رحلة جديدة من النضال.

---

(1) هو: المجاهد صفي الدين بن محَمّد الشريف بن علي السنوسي، ولد عام 1895م، وتلقّى تعليمه في الزّوايَا السنوسيّة، وكان أحد قادة معركة القرضابية سنة 1915م.

(2) ن. إ. بروشين، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969م، ترجمة وتقديم: عماد حاتم، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2005م، ص202.

(3) معاهدة أوشي لوزان الأولى: هي معاهدة وُقعت بين إيطاليا والدولة العثمانية (تركيا) إثر الغزو الإيطالي لليبيا (1911 ـ 1912م) بمدينة لوزان بسويسرا في أكتوبر 1912م، بموجبها انسحبت الدولة العثمانية من ليبيا، وتركت شعبها الليبيين وجهاً لوجه أمام الإيطاليين، ومن بنودها إلتزام تركيا بمنح الاستقلال الذّاتي لطرابلس وبرقة، وسحب جميع الجنود والضّباط والموظفين من طرابلس وبرقة.

(4) رفعت عبد العزيز سيد أحمد، محمد امحمد الطوير، تاريخ الجهاد في ليبيا ضد الغزو الإيطالي، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 1999م، ص9.

وأرى أن للظروف السياسية والاجتماعية حينها، وما حدث من اختلاف في صفوف المجاهدين، كان له الأثر الكبير في أخذ قرارالمغادرة لكثير من الشخصيات النضالية[1] لاسيما لشخصية سياسية مثقفة مثل بشير السعداوي، الذي يتصف بنزعة أدبية وسياسية جعلته يختار الجانب النضالي، وقد برهنت الأيام بأنه رجل اتسم بالحكمة، والذكاء السياسي، واستطاع أن يُسهم في نيل البلاد استقلالها وحريتها بعد ذلك.

* * *

*** المحطة الثالثة: 1912 ـ 1920م:**

في هذه المرحلة التاريخية من حياة بشير السعداوي لم تكن فكرة الهجرة ومغادرته البلاد واردة في حسبانه، إلا بعد توقيع معاهدة (أُوشي لوزان) الذي عكس خيبة أمل كبيرة للعديد من الوطنيين، فكانت مغادرته الأولى في عام 1912 إلى بلاد الشام، ثم ذهابه إلى الأستانة في يناير سنة 1913م[2].

ويُلخِّص ارويعي محمد قناوي[3] أسباب هذه الهجرة بقوله: «انهيار المقاومة، ورحيل العثمانيين، واحتكار الباروني للذخيرة، والمؤن، والسلاح، وذهاب بعض المجاهدين لمقاومة الطليان الذين أقنعوهم بتطبيع العلاقات معهم، كل ذلك دفع ببعض الأسر الليبية، ومن بينهم أسرة السعداوي، وبعض زعماء الجهاد إلى الهجرة إلى خارج الوطن، فاختاروا الهجرة إلى بلاد الشام التي وصلوها أواخر شهر نوفمبر 1912م»، ويبرر

(1) ينظر: محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، ووثائق تحريرها استقلالها، وكذلك: زين العابدين بن موسى، الليبيون في سوريا، دار دمشق، ط1، 1952م، دمشق؛ وأيضاً: كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام لتيسير بن موسى.

(2) الطاهر الزاوي، أعلام ليبيا، دار الفرجاني، طرابلس، الطبعة الثانية، 1971م، ص113.

(3) انظر: ارويعي محمد قناوي، بشير السعداوي ودوره في حركة الوطنية الليبية، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2014م، ص83؛ والمركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس، شُعبة الوثائق والمخطوطات، مذكرات محمد نوري السعداوي، ص102 ـ 103، وحسن علي خشيم، صفحات من جهادنا الوطني، طرابلس، دار الفكر، 1974م، ص163.

محمد نوري السعداوي هجرته لأسباب سياسية ودينية قائلاً: «إن البلاد ستصبح مع مرور الزمن أندلساً ثانياً، وإن الإسلام لا يرفض الهجرة، وعلى المسلم ألاّ يكون من المستضعفين»[1].

وعند وصول السعداوي، ومن معه إلى تركيا نزلوا ضيوفاً على الحكومة التركية تم تكليفه بعد ذلك بمنصب مدير تحريرات، ثم تقلّد بعدها وظائف عدة.

وفي شهر فبراير 1915م عُيِّن قائم مقاماً في مدينة ينبع الواقعة على البحر الأحمر[2]، وبقي هناك حتى عودته إلى طرابلس في أوائل سبتمبر 1920م؛ حيث شارك في شهر أكتوبر بمؤتمر غريان الذي شُكِّلت فيه حكومة وطنية سُمّيَتْ (هيئة الإصلاح المركزية، وانتُخب عضواً فيها، وظل يحتل مكانة مرموقة بين أعضائها بما أبداه من سداد الرأي، والتقريب بين وجهات نظر قادة الجهاد، وبين رؤساء القبائل، وجمع كلمتهم بغية مجابهة الغزو الإيطالي.

بقي السعداوي حتى سنة 1923م، وهو في حالة تواصل مع أطياف المجتمع السياسية كافة من أجل عدم حدوث أي خلافات أو انشقاقات، إلى أن شعر أَنْ حياته أصبحت في خطر، وأن الإيطاليين يترصدون لقتله وتصفيته، حينها قرر الرحيل، ومغادرة البلاد متوجهاً إلى مصر، ثم غادرها إلى بلاد الشام، فاستقر به المقام هناك، ومنها باشر نضاله السياسي، وبعد سفره أصدر الإيطاليون حكماً غيابياً عليه بالإعدام[3].

* * *

(1) المركزالوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، شعبة الوثائق والمخطوطات، مذكرات محمد نوري السعداوي، ص102 ـ 103.

(2) ينبع أحد محافظات منطقة المدينة المنورة في السعودية وعلى ساحل البحر الأحمر، تبعد حوالي 200 كم من الرياض، ويقدّر عدد سكانها بحوالي 500 ألف نسمة، وتُعدّ ثاني أكبر مدينة على البحر الأحمر بعد مدينة جدّة، وهي ملتقى ثقافات القادمين من بلاد الشام، ومصر، والسودان، واليمن، المصدر: ويكيبيديا.

(3) إبراهيم علي الشويرف، مرجع سابق، ص21.

*** المحطة الرابعة: 1923 ـ 1932م:**

في هذه المرحلة المهمة من حياته السياسية، بدأ السعداوي محطته بالسفر إلى مصر في سنة 1923م، ومنها إلى بيروت سنة 1924م ثم دمشق؛ حيث استأنف نشاطه السياسي للفت الأنظار إلى قضية الشعب الليبي، ليتم تشكيل اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية والبرقاوية عام 1928م بدمشق.

تُعدُّ هذه المرحلة من أزخم مراحل عطائه، ونشاطاته السياسية خارج البلاد؛ حيث راح السعداوي يعمّق عمله، ويصعّد نشاطه بالتواصل مع كثير من رموز النضال الوطني، وحركة المقاومة الليبية، وفي الوقت نفسه لم تنقطع المراسلات بينه وبين زعماء الجهاد في ليبيا، أوغيرها من الحركات في الوطن العربي والإسلامي، بل ازدادت رسوخاً، فوجد السعداوي الكثير ممن هم متأثرين بفكر وآراء الإمام محمد عبده[1]، ما جعله يجد مناخاً ملائماً لثقافته وتوجهاته، وما تحمله بعض الشخصيات النضالية المهاجرة من وعي وطني وثقافة، يقول الطاهر الزاوي: فمهاجرو الشام كانوا من الفئات المثقفة من سكان المدن، ولذلك كان هؤلاء المثقفون اللبنة الأولى للهيئة التي قادت نشاطهم، ولهذا جاءت خطوات هذا النشاط أكثر ترتيباً وتنظيماً[2]، وفي عام 1928م تم تأسيس جمعية (سِريّة) تتولّى ربط الصِّلة بين المهاجرين الليبيين، وجمع التبرعات لهم، والتعريف بالقضية الليبية، وإمداد الصحف السورية والعربية بآخر أخبار وتطورات حركة الجهاد في ليبيا، فتولى المناضل بشير السعداوي رئاسة الجمعية، وتولّى عمر شنيب[3] أميناً للسر، كما

(1) محمد عبده 1849 ـ 1905م، عالم دين وفقيه ومجدد اسلامي مصري، يُعدُّ أحد رموز التجديد في الفقه الإسلامي ومن دعاة النهضة والإصلاح في العالمين العربي والإسلامي، أسهم بعد التقائه بأستاذه جمال الدين الأفغاني في إنشاء حركة فكرية تجددية إسلامية في أواخر القرن التاسع عشر، المصدر: ويكيبيديا.

(2) الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الليبيين في ديار الهجرة، 1924 ـ 1952م، ط1، دار الفرجاني للنشر، طرابلس، 1976م، ص13.

(3) وُلد عمر شنيب في درنة عام 1889م، وكان في مقدمة صفوف المجاهدين في القتال في درنة ونواحيها بعد إعلان إيطاليا احتلال ليبيا في عام 1911م، ثم هاجر إلى الشام، وعُيِّن موظفاً، ثم فيما بعد مديراً للقنيطرة. =

تولّى فوزي النعاس شؤون النشر والإعلان، وبدأت الجمعية تباشر نشاطها علناً، وتسعى لتحقيق جملة من أهدافها التي نصّ عليها الميثاق الوطن الذي أصدرته.

يقول تيسير بن موسى في هذا الخصوص: وقد بدأت اللجنة نشاطها بالاتصال بالهيئات العربية، والإسلامية، والعالمية معلنة عن تشكيلها، وبيان أغراضها وأهدافها، وكان توقيع جميع الرسائل، والبرقيات، والبيانات يتم باسم بشير السعداوي رئيس اللجنة[1].

تمكنت الجالية الليبية من تنظيم حملاتٍ إعلامية مكثفة في الشام، وتوزيع المناشير التي تُعرِّف بقضيتهم، وما تقوم به إيطاليا من ممارساتٍ همجية ضد الليبيين، وكانت هذه المناشير تتلقفها الأيادي، وتنشرها في كثير من المساجد، ويُفيد مؤلف كتاب «كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام» أنه نتيجة تأثير إحدى هذه المناشير والتي عُرضت في أحد المساجد في الشام، التهبت مشاعر المصليين، وخرجوا في مظاهرةٍ عارمة طافت في المدينة منددةً بإيطاليا، ثم حاصرت القنصلية الإيطالية، وحاولت اغتيال موظفيها، لولا تدخل القوات الفرنسية[2].

تعمَّد المناضل بشير السعداوي أن يراسل كل المتعاطفين مع القضية الليبية، ولم يقتصر عمله داخل الشام، بل عمل على مراسلة العديد من الجهات الدولية والإقليمية

= وكان له نشاط مميّز في ديار الهجرة مع زملائه الليبيين في الدفاع عن القضية الوطنية، تبلور ذلك في النهاية بتأسيس جمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوي عام 1924م، مع بشير السعداوي، وعبد الغني الباجقني، وفوزي النعاس، وعبد السلام أدهم، وبكري قدورة، أسهم بدورٍ كبير في الحصول علي استقلال ليبيا. وبعد الاستقلال عُيِّن وزيراً للدفاع في أول حكومة وطنية برئاسة السيد محمود المنتصر، ثم رئيساً للديوان الملكي إلى وفاته بطرابلس في 8 أغسطس 1953م، وقد دُفِنَ في بنغازي، زين العابدين بن موسى، الليبيون في سوريا، مرجع سابق، ص48.

(1) تيسير بن موسى، كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام، 1925 ـ 1950م، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2006م، ص46.

(2) تيسير بن موسى، مرجع سابق، ص60.

للتعريف بهذه الفظائع الإجرامية، فكان لهذه الحملة السياسية أثرها الفاعل، وكانت تخرج العديد من المظاهرات المؤيدة للقضية الليبية في كثير من البلدان العربية والإسلامية[1].

* * *

*** المحطة الخامسة: 1923 ـ 1934م:**

توطدت خلال هذه الفترة علاقة بشير السعداوي، ورفاقه بكثيرٍ من الشخصيات السياسية البارزة، والهيئات، والأحزاب في أوروبا، وأول تواصلٍ كان مع الجمعية الإسبانية العربية في مدريد، والتي تشكلت عام 1932م، وأنشأت بيتاً إسلامياً في العاصمة الإسبانية[2].

وازدادت الحملة الإعلامية اتساعاً؛ حيث شملت كل مواقع الجماهير، وكان للمساجد دور كبير في التعريف بالقضية الليبية، وقد توزّع الليبيون على المساجد، واستطاعوا إلهاب حماس السوريين خاصة في جامع الأموي؛ حيث ألقى صلاح الدين القابسي[3] كلمة بعد الانتهاء من الصلاة، عَرَض فيها ما يلاقيه الليبيون من مأساة في ظل الاستعمار الايطالي، الأمر الذي تفاعل معه المُصلّون، وقرّروا الخروج في مظاهرةٍ سلميّة[4].

لقد كان للجمعية دورٌ بارز في التّعريف بقضية ليبيا، وإيصال الحقيقة للقارئ العربي، فتم طبع العديد من المطبوعات التوعوية، وكان من أهم الأعمال التي أنجزتها اللجنة في هذه الفترة إصدار كتابٍ مهم تحت عنوان (فظائع السود الحمر أو التمدن بالحديد

(1) المرجع نفسه، ص60 ـ 61.

(2) المرجع نفسه، ص81.

(3) صلاح الدين أحمد القابسي، ولد في طرابلس الغرب وأتم دراسته في مدارس دمشق، وعُيِّن معلماً، فمديراً لأحد المدارس، وله مؤلفات في المناهج المدرسية، كما له مؤلف عن الدفاع المدني باسم فوج كشاف المهاجرين، انظر: زين العابدين بن موسى، الليبيّون في سورية، مرجع سابق، ص52.

(4) تيسير بن موسى، مرجع سابق، ص12.

والنار)[1] لتزداد الحملة الإعلامية قوة وشراسة على الاستعمار الإيطالي، واحتدّ تنديدها بفظائع الإيطاليين في طرابلس وبرقة، لاسيما بعد إعدام الشيخ عمر المختار في 16 سبتمبر 1931م، لتَلْقَى اللجنة كل معاونة من صحافة دمشق العربية على مدى أوسع من ذي قبل، لتنوير الرأي العام العربي والإسلامي عن أساليب الاستعمار الإيطالي، وطغيان الفاشيست[2].

كان أيضاً لليبيين في الشام موقف إيجابي وفاعل مما يحدث في الساحة الشامية، وعلى الرغم من همومهم وانشغالهم بقضيتهم، انخرطوا في الكثير من الأعمال، ومنها الانتساب للكتلة (الوطنيه السورية) و(كتلة عصبة العمل القومي)، وكان من أبرز هؤلاء المنضمين المناضل بشير السعداوي الذي شارك في المعترك السياسي السوري في وقتٍ مبكر، فكان الصَّديق والمستشار الخاص لأول رئيس حكومة وطنية سورية هو الدّاماد أحمد نامي[3]، ثم أصبح مع عدد من الوجوه الليبية أعضاء بارزين في الكتله الوطنية[4].

كان الزعيم السعداوي صوتاً لا يَعْرف المجاملة والمداهنة في الحق، خصوصاً عندما يتعلق الأمر بكرامة الوطن والمواطن، وكان شديد التخوف من عواقب الثقة في الغرب وألاعيبهم السياسية، وله تصريح لأحد الصحفيين الأتراك قال فيه «إن الحكومة الحاضرة لليبيا تعيش على الأموال الإنجليزية، وليس هذا إلا سلاحاً يهدف إلى ترسيخ التأثير الأجنبي في البلاد»[5].

والمتتبع للمراسلات التي كانت تبعثها اللجنة التنفيذية إلى الصحف سيطّلع على

(1) المرجع نفسه، ص67.

(2) تيسير بن موسى، مرجع سابق، ص73.

(3) هو أحمد ناجي ابن إبراهيم، مواليد 1878م، لُقِّب «بالدّاماد» أي صهر السُّلطان بعد زواجه من أخت السُّلطان عبد الحميد الثاني، تولّى رئاسة الدولة السورية 1926 ـ 1928م، توفي في بيروت عام 1963م، المرجع: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

(4) تيسير بن موسى، مرجع سابق، ص139.

(5) بروشين، مرجع سابق، ص344.

الكم الهائل من الأخبار لمجريات الأحداث المتعلقة بحركة المقاومة الليبية، وكذلك على المتابعة الدقيقة التي يقوم بها أعضاء اللجنة لاسيما المناضل بشير السعداوي، والتي كان لها الأثر الفاعل في تبصرة الرأي العام بالحقائق، وبما يقوم به الإحتلال الإيطالي من قتل وتشريد لسكان البلاد، وسلب ممتلكاتهم، وتهجيرهم، ونفيهم خارج البلاد، ومعظم هذه الأخبار تصل من قبل قادة المجاهدين مثل: المجاهد محمد فكيني[1]، والشيخ عبد الجليل سيف النصر[2]، والمجاهد أحمد المريّض[3] وهي شارحة ومفصلة للواقع الذي تعيشه البلد من قتال ومقاومة للمحتل.

* * *

*** المحطة السّادسة: 1934 إلى عام 1952م:**

تُعدُّ هذه المحطة الفترة الأخيرة التي عاشها المناضل السعداوي في ليبيا، والتي تُوجت بحصول ليبيا على الاستقلال، وهي من أصعب الفترات التي عاشتها البلاد بعد الإحتلال الإيطالي، فقد شهدت الفترة كثيراً من الأحداث، وما نتج عنها من خلافاتٍ سياسية، كانت لحكمة السعداوي وبصيرته الأثر الفعّال في تهدئة الأجواء، والوصول إلى ما تحقق من مكاسب سياسية تمثلت في الاستقلال، يقول سالم الكبتي مشيراً لهذه

(1) رسالة من الشيخ محمد فكيني إلى المناضل بشير السعداوي بتاريخ 30 جمادى الثاني 1349هـ، والتي شرح فيها أسباب هجرته إلى تونس مع أصحابه، والمصاعب التي تعرّض لها المهاجرون في طرق هجرتهم، وكيف أن الطائرات الإيطالية كانت تطاردهم وتقصفهم بالقنابل، تيسير بن موسى، مرجع سابق، ص195 ـ 197.

(2) رسالة من الشيخ عبد الجليل سيف النصر إلى المناضل بشير السعداوي بتاريخ شوال 1349هـ ـ مارس 1931م، تيسير بن موسى، المرجع نفسه، ص200.

(3) هو أحمد بن علي بن محمد المريّض، ولد سنة 1875م بترهونة، لبّى نداء الواجب عام 1911م وقاد العديد من المعارك من أهمها (سيدي السائح، فم ملغى، وادي وايف، وغيرها) اختير ليكون أحد الرؤساء الأربعه للجمهورية الطرابلسية عام 1918م، كان على درجةٍ عالية من الأخلاق والثقافة، هاجر إلى المنفى بمصر بعد احتلال ترهونة مع بعض عوائل المجاهدين بعد أن حُكم عليه بالإعدام غيابياً من قبل السلطات الإيطالية، عمل في آخر أيام حياته بالتجارة في منطقة الفيوم عام 1924م، إلى أن توفي سنة 1940م، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

الأحداث، وقد تباينت في تلك الفترة المواقف، وحصلت فيها إشكالات، واتفقت عبرها بعض الآراء، وتقاطعت، وتشابكت مع آراء أخرى كثيرة[1].

وفي منتصف عام 1940م بدأ المهاجرون الليبيون في سوريا يضيقون ذرعاً بتصرفات وأفعال السُّلطات الفرنسية التي عملت على تضيق الخناق عليهم، ومنعهم من مزاولة أي نشاطٍ سياسي، واستمرّ هذا الحال حتى بعد دخول الإنجليز دمشق في بداية يوليو 1941م، بل استمرّ إلى أن تحصلت سوريا على الاستقلال في 16 أبريل 1946م، لتدب الحياة السياسية من جديد في الوسط الشعبي بعد أن كانت مفقودة طوال سنوات الحرب العالمية الثانية.

مكنت هذه الظروف الجديدة من إعادة تنظيم الجمعية، وتشكيل هيئة جديدة تحت اسم (تحرير طرابلس وبرقة) وبذلك شهدت هذه الجمعية انطلاقة جديدة في ظل ظروفٍ سياسية متعاقبة تشهدها السّاحة الليبيّة، وبدأ المشهد السياسي يتضح حول مصير ليبيا، لتتخذ الجمعية الجديدة قراراتٍ عدة من أهمها:

أولاً: حل جمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوي، وتشكيل هيئة جديدة تحت اسم هيئة تحرير طرابلس وبرقة.

ثانياً: الاستمرار بشكل نشط في نشر المقالات والتعليقات السياسية لإحباط الدعاية الإيطالية التي أخذ أمرها يستفحل داخل ليبيا بالتآمر مع الإنجليز.

ثالثاً: تأكيد استقلال ليبيا بحدودها المعروفة، من تونس وحتى مصر، وذلك بإرسال برقيات وعرائض بهذا الخصوص[2].

ويتحدّث تيسير بن موسى مؤلف كتاب «كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام» عن بعض الخلافات التي حدثت بين أعضاء الجمعية في نهاية 1934م، وتعرُّض الزعيم بشير

(1) سالم حسين الكبتي، السعداوي بين الأخطاء والتّسرع، ملاحظات وتصويبات، مرجع سابق، ص281.

(2) تيسير بن موسى، مرجع سابق، ص161.

السعداوي إلى بعض التهم والأباطيل التي حاول بعضهم الإساءة إلى أمانته، والتي غادر على إثرها إلى السعودية لتولّي وظيفة في الديوان الملكي السعودي بمساعدة السيد خالد القرقني[1] الذي كان مستشار الملك عبد العزيز بن سعود الخاص.

وعلى الرغم من مهامه في السعودية راح المناضل بشير السعداوي يُصعِّد نشاطه من أجل ربط الصلات، والعلاقة بين أطياف المجتمع كافةً خارج ليبيا، كما أن الجمعية متمثلة في أعضائها الجدد كانت على تواصلٍ مستمر معه، وإبلاغه بما يحدث على الساحة الليبية، إذ بعثت الجمعية بمذكرة تم توزيع نسخ منها إلى إدريس السنوسي، وبشير السعداوي، وعمر شنيب، وأحمد المريّض، وسالم المنتصر، وعبد الرحمن عزام[2] حول ما تقوم به بريطانيا من سياسة خبيثة لفصل الشرق الليبي عن غربه، والتأكيد بأن ليبيا أرض واحدة، والسعي لبذل كل الجهود لإزالة أي خلاف بين الاشقاء الليبيين، وإحباط خطط المتآمرين المتربصين بشعبنا وبديننا[3].

وعلى الرغم من ابتعاد بشير السعداوي عن الساحة الشامية فإنه لم يكن بمعزل عن ما يحدث على الساحة الليبية، والوطن العربي، والإسلامي فقام في مارس 1947م بالدعوة لتشكيل هيئة تحرير ليبيا، والتي وجدت مباركة ودعم من الأمين العام لجامعة الدول العربية عبد الرحمن عزام[4]؛ حيث تم تشكيلها من مجموعة من الشخصيات السياسية

---

(1) خالد بن أحمد القرقني، مناضل سياسي مثقف وزعيم ليبي، ارتبط ذكره بأدواره في المجال السياسي وبإعتباره يجيد أكثر من لغة غير لغته العربية، من بينها التركية، والإيطالية، والفرنسية، بعد هزيمة العثمانيين في ليبيا رحل إلى استامبول، ثم انتقل إلى (جدّة) تاجراً، والتقى بالملك عبد العزيز، فأعجُب به، وأصبح عضواً في مجلسه الاستشاري؛ حيث عَهِد اليه الإشراف علي السياسة الخارجية للمملكة، وأرسله علي رأس بعثة إلى اليمن لأنهاء الخلاف مع إمام اليمن عام 1932م، وهو من دفع بالمناضل بشير السعداوي لهذه الوظيفة، عاد إلى أرض الوطن عام 1952م، وأقام منقطعاً عن كل عمل إلى أن توفي عام 1971م. ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

(2) تيسير بن موسى، مرجع سابق، ص164.

(3) المرجع نفسه، ص165.

(4) عبد الرحمن حسن عزام 8 مارس 1893م ـ 2 يونيو 1976م، تولّى في 22 مارس 1945م منصب الأمين =

الطرابلسية التي هاجرت إلى مصر وضمت كل من: بشير السعداوي، وأحمد السويحلي، وطاهرالمريّض ومنصور بن قدارة[1]، وجواد بن زكري[2]؛ حيث باشرت فور تشكيلها في تنفيذ برنامجها الذي يدعو إلى السعي بالطرق المشروعة كافة داخلياً لتنويرالرأي العام، وتوحيد الصفوف، وتوجيه الجهود الوطنية، واجتناب كل دواعي الجدل، والشقاق، والخلاف على نظام حكم واحد[3].

وقد زادت الاحتجاجات والمظاهرات عقب صدور بيان اللجنة الرباعية في يوليو 1948م، والمُشكّلة من الدول الأربع الكبرى (بريطانيا ـ أمريكا ـ فرنسا ـ الاتحاد السوفيتي)، والتي أعلنت صراحة أن برقة مثل غيرها من المستعمرات الإيطالية السابقة ليست مؤهلة للاستقلال، بل ينبغي وضعها تحت الوصاية[4]، ونتيجة لهذه المواقف الاستعمارية برزت خلافات وتجاذبات على المستوى السياسي، وصراع على النفوذ[5].

ولم تكن هذه المواقف العدائية خافية على أحد، فطبيعة الاستعمار استغلال الخلافات، وتأجيج نار الفتنة، والتفرقة بين الأشقاء، ولم يكن خافياً أن التدخل الأجنبي تستّر خلف قدر كبير من العمل الوطني الذي جرى في ليبيا خلال الفترة ما بين 1948 ـ 1951م، وإن كان مصدر التأثير بعيداً[6]، لتبدأ العواصف تهب على الساحة السياسية؛ حيث تم في شهر يونيو 1950م حل وتغيير اسم (المؤتمر الوطني البرقاوي) إلى (المجلس

= العام الأول لجامعة الدول العربية، وبقي أميناً عاماً إلى عام 1952م، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

(1) من المهاجرين الأوائل الذين كرسوا حياتهم لخدمة ليبيا في المهجر، ترأس البنك العربي في فلسطين وفرعه في القاهرة، وهو من الأعضاء البارزين في لجنة التحرير التي تأسست في مصر بعد الحرب الثانية، تولّى وزارة المالية في العهد الملكي، الليبيون في سوريا، زين العابدين بن موسى، مرجع سابق، ص48.

(2) بروشين، مرجع سابق، ص285.

(3) المرجع نفسه، ص284.

(4) دي كاندول، الملك أدريس عاهل ليبيا حياته وعصره، شركة إبداع للنشر والتوزيع، 1980م، ص88.

(5) المرجع نفسه، ص90.

(6) المرجع نفسه، ص90.

التشريعي البرقاوي)، كما برز جسم جديد معارض، وهو (رابطة الشباب) الذي كان يسمى سابقاً (جمعية عمر المختار)، والذي أصبح يطرح في العديد من المواضيع القومية الحساسة، والتي منها مقاطعة الكيان الصهيوني.

واستشعر السعداوي ورفاقه خطورة الأمر، فكان استعمال الحكمة، والابتعاد عن كل ما يمكن أن يسبب في تجزئة الوطن وانفصاله، ولا سيما بعد أن انكشف خداع بريطانيا، وسعيها للانفراد بإدريس السنوسي، واستغلال الوضع السياسي، إذ نقلت صحيفة الأهرام المصرية بتاريخ 5 سبتمبر 1949م تصريحاً للمناضل بشير السعداوي بعد لقائه مع إدريس السنوسي، قال فيه: «لتَعْلم الدول الأجنبية، وهيئة الأمم أننا نطالب باستقلالنا، ووحدتنا، وأننا لا نريدهما من هيئة معيّنة، بل سننتزعها انتزاعاً، فأكد إدريس السنوسي رداً على ذلك، نعم: ننتزع استقلالنا انتزاعاً فقد ضحينا في سبيله، وسفكنا دماءنا مدة طويلة من الزمن، وسيتم لنا هذا بوحدتنا وتعاضدنا»[1].

لقد كان بشير السعداوي متيقناً أن الإنجليز والفرنسيين يسعيان لتوظيف كل الوسائل لمصلحتهما الشخصية، وهذا ما اتضح له جلياً بعد تشكيل لجنة الواحد والعشرين، والتي كانت أكثر ملائمة للأهداف، والأغراض الإنجليزية، كما أن الجمعية الوطنية في طرابلس، والمنبثقة من لجنة الواحد والعشرين، والتي يبلغ عدد أعضائها 60 عضواً هم مُعيَّنون من قبل السُّلطات الإنجليزية والفرنسية، ويسيرون حسب المقترح بأن تحمل الدولة الليبية طابعاً فدرالياً، ما خلق جواً من الاحتجاجات الشعبية التي يُنظّمها ويقودها المؤتمر الوطني الطرابلسي، وهو ما جعل الحكومة تتخذ إجراءات قاسية في حق الكثير من المعارضين وصل إلى السجن والطرد.

ونتيجة هذه الإجراءات، بدأ عدد كبير من الزعماء السياسيين يعترضون على هذه الممارسات، ومنهم بشير السعداوي الذي أَعْلن موقفه بصورةٍ حادة، فبدأ بانتقاد إدريس

(1) دي كاندول، مرجع سابق، ص123.

السنوسي الموالي للإنجليز لكنه لم يقف ضد السُّلطة الملكية كسُلطة، ورفع شعار (الاستقلال الحقيقي لليبيا)[1]، وراح يوسّع اتصالاته؛ حيث عقد في 17 مايو 1951م لقاء مع السفير الأمريكي بناء على رغبة الأخير في مسعى لتخفيف الضغط الشعبي، والدعاية المعادية لأمريكا بحكم مكانة السعداوي، وما يتمتّع به من تأثيرٍ على الأحزاب المعارضة في طرابلس، وكان السّعداوي يُعوّل ـ في هذا اللقاء ـ على أن يجد في أمريكا منافساً للإنجليز بما يسهم في تعديل التوازن في المنطقة، كما أن السفير الأمريكي يأمل أن تتوصّل الولايات المتحدة عن طريق نفوذ بشير السّعداوي إلى القضاء على الإنتفاضة الشّعبيّة في ليبيا، وضرب الإنجليز في الوقت نفسه[2].

وإدراكاً من الزعيم بشير السعداوي، وأعضاء المؤتمر بخطورة المرحلة، وما تتطلبه من تواصل مع الجماهير، وحشد كل الطاقات البشرية والمعنوية، راح السعداوي يُنظِّم لقاءات مباشرة مع الجماهير لتحريضها وتبصيرها بظروف هذه المرحلة الحاسمة، وبما يخططه الأعداء من مؤامرات لهذا الوطن، إذ يشير الأستاذ أحمد زارم[3] بقوله: «واصل المؤتمر جولاته على غرار ما كانت تقوم به هيئة التحرير محذراً المواطنين من الدعايات التي كان يقوم بها الاستعمار الإنجليزي، والإيطالي، والفرنسي بمختلف الوسائل والوسائط، والعمل على تهيئة الشعب للوقوف في وجه المناورات الأخرى، وإعداده لما قد يتطلبه الوطن في مستقبل الأيام»[4]. وكان السعداوي حريصاً على التواصل مع قطاعات الشعب كافة، لا سيما شيوخ وأعيان القبائل بالمنطقة الغربية، والجنوبية، ودعوتهم للتشاور حول الأوضاع السياسية التي تمر بها البلد، ففي «دعوة» موقَّعة من السعداوي ومؤرَّخة

(1) بروشين، مرجع سابق، ص340.

(2) المرجع نفسه، ص341.

(3) أحمد زارم بن خليفة بن عمر بن سعيد المجدوب، أحد المناضلين الشرفاء، له دور كبير في حركة النضال وكانت تربطه علاقة متينة مع الزعيم بشير السعداوي، اختير من ضمن أعضاء هيئة مكتب العمل الدائم في هيئة تحرير ليبيا بعد تشكيلها، توفي رحمه الله في 3 ـ 6 ـ 1995م ودفن بمقبرة سيدي منيذر بطرابلس.

(4) أحمد زارم، صراع الشعب الليبي مع مطامع الاستعمار، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1987م، ص124.

في 27 فبراير 1951م، موجهة للشيخ عبد القادر عبد الحفيظ[1]، جاء فيها: «حضرة الوطني الغيور الفاضل السيد: الشيخ عبد القادر عبد الحفيظ. . . نظراً للظروف العصيبة التي تجتازها قضية الوطن، ونظراً لما يجب علينا عمله بجد وانتباه في سبيل حفظ وطننا ومستقبلنا، ونظراً لما نعهده في حضرتكم من الإخلاص والشجاعة، فإننا ندعوكم للحضور إلى مركز المؤتمر الوطني بطرابلس يوم الاثنين 5 مارس 1951م الساعة الرابعة مساءً، والمؤتمر إذ يدعوكم يرجو منكم بكل إلحاح عدم التخلف عن هذا الاجتماع؛ حيث ستُبحث فيه أهم التطورات الحاضرة والمقبلة التي ستتوقف عليها حياة البلاد»[2]، ويرى الباحث أن هذه الدعوة التي لاشك أنها وُجّهت للعديد من الشخصيات الوطنية، قد جاءت في ظروفٍ سياسيةٍ بالغة الخطورة تتطلّب حشد الإمكانات، ورص الصفوف، استشعرها المناضل السّعداوي، وتضمنتها هذه الوثيقة التاريخية.

وفي إطار هذه اللقاءات استقبلت جماهير منطقة (قصر بن غشير) المناضل السعداوي، ورفاقه بحفاوةٍ كبيرة، ما دفع كثير من المناطق الأخرى بطلب الدعوة لزيارتها، وتحديد موعدٍ لها، ويرصد المناضل أحمد زارم استقبال الجماهير بمنطقة فندق بن غشير للسعداوي ورفاقه، بقوله: «وصلت الهيئة إلى المركز، وألقى السعداوي خطاباً توجيهياً كان له وقعه، فتناقلت عباراته الألسن، وعقب ذلك خطب عديدة من رجالات المنطقة، وقصائد شعرية، وزجلية»[3]. واستمرت هيئة التحرير في جولاتها، وحشدها، وتعبئتها للجماهير؛ حيث زارت عدداً من المناطق منها: جنزور ـ الزاوية ـ صرمان ـ صبراته ـ العجيلات ـ العزيزية ـ غريان ـ يفرن ـ جادو ـ الزنتان ـ نالوت ـ مزدة ـ تاجورا ـ الخُمس ـ زليتن ـ مسلاته[4]، ويضيف أيضاً في كتابه المذكور آنفاً: وكان للمؤتمر الفضل في

(1) أحد المجاهدين، ومن شيوخ واعيان قبيلة أولاد أبي سيف، توفي رحمه الله عام 1970م، عن عمر يناهز 100 عام، وهو جد الباحث.

(2) الوثيقة من أرشيف نجله (السيد: حسن عبد القادر عبد الحفيظ) مرفقة مع البحث.

(3) أحمد زارم، مرجع سابق، ص244.

(4) أحمد زارم، مرجع سابق، ص246.

توحيد كلمة الشعب في تحقيق أمانيه القومية، ولمجابهة أطماع الدول الاستعمارية التي لها مطامع في تجزئة البلاد إلى مناطق نفوذ[1].

وعند زيارة وفد المؤتمر الوطني لمدينة مسلاته، يروي المناضل أحمد زارم تفاصيل تلك الزيارة بقوله: «بينما نحن ندخل مدينة مسلاته، والعَلَم الإنجليزي منتصباً فوق مقر البلدية، إذ بالسعداوي يقف فجأة متسمراً في مكانه من دون سببٍ ملحوظ لدينا عن هذا الموقف المفاجئ، فنظرتُ إليه فإذا هو مركز نظره في الأفق كأنه ينظر إلى شيء مثير، وقد امتقع لونه، وشفتاه تتحركان بدون صوت. وبينما نحن في ذلك الوجوم انطلق صوته مدوياً في حدة وانفعال قائلاً: لا أريد أن أرى علماً أجنبياً يرتفع فوق مبنى البلاد»[2].

استمرّ السعداوي في دوره التعبوي، فكان كلما دخل مدينة استقبلته الجماهير مرحبة به وبرفاقه الوطنيين، يصف لنا المناضل أحمد زارم مشاهد استقبال الجماهير له بعد عودته من هذه الرحلة: أما الجموع الكبرى التي واصلت سيرها رأساً إلى طرابلس، فقد استقبلها الشعب عند وصولها استقبالاً عظيماً رائعاً، وقصدت مقر الجبهة الوطنية المتحدة، أو مقر هيئة تحرير ليبيا على الأصح الذي أصبح مقر (المؤتمر الوطني العام) منذ ذلك اليوم، وبوصول الجماهير صعد (بشير السعداوي) إلى شرفة المقر بشارع عمر المختار، وألقى خطاباً على الجماهير بأسلوبه المثير، أوجز فيه ما قرّره المؤتمر، فكان تصفيق حاد، وهتفت الجماهير بحياة المؤتمر[3].

كان الظرف السياسي حينها مشحوناً بصراعاتٍ دولية، وكل ينظر برؤيته ومصالحه الشخصية لاستقلال ليبيا، وبدأت الدبلوماسية الليبية في الأمم المتحدة تتحرّك بفاعلية على الرغم من وجود وفدين: واحد يمثل الشرق والآخر يمثل الغرب، أما إقليم فزان فلم يشارك في هذا اللقاء، ويوضح محمد عثمان الصيد رئيس الوزراء الأسبق في عهد

(1) المرجع السابق، ص246.

(2) المرجع نفسه، ص90.

(3) المرجع نفسه، ص94.

المملكة في مذكراته بأن: «السلطات الفرنسية في فزان ضربت سوراً حديدياً على الإقليم ومنعت الليبيين فيه من الخروج»[1] وكان يمثل الوفد الطرابلسي الـدكتورعلي العنيـزي[2] مكلفاً من المؤتمر الوطني، فباشر اتصالاته بعدد من الوفود، حتى اجتمع بوفد ممثل هـاييتي الدكتور «إميل سان لو» الذي وجد منه تفهماً وتقديراً كبيرين لكفاح الشـعب الليبـي، ووعـده بأن يقف ضد أي مشروعٍ لا يَمْنح لليبيا استقلالها، فأدلى بصوت هـاييتي ضـد المشـروع مخالفاً بذلك تعليمات حكومته، ليتم إقالته من منصبه، وعاش لاجئاً فـي أمريكـا، واعترافـاً من ليبيا بفضله دُعي لزيارة البلاد في 1954م، حيث استُقبل استقبالاً شعبياً ورسـمياً حـافلاً، كما عُيِّن مستشاراً لسفارة ليبيا في الولايات المتحدة الأمريكية[3].

وفي منتصف ينايرعام 1952م بدأت انتخابات مجلس النواب، والذي حصـل فيـه أنصار الحكومة على أغلبية من المقاعد، ليتحصل مرشح المعارضة (المـؤتمر الـوطني) على أعداد ضئيلة؛ حيث نتج عنها اضطرابات شعبية في كثير من المناطق، وقُتل وجُـرح فيها الكثير من المحتجين[4]، وكانت نتائج هذه الانتخابات صدمة كبيرة لأنصار المـؤتمر الوطني، ولمحاصرة هذا الوضع، قامت السلطات الحكومية بردة فعلٍ قاسية تمثلـت بوضـع المناطق (المضطربة) تحت رقابة البوليس، وبدأت الاعتقـالات، وتقـرّر نفـي المناضـل بشير السعداوي من البلاد بهدف شل حركة المؤتمر الطرابلسي[5]، وكانت التهمة الرئيسة هي محاولة إعاقة الناخبين، ومنعهم من التصويت، وتدبير قلب نظام الحكم[6].

(1) محطات من تاريخ ليبيا، محمد عثمان الصيد، مطبعة النجاح الجديد، الدار البيضاء، 1996م، ص37.

(2) هو الدكتورعلي نور الدين العنيزي (1904 ـ 1983م) سياسي ليبي، ومن الوطنيين الصادقين، عُيِّن فـي سـنة 1955م محافظاً لمصرف ليبيا المركزي، يشير ارويعي بقوله: وعندما حان موعد اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة حدث تغيير طفيف في أعضاء الوفد الطرابلسي؛ حيث تم استبدال جوّاد زكري بالدكتور علي العنيـزي، انظر: ارويعي محمد قناوي، بشير السعداوي ودوره في الحركة الوطنية الليبية، ص300.

(3) دي كاندول، مرجع سابق، ص96.

(4) بروشين، مرجع سابق، ص348.

(5) بروشين، المرجع نفسه، ص349.

(6) أحمد زارم، مرجع سابق، ص231.

بعد هذه الرحلة في مسيرة المناضل السياسي، والمثقف بشير السعداوي، وأبرز المحطات التاريخية في حياته، نستنتج أهم النقاط التالية:

1 ـ لم يكن بشير السعداوي مناضلاً تشغله المناصب والأطماع الآنية والذاتية، ولم يكن ضيّق الأُفق، أو يعمل على تحقيق أهدافٍ مرحلية، بل كان ذا رؤية استراتيجية بعيدة المدى، أَلاَ وهي تحرير ليبيا من كل أشكال الهيمنة والاستعمار.

2 ـ كان السعداوي يعمل في صمت بعيداً عن الأضواء وضجيج أصوات الشهرة، بل كان يعرف جيداً متى يتحرك، ومتى ينسحب، ومتى يتقدّم أو يقف، وهو مالم يستوعبه بعض الباحثين في الشأن التاريخي الليبيي الحديث، الذين اعتقدوا بأن هجرته هي نوع من التخاذل، أو الهروب من المواجهة، والحقيقة أنه كان يعي جيداً أبعاد اللعبة السياسية وخفاياها، وهو ما أدركه بعض الزعماء والقادة العرب الذين وجدوا فيه خير من يُمثّل المرحلة التاريخية التي عاش فيها، كما هو الحال في محطات حياته في سوريا، ولبنان، واليمن، والسعودية.

3 ـ أدركت عديد من الدول الغربية خطورة السعداوي، وتعارضه مع طموحاتها، وأهدافها في ليبيا، لذلك عملت على محاربته بشتّى الطرق والوسائل عن طريق عملائها في الداخل أوعن طريق إفشال مشروعه السياسي لليبيا، وما عدم فوزه في الانتخابات إلا إحدى تلك المؤامرات التي مورست ضده.

4 ـ كان لنشأته وتربيته أثر واضح في توجهه السياسي بعد ذلك، فقد حظى برعاية خاصة، واهتمام كبير منذ نعومة أظفاره أهلته لتولّي الكثير من المناصب الإدارية والسياسية بعد ذلك، فضلاً عن تشبعه بأفكار جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ومحمد فريد وجدي، وعبد الرحمن الكواكبي، والأمير شكيب أرسلان، وغيرهم، وما اطلع عليه من كتب، وهو ما جعله أن يكون مناضلاً سياسياً فريداً في فترة حرجة وصعبة في التاريخ الليبي المعاصر.

5 ـ في الوقت نفسه كانت لتجاربه في العمل السياسي، والمهام التي كُلّف بها سواء في الداخل أو في الخارج الأثر الكبير في إدراكه لصعوبة ما تمر به الأمة العربية عموماً، وليبيا خصوصاً من محن وأزمات سياسية؛ حيث قَوّته تلك التجارب، ولم تضعفه، وزادته إصراراً على المضي قدماً لتحرير ليبيا ونيل استقلالها وحريتها.

6 ـ في كل مراحل حياته التاريخية محطات مضيئة، ومشرِقة، ومشرِّفة؛ حيث كان نموذجاً يَحتذي به غيره سواء من الليبيين أو العرب، ولم يَعْرف يوماً المهادنة، والمساومة في الحق العام، وهو الهدف الأسمى له، أما طموحه الشخصي فلم يكن سوى أن يرى بلاده محررة من قيود وظلم المستعمر.

7 ـ كشفت لنا محطاته عن ميزة انفرد بها، ألا وهي نُبل أخلاقه على الرغم من ممارسته للسياسة في كل تلك المحطات، والتي كان يمكن أن تؤثرعلى سلوكه، وهو ما نجده في بعض مواقف السياسيين، إذ لم نجده يُبدّل أو يغيّر مواقفه السياسية تبعاً لتغير الظروف أو المصالح أو مجاملة لأحد، فهو فعلاً نموذج يُحتذَى به في عالم السياسة اليوم.

8 ـ عمل بكل جد، وإخلاص وتفانٍ، وضحّى بالغالي والنفيس في سبيل أن تنال ليبيا استقلالها، وإن جاء ذلك على حساب سمعته أحياناً، وعلى وضعه السياسي والاجتماعي، والمادي؛ حيث لم يبخل بما لديه في سبيل حرية وكرامة الليبين.

9 ـ لم يكن الزعيم بشير السعداوي قبلياً، أو انفصالياً، فانحاز للوطن عندما شعر أن بعضهم يرغب في تجزئته، فتنازل عن طموحه السياسي، ولم يُرشِّح نفسه في الانتخابات حفاظاً على وحدة بلده.

* * *

الخلاصة

إن الدرس المستفاد من قراءتنا لمحطات المناضل بشير السعداوي الموضوعية، هي أن مصلحة الوطن فوق كل اعتبار، وأن علينا جميعاً مهما كان دورنا وحجمنا في الأحداث أن نتجرَّد من مصالحنا الشخصية وطموحاتنا الذاتية، وأن نترك خصوماتنا السياسية، والقبلية، والجهوية في سبيل استقرار ليبيا وسلامة ووحدة أراضيها. وما يحاك اليوم من مؤامرات ضد ليبيا هو المخطط القديم الذي تصدَّى له بشير السعداوي ورفاقه الوطنيين الصادقين.



المؤتمر الوطني العام

حضرة الوطني الغيور الفاضل السيد الشيخ عبد القادر بن عبد الحفيظ

نظرا للظروف العصيبة التى تجتازها قضية الوطن ونظرا لما يجب علينا عمله بجد وانتباه فى سبيل حفظ وطننا ومستقبلنا ونظرا لما نعهده فى حضرتكم من الاخلاص والشجاعة فاننا ندعوكم للحضور الى مركز المؤتمر الوطنى بطرابلس يوم الاثنين ٥ مارس ١٩٥١ الساعة الرابعة مساء ، والمؤتمر اذ يدعوكم يرجو منكم بكل الحاح عدم التخلف عن هذا الاجتماع حيث ستبحث فيه اهم التطورات الحاضرة والمقبلة التى ستتوقف عليها حياة البلاد .

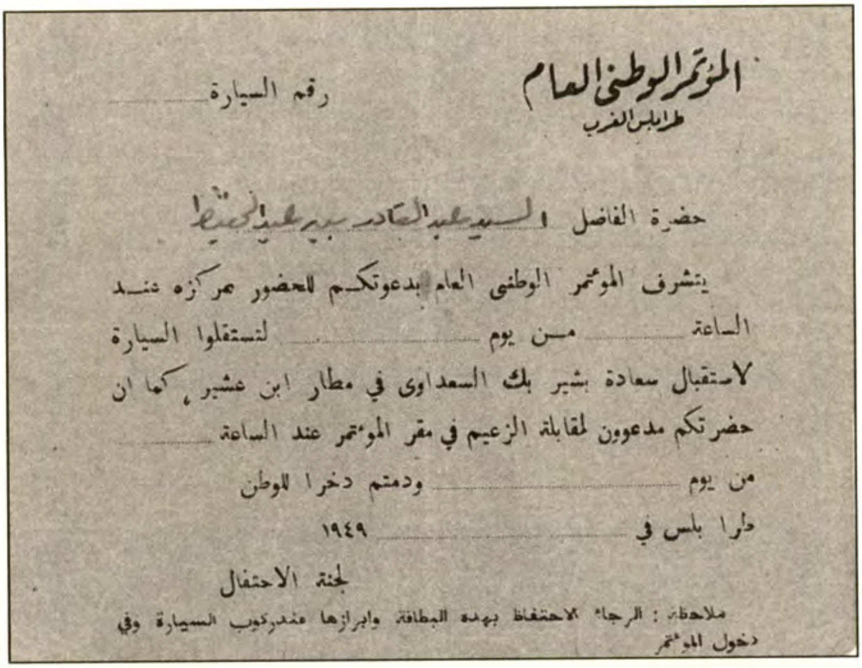
طرابلس { ٢١ جماد أول ١٣٧٠
٢٧ فبراير ١٩٥١ }

رئيس المؤتمر الوطنى

بشير السعداوى

(وثيقة 1) بطاقة دعوة من المؤتمر الوطني

للشيخ عبد القادر بن عبد الحفيظ من أعيان أولاد أبوسيف بتاريخ 27 فبراير 1951م



المؤتمر الوطني العام
طرابلس الغرب

رقم السيارة ......

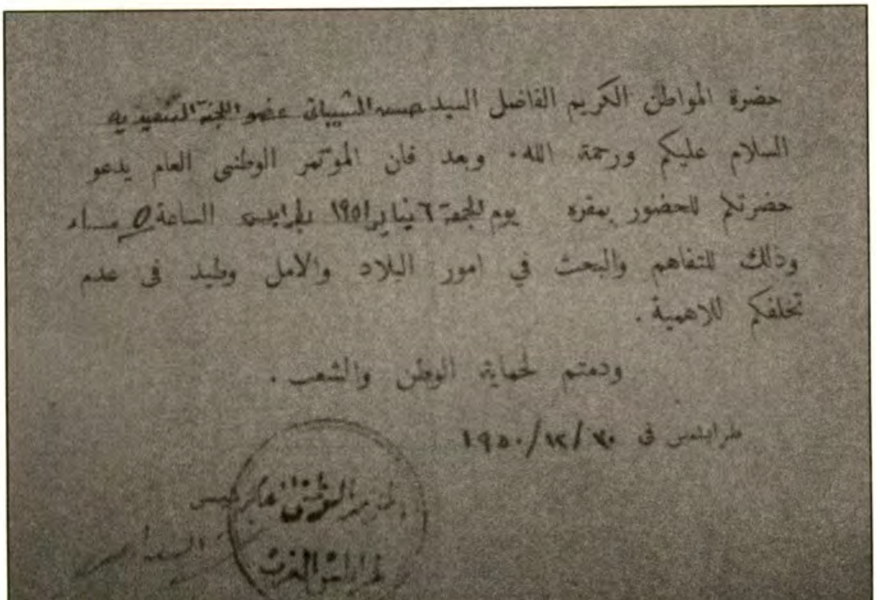
حضرة الفاضل السيد عبد القادر بن عبد الحفيظ

يتشرف المؤتمر الوطني العام بدعوتكم للحضور بمركزه عند
الساعة ...... من يوم ...... لتستقلوا السيارة
لاستقبال سعادة بشير بك السعداوي في مطار ابن عشير، كما ان
حضرتكم مدعوون لمقابلة الزعيم في مقر المؤتمر عند الساعة ......
من يوم ...... ودمتم ذخرا للوطن
طرابلس في ١٩٤٩

لجنة الاحتفال

ملاحظة: الرجاء الاحتفاظ بهذه البطاقة وابرازها عند ركوب السيارة وفي دخول المؤتمر

(وثيقة 2) بطاقة دعوة من المؤتمر الوطني للشيخ عبد القادر بن عبد الحفيظ بتاريخ 1949م



حضرة المواطن الكريم الفاضل السيد حسن الشيباني عضو اللجنة التنفيذية
السلام عليكم ورحمة الله. وبعد فان المؤتمر الوطني العام يدعو
حضرتكم للحضور بمقره يوم الجمعة ٦ يناير ١٩٥١ بطرابلس الساعة ٥ مساء
وذلك للتفاهم والبحث في امور البلاد والامل وطيد في عدم
تخلفكم للاهمية.

ودمتم لحماية الوطن والشعب.

طرابلس في ٢٠/١٢/١٩٥٠

المؤتمر الوطني العام
طرابلس الغرب

(وثيقة 3) بطاقة دعوة من المؤتمر الوطني للسيد حسن الشيباني بتاريخ 20 ديسمبر 1950م

المصادر والمراجع

* الكتب:

1 ـ أحمد زارم: صراع الشعب الليبي مع مطامع الاستعمار، الدار العربية للكتاب، طرابلس ـ ليبيا، 1987م.

2 ـ تيسير بن موسى: كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام 1925 ـ 1950م، مركز جهاد للدراسات التاريخية. طرابلس ـ ليبيا، 2006م.

3 ـ دي كاندول: الملك إدريس عاهل ليبيا حياته وعصره، دار إبداع للنشر والتوزيع، 1980م.

4 ـ رفعت عبد العزيز سيد أحمد، ومحمد امحمد الطوير: تاريخ الجهاد في ليبيا ضد الغزو الإيطالي، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 1999م.

5 ـ زين العابدين موسى، الليبيون في سوريا، مطبعة دمشق، 1952م.

6 ـ الطاهر الزاوي: أعلام من ليبيا، دار الفرجاني، طرابلس، 1970م.

7 ـ الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الليبيين في ديار الهجرة، 1924 ـ 1952م، ط1، دار الفرجاني للنشر، طرابلس، 1976م.

8 ـ محمد ارويعي قناوي: بشير السعداوي ودوره في حركة الوطنية الليبية، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2014م.

9 ـ محمد عثمان الصيد: محطات من تاريخ ليبيا، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديد، 1996م.

10 ـ محمد فؤاد شكري: ميلاد دولة ليبيا الحديثة ووثائق تحريرها استقلالها، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1957م.

11 ـ المختار الطاهر كرفاع: الحركة العمالية في ليبيا 1943 ـ 1969م، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ط1، 2000م.

12 ـ مصطفى السَّراج: السعداوي والمؤتمر، وضع النقاط على بعض الحروف، طرابلس، 2006م.

13 ـ ن. إ. بروشين، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969م، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ترجمة وتقديم: عماد حاتم، 2005م.

14 ـ الهادي المشيرقي، ذكرياتي في نصف قرن من الأحداث الإجتماعية والسياسية، مركزجهاد اليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1988م.

* الدوريات:

1 ـ إبراهيم علي الشويرف: الأصول الفكرية والثقافية للمجاهد الليبي بشير السعداوي (1884 ـ 1957م)، مجلة الوثائق والمخطوطات، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، العدد 25 ـ 26، سنة 2011 ـ 2010م.

2 ـ سالم حسين الكبتي: السعداوي بين الأخطاء والتسرع... ملاحظات وتصويبات، مجلة الشهيد العدد 22 ـ 23 لسنة 2001 ـ 2002م.

3 ـ مجلة الوثائق والمخطوطات: تصدر عن المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، العدد 25 ـ 26 لسنة 2010م.

* شبكة المعلومات الدولية:

1 ـ محمود السيد الدغيم: بشير السعداوي، سيرة رجل وسيرة أمة (1884 ـ 1957م) مقال نُشر عام 2006م، على صفحته بموقع التواصل الاجتماعي (الفيس بك).

❐❐❐

الجلسة العلمية الثالثة

رئيس الجلسة

أ.د. محمود أحمد الدِّيك

وقائع الجلْسة

* بشير السّعداوي مستشاراً سياسياً للملك عبد العزيز بن سعود 1939 ـ 1946م:

د. ارويعي محمد قناوي.

* الدّبلوماسيّة المصريّة والمناضل بشير السّعداوي 1945 ـ 1952م:

د. مفتاح بلعيد غويطة.

* نشاط بشير السّعداوي السّياسيّ خارج ليبيا من أجل نشر فضائح الاحتلال الإيطالي ضد الشّعب اللّيبي 1924 ـ 1931م:

د. أكرم عثمان عمر ود. هاشم منصور بدر.

بشير السعداوي مستشاراً سياسياً
للملك عبد العزيز بن سعود
1939 ـ 1946م

د. ارويعي محمد قناوي
كلية الآداب ـ جامعة بنغازي

المقدّمة

تباينت مساهمة بشير السعداوي في ميدان السياسة الخارجية السعودية تبعاً لدوره في مجال النشاط السياسي الذي كُلِّف به من قبل الملك عبد العزيز بن سعود بوصفه مستشاراً سياسياً له.

ومعروف عن بشير السعداوي نشاطه الوطني والعربي والإسلامي؛ حيث تولّى مهمة قائمقام ينبع البحر خلال الفترة الأخيرة للحكم العثماني للجزيرة العربية وذلك في عام 1916م.

كما برز اسمه مجدداً خلال فترة الحرب العالمية الثانية والتي ألقت بظلالها على الأقطار العربية في المشرق والمغرب العربيين على حد سواء؛ حيث برزت جهوده في توثيق عُرى الأخوّة العربية والإسلامية في ضوء توجيهات الملك عبد العزيز بن سعود والمسؤولين السعوديين.

وغداة انتهاء الحرب العالمية الثانية رافق بشير السعداوي الملك عبد العزيز بن سعود وحضر لقاءاته العربية الرسمية والشعبية مع زعماء العرب في مصر وسوريا، وكذلك لقاءاته الدولية مع الرئيس الأمريكي روزفلت ورئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل خلال سنة 1945م، ثم زيارة الملك عبد العزيز بن سعود الثانية لمصر في الفترة ما بين 10 ـ 20 يناير 1946م. وانتهاء بمرافقته للأمير سعود بن عبد العزيز خلال انعقاد القمة

العربية في «أنشاص» في الفترة ما بين 28 ـ 29 مايو 1946م، إلى أن تفرَّغ لقضيته الوطنية بتأسيس هيئة تحرير ليبيا بالقاهرة في شهر مارس 1947م.

هذا البحث يسلط الضوء على فترة مهمة من تاريخ حياة المناضل بشير السعداوي خلال فترة عمله مستشاراً سياسياً للملك عبد العزيز بن سعود ما بين عامي 1939 ـ 1947م، ويهدف إلى الإجابة عن بعض الأسئلة المهمة والتي من بينها ما هو دور بشير السعداوي في الحجاز قبيل تكوين المملكة العربية السعودية؟ وماهي المهام التي قام بها في الجزيرة العربية وأطرافها غداة الإعلان عن تكوين الدولة السعودية الحديثة؟ وماهي العوامل التي أهّلته لأن يصبح مستشاراً سياسياً للملك عبد العزيز بن سعود؟ وماهي المهام التي كلّفه بها الملك عبد العزيز بن سعود آنذاك؟ وماهي رؤيته للقضايا التي طرحها الملك عبد العزيز ابن سعود مع ملوك ورؤساء الدول العربية والعالمية آنذاك؟ وما هي العوامل التي أجبرته على ترك العمل السياسي مع الملك عبد العزيز مع بداية عام 1947م؟ ولتوضيح الموضوع فقد تم تقسيم البحث إلى المحاور التالية:

* * *

*** أولاً ـ نشاط بشير السعداوي السياسي في الجزيرة العربية قبل اختياره مستشاراً للملك عبد العزيز 1916 ـ 1937م:**

أ ـ بشير السعداوي قائمقام ينبع البحر سنة 1916م:

أصدرت السُّلطات التركية أوامرها بتعيينه قائمقام لينبع البحر بالحجاز(*)، فغادر بشير السعداوي اسطنبول متوجهاً إلى قونية ومنها إلى حلب ثم دمشق في طريقه إلى الحجاز (عن طريق سكة حديد الحجاز) فوصل المدينة المنورة في فبراير 1916م، والتقى بالوالي التركي بصرى باشا، وتباحث معه حول الأوضاع العامة في ولايته، ثم تابع سيره إلى مقر عمله بينبع بصحبة خبيرين من خبراء الصحراء أحدهما من قبيلة جهينة، والآخر من قبيلة

(*) ينبع البحر؛ أحد الأقضية التابعة لمتصرفية المدينة المنورة، انظر: ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، بيروت: دار العلم للملايين، 1965م، ص241.

حرب، مستغنياً عن القوة التي جهزها لـه الـوالي لحمايتـه والمتكونـة مـن رجـال البـدو المتعاونين مع بصرى باشا، فوصل إلى ينبع بصعوبة بالغة بعدما تعرّض له بعـض رجـال البدو لقتله.

وما أن وصل إلى مقر عمله حتى بدأ في إصلاح أمور ينبع المتخلّفة اجتماعيـاً وإداريـاً فخاطب مرؤوسيه بذلك، ففوّضوه بإصلاح ما يستطيع إصلاحه. فقـام بشـير السـعداوي بإلغاء ازدواجية السُّلطة الإدارية والاجتماعية بينه وبين الأمير محمد بن علي بديوي (شيخ عشيرة جهينة) المُعيّن من قبل الشريف حسين بن علي، والـذي كـان يمـارس صـلاحيته الاجتماعية والإدارية بشكلٍ مطلق[1].

واهتم بشير السعداوي بأمر التعليم في ينبع التي لا تتـوفر بهـا إلا مدرسـة ابتدائيـة (عثمانية) واحدة، فعمل من خلالها على نشر العلم والمعرفة، وعَيَّن فيها المعلّـم خليـل الحوار وأسهم شخصياً بتدريس بعض المواد؛ فاستقام أمرها وأقبل الأهالي وزعماء العشـائر البدوية على إرسال أبنائهم إليها[2].

وأسفرت إقامة بشير في ينبع عن قيام صلات وثيقة بينه وبين زعمائها وأهلها، سـادتها روح المحبّة والتفاهم بين الطرفين، فضلاً عن استتباب الأمن والسلام، وإقبـال النـاس علـى التعليم، وهي أهداف طالما سعى بشير السعداوي إلى تحقيقها.

ولعلّ الحدث الأكبر والمشكلة الخطيرة التي واجهت بشير السعداوي هي تحـالف الشريف الحسين بن علي (أمير مكة) مع الإنجليز؛ للقيام بالثورة ضد الأتـراك فـي إقلـيم الحجاز، مقابل وعده بإقامة مملكة عربية يكون على رأسها، وتمتد حدودها مـن جزيـرة العرب إلى جبال طوروس على الحدود التركية شمالاً[3].

(1) محمد سعيد القشاط، ليبيون في الجزيرة العربية، بيروت: دار السراج، 2003م، ص24.

(2) محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة القاهرة: مطبعة الاعتماد، 1957م، ص469.

(3) وهيب طالب محمد، تاريخ الحجاز السياسي 1916 ـ 1925م، بيروت: الدار العربيـة للموسـوعات، 2007م، ص ص40 ـ 45.

وقد أبلغه كل من الشيخ حسين جبارة، والشيخ دخيل الله القاضي، والشيخ حسين ابن امبيريك، بأن هناك سفناً إنجليزية تأتي إلى ميناء رابغ مُحمّلة بالأسلحة، والمال، والذخائر لحساب الشريف حسين بن علي أمير مكة، وأن موعد الثورة سيكون يوم 7 شعبان 1334هـ/ 8 يونيو 1916م[1].

ومن منطلق المسؤولية قام بشير السعداوي بإبلاغ بصرى باشا والي المدينة؛ الذي أبرق بدوره إلى جمال باشا في دمشق يخبره بتلك التحركات، ولكن جمال باشا أبرق إلى بشير السعداوي قائلاً إن هذه المسائل تخرج عن نطاق عمله وليست من شؤون وظيفته، وأن الأجدى به أن يتوفر لأعمال الوظيفة التي يشغلها[2].

ولم يمضِ وقت طويل حتى تأكد جمال باشا من صحة الأخبار التي وصلته، فلم يسعه إلاَّ أن يتقدَّم بشكره إلى بشير السعداوي، وأمر بتوسيع سلطاته لتصل إلى ميناء رابغ وحتى حدود مدينة جدّة، وفوَّضه باتخاذ الاستعدادات لمواجهة الثورة.

بدأ بشير السعداوي تلك الاستعدادات بإصدار أوامره بعدم إخراج الزاد من البلدة، وتجميع الأسلحة الصالحة للاستعمال، وصيانة التالف منها، وتكوين جيش صغير للدفاع عن البلدة قُدِّر بنحو مائتي مقاتل، كما قام بتكليف مهندس تركي له خبرة بشؤون التسليح ليتولّى إصلاح بعض القطع الحربية وخاصة المدافع المنصوبة بالقلعة، بالإضافة إلى صنع قنابل من بقايا البارود لاستغلالها كمتفجراتٍ لمواجهة طلائع قوات العدو المتربصة بالبلدة، والاتصال بزعماء بعض العشائر المحلية الموالية له كعشيرة جهينة التي أخلصت له؛ لتوضيح المخاطر المحدقة بهم.

وقد حدث ما كان يتوقَّعه بشير السعداوي؛ فقد اندلعت ثورة الشريف حسين بن علي في صباح يوم 9 شعبان 1334هـ ـ 10 يونيو 1916م، بعد أن أطلق رصاصةً من مسدسه

(1) محمد سعيد القشاط، المرجع السابق، ص25.

(2) محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص485.

من شرفة قصره بمكة المكرمة صَوْب الثكنة التركية إيذاناً منه بأن الثورة ضد الأتراك قد انطلقت[1].

وبعد معارك دامت شهراً كاملاً سقطت حامية جدّة كما سقطت غيرها من الحاميات التركية؛ ووجد بشير السعداوي نفسه محاصراً في ينبع البحر وقد عُزِل تماماً عن القوات التركية بمكة والمدينة وجدّة، وأثناء حصاره تعرَّض إلى مؤامرة اغتيال دبرها بعض مشايخ البدو الموالين للأمير فيصل بن الحسين بن علي، فقد كشف شيخ قبيلة جهينة عن رسالة موجهة من الأمير فيصل يقول فيها: «إن ذبح قائمقام ينبع يستوجب لممنونية سيدنا ـ الحسين ـ فأجروا الإيجاب وعرفونا»[2].

وما أن عَلِم السعداوي بالأمر حتى قام بالرد على رسالة الأمير فيصل قائلاً: «اطلعت على الكتاب الذي أرسلته إلى الجهيني، وإني أجيبكم بأن الله ﷻ لم يخلق قائمقام ينبع البحر ليذبح ذبح الشاة مرضاة لسيدك. وأنا رجل مسلم سبق أن جاهدت في بلادي قبل أن أُعيّن في منصبي وأوفد إلى هذه الأراضي المقدسة، وقد بقيت أؤدِّي عملي على خير وجه حتى قمتم أنتم بحركتكم هذه ضد الدولة، وفي اعتقادي أن هذه الحركة خروج عن السلطان، والنبي ﷺ يقول: «من خرج على السلطان شبراً واحداً فقد مات ميتة جاهلية»، والباري ﷻ يقول: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾[3]. وأنتم قبلتم تولية الإنجليز، وفي حديث إن صحت نسبته إلى رسول الله ﷺ: «إذا أنت بايعت رجلاً ومددت له صفحة يدك، ثم خرج آخر ينازعه فاقتلوا ذلك الآخر كائناً من كان»، ولذلك فإني اعتبركم قد واليتم الأجنبي المحارب، وفي هذا خروج عن الإسلام، ومع ذلك فإذا كنتم تعتقدون أنفسكم على حق

(1) سليمان موسى، الثورة العربية الكبرى: وثائق وأسانيد، عمّان: 1966م، ص ص67 ـ 76.

(2) المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات، ملف بشير السعداوي، رقم (173)، و. ر (1) المرجع السابق؛ مقال للكاتب محمود السيد الدغيم بعنوان جهاد بشير السعداوي.

(3) القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية 51.

في حركتكم هذه فلما لا تبيّنوا لي وجهة نظركم حتى إذا اقتنعت بأنها صحيحة صرت من أعوانكم، وأما إذا كنتم انقلبتم على الدولة لتقتلوا المسلمين في سبيل شهواتكم وتنفيذ مآربكم فلا يسعني إلا أن أبشركم بالخذلان وسوء المصير»[1].

وحَمَل الشيخ دخيل الله (قاضي عشيرة جهينة) رسالة السعداوي إلى الأمير فيصل فتأثر منها كثيراً، وأبدى رغبته في استمالة بشير السعداوي إلى صفوف الثورة ولكن دون فائدة؛ وذلك بسبب ولاء بشير السعداوي لدولة الخلافة التي كان يعتبرها مسؤولة عن ديار المسلمين. وهكذا يتضح ولاء بشير السعداوي وإخلاصه للدولة العثمانية التي في نظره هي دولة الخلافة العثمانية، كما يتضح حرصه على مجادلة خصمه بالحوار والتفاهم المبني على الثقة بالنفس، والبعيد عن سفك الدماء التي حرّمها الله على المسلمين.

ولم ينل ذلك التهديد من عزيمة بشير السعداوي في مقاومة الخارجين عن سلطة الدولة العثمانية، فأَرْسل الشيخ دخيل الله وبعض مشايخ جهينة إلى المدينة المنورة لإحضار الأموال اللازمة لتسيير الأمور الإدارية، وتهيئة وسائل الدفاع عن ينبع، وقبل وصول الوفد إلى المدينة، وصلت المدمرات الإنجليزية التي تحمل العساكر الأفارقة والهنود، وبعد قصف عنيف تم إنزالهم في ينبع، فأرسل بشير السعداوي رسولاً إليهم يستفسر عن مهمتهم التي جاؤوا من أجلها؛ ولكن رصاص بنادقهم وقذائف مدفعيتهم كانت تحمل الإجابة الشافية[2].

وصل الشيخ دخيل الله ورفاقه من زعماء القبائل من المدينة المنورة محملين بالمال، فوجدوا المنطقة محتلة من العساكر الإنجليز، فاصطحبوا معهم بشير السعداوي وأنصاره وخرجوا من ينبع البحر إلى ينبع النخيل، وهناك اشتبكوا مع أنصار الشريف حسين، وتغلبوا

(1) ملف بشير السعداوي، رقم (173)، ر. و (1) المرجع السابق. ومحمد سعيد القشاط، المرجع السابق، ص27.

(2) مكي شبيكة، العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى، بيروت: دار الثقافة، 1970م، ص ص27 ـ 28.

عليهم بفضل أسلحتهم المتطورة، وتوجهوا إلى محطة بواط، وما أن وصلوا المحطة حتى انهمر عليهم رصاص الجنود الأتراك ظناً منهم بأنهم من الثوار العرب، وبعد محاولاتٍ كثيرة من الصياح والتلويح بالأيدي تعرَّف الجنود على بشير السعداوي ورفاقه فحملوهم إلى قائد المحطة، ومن خلاله جرت الاتصالات ببصرى باشا (والي المدينة) الذي أَذِن لبشير السعداوي بالقدوم إلى المدينة، وهناك تقابل مع فخري بك (مبعوث جمال باشا إلى المدينة) فطلب منه أن يجمع له مشايخ البادية الذين يدينون له بالولاء والطاعة، فوعد بشير السعداوي أن يستقدم لمقابلته مشايخ جهينة جميعهم[1].

ولم يمضِ أسبوعان حتى حضر إلى المدينة أكثر من مائة شيخ من أنصار بشير السعداوي لمقابلة فخري بك فأمر بإكرامهم، وإعطائهم الهدايا، واختار من بينهم وفداً لمقابلة الشريف علي حيدر[*].

وخلال تلك المقابلة طلب الشريف علي حيدر استغلال بشير السعداوي، العمل مع مشايخ جهينة لاختطاف الأمير فيصل بن الحسين بن علي؛ فاعتذر بشير عن القيام بتلك المهمة التي لا تتفق مع مبادئه الإسلامية الراسخة، متعللاً بأنه لن يجد من يكلفه بتلك المهمة المستحيلة[2].

وكان بوسع بشير السعداوي أن يستغلّ ذلك الموقف للثأر من الأمير فيصل بن الحسين الذي أصدر أوامره بقتله من قبل، ولكن إيمانه، ورجاحة عقله، وحسن تدبيره، ومحافظته على دماء المسلمين، وشهامته العربية أبت عليه أن ينساق وراء عواطفه التي

---

(1) محمد سعيد القشاط، المرجع السابق، ص30؛ الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، ط3، بيروت: دار المدار الاسلامي، 2004م، ص ص133 ـ 134.

(*) الشريف علي حيدر: تم تعيينه من قبل السلطان محمد رشاد في منصب إمارة مكة، ومُنح رتبة الوزارة بعد انفصال الشريف حسين بن علي أمير مكة عن دولة الخلافة العثمانية. وكان ذلك الطلب بمثابة اختبار عملي لمصداقية بشير السعداوي، وإظهار مدى قوة نفوذه على أهل البادية الواقعين تحت سلطته الإدارية.

(2) محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص499؛ ومحمد سعيد القشاط، المرجع السابق، ص32.

ستوقعه في المحظور.

بقي بشير السعداوي مع بصري باشا (والي المدينة) طيلة الفترة التي بقى فيها في الحجاز، وصحبه في جولاته التفقدية للمنطقة، إلى أن طلب جمال باشا حضورهما إلى دمشق لبحث أحوال الجزيرة العربية، وأثناء المقابلة أخبر جمال باشا؛ بشير السعداوي بأنه سيبعثه في مهمة كبيرة قائلاً: «جهّز نفسك لمهمة الموت، ستأخذ الأموال إلى قواتنا في اليمن»[1].

وأرجئت المهمة بناء على طلب فخري باشا؛ حيث طلب من جمال باشا بقاء بشير السعداوي إلى جانبه في المدينة لمساعدته في الدفاع عنها؛ وبالفعل بقي بشير السعداوي في المدينة وشارك قوات فخري باشا في معركة أبي وهيبة، ومعركة أبيار علي في شهر ديسمبر 1917م.

وهكذا عمل بشير السعداوي على فرض هيبة الدولة العثمانية، واهتم بأمور الناس، وأسهم في نشر العلم والمعرفة، وسعى إلى تقوية العلاقة مع مشايخ البدو، ورفض أسلوب الغدر والخيانة، وأثبت في أكثر من مرة حبه لدولة الخلافة، ووفائه لقادتها، وكبار رجالها، ولم يفت في عضده ما وجه إليه من انتقادات خلال مهامه تلك، والتي سرعان ما حولها بشير السعداوي إلى ثقة ومحبة مبنية على الصدق في القول، والإخلاص في العمل، والثبات على المبدأ، فاستطاع بذلك أن ينال ثقة رؤسائه، وأن يكسب محبة مرؤوسيه.

ب ـ بشير السعداوي والحرب اليمنية ـ السعودية 1934م:

خلال شهر مارس 1934 انشغل بشير السعداوي بموضوع الحرب السعودية اليمنية؛ حيث قرر المكتب الدائم للمؤتمر الإسلامي بالقدس احتواء الأزمة بين البلدين عن طريق

(1) المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات، ملف بشير السعداوي، رقم (173) و. ر (1) محمود الدغيم، جهاد بشير السعداوي ضد الفاشية.

الحوار، وكُلِّف بشير السعداوي بالسفر إلى مكة لمقابلة الملك عبد العزيز ومناقشته في فكرة الوساطة التي اقترحها المؤتمر الإسلامي العام بالقدس، وخلال موسم الحج لسنة 1352هـ ـ مارس ـ أبريل 1934م سافر بشير السعداوي إلى مكة لأداء فريضة الحج وللتباحث مع الملك عبد العزيز في المهمة التي جاء من أجلها، وبعد لقاءاتٍ عديدة بين الملك عبد العزيز وبشير السعداوي أبرق الملك عبد العزيز في 3 أبريل 1934م إلى رئيس المؤتمر الإسلامي مبدياً موافقته على قبول الصلح، فأصدر المؤتمر الإسلامي قراره بتشكيل لجنة للمصالحة بين السعودية واليمن تكونت من أمين الحسيني، وشكيب أرسلان، وهاشم الأتاسي، ومحمد علي علوبة، وانضم إلى الوفد جميل مردم، وعفيف الصلح، والسيد المجددي وزير الأفغان المفوّض بمصر بالإضافة إلى بشير السعداوي[1].

ونتيجة للجهود التي بذلها أعضاء وفد المؤتمر الإسلامي توقف القتال بين الأشقاء، وتم التوقيع على معاهدة الصلح بمدينة الطائف في 6 صفر 1353هـ/ 20 مايو 1934م، بحضور أعضاء الوفد، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تعدّاه إلى إقامة علاقات أخوية بينهما[2].

وكان اشتراك بشير السعداوي وشكيب أرسلان في وفد المؤتمر الإسلامي فرصة لتبادل الآراء بينهما بشكلٍ مباشر حول القضية الليبية، والاتصالات المباشرة التي أجراها شكيب أرسلان مع رئيس الوزراء الإيطالي «موسوليني» خلال يومي 12 و15 فبراير 1934م، والموضوعات التي بحثها معه ووعده بتنفيذها، وخاصة ما يتعلق منها بإعادة المهجرين من المعتقلات، وإرجاع الأوقاف والأراضي المصادرة، والعفو عن المحكوم عليهم والمسجونين بسبب الجهاد، وإشراك الأهالي في إدارة بلادهم، ومنع الدعاية الدينية

---

(1) الفتح، السنة الثامنة، عدد 389، القاهرة: 20 ذي الحجة 1352هـ، «الوساطة بين ملكي الجزيرة»، ص11؛ الفتح، عدد 396، القاهرة: 11 صفر 1353هـ، «موقف المسلمين من الحرب في جزيرة العرب»، ص ص1 ـ 3.

(2) الفتح، عدد 396، القاهرة: 11 صفر 1353هـ، «مفاوضات الصلح في الطائف»، ص13. الفتح، عدد 397، القاهرة: 18 صفر 1353هـ، «عقد معاهدة صلح وتعليق تنفيذها على تنفيذ الشروط»، ص12.

المسيحية بين المسلمين، وتسهيل رجوع المهاجرين إلى أوطانهم[1].

ج ـ بشير السعداوي ومشاوراته مع الملك عبد العزيز حول العمل القومي العربي الموحد 1937 ـ 1938م:

رغم انشغال بشير السعداوي بقضيته الوطنية فإنه لم يكن بمعزل عن القضايا العربية آنذاك، وخاصة ما يجري على الساحة الشامية من مقاومة مسلحة وتصدى لمخططات المستعمرين الفرنسيين في سوريا ولبنان، ومؤامرات الإنجليز والصهاينة في فلسطين، فقد شارك في المعترك السياسي السوري منذ وقتٍ مبكر؛ حيث أصبح مستشاراً خاصاً لأحمد نامي أول رئيس حكومة وطنية سورية، ثم عضواً بارزاً في الكتلة الوطنية، وحثّ مواطنيه على الانخراط في عصبة العمل القومي التي كانت تنادي بالوحدة العربية والعمل القومي العربي الواحد[2].

كما تقابل مع أمين الحسيني رئيس اللجنة العربية العليا بفلسطين وتباحث معه حول خطة العمل التي من شأنها التأثير على مخططات المستعمرين ودعمهم للصهاينة، وتوصّلا في نهاية لقاءاتها إلى ضرورة إعلان مقاطعة البضائع اليهودية، وإلى تشكيل لجنة من التجار الدمشقيين لتنفيذ تلك المقاطعة، فقام التجار الدمشقيون بتصفية ما لديهم من البضائع اليهودية، وقرروا عدم استيرادها مجدداً، فنتج عن ذلك كساد اقتصادي ملحوظ على النشاط التجاري اليهودي في دمشق.

وعقب اشتداد الخطر اليهودي على فلسطين عقب اندلاع الثورة الفلسطينية عام 1936م، اتجهت أنظار المفكرين وقادة الرأي العربي إلى المملكة العربية السعودية لعرض الفكرة على الملك عبد العزيز بن سعود، فسافر بشير السعداوي، وأمين الحسيني، ورياض

(1) أحمد الشرباصي، شكيب أرسلان من رواد الوحدة العربية، القاهرة: مطابع الدار القومية، 1963م، ص77.

(2) تيسير بن موسى، كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام 1925 ـ 1951م، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1983م، ص134؛ ومحمد سعيد القشاط، المرجع السابق، ص53.

الصلح، إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج لعام 1355هـ/ فبراير ـ أبريل 1937م، وعقب انتهاء موسم الحج اجتمع ثلاثتهم مع الملك عبد العزيز وتشاوروا معه حول فكرة إقامة إتحاد عربي، وتأسيس لجنة تدعو إلى الوحدة العربية، فشكرهم الملك عبد العزيز على تحمسهم لفكرة الوحدة العربية، وأشار عليهم بالسعي لتوحيد كلمة الشعوب العربية ذاتها وليس ملوكها وأمرائها، لإيمانه بأن الشعوب إذا تيقظت لأمانيها وتنبهت لمزايا الوحدة المنشودة فإنها لا تلبث أن ترغم ملوكها وأمراءها على تحقيق الوحدة، ونصحهم بأن يبذلوا جهدهم لاستمالة رجالات العرب وأهل الرأي منهم في سائر الأقطار العربية لتأييد الوحدة العربية، وأشار باختيار القُطر المصري ميداناً لذلك العمل[1].

وعملاً بمشورة الملك عبد العزيز سافر بشير السعداوي ورياض الصلح إلى القاهرة خلال شهر مايو 1937م، لمقابلة الأمير محمد إدريس السنوسي، وزعماء الجهاد الليبي بالقاهرة، بالإضافة إلى المفكرين وقادة الرأي والمسؤولين المصريين، ومناقشتهم في فكرة الوحدة العربية التي تم طرحها على الملك عبد العزيز، لكن تلك الفكرة لم تلقَ قبولاً لا عند الأمير إدريس ولا عند بعض الزعماء المصريين، الذين انتقدوا تعلّق بشير السعداوي برياض الصلح والفكرة التي جاء من أجلها إلى مصر[2].

عاد بشير السعداوي ورياض الصلح إلى دمشق وعملا على تكتل العرب بكل الوسائل الممكنة، وساندهما في ذلك نخبة من المفكرين العرب، وقادة الرأي، والمشتغلين بالقضايا العربية الذين فكروا في إنشاء المكتب العربي القومي وعلى رأسهم فخري البارودي صاحب فكرة إنشاء ذلك المكتب وواضع مواد نظام العمل به؛ حيث خرج المكتب إلى حيّز الوجود في منتصف عام 1937م، وقدَّمت له حكومة الكتلة الوطنية السورية مساعدة

(1) محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص998.

(2) المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات، ملف شكري فيصل رقم (14) الظرف السادس، و. ر (17) رسالة من محمد إدريس السنوسي إلى عمر شنيب بتاريخ 7 ربيع الثاني 1356هـ/ الموافق 16 يونيو 1937م. وهي رد على رسالة بعث بها عمر شنيب تتضمن 19 سؤالاً.

مالية وأعفته من رسوم البريد والبرق والهاتف[1].

وفي 8 يوليو 1937م صدر تقرير اللجنة الملكية البريطانية (تقرير بيل) بتقسيم فلسطين فأثار نقمة عربية عامة، وأرسلت اللجنة العربية العليا برقيات إلى ملوك العرب ورؤسائهم تطالبهم بالسعي لإنقاذ فلسطين، وتحمس بشير السعداوي، ورياض الصلح، وأمين الحسيني لفكرة الوحدة أكثر من ذي قبل، واجتمعوا برئيس الحكومة السورية جميل مردم لمناقشة فكرة انعقاد مؤتمر عربي في القاهرة لبحث فكرة الوحدة التي يمكن أن تؤدي إلى قيام قوة عربية تستطيع التصدي لمخططات المستعمرين الرامية إلى تفتيت الأمة العربية، وشجّعهم في ذلك تصريح مصطفى النحاس في مجلس الشيوخ المصري بتأييد عرب فلسطين وتعهده بالعمل على تحقيق مطالبهم، ووقع اختيارهم على بشير السعداوي ليذهب إلى القاهرة مصحوباً بخطاب رئيس الحكومة السورية إلى رئيس الحكومة المصرية للتباحث في المسألة التي رجوا أن تكون مصر في المكان التي هي منه، فتأخذ بقيادة البلاد العربية لانتهاج خطة مشتركة[2].

وقبل سفره إلى القاهرة توجّه بشير السعداوي إلى لبنان فالتقى الأمير شكيب أرسلان المقيم في صوفر، وتباحث معه في الأوضاع التي تمر بها المنطقة العربية آنذاك، ثم واصل سيره إلى القاهرة فوصلها في منتصف شهر يوليو 1937م، وبالقاهرة تقابل مع الأمير عمر طوسون لتسهيل مقابلة رئيس الحكومة المصرية، لتسليمه خطاب رئيس الحكومة السورية والتباحث معه حول الأوضاع التي تمرّ بها المنطقة العربية، ولكنه لم يفلح في ذلك، وظل بشير السعداوي يتحيّن الفرصة المناسبة للقاء رئيس الحكومة المصرية، لكن

(1) المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات، ملف بشير السعداوي رقم (173) و. ر (1) مقال للكاتب محمود السيد الدغيم بعنوان: جهاد بشير السعداوي ضد الفاشية (4 ـ 5) المؤتمر الإسلامي في القدس كرّس مبادئ الجامعة الإسلامية، نشر في صحيفة الحياة اللندنية بتاريخ 1 مارس 1995م.

(2) عادل حسن غنيم، الحركة الوطنية الفلسطينية من ثورة 1936م حتى الحرب العالمية الثانية، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1980م، ص545.

تعرّض بشير السعداوي، وسامي السراج، وأسعد داغر إلى حادث سير بمصر الجديدة وهم في طريقهم لمقابلة ولي العهد الأمير سعود بن عبد العزيز في 28 يوليو 1937م، ألزم بشير السعداوي الفراش لمدة ثلاثة أشهر، فاستعان بالشيخ حمد باشا الباسل في تسليم الخطاب المشار إليه إلى مصطفى النحاس رئيس الحكومة المصرية[1].

د ـ بشير السعداوي مبعوثاً من قبل قادة الكتلة الوطنية السورية إلى الملك عبد العزيز 1938م:

غداة توتر الأوضاع الدولية بسبب التقارب النازي ـ الفاشستي الذي بدأ يهدد السلام العالمي خلال سنة 1938م، قرر قادة الكتلة الوطنية السورية التشاور مع إخوانهم في المملكة العربية السعودية حول تلك التطورات الدولية وتداعياتها على الأقطار العربية والأمة الإسلامية، فوقع اختيارهم على بشير السعداوي ليكون رسولهم إلى الملك عبد العزيز بن سعود لاستشارته في ما يجب اتخاذه من تدابير، لما عهدوه منه من مواقف ثابتة تجاه قضايا العروبة والإسلام، ولما يحتله في قلوب العرب والمسلمين عامة من تقدير واحترام[2].

توجّه بشير السعداوي إلى الحجاز خلال شهر رمضان 1357هـ/ أكتوبر 1938م فقابل الملك عبد العزيز وعرض عليه المهمة التي جاء من أجلها، فأعجب الملك عبد العزيز بموقف القادة السوريين، وزوّده بنصائح لهم معتبراً أن سوريا المركز الحساس في جسم الأمة العربية، طالباً منه أن يبقى بجانبه كمستشار له، فوعده بشير السعداوي بتنفيذ طلبه

(1) المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات، ملف شكري فيصل رقم (14) الظرف السادس، و. ر (6) رسالة من شكيب أرسلان إلى عمر شنيب، تشير إلى سفر بشير السعداوي إلى مصر بتاريخ 9 جمادى الأولى 1356هـ ـ يوليو 1937م. ووثيقة رقم (26) رسالة إلى عمر شنيب بتاريخ 9 جمادى الثانية 1356هـ ـ 16 أغسطس 1937م، وتتضمن معلومات عن دخول بشير السعداوي إلى المستشفى. والظرف الأول، وثيقة رقم (37)، رسالة من علي العابدية بالأردن إلى عمر شنيب بتاريخ 1/ 11/ 1937م يستفسر فيها عن صحة بشير السعداوي عقب تعرضه لحادث السيارة.

(2) الفتح، عدد 665، القاهرة: 17 جمادى الاخرة 1358هـ، «جلالة الملك ابن سعود والقضية السورية»، ص10.

عقب رجوعه إلى دمشق وإبلاغ جوابه إلى قادة الكتلة الوطنية السورية، فوافقه الملك عبد العزيز على ذلك فرجع بشير السعداوي إلى دمشق أواخر شهر أكتوبر 1938م، وأبلغ موفديه بنتائج زيارته إلى العاهل السعودي وما أشار به عليهم من احتياطات ومواقف ينبغي اتخاذها في حالة اندلاع الحرب العالمية الثانية، وأخيراً رغبة الملك في اتخاذ بشير السعداوي مستشاراً له(1).

وأخبر بشير السعداوي زملاءه في جمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوي بدمشق فدعت الجمعية إلى اجتماع لأعضائها كافة لاختيار خليفة لبشير السعداوي في قيادة النضال السياسي للمهاجرين الليبيين ببلاد الشام، فوقع اختيارهم على زميلهم كامل عياد ليتولّى رئاسة الجمعية مع بداية عام 1939م، وغادر بشير السعداوي دمشق متوجهاً إلى الرياض ليتولّى منصبه الجديد كمستشارٍ للملك عبد العزيز بن سعود ملك المملكة العربية السعودية(2).

وهكذا كان بشير السعداوي مشغول الأفكار بالقضية الوطنية الليبية من خلال جمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوي، وبقضايا النضال القومي العربي من خلال المكتب العربي القومي، وبقضايا العالم الإسلامي من خلال المؤتمر الإسلامي العام بالقدس، ورأى بأنه ما لم يتم الربط بين قضيته الوطنية وقضايا العروبة والإسلام، وما لم يتم التضامن العربي والإسلامي فإنه ليس بمقدور الأمة العربية منفردة التصدي للمخاطر الدولية التي تواجهها، وهو ما آمن به بشير السعداوي منذ نعومة أظافره، وخلال فترة نضاله السياسي الوطني والقومي، وعمل على تحقيقه في السنوات اللاحقة.

* * *

(1) المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات، ملف بشير السعداوي رقم (173) و. ر (1) مقال للكاتب محمود السيد دغيم بعنوان جهاد بشير السعداوي ضد الفاشية (5 ـ 5)، ص7.

(2) المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات، ملف اللجان والأحزاب رقم (36) و. ر (60) بعنوان: الجالية الليبية في سوريا، ص2.

*** ثانياً ـ بشير السعداوي مستشاراً سياسيا للملك عبد العزيز بن سعود 1939م:**

أ ـ عوامل اختيار بشير السعداوي مستشاراً سياسيا للملك عبد العزيز بن سعود:

كان الملك عبد العزيز بن سعود في بداية حكمه في نجد يدير الأمور بصفة شخصية، فكان يستقبل ضيوفه بنفسه ويسمع منهم ويغمرهم بعطاياه، وبعد اتساع رقعة دولته الفتية دفعه إلى تأسيس وزارة الخارجية، وهي أول وزارة أُسِّست في المملكة العربية السعودية بموجب المرسوم الملكي الصادر في 26 رجب 1349هـ/ الموافق 29 ديسمبر 1930م القاضي بتحويل مديرية الشؤون الخارجية إلى وزارة للخارجية تولّى رئاستها الأمير فيصل بن عبد العزيز، وتكوّن هيكلها التنظيمي من المكتب الخاص، والشعبة الشرقية والشعبة الإدارية، والشعبة السياسية، والشعبة القنصلية.

كانت الشعبة السياسية هي الإدارة التي تتعامل مع دول العالم كافة ما عدا الدول التابعة للإدارة الشرقية التي تُعنى بكافة شؤون آسيا وأفريقيا.

تولّى رئاسة الشعبة السياسية المستشار الدائم الأمير عبدالله بن عبد الرحمن شقيق الملك عبد العزيز، وضمت نخبة من رجال الفكر والسياسة العرب كان من بينهم عبدالله الدملوجي، وموفق الألوسي من العراق، وحافظ وهبة من مصر، ويوسف ياسين من سوريا، ورشدي ملحس من فلسطين، وفؤاد حمزة من لبنان، وخالد أبو الوليد (القرقني)، وبشير السعداوي من طرابلس الغرب... وغيرهم[1].

وكانت مهمة أولئك المستشارين إعداد الأبحاث والدراسات حول كل ما يهم الملك معرفته عن كل قُطر أو قضية مُعيّنة؛ حيث يجتمع أعضاؤها جميعاً للتباحث والمناقشة والتحليل لأية قضية قد تتعرّض لها أية دولة عربية أو إسلامية للوصول إلى رأي واحد لتقديمه للملك، الذي فتح بلاده وعقله وقلبه للمخلصين العرب والمسلمين جميعاً،

(1) خير الدين الزركلي، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، بيروت: دار العلم للملايين، 1988م، ص ص323 ـ 325؛ وعبدالله عبد المحسن التركي، الملك عبد العزيز آل سعود أمة في رجل، الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والإرشاد، 1420هـ/ 2000م، ص76.

وخاصة مثقفيهم الذين رأى فيهم الملك عاملاً مساعداً في بناء دولته الفتية، وفي تحديد علاقاتها الخارجية بدول العالم، ولابد أن نوضح هنا أن هؤلاء المستشارين الأكفاء كانوا يتمتعون بتقدير واحترام الملك لهم، كما كانوا يحظون بتقدير واحترام حكوماتهم التي كثيراً ما كانت تتعاون معهم، وتبادلهم الرأي والمشورة(1).

ب ـ تولّي بشير السعداوي منصب مستشار الملك عبد العزيز بن سعود 1939م:

وصل بشير السعداوي إلى الحجاز مع نهاية شهر ذي القعدة 1357هـ/ يناير 1939م فأدّى فريضة الحج، وبعد انتهاء موسم الحج توجّه إلى الرياض في شهر فبراير من العام نفسه لمباشرة عمله بالشُّعبة السياسية في الديوان الملكي السعودي، بصفة مستشار سياسي للملك عبد العزيز بن سعود.

وقد جاء اختيار بشير السعداوي لهذا المنصب نظراً لاهتمام الملك عبد العزيز بالاطلاع على آراء وأفكار واتجاهات جميع العواصم العربية مهما تعددت، وفي مختلف الظروف والأحوال، فكانت القضية الطرابلسية من أشهر القضايا العربية المطروحة على الساحة العربية والإسلامية آنذاك، وذلك بفضل النشاطات الثقافية والإعلامية التي قام بها بشير السعداوي وزملاؤه في أقطار المشرق العربي عامة والحجاز خاصة، وذلك من خلال الخُطب التي كان يلقيها على مسامع الحجاج المسلمين والمناشير التي كان يقوم بتوزيعها عليهم والتي أحدثت صدىً كبيراً في الأقطار العربية والإسلامية كافة، فضلاً عن ما هو معروف عن بشير السعداوي من إلمامه بالقضايا العربية والإسلامية، ومعرفته بالتطورات الدولية والمتغيرات الإقليمية آنذاك، وبصلاته الحميمة مع العديد من رجال الفكر والسياسة العرب والمسلمين الذين توطدت علاقاته بهم أكثر عقب المؤتمر الإسلامي بالقدس (ديسمبر 1931م) ثم مشاركته في وفد المؤتمر الإسلامي لتحقيق المصالحة بين السعودية واليمن (مارس 1934م) ثم اتصالاته الدولية إبان فترة العدوان الإيطالي على الحبشة

(1) سيد أحمد يونس، المملكة العربية السعودية وسياستها الخارجية 1924 ـ 1953م، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم التاريخ، 1975م، ص ص342 ـ 343.

(1935 ـ 1936م)، ومساعيه الوحدوية التي بدأها مع المفكرين العرب وزعمائهم وعلى رأسهم الملك عبد العزيز بن سعود ملك السعودية، ومصطفى النحاس رئيس وزراء مصر خلال سنة 1937م، في أعقاب اندلاع الثورة الفلسطينية عام 1936م، واشتداد الأطماع الأجنبية في الوطن العربي.

ولكن الأسئلة التي تفرض نفسها هنا هي ما الذي دفع بشير السعداوي بالقبول بذلك المنصب وتخليه عن قيادة مواطنيه في المهجر وهو المعروف بالمؤسس الأول لحركة المقاومة الليبية بالمهجر والمتمثلة في حرب الأقلام، في الوقت الذي كانت فيه القضية الطرابلسية تمر بأصعب مراحلها؟ ومن كان السبب في عمل بشير السعداوي لدى الملك عبد العزيز بن سعود؟

لقد اختلفت المصادر التاريخية التي اطّلع عليها الباحث حول أسباب قبول بشير السعداوي بذلك المنصب، والأشخاص الذين قاموا بتزكيته لدى الملك عبد العزيز حتى قبل بانضمامه إلى مجموعة المستشارين العرب العاملين بالشعبة السياسية في الديوان الملكي السعودي؛ حيث يُعلّل الهادي المشيرقي أحد رفاق بشير السعداوي في جمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوي بدمشق خلال سنة 1934م قبول بشير السعداوي بذلك المنصب قائلاً: «وعندما ضاقت الموارد أمام اللجنة (الجمعية) قبل العمل في السعودية مستشاراً ليمد اللجنة بجزء من احتياجاتها لمواصلة دورها في التصدي لمؤامرات وممارسات الإيطاليين»[1].

بينما يذكر الطاهر الزاوي وهو أحد رجال الحركة الوطنية الليبية بمصر الذي كان على علاقة وثيقة مع بشير السعداوي أيام الجهاد في طرابلس الغرب أن وصول بشير السعداوي إلى ذلك المنصب كان بواسطة عبد الرحمن عزام، لأن بشير السعداوي من المجاهدين الذين كان عزام يسعى في مصالحهم بكل ما يمكنه[2].

---

(1) الهادي إبراهيم المشيرقي، المرجع السابق، ص339.

(2) المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات، ملف الطاهر أحمد الزاوي رقم (29) و. ر (2)، وملف اللجان والأحزاب رقم (36) و. ر (58)، إجابة عن 27 سؤالاً للشيخ =

في حين توضح رسالة عمر فائق شنيب أمير سر جمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوي بدمشق الموجهة إلى سليمان الباروني أن السعداوي بعد تطوافه وجريه خلف جماعة الكتلة والاستقلاليين وارتدائه ثوب الخداع والمنفعة الشخصية، وبيع ضمائرهم لإيطاليا واستلام الأموال منها باسم مصلحة فلسطين قد طمس عينيه وفقد شعوره، وسافر إلى السعودية ليتولى منصباً حكومياً هناك وأما البقية فالسلطات تطاردهم والجرائد تشن عليهم الحملات[1].

وقد ذَكَر بشير السعداوي وخلال إيفاده إلى الملك عبد العزيز من قبل الكتلة الوطنية السورية أن الملك عبد العزيز قد طلب من خالد القرقني (أبو الوليد) رفيق بشير السعداوي أيام الجهاد في طرابلس، ومستشار الملك آنذاك إبلاغ بشير السعداوي برغبة الملك في بقائه في خدمته، ولما تأخر في الرد عليه صارحه في مجلسه، فرد بشير السعداوي قائلاً: «إن ذلك شرف عظيم لي ولكن جلالته أصر على أن أعاهده على القبول، وعندئذ ذكرت لجلالته أني موفد من قبل إخواني في مهمة، يجب على أن أبلغهم أوامر جلالة الملك بشأنها، فقال جلالته لا بأس بذلك حينئذ تذهب إلى إخوانك في سوريا ثم تعود إلينا عند موسم الحج فنتقابل، وكنا حينئذ في شهر رمضان 1357هـ (أواخر أكتوبر 1938م)، وبالفعل عُدت إلى سوريا، وأبلغت الإخوان رسالة جلالة الملك، وقَبل الحج رجعت إلى الحجاز في أواخر شهر ذي القعدة (يناير 1939م) وحضر جلالته إلى الحجاز وبعد الحج باشرتُ عملي كمستشار لجلالته، وتوجهت صحبته إلى الرياض في فبراير 1939م»[2].

= الطاهر أحمد الزاوي حول الفترة من 1940 ـ 1952م، تقدّم بهذه الأسئلة الباحثون على البوصيري، ومحمد أبوشارب، وعمرو بغني، بتاريخ 1/ 3/ 1980م، ص ص3 ـ 4، وص12.

(1) المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات، ملف شكري فيصل رقم (14) الظرف السادس، و. ر (9) رسالة من عمر شنيب إلى سليمان الباروني يُخبره أن السعداوي بعد تطوافه وجريه خلف جماعة الكتلة والاستقلاليين قد طمس عيناه وفقد شعوره، وسافر إلى السعودية ليتولى منصباً حكومياً هناك بتاريخ 24 نيسان (أبريل) 1939م.

(2) محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص1001؛ محمد سعيد القشاط، المرجع السابق، ص ص55 ـ 56، وتيسير بن موسى، المرجع السابق، ص87، وص ص149 ـ 150.

ويرى الباحث أن قبول بشير السعداوي بذلك المنصب الحكومي الرفيع سواء كان بطلب مباشر من الملك عبد العزيز أو بواسطة أحد رفاقه في النضال الوطني كخالد القرقني (أبو الوليد) أو عبد الرحمن عزام أو غيرهما، وإن كان قد يعود بالنفع الشخصي لبشير السعداوي إلا أنه سوف يحد من زعامته السابقة للمهاجرين الليبيين في نضالهم ضد محتليهم الإيطاليين خلال الحقبة التي عمل فيها مع الملك عبد العزيز بن سعود، والتي بدأت قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية 1939م واستمرت حتى سنة 1946م، وما نتج عنها من تداعيات خطيرة على قضيته الوطنية التي ناضل من أجلها أكثر من ربع قرن من الزمان؛ حيث تركز نشاط المهاجرين الليبيين خلال هذه الفترة بمصر بزعامة الأمير محمد إدريس السنوسي، فانضوى تحت لوائه معظم الزعماء المهاجرين بمنطقة المشرق العربي[1].

وقد شغل بشير السعداوي عن الميدانين السياسي والعسكري طيلة تلك الفترة مما تسبب في ضياع حلقة مهمة من حلقات نضاله ضد المحتلين الإيطاليين، خلال أهم وأعقد فترة من فترات نضال الليبيين جميعاً من أجل الاستقلال والتحرر من نير الفاشية إبان الحرب العالمية الثانية.

* * *

*** ثالثاً ـ جهود الملك عبد العزيز لوحدة الأمة العربية ومساهمة بشير السعداوي فيها 1939 ـ 1945م:**

أ ـ دور بشير السعداوي في جهود الملك عبد العزيز لتوحيد صفوف الحركة الوطنية السورية 1939م:

كانت المهمة التي أُوفد من أجلها بشير السعداوي من قبل الحكومة الوطنية بدمشق

(1) المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات، ملف شكري فيصل، الظرف الرابع، و. ر (67) رسالة إلى عمر شنيب يبيّن فيها كاتبها جهود إدريس في تجميع المهاجرين وتكوين مشايخ عليهم والتفاوض مع الإنجليز في مصر لتأمين استقرار المهاجرين، مصر بتاريخ 1358هـ/ 13 يونيو 1939م.

إلى الملك عبد العزيز بن سعود هي التفاهم والاتفاق على ما يجب عمله فيما إذا نشبت الحرب العالمية الثانية، وذلك حتى تتمكن الأمة العربية من مواجهة هذه الحرب بكلمة واحدة حفاظاً على كيانها من التمزيق مجدداً، مثلما حدث للمنطقة عقب نهاية الحرب العالمية الأولى[1].

ولما كان الفرنسيون قد ضيّقوا الخناق على الحكومة الوطنية (السورية) قبيل الحرب العالمية الثانية، حتى اضطربت الأحوال الداخلية بدرجة أن استقالت وزارتان متتاليتان أعقبها استقالة رئيس الجمهورية هاشم الأتاسي في 7 يوليو 1939م، وقام غبراييل بيو (الحاكم الفرنسي) بتعطيل الدستور، وحل البرلمان، وعَيَّن مجلس مديرين غير سياسي تحت سلطته لإدارة شؤون الحكم في سوريا، فقد أَوفد الملك عبد العزيز بن سعود من قبله بشير السعداوي إلى الوطنيين السوريين لينصحهم بالتمسك بالحكمة، وليثبت قلوبهم، وليؤكد تأييده لهم في قضيتهم الوطنية وسعيه من أجل استقلال بلادهم[2].

وصل بشير السعداوي إلى دمشق وعقد العديد من الاجتماعات بزعماء الكتلة الوطنية في دمشق، وفي سوق الغرب اللبنانية وهناك قابل رياض الصلح، وعفيف الصلح، ولطفي الحفار، وهاشم الأتاسي، وخليل مردم، وفخري البارودي. . . وغيرهم، وتباحث معهم في المهمة التي أوفده الملك عبد العزيز من أجلها، وخلال فترة تلك المهمة اندلعت نيران الحرب العالمية الثانية باعتداء ألمانيا على بولندا في 1 سبتمبر 1939م، فأعلنت فرنسا، وبريطانيا الحرب على ألمانيا في 3 ديسمبر 1939م، فقضى بشير السعداوي بضعة أسابيع في لبنان وسوريا ثم سافر إلى العراق ومنها عاد إلى الرياض[3].

(1) جورج أنطونيوس، يقظة العرب، ترجمة ناصر الدين الأسد، وإحسان عباس، ط8، بيروت: دار العلم للملايين، 1987م، ص ص348 ـ 370.

(2) فيليب خوري، سوريا والانتداب الفرنسي 1920 ـ 1945م، ترجمة مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ص647.

(3) المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات، ملف بشير السعداوي رقم (173) و. ر (2) بعنوان: نظرة خاطفة في حياة بشير السعداوي.

وخلال وجوده بدمشق اجتمع برجال الحركة الوطنية الليبية وتباحث معهم حول التطورات الدولية التي يشهدها العالم آنذاك، وحثّهم على وحدة الصف ومواصلة النضال حتى تحرير بلادهم من المحتلين الإيطاليين، الأمر الذي أدّى إلى تفهم الزعماء المهاجرين الليبيين بدمشق للمستجدات التي حدثت في القُطر المصري والتي تمثلت في اجتماع زعماء المهاجرين الليبيين بمنزل الأمير إدريس السنوسي في فيكتوريا بالإسكندرية في 6 رمضان 1358هـ الموافق 20 أكتوبر 1939م واتفاق كلمتهم على مبايعة الأمير إدريس السنوسي زعيماً للبلاد، وليتحدث باسم الليبيين أمام الحكومة البريطانية، والهيئات الدولية كافة فيما يتعلّق بمصير البلاد؛ فعقدوا اجتماعاً طارئاً في يوم 29 شوال 1358هـ/ 11 ديسمبر 1939م بدار عبد الغني الباجقني تدارسوا فيه الوعود البريطانية بتقديم دعمهم لليبيين نظير مشاركتهم في حربهم ضد الإيطاليين فيما لو دخلت إيطاليا الحرب إلى جانب ألمانيا، وفي نهاية اجتماعهم وقّعوا وثيقة تأييد باسم مهاجري سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن، وبعثوا بها إلى الأمير إدريس السنوسي يعلنون فيها تضامنهم معه في الدفاع عن وطنهم المحتل[1].

ويرى الباحث أن هذا العمل يُعدُّ سعياً صادقاً من بشير السعداوي وزملائه في جمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوي بدمشق في توحيد الجهود ورص الصفوف وتوحيد الزعامة ونبذ الخلاف الجانبي الذي لا طائل من ورائه، ولا يترتب عليه إلا الفُرقة وضياع المصلحة الوطنية.

ب ـ بشير السعداوي ومرافقة الأمير محمد بن عبد العزيز إلى اليمن 1940م:

بتكليفٍ من الملك عبد العزيز بن سعود رافق بشير السعداوي الأمير محمد بن سعود إلى اليمن ضمن وفد رسمي عام 1940م، في زيارة ودية لإثبات حسن نوايا الملك تجاه الإمام يحيى بن حميد الدين والتباحث حول إقامة علاقات سعودية يمنية مبنية على

(1) محمد محمد علي الطرابلسي، طرابلس بلاد شرقية ولو كره الإيطاليون، عن كتاب الدفاع الطرابلسي البرقاوي، القاهرة: 1940م، ص ص10 ـ 12؛ وتيسير بن موسى، المرجع السابق، ص ص151ـ 152.

حسن الجوار والاحترام المتبادل بين البلدين.

ومعروف عن السعداوي أنه كان خبيراً بالعلاقات السعودية اليمنية، وقد اكتسب خبرته تلك من مشاركته في وفد المؤتمر الإسلامي العام الذي أُرسل إلى اليمن في سنوات سابقة لإحلال الصلح بين البلدين، والتي انتهت بتوقيع معاهدة صداقة إسلامية وأُخوّة عربية بين المملكة العربية السعودية، والمملكة اليمانية (معاهدة الطائف) في 6 صفر 1353هـ/ 20 مايو 1934م.

ج ـ موقف الملك عبد العزيز بن سعود من الحرب العالمية الثانية وتداعياتها على القضية الليبية 1939 ـ 1945م:

قبيل دخول إيطاليا الحرب إلى جانب ألمانيا جرت اتصالات بين المسؤولين السعوديين والإنجليز، فأشار السعوديون على الإنجليز بضرورة تحديد موقفهم من استقلال ليبيا والحبشة وحريتهم بعد انتهاء الحرب، وإعلان ذلك أمام الرأي العام العربي مما سيكون له الأثر المحمود على الصعيد العربي والإسلامي[1].

كما قام رُسل إيطاليا المتواجدون في جدّة وعلى رأسهم المندوب الدبلوماسي الإيطالي «سيليتي» بمحاولة إقناع الملك عبد العزيز ـ من خلال مستشاريه ـ الانضمام إلى ألمانيا، فلم يلقوا سوى الرفض، حتى وصل الأمر أن تناقلت الألسنة أن هتلر أرسل سنة 1940م كتاباً إلى الملك عبد العزيز اقترح فيه الانضمام إلى ألمانيا في حربها ووعده بتاج الدول العربية الكبرى، فلم يؤثّر ذلك فيه، ولم يحمله على تعديل خططه وسياسته وازداد تمسكاً بالحياد[2].

وفي 10 يونيو 1940م أبلغ وزير الخارجية الإيطالي «تشانو»؛ السفير الفرنسي،

---

(1) Fo. 371.24590: تقرير عن الموقف السعودي من الحرب العالمية الثانية.

(2) عزة بنت عبد الرحيم بن محمد شاهين، العلاقات الخارجية للمملكة العربية السعودية في عهد الملك عبد العزيز آل سعود ما بين عامي 1924 ـ 1945م، (دكتوراه) جامعة عين شمس، كلية البنات، قسم التاريخ، 2005م، ص ص66 ـ 67.

والسفير البريطاني في روما أن إيطاليا قد أعلنت الحرب على الدولتين[1].

وكانت لظروف الحرب العالمية الثانية واستسلام فرنسا لدول المحور ووصول اللجنة الألمانية والإيطالية إلى سوريا أكبر الأثر في تجميد نشاط المهاجرين الليبيين بدمشق خلال سنة 1940م، حيث انقطعت اتصالاتهم ببشير السعداوي بعد أن تم تجميد أعمال لجنتهم، وزج بقسم من شبابها في السجون، وبدأ التفكك ينتاب أعضاؤها، وغادر بعضهم دمشق متوجهاً إلى الأقطار الأخرى[2].

وفي شهر نوفمبر 1940م وجّه الجنرال «ديغول» نداءً إلى أنصاره لكي يساعدوا البريطانيين في محاربة الإيطاليين بالميدان الليبي، وخلال تلك الفترة الحرجة من تاريخ الحرب العالمية الثانية وما تخللها من عمليات كر وفر بين الدول المتحاربة فوق التراب الليبي، اغتنم بشير السعداوي فرصة انسحاب الإنجليز من بنغازي في أبريل 1941م، وانسحابهم إلى مصر واقترح على الملك عبد العزيز المشاركة في الحرب إلى جانب الإنجليز ضد الإيطاليين، شريطة إعطاء وعد باستقلال ليبيا بعد تحريرها من الإيطاليين[3].

وعندما توغلت قوات المحور في الأراضي المصرية بقيادة «رومل» في يونيو 1942م اتصل الإنجليز بالملك عبد العزيز واستفسروا عن استعداد بشير السعداوي للتعاون معهم في الحرب ضد الإيطاليين، فأجابهم نيابة عنه بالقول إنه يقبل التعاون ولكن بشرط أن يعترف الإنجليز أولاً بإعطاء ليبيا استقلالها بعد هزيمة قوات المحور وتحررها فلم يرد

---

(1) Renzo De Felice, Mossolini l'alleato, 1940 _ 1943. (Torino: Gulo Einaudi Editore, 1990), P. 90.

(2) المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات، ملف اللجان والأحزاب رقم (36) و. ر (60) بعنوان الجالية الليبية في سوريا، ص2. والناجح محمد أبو القاسم الأخضر، المهاجرون الليبيون لبلاد الشام (سوريا) ودورهم في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية 1911 ـ 1952م، (دكتوراه) جامعة قاريونس [سابقاً]، كلية الآداب، قسم التاريخ، 2009م، ص80.

(3) Jean, Pichon. Laguestion de Lybie. (Paris: perronte, 1947), PP. 81 - 88.

وبروشين، المرجع السابق، ص228.

الإنجليز جواباً[1].

ومع ذلك فقد حافظ الملك عبد العزيز على علاقاته الودية مع الإنجليز؛ حيث أرسل ابنه الأمير منصور لزيارة المواقع العسكرية في «العَلَمين» مع نهاية شهر أكتوبر وبداية شهر نوفمبر 1942م، بالإضافة إلى زيارة الأمير فيصل، والأمير خالد بن سعود إلى أمريكا، وبريطانيا، والجزائر، وتونس، وطرابلس 1943م[2].

وبالرغم مما أعلنه ونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطاني في مجلس العموم بتاريخ 21 سبتمبر 1943م بأن إيطاليا فقدت امبراطوريتها في أفريقيا بدون رجعة، إلا أنه سرعان ما ظهرت مؤامرات بريطانيا ضد وحدة البلاد واستقلالها منذ دخول القوات البريطانية طرابلس في 21 يناير 1943م؛ حيث أقرّت لفرنسا باحتلال الجنوب الليبي واعترفت بإدارتها لفزان، كما تعاطفت مع المعمرين الإيطاليين، مما دفع بالعاملين في المجال الوطني إلى توجيه الدعوة إلى بعض زعماء الجهاد والسياسة القدامى من أمثال خالد القرقني، وبشير السعداوي اللذين يعملان كمستشارين للملك عبد العزيز آنذاك بالعودة إلى الوطن لتولّي قيادة مسيرة النضال لما عهد فيهما من الخبرة والدراية بمجريات أمور السياسة الدولية آنذاك. كما برز اسم بشير السعداوي وخالد القرقني في المفاوضات التي جرت مع الولايات المتحدة الأمريكية عام 1943م بشأن فتح قنصلية أمريكية في الظهران حيث ناقش (جيمس موس) الوزير المفوّض الأمريكي في جدّة هذا الموضوع أكثر من مرة أثناء زيارته الرياض خلال المدة (29 سبتمبر ـ 5 أكتوبر 1943م) مع ابن سعود وبعض مستشاريه والموظفين دون أن يتوصل إلى نتيجة، وفي اليوم نفسه قام الشيخ يوسف ياسين وكان يعمل وزيراً

---

(1) المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات، ملف بشير السعداوي رقم (173) و. ر (1) جهاد بشير السعداوي ضد الفاشية (5 ـ 5)؛ محمد سعيد القشاط، المرجع السابق، ص63. وانظر أيضاً:

John Wright. Libya., London: Ernest Benlimited, (N. D), PP. 189 - 190.

(2) أحمد عبد الغفور عطار، صقر الجزيرة، ج6، بيروت: مطبعة الحرية، 1972م، ص1182.

بالخارجية السعودية، والمستشاران خالد القرقني، وبشير السعداوي بزيارة للوزير «موس» وذلك بموجب تخويل الملك عبد العزيز ابن سعود لهم بمناقشة الموضوع؛ حيث تبودلت وجهات النظر بين الجانبين ورد الملك عبد العزيز وتبريره لعدم قبول الطلب الأمريكي بحجة رفض الملك عبد العزيز لطلبات مماثلة تقدمت بها كل من بريطانيا، والعراق، وايران وقبول مثل هذا الطلب سيؤدي بدول أخرى لتقديم مثله، مما سيحرج السعودية، ولكنه يرغب في مساعدة أصدقائه الأمريكيين، ولكن ليس عن طريق السماح لهم بإقامة قنصلية أمريكية في الظهران[1].

ولم تتضمن الهدنة العسكرية الإيطالية في 3 سبتمبر 1944م أي شيئ حول مصير المستعمرات الإيطالية، وتحاشى البريطانيون المشكلة الليبية وغيرها من المستعمرات الإيطالية مع باقي الدول الكبرى في مؤتمر «دمبرتون اكس» 1944م[2].

د ـ مشاركة بشير السعداوي في محادثات تكوين جامعة الدول العربية 1944 ـ 1945م:

كان الملك عبد العزيز بن سعود من أكثر المتحمسين لوحدة الأمة العربية والأمة الإسلامية على أساس الأُخوّة الإسلامية والرابطة العربية؛ حيث كان أول من قام بعقد

(1) نجاة عبد القادر الجاسم، التمثيل الدبلوماسي والقنصلي في المملكة العربية السعودية 1936 ـ 1944م مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت: العدد 39، السنة العاشرة، يوليو 1984م، ص ص110 ـ 112؛ وخليل علي مراد، تطور السياسة الأمريكية في منطقة الخليج العربي 1941 ـ 1947م، بغداد: 1980م، ص158. نقلاً عن صبري فالح الحمدي، المستشارون العرب والسياسة الخارجية السعودية خلال حكم الملك عبد العزيز بن سعود (1915 ـ 1953م) لندن: دار الحكمة، 2011م، ص ص223 ـ 224؛ والمركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات، ملف الهادي المشيرقي رقم (5) رسالتان من الهادي المشيرقي إلى خالد القرقني، وبشير السعداوي المقيمان بالرياض، بتاريخ أكتوبر 1943م؛ وهدى محمد عثمان، التنافس الاستعماري بين بريطانيا وإيطاليا في منطقتي العالم العربي وشرق أفريقيا، بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2007م، ص540.

(2) Medicoot, W.N. British Foreign Policy Since Versailles 1919 _ 1963, Second Edition, London Methuen & Coltd, 1968, PP. 258 _ 262.

معاهدات أخوية مع الدول العربية الشقيقة المجاورة، ابتداء بمشيخات الخليج العربي، واليمن، والأردن، والعراق، ومصر، وكان أول من رحب بفكرة الجامعة العربية ودون تحريض أو وصاية من أي دولة عربية أو أجنبية[1].

دارت الكثير من المشاورات بين القاهرة، ودمشق، وبيروت، وعمَّان، وبغداد، وصنعاء، والرياض لتكوين الجامعة العربية، وانتهت هذه المشاورات إلى انعقاد مؤتمر الإسكندرية في الفترة ما بين 20 سبتمبر إلى 6 أكتوبر 1944م، وانتهى المؤتمر إلى إعلان العرب على الاتفاق على تكوين منظمة عربية إقليمية تحمل اسم «جامعة الدول العربية» مع تحفظ وفود بعض الدول على بعض مقررات المؤتمر، وبالتالي إحجامها عن التوقيع قبل عرض المقررات على حكوماتها، وكانت السعودية واليمن من بين تلك الدول التي تحفظت على بعض بنود المشروع، وفي ظل هذا التخوف من الجانب السعودي، والتردد من الجانب اليمني كان الأمر ينذر بعدم اكتمال نجاح المشروع.

وخلال سفر عبد الرحمن عزام إلى الحجاز باعتباره أميراً للحج المصري أواخر شهر نوفمبر 1944م، جرت مشاورات كثيرة مع الملك عبد العزيز بن سعود، والأمير فيصل (أمير جدّة) وبعض المستشارين، وشارك فيها بشير السعداوي، وتركزت حول قضية الوحدة العربية، وعلى وجه الخصوص توقيع المملكة العربية السعودية على بروتوكول الإسكندرية، وتُعدُّ تلك المشاورات التي شارك فيها بشير السعداوي مع غيره من المستشارين والأمراء السعوديين مع عبد الرحمن عزام من أهم الاتصالات التي مهدت لإنشاء جامعة الدول العربية بعد اقتناع الملك عبدالعزيز بما بُسط له من آراء[2].

ومع نهاية شهر ديسمبر 1944م وبداية شهر يناير 1945م، جرت محادثات موسعة

---

(1) عبد الحميد سليمان، الملك عبد العزيز من الثورة إلى الدولة، القاهرة: دار المنتدى العربي، 1998م، ص277.

(2) الأهرام، عدد 21480، السنة 70، القاهرة: بتاريخ 3 نوفمبر 1944م، أمر ملكي بتعيين عبد الرحمن عزام وزيراً مفوضاً من الدرجة الأولى في وزارة الخارجية المصرية (مساعد وزير للشؤون العربية) ص2.

عُرفت بمحادثات مكة ـ جدّة بين الملك عبد العزيز بن سعود وحكومته ومستشاريه من جانب، وبين عبد الرحمن عزام من جانبٍ آخر، واستمرت تلك المحادثات عشر جلسات مطولة مع الملك عبد العزيز، ورجال الدولة السعودية وبعض المستشارين، وكانت ودية ومرفوع فيها التكليف، وقد شارك بشير السعداوي في جميعها إلى أن تمت موافقة المملكة العربية السعودية على التوقيع على بروتوكول الإسكندرية في يوم الأربعاء الموافق 3 يناير 1945م[1].

وتشير وثائق وزارة الخارجية المصرية إلى استعانة عبد الرحمن عزام بالمستشارين الليبيين الذين كانوا في معية الملك عبد العزيز، وبعض الأمراء ورجال الدولة السعودية في تذليل الصعوبات التي كانت تواجهه أثناء محادثات مكة وجدّة مع جلالة الملك؛ حيث يقول عبد الرحمن عزام عن تلك المحادثات: «وكنت أثناء ذلك أهيئ الجو بواسطة أصدقائي الشخصيين سواء من رجال الدولة أو الأمراء، مستعيناً بحسن ظنهم وصداقتهم القديمة ومبيناً خطر سياسة العزلة على المملكة العربية السعودية ومصلحتها في التعاون»[2].

* * *

* رابعاً ـ بشير السعداوي في معية الملك عبد العزيز خلال لقاءاته العربية والدولية 1945م ـ 1946م:

أ ـ بشير السعداوي ومرافقة الملك عبد العزيز خلال اجتماعاته مع ملك مصر ورئيس سوريا:

خلال الفترة ما بين توقيع بروتوكول الإسكندرية وتوقيع ميثاق جامعة الدول العربية

(1) وحيد الدالي، أسرار الجامعة العربية وعبد الرحمن عزام، القاهرة: مكتبة روز اليوسف، 1982م، ص ص60 ـ 69. الرابطة العربية، عدد 426، القاهرة: 28 محرم 1364هـ/ 13 يناير 1945م، ص10.

(2) وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف السري الجديد، محفظة رقم 252 (ملف بدون رقم) تقرير من عبد الرحمن عزام إلى حضرة وزير الخارجية محمود فهمي النقراشي باشا عن محادثات مكة وجدّة مع جلالة الملك عبد العزيز آل سعود وحكومته بتاريخ 18 يناير 1945م.

رافق بشير السعداوي؛ الملك عبد العزيز بن سعود في اجتماعاته التي أجراها مع الملك فاروق خلال زيارته للملكة العربية السعودية، واجتماعهما في رضوى بالقرب من ينبع في صباح يوم الأربعاء 10 صفر 1364هـ الموافق 24 يناير 1945م.

ب ـ بشير السعداوي ومرافقته للملك عبد العزيز خلال اجتماعاته بالرئيس الأمريكي روزفلت:

حضر بشير السعداوي اجتماعات الملك عبد العزيز مع الرئيس الأمريكي روزفلت على ظهر الطراد (كوينسي) في البحيرات المرة يوم الخميس 2 ربيع الأول 1364هـ/ 15 فبراير 1945م، وفي اجتماعات الملك عبد العزيز مع الملك فاروق، والرئيس السوري شكري القوتلي في الفيوم في 4 ربيع الأول 1364هـ/ الموافق 16 فبراير 1945م فتباحثا في المسائل المتعلقة بالوحدة العربية، وكان لاجتماع رضوى التاريخي، وزيارة الملك عبد العزيز لمصر أثرهما في وضع ميثاق تسير الدول العربية الموقعة عليه على ضوء بنوده وتطبيق أحكامه حفظاً لسيادتها واستقلالها[1].

ج ـ بشير السعداوي ومرافقة الملك عبد العزيز في لقائه بالمسؤولين البريطانيين:

كما شارك بشير السعداوي في لقاءات الملك عبد العزيز برئيس الوزراء البريطاني «ونستون تشرشل»، والسيد «أنطوني إيدن» وزير الخارجية البريطانية والوفد المرافق لهما خلال اجتماعاتهم بقاعة فندق الأوبرج على بحيرة قارون بالفيوم، يوم الأحد بتاريخ 5 ربيع الأول 1364هـ ـ الموافق 18 فبراير 1945م، وانتهز تلك الفرصة وسأل أنطوني ايدن وزير الخارجية البريطاني قائلاً: «لماذا أنتم عندما دخلتم برقة صرحتم بأنها لن تعود تحت الحكم الإيطالي، وأغفلتم ذكر طرابلس مع أنكم طردتم كذلك قوات المحور

(1) عبد المنعم الغلامي، الملك الراشد جلالة المغفور له عبد العزيز آل سعود، ط2، الرياض: دار اللواء للنشر والتوزيع، 1980م، ص105؛ وعبد المنعم إبراهيم الجميعي، «العلاقات المصرية السعودية في عهد الملكية المصرية»، (دراسة في وثائق عابدين الدبلوماسية)، مجلة الدارة، عدد (1)، السنة 29، 1434هـ، ص ص137 ـ 138.

منها؟ فكان جواب ايدن إن برقة وحدها ما يحق لنا الحديث عنها، أما طرابلس فالتصريح بشأنها من اختصاص حلفائنا جميعاً»[1].

ولاشك أن هذه الإجابة من قبل وزير الخارجية البريطاني قد ولّدت الكثير من التساؤلات لدى بشير السعداوي حول قضية وحدة بلاده واستقلالها، والتي لا يزال يناضل من أجلها فهي واضحة وصريحة ولا لبس فيها؛ حيث أظهرت بوضوح وبما لا يدع مجالاً للشك أن هناك اتفاقاً بين دول الحلفاء لاقتسام ليبيا وتجزئتها إلى ولاياتٍ مستقلة، وهو ما تم التلميح به في أكثر من مناسبة سابقة وأدّى إلى ارتفاع صيحات احتجاج الشعب الليبي إلى رؤساء الدول الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها من الدول التي لها الكلمة الحاسمة في مصير شعوب العالم في نظام ما بعد الحرب[2].

د ـ مساهمة بشير السعداوي في محادثات الملك عبد العزيز بن سعود مع أمين عام جامعة الدول العربية:

بيْد أن الحدث الأهم في تاريخ الأمة العربية بصفة عامة وحياة بشير السعداوي بصفة خاصة هو الإعلان عن تكوين جامعة الدول العربية والتوقيع على ميثاقها في 8 ربيع الثاني 1364هـ ـ 22 مارس 1945م، وهو هدف طالما سعى بشير السعداوي إلى تحقيقه؛ حيث أدرك أن قضية بلاده التي يناضل من أجلها لا تؤتي ثمارها إلا إذا تبنّتها الدول العربية الشقيقة في اجتماعاتها الدورية، وساندتها في الملتقيات الدولية، وخاصة المؤتمرات

---

(1) موسوعة تاريخ الملك عبد العزيز الدبلوماسي، (هيئة جمع المادة والإعداد والصياغة: فهد بن عبدالله السماري، وناصر بن محمد الجهيمي، وعادل بن محمد نوفل، تاج السر أحمد حران ـ المراجعة اللغوية: فهمي قطب الدين النجار)، الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة 1419هـ/ 1999م، ص505؛ ومحمد سعيد القشاط، المرجع السابق، ص63؛ ومحمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص1025. انظر: الملحق رقم (1).

(2) المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات، ملف الوثائق السياسية والمهاجرون الليبيون، ملف رقم (43) و. ر (47) رسالة من المهاجرين الليبيين بتونس إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية روزفلت بتاريخ 16 نوفمبر 1944م.

الدولية التي كانت تُعقد خلال تلك الفترة منذ الإعلان عن البدء في تكوين منظمة الأمم المتحدة في مارس 1945م. وهو ما حدث بالفعل، وما سنراه في أعقاب الإعلان عن تكوين جامعة الدول العربية كمنظمة إقليمية وإعلان قيام منظمة الأمم المتحدة سنة 1945م.

وتجددت لقاءات بشير السعداوي بعبد الرحمن عزام عندما أصبح أول أمين عام لجامعة الدول العربية في الرياض في 15 سبتمبر 1945م، عندما حضر عزام لمقابلة الملك عبد العزيز ليعرض عليه القضايا العربية الراهنة وأهمها قضية فلسطين، وطرابلس الغرب في ضوء خطة الجامعة العربية، ومذكرة الحكومة المصرية تحسباً للتداعيات الخطيرة التي ستترتب على الحرب العالمية الثانية، وخاصة إعادة تنظيم العالم لمواجهة ما بعد الحرب، فأبدى الملك عبد العزيز بن سعود استعداد المملكة في مساعدتها ووقوفها وراء الحق العربي، ثم ترك عزام السعودية وقام بجولة سريعة في بقية العواصم العربية؛ حيث عرض القضية على المسؤولين في بغداد، وعمّان ودمشق[1].

ويرى الباحث أن تولِّي عبد الرحمن عزام الأمانة العامة لجامعة الدول العربية قد أفاد بشير السعداوي كثيراً في اشتغاله بقضيته الوطنية، ذلك أن عبد الرحمن عزام لم يكن غريباً عن القضية الليبية فهو الذي عاصرها منذ بدايتها وشارك في معارك الليبيين ضد الإيطاليين، وعمل مستشاراً لأول جمهورية عربية في طرابلس، ودافع عنها في المؤتمرات الإسلامية والعربية والدولية. . . وهو يَعْرف عن القضية الليبية ما لا يعرفه غيره، وبتوليه هذا المنصب سيفيد القضية الليبية كثيراً، ويساعد في عرض وجهة نظره في كل قضية أو مناسبة تُطرح فيها المسألة الليبية على بساط البحث، نظراً لما بين عبد الرحمن عزام ورجال الحركة الوطنية الليبية وعلى رأسهم بشير السعداوي من علاقة حميمة تعود لأكثر من ثلاثة عقود ماضية، جرت فيها أحداث تاريخية ربطت بين عبد الرحمن عزام وكفاح الشعب

(1) جميل عارف، صفحات من المذكرات السرية لأول أمين عام للجامعة العربية عبد الرحمن عزام، القاهرة: المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر، 1977م، ص ص277 ـ 279.

الليبي في سبيل حريته واستقلاله[1].

وخلال فترة تلك الاتصالات التي أجراها عبد الرحمن عزام بالمسؤولين العرب والمشتغلين بالقضايا العربية، وأثناء فترة الحراك السياسي في طرابلس الغرب عقب نهاية الحرب العالمية الثانية، وفي نهاية شهر ديسمبر 1945م دُعي بشير السعداوي من بعض مواطنيه للعودة إلى الوطن للاطلاع عن كثب على الأوضاع السائدة في البلاد، ولتولي قيادة شعبه خلال تلك الحقبة التاريخية المهمة[2].

هـ ـ بشير السعداوي ومرافقة الملك عبد العزيز خلال زيارته الثانية لمصر 10 ـ 20 يناير 1946م:

قام الملك عبد العزيز بن سعود بزيارة ثانية إلى مصر خلال الفترة من 10 إلى 20 يناير 1946م، ورافقه خلالها حشد كبير من الأمراء ورجال الدولة والمستشارين من ضمنهم بشير السعداوي، وكان الهدف من تلك الزيارة هو تعزيز العلاقات الأخوية بين الشقيقتين مصر والسعودية من ناحية، ومناقشة تداعيات الحرب العالمية الثانية على قضية الوحدة العربية من ناحية ثانية، فضلاً عن قضيتي الساعة في تلك الحقبة وهما القضية الفلسطينية، والقضية الطرابلسية[3].

حضر بشير السعداوي لقاءات الملك عبد العزيز الرسمية والشعبية وأهمها لقاءه بوفد مشايخ العرب من عُمد وأعيان القبائل العربية الليبية المقيمة بالفيوم من الجوازي، والفوايد، والرماح، والقذاذفة، والفرجان. . . ونوّه إلى مساعي حمد باشا الباسل، وبشير السعداوي لدى جلالته في تحقيق حلم الشعب العربي في تحقيق وحدته قائلاً: «إننا كلنا

(1) عصام الغريب محمد الطنطاوي، عبد الرحمن عزام ودوره الوطني والقومي والإسلامي. (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم التاريخ، 2004م، ص ص64 ـ 69.

(2) المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات، ملف بشير السعداوي رقم (173) و. ر (3) رسالة من الهادي المشيرقي إلى بشير السعداوي بتاريخ 25 ديسمبر 1945م.

(3) عزة بنت عبد الرحيم، المرجع السابق، ص160.

خدام القضية العربية، وسنصل إن شاء الله إلى تحقيق أمانينا بفضل التضامن واتحاد الكلمة، إن جامعة الدول العربية ليست بنت اليوم، فقد فكرنا فيها منذ زمن وكان يعرف ذلك أخي المرحوم حمد الباسل، كما يعرفه بشير السعداوي»(*).

أتاحت تلك الزيارة لبشير السعداوي فرصة الاتصال بزعماء الحركة الوطنية الليبية بمصر، والتعرف منهم عن كثب على سير القضية الليبية على الصعيدين المحلي والدولي، وراعه ما رآه من انقسامٍ كبير بين الزعماء البرقاويين تحت زعامة الأمير إدريس السنوسي، والزعماء الطرابلسيين بقيادة اللجنة الطرابلسية، حول مسألة إمارة الأمير إدريس على القُطر الطرابلسي والتي نادى بها الزعماء البرقاويون دون قيد أو شرط، بينما شكك بعض الزعماء الطرابلسيين في قدرة الأمير إدريس السنوسي على قيادة شعبه في تلك الحقبة التاريخية الخطيرة[1].

إزاء تلك الانقسامات بادر بشير السعداوي إلى الإتصال بالزعماء الطرابلسيين والبرقاويين بالقاهرة، ودعاهم إلى نبذ خلافاتهم والتفكير بمصالحهم الوطنية، وتوحيد صفوفهم لمجابهة المخططات الاستعمارية الرامية إلى تمزيق وحدتهم الوطنية وفرض الوصاية الدولية على بلادهم، مؤكداً لمواطنيه الطرابلسيين ضرورة الاعتراف بالزعامة السنوسية والاتفاق مع الزعماء البرقاويين على أن يكون الأمير إدريس السنوسي هو رئيس

(*) لعلّ الملك عبد العزيز يقصد بذلك الإشارة إلى مساهمة كل من حمد باشا الباسل، وبشير السعداوي في تحقيق المصالحة السعودية اليمنية خلال سنة 1934م، ومحادثات جلالته مع كل من أمين الحسيني، ورياض الصلح، وبشير السعداوي خلال شهري فبراير ومارس 1937م حول فكرة إقامة اتحاد عربي، وتأسيس لجنة تدعو إلى الوحدة العربية، وإشارته عليهم باختيار القُطر المصري ميداناً لذلك العمل. محمد عبدالله ماضي، النهضات الحديثة في جزيرة العرب، ط2، بيروت: دار إحياء الكتب العربية، 1952م، ص172. ومحمد صلاح سالم، العلاقات المصرية السعودية في نصف قرن 1900 ـ 1950م، القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2004م، ص89.

(1) المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات، ملف اللجان والأحزاب رقم (36) و. ر (35) بعنوان، اللجنة الطرابلسية: إعلانها، تأسيسها، مبادئها، أعمالها، ص ص3 ـ 14.

الدولة الليبية المستقلة الموحدة، موضحاً لهم أهمية الوحدة الوطنية في الوقت الذي تحولت فيه مسألة التصرف في المستعمرات الإيطالية إلى سلعة للمساومات الدولية[1].

وفي محاولة من بشير السعداوي لتطمين الجانب البرقاوي، والسلطات البريطانية بمصر على موقف الطرابلسيين في ليبيا من مسألة الإمارة أن قَبل دعوة ضابط الإتصال الإنجليزي «جريتوريكس» له وللأمير إدريس السنوسي، ولأخيه الأمير محمد الرضا للاجتماع برئيس إدارة الأراضي المحتلة البريجادير «كامنج» للتعارف، وفي مقابل تلك الدعوة دعا بشير السعداوي المجموعة نفسها إلى مأدبة عشاء في مينا هاوس في فبراير 1946م، حضرها كذلك البريجادير «بلاكلي» الذي كان حاكماً أو رئيساً للإدارة العسكرية البريطانية في طرابلس، وفي كل مرة صار بشير السعداوي يؤكد أن الأمير محمد إدريس السنوسي أمير البلاد وسيدها، وأن وحدة ليبيا لا تتم إلا به[2].

وقد استبشر بعض الزعماء الطرابلسيين بتلك المساعي خيراً، ورأوا في مساعي بشير السعداوي فرصة لتحقيق التفاهم بين الزعماء الليبيين حول قضية بلادهم[3].

و ـ بشير السعداوي ومرافقته للأمير سعود بن عبد العزيز في مؤتمر «أنشاص» 28 ـ 29 مايو 1946م:

وفي 27 مايو 1946م حضر بشير السعداوي إلى القاهرة برفقة ولي العهد السعودي الأمير سعود بن عبد العزيز لحضور مؤتمر «أنشاص» المزمع عقده يومي 28 ـ 29 مايو 1946م

(1) المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات، ملف اللجان والأحزاب رقم (36) و. ر (32) احتجاج الطرابلسيين على تصريح الجنرال ديغول فيما يتعلق بحقوق الإيطاليين في طرابلس بتاريخ 1945م، وثيقة رقم (64) رسالة من رئيس الكتلة الوطنية الحرة إلى وزير خارجية أمريكا 1946م.

(2) محمد الطيب الأشهب، إدريس السنوسي، ط2، القاهرة: دار العهد الجديد، 1957م، ص ص149 ـ 150. محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص319.

(3) المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات، ملف العارف مانه رقم (195) وثيقة رقم (5) رسالة من عون محمد سوف إلى الشيخ العارف مانه بتاريخ 27 مارس 1946م.

وطرحت القضية الليبية للنقاش فأجمع الحاضرون من الملوك والرؤساء والزعماء العرب على ضرورة استقلال طرابلس الغرب وبرقة، وأسندوا مهمة تحقيقه إلى الجامعة العربية التي عملت على ظهور حكومة محلية، وعملت على معاونتها أدبياً ومادياً حتى تستطيع النهوض بمسؤولياتها داخلياً وخارجياً، ويعود الفضل في ذلك إلى الدور الكبير الذي بذله بشير السعداوي باتصالاته المباشرة مع عبد الرحمن عزام الأمين العام لجامعة الدول العربية، وبقية وفود الدول العربية(1).

وعلى الصعيد الوطني اجتمع بشير السعداوي مع وفد الجبهة الوطنية المتحدة الطرابلسية الذي زار القاهرة في الفترة نفسها التي انعقد فيها مؤتمر انشاص، وتكوّن من محمود المنتصر، والطاهر المريِّض، وتباحثوا في مسألة الإمارة، فقرّ قرارهم على ضرورة الاتصال المباشر مع الأمير إدريس لمفاوضته في الأمر.

* * *

* خامساً ـ اعتزال بشير السعداوي العمل السياسي مع الملك عبد العزيز بن سعود وتفرغه للقضية الليبية 1947م:

عقب انتهاء وقائع جلسات مؤتمر «أنشاص» عاد بشير السعداوي إلى الرياض صحبة الأمير سعود بن عبد العزيز ليستأذن الملك عبد العزيز في التفرغ لقضية بلاده، ولم تمضِ بضعة أيام حتى عاد بشير السعداوي إلى القاهرة للاجتماع مجدداً بوفد الجبهة الوطنية المتحدة، والأمير إدريس السنوسي خلال الأسبوع الأول من شهر يونيو 1946م، وعرض

(1) أروى طاهر رضوان، اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية ودورها في العمل السياسي المشترك، بيروت: دار النهار، 1973م، ص ص111 ـ 112؛ ومجلة الرابطة العربية، السنة 11، القاهرة: 7 شعبان 1365هـ/ 6 يوليو 1946م، «ليبيا بين الاستقلال والوصاية إما استقلال وإما وصاية الجامعة العربية»، ص ص40 ـ 41؛ دار الوثائق القومية بالقاهرة: محفظة 573، جامعة الدول العربية، موضوعات مختلفة، بيان عن اجتماع ملوك العرب ورؤسائهم في أنشاص، 29 مايو 1946م. أحمد زارم، بحث بعنوان: «انهزام إيطاليا وبحث قضية المستعمرات»، ومجلة الشهيد، عدد 4، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1983م، ص36.

المفاوضون مطالبهم على الأمير إدريس متمثلة في عـرض الإمـارة عليـه علـى أن تكـون دستورية محصورة في شخصه لا تتعدّى بعد موته إلى عقبه أو أحد أفـراد أسـرته، وبعـد محاولة قَبل الأمير إدريس بذلك على أن يستشير أهل برقة بالخصوص[1].

ولـم يكن عمل بشير السعداوي في هذا الاتجاه سهلاً ميسوراً؛ حيث إن مسـاعي وفـد المفاوضة قد جوبهت بمعارضة شديدة من طرف الطرابلسيين وعلى رأسهم زعماء اللجنة الطرابلسية بالقاهرة، ولعل رفض عضوها عمر الغويلي التوقيع على محضر اتفـاق لجنـة المفاوضات خير دليل على ذلك، وعلل أسباب رفضه التوقيع علـى المحضـر بحجـة أن المجتمعين أقلية لا تمثل الشعب، ولا تملك فرض هذا الأمر عليه، وأن البحث فيما عدا الوحدة والاستقلال سابق لأوانه[2].

كما احتجّ الزعماء المؤسسون للجبهة الوطنيـة المتحـدة فـي طـرابلس علـى تلـك المفاوضات التي أبدت توجهاً نحو الاعتراف بإمارة السيد محد إدريـس السنوسـي علـى طرابلس، وانشقوا عنها وقاموا بتأسيس الكتلة الوطنية الحرة التـي تزعمهـا أحمـد الفقيـه حسن، وخاطبوا بشير السعداوي يطعنون في أحقية من كانوا وراء تلك المبادرة[3].

وما كان بشير السعداوي من الذين يقبلون بانقسام الجبهـة الوطنيـة التـي يتحـتم عليهـا الظهور بموقف المتكاتف حتى لا تتعرض البلاد إلى الوقوع في شَرك الاستعمار، فدعا أبنـاء وطنه إلى بذل الجهد لتضييق شُقَّة الخلافات، وتوحيد الجهود مع كل مـن ينـادي بالمطالـب الثلاثة التي ينادي بها، وينادي بها جميع الليبيين وهي: الاستقلال الكامل، ووحـدة القُطـر،

(1) الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الليبيين في ديار الهجرة 1924 ـ 1952م، ط2، لندن: دارف المحـدودة، 1985م، ص153؛ **وبرقة الجديدة**، السنة الرابعة، عدد 750، بتاريخ 4 يونيو 1946م، ص2؛ وسامي حكيم، حقيقـة ليبيا، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1968م، ص24.

(2) اللجنة الطرابلسية بالقاهرة، الكتاب الأبيض في وحدة طرابلس وبرقة، القاهرة: دار الأنوار، 1949م، ص45.

(3) المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات، ملف سالم بوخشيم رقم (12) و. ر (24). بعنوان: بيان من الكتلة الوطنية الحرة يحتوي على أسماء العاملين بالكتلة ويبيّن مهمـة هذه الكتلة بتاريخ 31/ 6/ 1946م.

والانضمام إلى جامعة الدول العربية، والتي اتضحت من خلال رسالته التي وجهها إلى أحمد الفقيه حسن، رئيس الكتلة الوطنية الحرة بطرابلس بتاريخ 18 يوليو 1946م، والتي جاء في ختامها قوله: «ولقد دفعنا الحرص على سلامة ووحدة البلاد إلى تأييد زعامة السيد إدريس السنوسي، ولنَسْلم من مشاكل قد تجر البلاد إلى فتن ونزاع على المنصب الأعلى على أن البث في هذا الأمر هو من شأن الأمة التي يرجع إليها وحدها سن الدستور»[1].

ودعماً لجهود المصالحة الوطنية التي نسج خيوطها بشير السعداوي، وتطميناً للجانب الطرابلسي حول مفاوضات الوحدة الوطنية تحدّث الأمير محمد إدريس السنوسي إلى جريدة الأهرام القاهرية قائلاً: «نحن اليوم وإلى أن نلقى الله لا نزال متمسكين باستقلالنا التام الذي يضمن لنا السيادة الكاملة، وبوحدة البلاد من الحدود التونسية وإلى الحدود المصرية، وبالانضمام إلى جامعة الدول العربية كدولة مستقلة، وبغير هذا لا نرضى بأي حلٍ يُفرض علينا»[2].

وهنا نلاحظ بوضوح تلاقي الأهداف الوطنية التي أعلنها الأمير إدريس السنوسي مع الأهداف الوطنية التي أعلنت عنها الهيئات السياسية الليبية في طرابلس الغرب، والهيئات السياسية الليبية في المهجر على اختلاف توجهاتها، وهو ما أشارت إليه تقارير الإدارة البريطانية في طرابلس عن تمسك الليبيين بتلك المطالب الأساسية، فضلاً عن مناهضة الهجرة الإيطالية غير المشروعة إلى طرابلس[3].

وعلى الصعيد الدولي أجرى بشير السعداوي اتصالاً بكبير ضباط الشؤون المدنية في قيادة القوات البرية للشرق الأوسط بالقاهرة ورئيس إدارة الأراضي المحتلة العميد «كومنج» Koming يوم الثلاثاء الموافق 8 أكتوبر 1946م؛ حيث دار بينهما حديث طويل أكد خلاله

(1) محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص ص324 ـ 325.

(2) الأهرام، بتاريخ 29/ 7/ 1946م، «حديث الأمير إدريس السنوسي عن المفاوضات بين الطرابلسيين والبرقاويين حول مسائل الوحدة، والاستقلال، والانضمام إلى جامعة الدول العربية».

(3) Fo. 371. 53519: «برقية سرية إلى وزارة الحرب البريطانية بتاريخ 22 سبتمبر 1946م».

بشير السعداوي على رغبة الشعب الليبي في حصوله على استقلال بـلاده بمسـاندة الحكومـة البريطانية، مبدياً تخوفه من تنامي الهجرة الإيطالية غيـر المشـروعة إلـى طـرابلس وغمـوض الموقف البريطاني حيال وحدة الأراضي الليبية، فـي حـين أظهـر العميـد «كـومنج» تعـاطف السُّلطات البريطانية مع مطالب الليبيين في الاستقلال، ناصحاً بشير السعداوي بتحضير قضـية بلاده لتقديمها إلى لجنة التحقيق الدولية التـي ينـوي مجلـس وزراء خارجيـة الـدول الكبـرى إرسالها إلى ليبيا، محاولاً إقناع بشير السعداوي بقبـول سياسـة الأمـر الواقـع إزاء هجـرة 40 ألف إيطالي إلى ليبيا. وفي نهاية حوارهما طلب بشير السعداوي من العميد «كومنج» أن تتـاح له فرصة مناقشة الموقف مع وزارة الخارجية البريطانية[1].

وبعد مضي أسبوع واحد من تـاريخ تلـك المحادثـات، وقبـل مبارحتـه الأراضـي المصرية في طريقه إلى السعودية لأداء مناسك الحج، وجَّه بشير السـعداوي خطابـاً إلـى العميد «كومنج» بتاريخ 13 أكتوبر 1946م مؤكداً فيه على ثوابته السابقة، طالباً منـه لفـت نظر الحكومة البريطانية إلى مخاوف الشعب الليبي من الوصاية الدوليـة علـى بـلاده، مؤكـداً على المطالبة بالاستقلال والوحدة الوطنية[2].

عاد وفد الجبهة الوطنية المتحدة إلى طرابلس مصحوباً برسائل الأمير إدريس السنوسـي، وبشير السعداوي تحتوي على ما تم التوصل إليه مع الأمير إدريس السنوسي حيال مسائل الاستقلال، وتنفيذاً لذلك الاتفاق حدد شهر يناير 1947م موعداً لاجتماع الوفـد الطرابلسـي بالوفد البرقاوي في بنغازي، للبدء في مفاوضات حاسمة حول مسألة إمارة الأمير إدريس السنوسي على طرابلس، ولكن تمسك الوفد البرقاوي برئاسة عمر منصور الكيخيا بإمارة إدريس شرطاً أساسياً للعمل المشترك من أجل الاستقلال، قد أحرج موقـف محمـد أبـو الأسعاد العالم رئيس الوفد الطرابلسي الذي كان يرى تأجيل البث في هذا الموضوع إلـى ما بعد الاستقلال، وانفض الاجتماع بين الطرفين دون التوصـل إلـى نتيجـة إيجابيـة مـن

---

(1) Fo. 371. 53519: «نص المحادثات التي جرت بين العميد كومنج، وبشير السعداوي. 8/ 10/ 1946».

(2) Fo. 371. 53519: «رسالة بشير السعداوي إلى العميد كومنج بتاريخ 13/ 10/ 1946م».

شأنها أن تدفع بعجلة الحركة الوطنية الليبية إلى الأمام، وتبادل الطرفان الاتهامات في تحميل كل منهما مسؤولية فشل تلك المفاوضات[1].

ولما باءت المفاوضات بين الطرابلسيين والبرقاويين في 18 يناير 1947م بالفشل لم يفقد بشير السعداوي أمله في إقناع الطرابلسيين بأن ليبيا لن تعود دولة واحدة من جديد إلا بالاعتراف بزعامة إدريس السنوسي، وقد توجه إلى اللجنة الطرابلسية بالقاهرة وطالبها بوقف هجماتها ضد زعماء برقة والاعتراف بحق إدريس السنوسي في الدور القيادي في ليبيا الموحدة[2].

ورأى مجيد خدوري أن بشير السعداوي قد تخلّى عن كونه محامياً لزعامة السنوسيين بعد المفاوضات الفاشلة، ووافق على الرأي السائد بين الطرابلسيين والقائل بأنه مادامت زعامة السنوسي قد صارت حجر عثرة، فمن الصواب إرجاء قضية الشكل المقبل للإدارة إلى أن تنال البلاد الاستقلال[3].

إزاء تلك الانقسامات الداخلية، والتكالب الدولي على ليبيا في المؤتمرات الدولية فكّر بشير السعداوي في ايجاد مخرج لهذه القضايا المتأزمة، فكثف من اتصالاته بزعماء الجهاد الطرابلسيين بالقاهرة، وبالحكومة المصرية، وبأمين جامعة الدول العربية وتباحث معهم في الأمر، فاستقر رأى الجميع على ضرورة تكوين هيئة سياسية ليبية جديدة يمكنها أن تجمع صفوف الليبيين وتوحد كلمتهم في الداخل، وتتحدث باسمهم في الخارج، ومن ثم كان إنشاء هيئة تحرير ليبيا بالقاهرة في مارس 1947م.

* * *

(1) **برقة الجديدة**، عدد 841، بنغازي: بتاريخ 21 يناير 1947م. **والوطن**، عدد 58، بنغازي: بتاريخ 28 يناير 1947م، «بيان وفد الجبهة الوطنية المتحدة». **وبرقة الجديدة**، عدد 852، بنغازي: بتاريخ 12 فبراير 1947م.

(2) بروشين، ن. أ.: تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى 1969م، ترجمة عماد غانم، مراجعة ميلاد المقرحي، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1988م، ص266.

(3) مجيد خدوري: ليبيا الحديثة، دراسة في تطورها السياسي، ترجمة: نقولا زيادة، مراجعة ناصر الدين الأسد، بيروت: دار الثقافة، 1966م، ص114.

الخاتمة

مما سبق نستنتج أن بشير السعداوي قام بأدوارٍ سياسية متعددة خلال فترة تواجده بالجزيرة العربية منذ توليه منصب قائمقام ينبع البحر سنة 1916م، ثم من خلال نشاطه السياسي للتعريف بالقضية الليبية خلال مواسم الحج المختلفة خلال سنة 1931م، ثم عضواً في الوفد الذي شكله المؤتمر الاسلامي بالقدس لحل النزاع اليمني السعودي حول مناطق النفوذ بين البلدين خلال سنة 1934م، ثم مساهمته في العمل القومي الموحد متنقلاً بين دمشق، وبيروت، والرياض، وبغداد، والقاهرة، خلال ثلاثينيات القرن الماضي. ثم محاولاته رأب الصدع بين الأشقاء السوريين العاملين بالكتلة الوطنية السورية كمبعوث شخصي للملك عبد العزيز بن سعود خلال سنتي 1938 ـ 1939م.

كما لمع اسمه خلال فترة عمله في الشُّعبة السياسية بوزارة الخارجية السعودية بصفة مستشار سياسي للملك عبد العزيز بن سعود منذ عام 1939م وحتى عام 1946م؛ حيث شارك في مباحثات المسؤولين الأمريكيين بنظرائهم السعوديين حول افتتاح قنصلية أمريكية في منطقة الظهران خلال عام 1943م، وفي مباحثات الأمين العام لجامعة الدول العربية مع الزعماء العرب حول تأسيس جامعة الدول العربية خلال سنتي 1944 ـ 1945م، ثم في لقاءات الملك عبد العزيز بن سعود العربية أثناء اجتماعاته بالملوك والزعماء العرب في سوريا، ومصر، أو خلال لقاءاته الدولية بالرئيس الأمريكي روزفلت، ورئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل خلال عامي 1945 ـ 1946م؛ حيث أثار السعداوي قضية بلاده أثناء تلك اللقاءات الدولية في معرض ردوده على تساؤلات أولئك المسؤولين وبتفويض من الملك عبد العزيز بن سعود.

لقد أثبت بشير السعداوي كفاءته السياسية من خلال نجاحه في تحقيق العديد من الإيجابيات التي تحقّقت بفضل صبره وحنكته السياسية التي أظهرها في المهام التي كُلِّف بها من قبلِ الملك عبد العزيز شخصياً، أو من خلال المسؤولين السياسيين السعوديين بوزارة الخارجية السعودية، والتي تكللت بالنجاح في نهاية المطاف، ما أكسبه ثقة ومحبة الملك

عبد العزيز بن سعود والمسؤولين السعوديين وأشقائه العرب الذين عملوا معه في الشعبة السياسية بوزارة الخارجية السعودية، أو أولئك الذين تواصل معهم خلال تلك المهام التي كُلف بها محلياً وعربياً ودولياً.

❑ ❑ ❑

الملاحق

ملحق رقم (1)

صورة لبشير السعداوي باللباس السعودي وهو يقف خلف الملك عبد العزيز ورئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل، أثناء لقائهما في بحيرة قارون بالفيوم بتاريخ 17 فبراير 1945م.



King Abdulaziz meeting with Prime Minister Winston Churchill at Al-Fayyum in Egypt, on the 17th of Febraury 1945. Standing left to right: Sheikh Yousuf Yassin, Sheikh Bashir Saadawi, Sheikh Hafiz Wahbah and extreme right Sheikh Abdullah Suleiman.
© Imperia; War Museum, London

اجتماع الملك عبدالعزيز مع رئيس وزراء بريطانيا ونستون تشرشل في مدينة الفيوم في مصر في ربيع الأول ١٣٦٤هـ (١٧ فبراير ١٩٤٥م) ويبدو في الصورة من اليسار إلى اليمين: الشيخ يوسف ياسين، الشيخ بشير السعداوي، الشيخ حافظ وهبه ويظهر الشيخ عبدالله السليمان بالجهة اليمنى في نهاية الصورة.
المصدر: المتحف الحربي الإمبراطوري. لندن

المصدر:

نورة بنت هليل بن عوض الله بن عواض الذويبي، موقف الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود من الحرب العالمية الثانية 1358 ـ 1364هـ/ 1939 ـ 1945م (ماجستير) جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، 2010 ـ 2011م، ص281.

المصادر والمراجع

* أولاً: القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية 51.

* ثانياً ـ الوثائق العربية غير المنشورة:

أ ـ وثائق المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس:

- ملف بشير السعداوي، رقم (173)، و. ر (1)، مقال للكاتب محمود السيد الدغيم بعنوان (جهاد بشير السعداوي ضد الفاشية).
- ملف بشير السعداوي. رقم (173) و. ر (2) بعنوان: نظرة خاطفة في حياة بشير السعداوي.
- ملف بشير السعداوي رقم (173) و. ر (3) رسالة من الهادي المشيرقي إلى بشير السعداوي بتاريخ 25 ديسمبر 1945م.
- ملف شكري فيصل رقم (14) الظرف السادس، و. ر (17) رسالة من محمد إدريس السنوسي إلى عمر شنيب بتاريخ 7 ربيع الثاني 1356هـ الموافق 16 يونيو 1937م. وهي رد على رسالة بعث بها عمر شنيب تتضمن 19 سؤالاً.
- ملف شكري فيصل رقم (14) الظرف السادس، و. ر (9) رسالة من عمر شنيب إلى سليمان الباروني يخبره أن السعداوي بعد تطوافه وجريه خلف جماعة الكتلة والاستقلاليين قد طمس عيناه وفقد شعوره، سافر إلى السعودية ليتولى منصباً حكومياً هناك بتاريخ 24 نيسان (أبريل) 1939م.
- ملف شكري فيصل الظرف الرابع، و. ر (67) رسالة إلى عمر شنيب يبين فيها كاتبها جهود إدريس في تجميع المهاجرين وتكوين مشايخ عليهم والتفاوض مع الإنجليز في مصر لتأمين استقرار المهاجرين، مصر بتاريخ 1358هـ/ 13 يونيو 1939م.
- ملف شكري فيصل رقم (14) الظرف السادس، و. ر (6) رسالة من شكيب أرسلان إلى عمر شنيب، تشير إلى سفر بشير السعداوي إلى مصر بتاريخ 9 جمادى الأولى 1356هـ/ يوليو 1937م. ووثيقة رقم (26) رسالة إلى عمر شنيب بتاريخ 9 جمادى الثانية 1356هـ/ 16 أغسطس 1937م، وتتضمن معلومات عن دخول بشير السعداوي إلى المستشفى.

- ملف شكري فيصل الظرف الأول، وثيقة رقم (37)، رسالة من على العابدية بالأردن إلى عمر شنيب بتاريخ 1/ 11/ 1937م يستفسر فيها عن صحة بشير السعداوي عقب تعرضه لحادث السيارة.
- ملف اللجان والأحزاب رقم (36) و. ر (60) بعنوان: الجالية الليبية في سوريا.
- ملف الهادي المشيرقي رقم (5) رسالتان من الهادي المشيرقي إلى خالد القرقني، وبشير السعداوي المقيمان بالرياض، بتاريخ أكتوبر 1943م.
- ملف اللجان والأحزاب رقم (36) و. ر (35) بعنوان، اللجنة الطرابلسية: إعلانها، تأسيسها، مبادئها، أعمالها.
- ملف اللجان والأحزاب رقم (36) و. ر (32) احتجاج الطرابلسيين على تصريح الجنرال ديغول فيما يتعلق بحقوق الإيطاليين في طرابلس بتاريخ 1945م.
- وثيقة رقم (64) رسالة من رئيس الكتلة الوطنية الحرة إلى وزير خارجية أمريكا 1946م.
- ملف الوثائق السياسية والمهاجرون الليبيون، ملف رقم (43) و. ر (47) رسالة من المهاجرين الليبيين بتونس إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية روزفلت بتاريخ 16 نوفمبر 1944م.
- ملف سالم بوخشيم رقم (12) و. ر (24). بعنوان: بيان من الكتلة الوطنية الحرة يحتوي على أسماء العاملين بالكتلة ويبيّن مهمة هذه الكتلة بتاريخ 31/ 6/ 1946م.
- ملف العارف مانه رقم (195) وثيقة رقم (5) رسالة من عون محمد سوف إلى الشيخ العارف مانه بتاريخ 27 مارس 1946م.

ب ـ وثائق دار الوثائق القومية بالقاهرة:

- وثائق وزارة الخارجية المصرية:
- الأرشيف السري الجديد، محفظة رقم 252 (ملف بدون رقم) تقرير من عبد الرحمن عزام إلى حضرة وزير الخارجية محمود فهمي النقراشي باشا عن محادثات مكة وجدّة مع جلالة الملك عبد العزيز آل سعود وحكومته بتاريخ 18 يناير 1945م.
- محفظة 573، جامعة الدول العربية، موضوعات مختلفة، بيان عن اجتماع ملوك العرب ورؤسائهم في أنشاص، 29 مايو 1946م.

*** ثالثاً ـ الوثائق الأجنبية:**

وثائق وزارة الخارجية البريطانية: Foreign Office:

F o.371.53519: «برقية سرية إلى وزارة الحرب البريطانية بتاريخ 22 سبتمبر 1946».

Fo. 371. 24590 : «تقرير عن الموقف السعودي من الحرب العالمية الثانية».

Fo. 371. 53519 : «نص المحادثات التي جرت بين العميد كومنج، وبشير السعداوي. 8/ 10/ 1946».

F o. 371. 53519 : «رسالة بشير السعداوي إلى العميد كومنج بتاريخ 13/ 10/ 1946».

*** رابعاً ـ المراجع العربية والمترجمة:**

1 ـ أحمد الشرباصي، شكيب أرسلان من رواد الوحدة العربية، القاهرة: مطابع الدار القومية، 1963م.

2 ـ أحمد عبد الغفور عطار، صقر الجزيرة، ج6، بيروت: مطبعة الحرية، 1972م.

3 ـ أروى طاهر رضوان، اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية ودورها في العمل السياسي المشترك، بيروت: دار النهار، 1973م.

4 ـ بروشين، ن. أ.: تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى 1969م، ترجمة عماد غانم، مراجعة ميلاد المقرحي، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1988م.

5 ـ تيسير بن موسى، كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام 1925 ـ 1951م، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1983م.

6 ـ جميل عارف، شاهد على مولد جامعة الدول العربية، الوثائق السرية لدور مصر وسوريا والسعودية، القاهرة: الدولية للإعلام والنشر، 1995م.

7 ـ ــــــــــ، صفحات من المذكرات السرية لأول أمين عام للجامعة العربية عبد الرحمن عزام، القاهرة: المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر، 1977م.

8 ـ جورج أنطونيوس، يقظة العرب، ترجمة ناصر الدين الأسد، حسان عباس، ط8، بيروت: دار العلم للملايين، 1987م.

9 ـ خير الدين الزركلي، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، بيروت: دار العلم للملايين، 1988م.

10 ـ عادل حسن غنيم، الحركة الوطنية الفلسطينية من ثورة 1936م حتى الحرب العالمية الثانية، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1980م.

11 ـ سامي حكيم، حقيقة ليبيا، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1968م.

12 ـ سليمان موسى، الثورة العربية الكبرى: وثائق وأسانيد، عمّان: 1966م.

13 ـ صبري فالح الحمدي، المستشارون العرب والسياسة الخارجية السعودية خلال حكم الملك عبد العزيز ابن سعود (1915 ـ 1953م) لندن: دار الحكمة، 2011م.

14 ـ الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، أعلام ليبيا، ط3، بيروت: دار المدار الإسلامي، 2004م.

15 ـ الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الليبيين في ديار الهجرة 1924 ـ 1952م، ط2، لندن: دارف المحدودة، 1985م.

16 ـ عبدالله عبد المحسن التركي، الملك عبد العزيز آل سعود أمة في رجل، الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والإرشاد، 1420هـ ـ 2000م.

17 ـ فيليب خوري، سوريا والانتداب الفرنسي 1920 ـ 1945م، ترجمة مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.

18 ـ اللجنة الطرابلسية بالقاهرة، الكتاب الأبيض في وحدة طرابلس وبرقة، القاهرة: دار الأنوار، 1949م.

19 ـ محمد محمد علي الطرابلسي، طرابلس بلاد شرقية ولو كره الإيطاليون، عن كتاب الدفاع الطرابلسي البرقاوي، القاهرة، 1940م.

20 ـ مجيد خدوري، ليبيا الحديثة، دراسة في تطورها السياسي، ترجمة: نقولا زيادة، مراجعة ناصر الدين الأسد، بيروت: دار الثقافة، 1966م.

21 ـ مكي شبيكة، العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى، بيروت: دار الثقافة، 1970م.

22 ـ عبد الحميد سليمان، الملك عبد العزيز من الثورة إلى الدولة، القاهرة: دار المنتدى العربي، 1998م.

23 ـ عبد المنعم الغلامي، الملك الراشد جلالة المغفور له عبد العزيز آل سعود، ط2، الرياض: دار اللواء للنشر والتوزيع، 1980م.

24 ـ محمد سعيد القشاط، ليبيون في الجزيرة العربية، بيروت: دار السراج، 2003م.

25 ـ محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة القاهرة: مطبعة الاعتماد، 1957م.

26 ـ محمد عبدالله ماضي، النهضات الحديثة في جزيرة العرب، ط2، بيروت: دار إحياء الكتب العربية، 1952م.

27 ـ محمد صلاح سالم، العلاقات المصرية السعودية في نصف قرن 1900 ـ 1950م، القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2004م.

28 ـ محمد الطيب الأشهب، إدريس السنوسي، ط2، القاهرة: دار العهد الجديد، 1957م.

29 ـ موسوعة تاريخ الملك عبد العزيز الدبلوماسي، (هيئة جمع المادة والإعداد والصياغة: فهد بن عبدالله السماري وآخرون، المراجعة اللغوية: فهمي قطب الدين النجار)، الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، 1419هـ/ 1999م.

30 ـ هدى محمد عثمان، التنافس الاستعماري بين بريطانيا وإيطاليا في منطقتي العالم العربي وشرق أفريقيا، بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2007م.

31 ـ وحيد الدالي، أسرار الجامعة العربية وعبد الرحمن عزام، القاهرة: مكتبة روز اليوسف، 1982م.

32 ـ وهيب طالب محمد، تاريخ الحجاز السياسي 1916 ـ 1925م، بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2007م.

*** خامساً ـ الرسائل العلمية:**

1 ـ سيد أحمد يونس، المملكة العربية السعودية وسياستها الخارجية 1924 ـ 1953م، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم التاريخ، 1975م.

2 ـ عصام الغريب محمد الطنطاوي، عبد الرحمن عزام ودوره الوطني والقومي والإسلامي، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم التاريخ، 2004م.

3 ـ عزة بنت عبد الرحيم بن محمد شاهين، العلاقات الخارجية للمملكة العربية السعودية في عهد الملك عبد العزيز آل سعود ما بين عامي 1924 ـ 1945م، (دكتوراه)، جامعة عين شمس، كلية البنات، قسم التاريخ، 2005م.

4 ـ الناجح محمد أبو القاسم الأخضر، المهاجرون الليبيون لبلاد الشام (سوريا) ودورهم في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية 1911 ـ 1952م، (دكتوراه) جامعة قاريونس [سابقاً]، كلية الآداب، قسم التاريخ، 2009م.

*** سادساً ـ الدوريات:**

أ ـ الأبحاث العلمية المُحكَّمة:

1 ـ أحمد زارم، «انهزام إيطاليا وبحث قضية المستعمرات»، <u>**مجلة الشهيد**</u>، عدد 4، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1983م، ص36.

2 ـ عبد المنعم إبراهيم الجميعي، «العلاقات المصرية السعودية في عهد الملكية المصرية»، (دراسة في وثائق عابدين الدبلوماسية)، <u>**مجلة الدارة**</u>، عدد (1)، السنة 29، 1434هـ.

3 ـ نجاة عبد القادر الجاسم، التمثيل الدبلوماسي والقنصلي في المملكة العربية السعودية 1936 ـ 1944م، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت: العدد 39، السنة العاشرة، يوليو 1984م.

ب ـ الصحف العربية:

1 ـ **الأهرام**، عدد 21480، السنة 70، القاهرة: بتاريخ 3 نوفمبر 1944م، أمر ملكي بتعيين عبد الرحمن عزام وزيراً مفوضاً من الدرجة الأولى في وزارة الخارجية المصرية (مساعد وزير للشؤون العربية).

2 ـ **الأهرام**، بتاريخ 29/ 7/ 1946م، «حديث الأمير إدريس السنوسي عن المفاوضات بين الطرابلسيين والبرقاويين حول مسائل الوحدة، والاستقلال، والانضمام إلى جامعة الدول العربية».

3 ـ **برقة الجديدة**، السنة الرابعة، عدد 750، بتاريخ 4 يونيو 1946م.

4 ـ **برقة الجديدة**، عدد 841، بنغازي: بتاريخ 21 يناير 1947م.

5 ـ برقة الجديدة، عدد 852، بنغازي: بتاريخ 12 فبراير 1947م.

6 ـ **الفتح**، السنة الثامنة، عدد 389، القاهرة: 20 ذي الحجة 1352هـ، «الوساطة بين ملكي الجزيرة».

7 ـ الفتح، عدد 396، القاهرة: 11 صفر 1353هـ، «موقف المسلمين من الحرب في جزيرة العرب».

8 ـ الفتح، عدد 396، القاهرة: 11 صفر 1353هـ، «مفاوضات الصلح في الطائف».

9 ـ الفتح، عدد 397، القاهرة: 18 صفر 1353هـ، «عقد معاهدة صلح وتعليق تنفيذها على تنفيذ الشروط».

10 ـ الفتح، عدد 665، القاهرة: 17 جمادى الآخرة 1358هـ، «جلالة الملك ابن سعود والقضية السورية».

11 ـ الرابطة العربية، عدد 426، القاهرة: 28 محرم 1364هـ/ 13 يناير 1945م.

12 ـ الرابطة العربية، السنة 11، القاهرة: 7 شعبان 1365هـ/ 6 يوليو 1946م، «ليبيا بين الاستقلال والوصاية إما استقلال وإما وصاية الجامعة العربية».

13 ـ الوطن، عدد 58، بنغازي: بتاريخ 28 يناير 1947م، «بيان وفد الجبهة الوطنية المتحدة».

*** سابعاً ـ المراجع الأجنبية:**

- Medicoot, W.N. British Foreign Policy Since Versailles 1919 _ 1963, Second Edition, London Methuen & Coltd, 1968.

- Jean, Pichon. Laguestion de Lybie. (Paris: perronte, 1947).

- John Wright. Libya., London: Ernest Benlimited, (N. D).

- Renzo De Felice, Mossolini l'alleato, 1940 _ 1943. (Torino: Gulo Einaudi Editore, 1990.

❐ ❐ ❐

الدبلوماسيّة المصريّة والمناضل بشير السّعداوي 1945 ـ 1952م

د. مفتاح بلعيد غويطة
كلية الآداب الخُمس ـ جامعة المرقب

لا شك أن الشخصيات الليبية الفاعلة في تطور الأحداث في ليبيا في أي حقبة تاريخية سواء أكانت قاطنة داخل موطنها الليبي أو قاطنة خارجه لسبب أو لآخر كانت مثار اهتمام من قبل الأوساط الدولية والعربية والإسلامية، بل إن الكثير من الدول حماية لأمنها الوطني وسعياً لإنجاح سياستها الداخلية والخارجية كانت تتخير من الشخصيات المناضلة، وخاصة في بقع التوتر والأزمات المجاورة لها؛ لرسم سياسة حماية المصالح وخدمة الأهداف المنظورة وغير المنظورة.

وخلال الفترة الانتقالية المعقدة في ليبيا 1945 ـ 1952م فإن الحكومة المصرية لم تشذ عن هذه القاعدة؛ فالمصالح المصرية في ليبيا كانت كبيرة وعظيمة، وليبيا كانت قضية الساعة بُعيد انتهاء الحرب العالمية الثانية، ولما كانت مجاورة لمصر فإن الدبلوماسية المصرية لم تقف مكتوفة الأيدي تنتظر ما يؤول إليه مستقبل هذا القُطر العربي، بل أسهمت في رسم صورة شكله السياسي خلال هذه الفترة وفي الفترات اللاحقة.

كان المناضل الليبي بشير السعداوي (1884 ـ 1957م) من أبرز الشخصيات الليبية التي تعاملت معها الدبلوماسية المصرية على قدر كبير من الاهتمام ودعمتها، أملاً في وصولها إلى موقع يمكنها من قيادة ليبيا، وتجني مصر من ثم ثمار جهدها من وراء دعم السعداوي. قامت الدبلوماسية بدورٍ كبير من خلال القائمين على هياكلها في الحكومة المصرية أو في قنصليات وسفارات مصر في العالم[1]، وخاصة ليبيا والولايات المتحدة

---

(1) انظر بتوسع عن العلاقات الدبلوماسية والقنصلية بين مصر والعالم بُعيد الحرب العالمية الثانية صفاء شاكر، الخارجية المصرية 1937 ـ 1953م، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2006م، ص173 ـ 290.

الأمريكية؛ حيث مقر المنظمة الدولية الأمم المتحدة خلال فترة حساسة من تاريخ السعداوي بشكل خاص وليبيا بشكل عام.

حددت فترة الدراسة بين عام 1945م نهاية الحرب العالمية الثانية، وفبراير 1952م تاريخ نفي بشير السعداوي إلى خارج ليبيا. وتطرح الدراسة إشكالية مفادها كيف تعاملت الدبلوماسية المصرية مع المجاهد والمناضل بشير السعداوي؟، وإلى أي مدى حققت أهدافها؟. معتمدة الدراسة على وثائق مهمة غير منشورة رغم قلتها من الأرشيف المصري ومن الأرشيف الليبي، ناهيك عن بعض المصادر المهمة، مستخدمة الدراسة المنهج التاريخي، الذي لا يكتفي بسرد المعلومة ووصف الحدث، بل يسعى الباحث من خلاله للبحث عن التعليل والتفسير المنطقي لدور الدبلوماسية المصرية تجاه السعداوي، ونشاطاته تجاه قضية بلاده خلال الفترة المعنية.

* * *

*** أولاً ـ جذور العلاقة الدبلوماسية المصرية بالسعداوي:**

انتهت الحرب العالمية الثانية، وكان الشغل الشاغل للدبلوماسيين المصريين رسم السياسة الخارجية المصرية بما يتماشى مع أهداف مصر الوطنية والقومية، وخشية من تكرار الفشل في اغتنام التسويات الدولية كما حدث بُعيد انتهاء الحرب العالمية الأولى، عندما مُنعت مصر من إيصال طموحاتها للمجتمعين في مؤتمر الصلح بفرساي بفرنسا، وما ترتب على ذلك من حوادث واضطرابات هزّت مصر حينها (ثورة 1919م)[1]؛ لذا كان من الضروري الانتباه إلى تفادي الوقوع في الأخطاء، رغم أن الدولة المصرية عند

(1) بخصوص ثورة 1919م انظر أحدث الدراسات المنشورة: عبد الوهاب النجار، الأيام الحمراء، مذكرات الشيخ عبد الوهاب النجار عن ثورة 1919م، إشراف ودراسة: أحمد زكريا الشلق، إعداد وتحقيق: مصطفى الغريب أحمد، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2010م، ص19 ـ 330؛ أيضاً: حسين مؤنس، دراسات في ثورة 1919م، دار الرشاد، القاهرة، ط2، 2005م، ص11 ـ 286؛ أيضاً: آمال السبكي، سعد زغلول والكفاح السري 1919 ـ 1925م، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2012م، ص13 ـ 106.

الحرب العالمية الثانية كانت دولة قوية وكاملة السيادة، تمتلك زمام أمرها ولها حضور عربي ودولي مميز.

ولما كانت القضية الليبية حديث الساعة بُعيد الحرب على اعتبار أن ليبيا تُعدُّ مستعمرة إيطاليّة يجب تسوية وضعها الدولي بعد إنهاء الحكم الإيطالي فيها، كان على دبلوماسية مصر القيام بدور واضح ومهم يكون مِعْول بناء للمصالح المصرية، لمجاورة ليبيا لمصر من الناحية الغربية، وما كانت تُمنيه مصر لنفسها من أماني للحصول على مكاسب إقليمية وسياسية في القُطر الليبي.

شهدت مصر حراكاً إعلامياً وسياسياً غداة اندلاع الحرب العالمية، عندما عَرَف الساسة المصريون أن القضية الليبية ستكون مدار جدلٍ بين أقطاب السياسة الأربع: الفرنسيين، والإنجليز، والأمريكان، والرُّوس؛ فكان لابد من إظهار علاقة مصر بليبيا ودورها في رسم التاريخ الليبي وإبراز حقوقها الإقليمية التي سُلبت منها خلال الاحتلال الإيطالي؛ فنشط الكُتّاب والساسة المصريون في الإدلاء بدلوهم بالخصوص[1].

شهدت أروقة مجلس الوزراء المصري مناقشات جدية ومطولة وفق ما كان يَرِد من الخارجية المصرية، التي بدورها كانت لا تكتفي باقتراحات وتقارير مستشاريها داخل مصر وإنما تلك الواردة إليها من العواصم المعنية بالمسألة الليبية، ويتصدر هؤلاء قنصل مصر العام ببنغازي، الذي فيما يبدو أن السياسة المصرية خلال السنوات الأربع التي أعقبت الحرب قد رسمت بناء على تقاريره المفصلة، التي كان يرسلها تباعاً لوكيل وزير خارجية

(1) دار الكتب والوثائق القومية القاهرة، وثائق وزارة الخارجية المصرية غير المنشورة، تصنيف قديم، المحفظة رقم 1455، مقالة للمؤرخ محمد عبدالله عنان عن مصر ومصير المستعمرات الإيطالية، منشورة بمجلة الكاتب المصري، مج1، ع4، يناير 1946م؛ انظر: وثائق الأرشيف السري الجديد المحفظة رقم 1395 مذكرة مصطفى عباس الأستاذ بجامعة فؤاد الأول مُقدَّمة لوزارة الخارجية المصرية بتاريخ أكتوبر 1947م؛ وانظر: مذكرات محمد فؤاد شكري للجهة الأولى نفسها، بحث كتبه بتاريخ 7 نوفمبر 1947م، والثانية بتاريخ 10 ـ 11 نوفمبر 1947م. ومذكرة مصطفى عامر بعنوان الصِّلات الجغرافية بين مصر وليبيا.

بلاده بالقاهرة[1]. ففي سنة 1946م أرسل أحمد بهجت القنصل المصري العام من بنغازي تقريراً مفصلاً عن الوضع في ليبيا، ضَمّنه اقتراحات لحكومة بلاده لاتّباع السياسة في ليبيا بناءً على معطياته، فقد أورد القنصل أن برقة تعاني الأمرّين من آثار الحرب، وأن السياسة الإنجليزية تسعى لتقسيم ليبيا إلى قسمين برقة وطرابلس، وأن أكثرية أهل برقة متعلقون بالأمير إدريس السنوسي ولديهم أسلحة وذخائر، والباقي يرغبون في وحدة طرابلس وبرقة والاتحاد مع مصر تحت وصاية الجامعة العربية[2]. وأضاف القنصل لذا وجب العمل على التقرب من الأمير إدريس واجتذابه من الإنجليز، والتقرب كذلك من ابن عمه صفي الدين السنوسي المنافس له والمقرّب للإنجليز، الذين يُعدِّونه للاستخدام في أي وقت، عوضاً عن الأمير محمد إدريس في حال إخفاق الأخير في تحقيق مايصبون إليه[3].

أعاد القنصل المصري في بنغازي في يونيو من 1947م على مسامع وزير خارجية بلاده دعوته بمراسلة الأمير إدريس للتعاون مع الجبهة الوطنية في برقة، حتى إذا ما جاءت لجنة التحقيق الدولية المعنية بالشأن الليبي وفق قرار وزراء خارجية الدول الكبار، وجدت

---

(1) كان الحراك القنصلي والدبلوماسي المصري ببنغازي كبيراً منذ العهد الفاشي في ليبيا، وخاصة بعد حصول إيطاليا على موافقة مصرية بإنشاء نيابة قنصلية في السلوم سنة 1924م انظر: دار الكتب والوثائق القومية القاهرة، مذكرة إدارة الشؤون السياسية بوزارة الخارجية المصرية بتاريخ يونيو 1947م بشأن إنشاء قنصلية مصرية في طبرق، وثائق وزارة الخارجية المصرية غير المنشورة، الكود الأرشيفي 021483 ـ 0078، المحفظة رقم 481، وفي ذات المحفظة انظر رسالة الوزير الإيطالي المفوّض بالقاهرة إلى الخارجية المصرية بتاريخ 9 ديسمبر 1924م؛ أيضاً: (الوثائق الإيطالية غير المنشورة/ شعبة الوثائق الأجنبية، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس).

Governo Della Cirenaica, Gabinetto, Del Governatore, Relazione Di Governo, Gennaio 1923 _ Maggio 1924 _ A _ S _ E _ il Ministro delle Colonie, Bengasi, 18 Maggio 1924.

(2) دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، وثائق الخارجية المصرية غير المنشورة، ميكروفيلم رقم 29 ليبيا، أرشيف البلدان، الملف رقم 1، مذكرة أحمد بهجت القنصل المصري العام ببنغازي، 14 يونيو 1946م إلى وزير الخارجية المصرية بالقاهرة.

(3) المصدر نفسه.

الليبيين متحدين ومتراصين[1]. وأضاف القنصل في مذكرة أخرى بعث بها في الشهر ذاته لحكومته أنه لمس خلال إقامته في طرابلس أن الأهالي متعلقون بمصر وبمليكها بدليل تأسيس حزب الاتحاد المصري الطرابلسي، وأنهم يكنون لها كل محبة ووفاء، ويتمنون لها التقدم والرخاء، رغم الأحوال الاقتصادية، والتعليمية، والمعيشية، التي يحيونها تحت الحكم العسكري البريطاني[2].

لقد وقع اختيار الدبلوماسية المصرية على بشير السعداوي، الذي يُعدُّ شخصية ليبية تجمع بين الجهاد، والثقافة، والعلم، والسياسة، ليكون عوناً لها في رسم السياسة المرجوة؛ فالسعداوي سليل أسرة السعداوي المصراتية، وُلِد سنة 1884م في مدينة الخُمس الساحلية 120 كم شرقي طرابلس العاصمة، ومنذ نعومة أظافره تلقّى تعاليمه في المدارس العثمانية بولاية طرابلس، وما لبث أن تقلّد مناصب إدارية وسياسية في الإدارة العثمانية بطرابلس، أسهمت في جعله على رأس قادة الجهاد ضد الإيطاليين، حال إقدام هؤلاء على احتلال ليبيا ونشوب النزاع مع العثمانيين حول ليبيا أكتوبر 1911 ـ أكتوبر 1912م، وخلال السنوات التي قضاها في المهجر أو في ليبيا وخاصة 1920 ـ 1923م، نشأت بينه وبين عبد الرحمن عزام علاقات قوية وصداقة متينة وتوافق في الآراء، خاصة وأن عزاماً كان مقيماً حينها بين ظهراني الليبيين، وربطته بزعامات ليبيّة علاقات قوية، وكان السعداوي بعد مقتل الزعيم المصراتي رمضان السويحلي 20 أغسطس 1920م مرشحاً بقوة لملأ ذلك الفراغ. صحيح أنه منع من المكوث في مصر حال دخوله الأراضي المصرية سنة 1923م، واعتُقل ضمن عشرة زعماء طرابلسيين طالبت الحكومة الإيطالية مصر باعتقالهم وتسليمهم

(1) المصدر نفسه، مذكرة أحمد بهجت القنصل المصري العام ببنغازي، يونيو 1947م إلى وزير الخارجية المصرية بالقاهرة. وعن لجنة التحقيق الدولية التي زارت ليبيا خلال سنة 1948م. انظر: محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، وثائق تحريرها واستقلالها، القاهرة، مطبعة الاعتماد، 1957م، ص244 ـ 249.

(2) دار الكتب والوثائق القومية القاهرة، وثائق الخارجية المصرية غير المنشورة، ميكروفيلم رقم 29 ليبيا، أرشيف البلدان، الملف رقم 1، مذكرة القنصل المصري العام ببنغازي، 18 يونيو 1947م إلى وزير الخارجية المصرية بالقاهرة.

إياها، لكن الأخيرة وافقت على الاعتقال واستبدلت التسليم بإجبارهم على مغادرة الأراضي المصرية عبر ميناء الإسكندرية البحري نحو بلدان المشرق الإسلامي[1].

أعلنت إيطاليا في 10 يونيو 1940م الحرب على مصر[2]، وأصبحت من ثم الحكومة المصرية في حل من ضوابط حسن الجوار مع الإيطاليين في ليبيا، ولم يَعُد السعداوي يشكل خطراً على مصر، بل على العكس يمكن الاستفادة منه في محاربة الأطماع الإيطالية في ليبيا ومصر ذاتها.

عُيِّن عبد الرحمن عزام في منتصف الأربعينيات من القرن العشرين مساعداً لوزير الخارجية للشؤون العربية، ثم موظفاً في سفارات مصر في العراق، والسعودية، وفي مايو 1945م أصبح أميناً للجامعة العربية[3]. وكان محمود فهمي النقراشي وزيراً للخارجية 1944 ـ 1945م، وفي فبراير 1945م أصبح رئيساً للوزراء في مصر، وظل يشغل وزيراً للخارجية المصرية، وكذلك وزيراً للداخلية، ولسرعة تدارك الأمور في المحافل الدولية عُيِّن عبد الحميد بدوي وزيراً للخارجية للاشتراك كرئيس للوفد المصري في مؤتمر سان فرانسسكو المنعقد في 25 أبريل 1945م، هذا من جهة، ومن جهة أخرى بذل النقراشي جهداً لتأسيس الجامعة العربية ونجح في إقرار نظام الجامعة بقصر الزعفران بالقبة بالقاهرة في مارس 1945م، واختار عبد الرحمن عزام لمنصب الأمين العام لهذه المؤسسة الوليدة[4]. ولمّا كان مقر الجامعة بالقاهرة فقد استعانت الخارجية المصرية بعبد الرحمن عزام في تقديم المشورة حول القضية الليبية والتنسيق المباشر بين الأمانة العامة للجامعة والخارجية المصرية، على الرغم من أنه كان لا يُشجع إمارة إدريس في ليبيا، لكنه أقرّ

(1) محمد فؤاد شكري، مصدر سابق، ص588 ـ 589؛ أيضاً: الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، بيروت، دار الفتح للطباعة والنشر، ليبيا، والسيد محمد الرماح بشينه، ط2، 1970م، ص484 ـ 485.

(2) جريدة المصري، 15/ 6/ 1940م.

(3) حسن عيسى، أعلام الدبلوماسية المصرية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2008م، ص26.

(4) المصدر نفسه، ص57 ـ 59.

بأنه يريد أن يستثمر خبرته في الشأن الليبي لصالح الحكومة المصرية[1].

كانت مصر تُمنِّي النفس بأن يكون للأمير إدريس السنوسي دور مهم في المرحلة المقبلة، ولكنها كانت تَعْرف مدى صعوبة إقناع كل الزعامات الطرابلسية بمبايعته، ومن هنا جرى التفكير في البحث عن شخصية تجمع بين الولاء للسنوسية والقبول لدى زعماء الغرب الليبي، والرضا من قبل الغرب وخاصة بريطانيا، لذا قَدَّم عزام السعداوي ليكون ورقة الدبلوماسية المصرية في هذه الظروف.

وكان السعداوي يعمل عند انتهاء الحرب العالمية الثانية في الجهاز الاستشاري للملك عبد العزيز آل سعود بالمملكة العربية السعودية، وكانت العلاقة بين أسرة آل سعود والملك فاروق الأول قوية والتنسيق على أشده بين الجانبين في قضايا الساعة، وأتاحت الزيارات المتبادلة بين الجانبين فرصة للسعداوي لحضور الاجتماعات بالقاهرة أو في الرياض، بل وحضور جلسات الجامعة العربية[2]. وأثناء زيارات المسؤولين السعوديين إلى القاهرة وبصحبتهم السعداوي أُقنع فيما يبدو الأخير من قبل الدبلوماسيين المصريين وعزام بضرورة استئناف العمل من أجل القضية الليبية، ووعد بتقديم العون والمشورة من قبل الجامعة العربية والحكومة المصرية.

زار الملك فاروق السعودية في 25 يناير ـ 2 فبراير 1945م وربما أقنع الملك عبد العزيز بالتوقيع على ميثاق الجامعة ففعل، لذا فقد أصبح لمصر تمثيل دبلوماسي بجدّة مستقل ونشط[3]. وفي يناير 1946م رَقّت الحكومة السعودية السيد فوزان سفيرها السابق

---

(1) دار الكتب والوثائق القومية القاهرة، وثائق عابدين غير المنشورة، المحفظة رقم 124 الملف 11، الكود الأرشيفي 002576 ـ 0069، تقرير عن وجهة نظر عبد الرحمن عزام في مسألة إمارة ادريس السنوسي على ليبيا الموحدة القاهرة 25 أغسطس 1948م.

(2) اورويعي محمد علي قناوي، بشير السعداوي ودوره في الحركة الوطنية الليبية (1884 ـ 1957م)، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، ط1، 2014م، ص231 ـ 237.

(3) صفاء شاكر، مرجع سابق، ص218.

في القاهرة إلى درجة وزير مفوض، وسرعان ما استبدلته بالوزير المفوض الشيخ عبدالله إبراهيم الفضل، ومنحته صلاحيات واسعة لتدعيم العلاقة مع القاهرة[1].

إن المصادر التي بين أيدينا لا تمدنا بمعلومات كافية عن كيفية إقناع السعداوي أو اقتناع الأخير بالتعاون مع الدبلوماسية المصرية، لكن الثابت أن العروض والتزكيات كانت كبيرة ومغرية، ومن ثم وجدها السعداوي فرصة للعودة للاشتغال بقضية بلاده بعد أن وضعت الحرب أوزارها[2]، خاصة وأن الإنجليز كانوا يفضلون تدخل الحكومة المصرية في الشأن الليبي، ما يجعل الأمير إدريس السنوسي لا يستطيع فعل شيء إلا بموافقة ومشورة السعداوي والحكومة المصرية[3].

وصل السعداوي القاهرة قادماً من الرياض، في مايو 1946م، فوجدها تعج بحراك سياسي كبير تقوم به الجامعة العربية والخارجية المصرية، ناهيك عن بعض الشخصيات الليبية القاطنة بالقاهرة ومصر عموماً وقتئذ[4]. وحالَ وصوله القاهرة كانت الشخصيات الطرابلسية تنتظر قدومه لطرابلس، للتنسيق سوياً فيما يجب عمله إزاء القضية الليبية في هذه المرحلة[5]. لذا قرر السعداوي البقاء في القاهرة بناء على توجيهات دبلوماسية مصرية

(1) المرجع نفسه، ص271.

(2) المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية طرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات، الوثائق العربية، ملف بشير السعداوي رقم 173، الوثيقة رقم 3 تلغراف من الهادي إبراهيم المشيرقي إلى السعداوي والأخير بالحجاز بتاريخ ديسمبر 1945م.

(3) دار الكتب والوثائق القومية القاهرة، وثائق عابدين غير المنشورة، المحفظة رقم 124 الملف 11، الكود الأرشيفي 002576 ـ 0069 تقرير عن وجهة النظر الإنجليزية في مسألة إمارة إدريس السنوسي على ليبيا الموحّدة، القاهرة 25 أغسطس 1948م.

(4) قناوي، مرجع سابق، ص231 ـ 237.

(5) المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية طرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات الوثائق العربية ملف العارف مانة رقم 195 الوثيقة رقم 5 رسالة عون محمد سوف بتاريخ 27 مارس 1946م إلى الشيخ العارف مانة.

بالخصوص والشروع من ثم في خدمة قضية بلاده.

* * *

ثانياً ـ الدبلوماسية المصرية ونشاط السعداوي في القاهرة مايو 1946 ـ فبراير 1948م:

لقد بدأت التحركات الدبلوماسية المصرية منذ أشيع عن عقد مؤتمر بلندن للنظر في المستعمرات الإيطالية السابقة، فقد كانت الخارجية توافي السفارة المصرية بلندن بأي مستجدات بخصوص القضية الليبية، فحال تلقيها مذكرتا الجبهة الوطنية المتحدة الليبية وهيئة تحرير ليبيا فيما تريانه من حل للمشكل الليبي أبلغت الخارجية السفير المصري في لندن بنصيهما على الفور[1].

وعلى الصعيد نفسه شكّلت الخارجية المصرية لجنة لذات الغرض، اختير عبد الفتاح عمرو باشا سفير مصر المفوض بلندن رئيساً لها، وحسين بك محمد سعيد وزير مفوض بسفارة مصر بلندن، وعمر لطفي النائب الأول بمجلس الدولة عضوين، واختير محمد عوض القوني السكرتير الأول بوزارة الخارجية المصرية مستشاراً[2]. شرعت اللجنة في عملها في لندن، وكانت على اتصال بالخارجية المصرية للتشاور فيما يخص قضية الحدود مع ليبيا، ناهيك عن تطورات القضية الليبية برمتها[3].

طلبت الخارجية المصرية من سكرتير جامعة فؤاد الأول الموافقة على تعيين الدكتور محمد فؤاد شكري الأستاذ المساعد بكلية الآداب مستشاراً للوفد الذي سيقوم بالإدلاء بوجهة نظر الحكومة المصرية أمام مجلس وزراء خارجية الدول الكبرى الأربع بخصوص

(1) دار الكتب والوثائق القومية القاهرة، وثائق الخارجية المصرية غير المنشورة، الأرشيف السري الجديد المحفظة رقم 242، رسالة وكيل الخارجية المصري إلى سفير مصر بلندن بتاريخ 7 أكتوبر 1947م.

(2) المصدر نفسه، مذكرة محمود فهمي النقراشي وزير الخارجية المرفوعة لمجلس الوزراء المصري بتاريخ 2 نوفمبر 1947م.

(3) المصدر نفسه، رسالة رئيس اللجنة عبد الفتاح عمرو إلى محمود فهمي النقراشي وزير الخارجية بتاريخ 4 نوفمبر 1947م.

المستعمرات الإيطالية السابقة، فوافقت رئاسة الجامعة على ذلك[1].

وحال وجود بشير السعداوي بالقاهرة حتى فبراير 1948م قامت الدبلوماسية المصرية بدورٍ كبير في إعانته في نضاله الوطني، فكان عليها حشد التأييد الرسمي والشعبي المصري للقضية الليبية ولنضال الزعيم بشير السعداوي، وقُدّم الأخير للإعلام المصري على أنه مناضل وقومي عربي، فتهافت عليه محررو كبريات الصحف المصرية، وأُجريت معه اللقاءات المطولة؛ حيث نُشرت على صدر الصفحات الأولى لتلك الصحف[2]، وتعاطفت الأسرة المالكة والحكومة المصرية وبعض التجار والأغنياء والأعيان مع مجاعة ليبيا 1947 ـ 1948م، وقدَّموا التبرعات وجمعت الأموال وسلمت لبشير السعداوي مباشرة أو أرسلت بالتنسيق معه إلى ليبيا للتخفيف من وطأة المجاعة التي ضربت البلاد حينها[3].

على الصعيد نفسه كان عليها حشد التأييد العربي لبشير السعداوي، وإقناع العرب به وبنضاله، ومن ثم كان المسؤولون المصريون ومن بينهم عبد الرحمن عزام دائمي الثناء على السعداوي، بل وإشراكه في اجتماعات الجامعة داخل مصر وخارجها[4]. ولما كانت اجتماعات وزراء خارجية الدول الأربع الكبار فرنسا، وروسيا، وبريطانيا، وأمريكا مخيبة للآمال المصرية والليبية رغم ما بُذل من جهود، فإن الدبلوماسية المصرية إدراكاً منها بصعوبة المهمة الملقاة على السعداوي وتباعد وجهات النظر بين أنصاره الطرابلسيين ونظرائهم في برقة أو أنصار إدريس السنوسي، ولما تقرر إرسال لجنة رباعية للتحقق من

---

(1) المصدر نفسه، رسالة وكيل الخارجية المصرية لسكرتير عام جامعة فؤاد الأول بتاريخ 11 نوفمبر 1947م.

(2) انظر على سبيل المثال: مقابلة رئيس تحرير جريدة الإخوان المسلمين المنشورة بتاريخ 9 أغسطس 1949م، ص12.

(3) بخصوص موقف مصر من المجاعة في ليبيا انظر دراسة للباحث منشورة بمجلة مصر الحديثة العدد السادس عشر، يناير 2017م، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، وانظر بقسم الوثائق بالأرشيف المصري وثائق الخارجية المصرية غير المنشورة عن المجاعة في ليبيا وتونس الملف رقم 1 الكود الأرشيفي 022800 ـ 0078، والملف رقم 2 الكود الأرشيفي 045908 ـ 0078.

(4) قناوي، مرجع سابق، ص218 ـ 231.

المطالب الليبية فإن الدبلوماسية المصرية مارست دوراً في إنشاء هيئة تحرير ليبيا، التي أُعلن عن تأسيسها رسمياً برئاسة السعداوي مارس 1947م، ولقيت مباركة ودعماً مباشراً من وزارة الخارجية المصرية، والأمانة العامة للجامعة العربية[1].

كانت فكرة إنشاء هيئة تحرير ليبيا لاحتواء المعارضين لإدريس السنوسي من جانب، ومن جانب آخر البحث عن بديل في حالة تضارب المصالح المصرية مع أنشطة السنوسيين. وعلى كل قامت الدبلوماسية المصرية عبر السفراء والقناصل المصريين في الأردن، وتونس، وسوريا بدورٍ في حث المهاجرين الليبيين في هذه المناطق لتأييد هيئة تحرير ليبيا، بل إن الكثير من الشخصيات الليبية داخل ليبيا نفسها قد أعجبت بالهيئة بعد الدعاية المصرية لها، ودعت بشير السعداوي للقدوم إلى طرابلس للعمل من أجل الوطن واستقلاله[2].

بناء على هذه المستجدات أرسل في 8 أغسطس 1948م رؤساء الهيئات السياسية في طرابلس مثل الحزب الوطني، وهيئة تحرير ليبيا، والكتلة الوطنية الحرة، وحزب الاتحاد المصري الطرابلسي، وحزب الأحرار، واللجنة الوطنية برقية للأمير إدريس السنوسي عن طريق محمود فهمي النقراشي الذي كَلَّف محمد شكري بإيصالها إليه بمبايعته أميراً على ليبيا بكاملها[3]. وصل الدكتور شكري بنغازي حاملاً رسالة النقراشي السالفة

(1) للمزيد عن هيئة تحرير ليبيا انظر: محمد فؤاد شكري، مصدر سابق، ص70 ـ 71، 268 ـ 269، 377 ـ 386؛ أيضاً: عبد الرحمن عزام، صفحات من المذكرات السِّرية لأول أمينٍ عام للجامعة العربية، جمع: جميل عارف، المكتب المصري الحديث، القاهرة ـ الإسكندرية، ج1، 1977م، ص301 ـ 303؛ أيضاً: بشير السني المنتصر، مذكرات شاهد على العهد الملكي الليبي، مكتبة 17 فبراير، بنغازي، ط2، 2012م، ص50، 58 ـ 61؛ أيضاً: مفتاح السيد الشريف، ليبيا نشأة الأحزاب ونضالاتها، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2010م، ص281 ـ 282. قناوي، مرجع سابق، ص41 ـ 405.

(2) قناوي، مرجع سابق، ص241 ـ 259.

(3) دار الكتب والوثائق القومية القاهرة، وثائق عابدين غير المنشورة، المحفظة رقم 134 الملف 13، الكود الأرشيفي 002578 ـ 0069 رسالة رؤساء الهيئات السياسية في طرابلس إلى الأمير محمد إدريس السنوسي بتاريخ 8 أغسطس 1948م، ورسالة بشير السعداوي إلى محمود فهمي النقراشي بتاريخ 8 أغسطس 1948م.

الذكر في سبتمبر 1948م، فرد عليها إدريس في 30 سبتمبر من السنة ذاتها، بشكر النقراشي ورؤساء الأحزاب السياسية الطرابلسية بالقاهرة، مشدداً على أن المبايعة بالإمارة تُعدُّ سبيلاً لوحدة البلاد كلها، وهو ورفاقه عازمون على ذلك بشرط توحيد مقاطعات البلاد، وقد حمل شكري نقل نسخة من قرار المؤتمر الوطني البرقاوي بخصوص وحدة البلاد وبيعة الإمارة وتسليمها لمحمود فهمي النقراشي[1].

* * *

ثالثاً ـ الدبلوماسية المصرية والسعداوي 1948م ـ 1952م:

في بداية 1948م اقترب موعد وصول لجنة التحقيق الرباعية الدولية، فشد السعداوي الرحال براً إلى ليبيا، بناء على طلب من بعض الدبلوماسيين المصريين، وقد مُدّ من الخارجية المصرية بالسيارات والأموال اللازمة، وفي بنغازي وجد السعداوي ورفاقه القنصل المصري بالمدينة في مقدمة مستقبليهم، بل ومن الشخصيات التي رتبت اللقاء مع الأمير إدريس السنوسي، وقام بدور الوسيط والمقنع لتوحيد الجهود قبل وصول لجنة التحقيق السالفة الذكر[2].

كان الدور الإعلامي لصالح السعداوي الذي مارسته الدبلوماسية المصرية كبيراً؛ فقد التف معظم الليبيين حول السعداوي وهيئة تحرير ليبيا، ورأى الليبيون في دعم الأخيرة خيراً لأنها تكتسب شرعيتها من خلال دعم الجامعة العربية لها، كما أنها تسعى لرأب الصدع وعدم إنكار دور الأمير إدريس السنوسي في إمارة البلاد، وتولي الحكم، وهي فكرة قديمة حاول عزام والسعداوي تطبيقها في 1922م، لكنهما فشلا بسبب بعض

(1) دار الكتب والوثائق القومية القاهرة، وثائق عابدين غير المنشورة، المحفظة رقم 124 الملف 15، الكود الأرشيفي 002580 ـ 0069 رسالة الأمير محمد إدريس السنوسي إلى محمود فهمي النقراشي، بنغازي بتاريخ 30 سبتمبر 1948م.

(2) قناوي، مرجع سابق، ص270 ـ 273.

المستجدات التي طرأت على السّاحة اللّيبيّة، والإيطالية، والدولية حينها[1].

شَرَعَ السعداوي بالتنسيق والتشاور مع كبار الشخصيات الدبلوماسية المصرية في الجامعة العربية أو في الخارجية المصرية[2]، أو حتى ليبيا رغم عدم وجود سفارة مصرية في طرابلس حينها كما ذكرنا سابقاً، وكان عليه تلقي التوجهات مباشرة من القاهرة[3]. أو عن طريق القنصل المصري ببنغازي، وأحياناً كان عليه شد الرحال إلى القاهرة كلما كان الأمر ضرورياً، فمثلاً عندما عاد من أمريكا بعد مشاركته في اجتماعات هيئة الأمم المتحدة اتجه إلى القاهرة أولا؛ لاطلاع المسؤولين المصريين وأمين الجامعة العربية على نتائج مشاركته في تلك الاجتماعات[4].

سافر وفد هيئة تحرير ليبيا من القاهرة يوم 12 أبريل 1949م بناء على استعجال «كامل عبد الرحيم» سفير مصر بواشنطن لحضور جلسات الأمم المتحدة، لكن السعداوي لم يتمكن من السفر بسبب وعكة صحية ألزمته البقاء في القاهرة، وقد تشكل الوفد من منصور ابن قدارة، وعلي العنيزي، ومحمد فؤاد شكري مستشاراً، وتحملت البعثة الدبلوماسية المصرية بواشنطن نفقات سفره، وقبل مغادرته القاهرة زار أعضاء الوفد ومعهم السعداوي

(1) F.O: 371/ 12392, No1, Relations between Great Britain, Italy and the Senussi, 1912 to 1924.

الوثائق الأجنبية بالمركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس الوثائق الإنجليزية.

(2) دار الكتب والوثائق القومية القاهرة، وثائق الخارجية المصرية غير المنشورة، الكود الأرشيفي 022800 ـ 0078، المحفظة رقم 558، الجزء الأول المجاعة في تونس وليبيا، تلغراف باللغة الانجليزية من الإدارة العربية بوزارة الخارجية المصرية بتاريخ 5 سبتمبر 1948م وقد استلمه السعداوي يوم 14 سبتمبر 1948م.

(3) المصدر نفسه، الكود الأرشيفي 022802 ـ 0078، المحفظة رقم 558، الجزء الثاني، رسالة بشير السعداوي من طرابلس بتاريخ 8 مارس 1948م إلى الأمين العام للجامعة العربية.

(4) المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية طرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات الوثائق العربية، ملف اللجان والأحزاب، وثيقة رقم 6 رسالة من أحد أقطاب الحركة الوطنية بطرابلس إلى بشير السعداوي بالقاهرة غير مؤرّخة.

أمانة الجامعة العربية، ومبنى وزارة الخارجية المصرية، والتقى بعض المسؤولين الإنجليز في السفارة البريطانية بالقاهرة[1].

انطلق الاجتماع الأممي في 19 أبريل 1949م، وفيه تحدَّث أحمد خشبة وزير خارجية مصر ورئيس الوفد المصري، مؤكداً على أن ليبيا لها الحق في الاستقلال بموجب المادة الثالثة من ميثاق الأمم المتحدة، وفي حالة صدور قرار من الأمم المتحدة يقضي بوضعها تحت الوصاية فيجب أن تكون الوصاية قصيرة زمنياً تضمن وحدة ليبيا، وأن تشارك دولة عربية على الأقل في تلك الإدارة[2].

ووفقاً للتقرير السِّري الإنجليزي الصادر من فرع المخابرات الخاصة بالأقاليم الأفريقية ومقره بالقاهرة، أثناء الإعلان عن مشروع بيفن سفورزا في 10 مايو 1949م، فإن بشير السعداوي كان قد تماثل للشفاء وكان على اتصالٍ دائم ومنتظم خلال الفترة مع عبد الرحمن عزام، ولكن بدأ أن دوائر الحكومة المصرية أدارت له ظهرها نوعاً ما، وأن الصحف الموالية للحكومة تحفظت في الرد ومهاجمة مشروع سفورزا، وبات واضحاً أن الحكومة المصرية لا تريد أن تحرق أصابعها في ليبيا كما أحرقتها في فلسطين[3].

حاول مُعدّو التقرير البحث عن السبب في هذا التطور الجديد، فيرجعونه إلى أن السعداوي كان قد أدلى بتصريحات للصحفيين أشار فيها إلى أن أصدقاءه المصريين وحتى زملائه في هيئة تحرير ليبيا حذروا قبل سنة من إعلان مشروع سفورزا بعدم الثقة في بريطانيا، وأن عداءه مع الإيطاليين أصبح غير مبرر، لكن السعداوي رفض ذلك قطعاً[4].

---

(1) مفتاح السيد الشريف، مسيرة الحركة الوطنية الليبية الصراع من أجل الاستقلال، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2011م، ص28 ـ 30.

(2) مفتاح السيد الشريف، مسيرة الحركة الوطنية. . .، ص40 ـ 41.

(3) تقرير الملحق العسكري البريطاني بالقاهرة نقلاً عن مفتاح السيد الشريف، مسيرة الحركة الوطنية. . .، ص57 ـ 59.

(4) المصدر نفسه.

بل بالعكس هدد في رسالتين بعث بأولهما إلى وزير خارجية بريطانيا، وبعث بالثانية إلى سكرتير الأمم المتحدة بالعودة إلى استخدام حرب العصابات، في حالة إقرار الوصاية على ليبيا ومنحها للدولة الإيطالية[1].

ولما كان السعداوي بالقاهرة يتقرب من الإنجليز كانت الدبلوماسية المصرية قد شرعت بالفعل في مايو 1949م في اتخاذ إجراءات كان من شأنها توثيق العلاقة مع كل الأطراف الليبية، وخاصة في برقة، فخبراء الوفد المصري المشارك في اجتماعات هيئة الأمم أطلع حكومته وعبد الرحمن عزام على تفاصيل ما يُدبّر في كواليس الأمم المتحدة تجاه ليبيا[2]. وربما أشاروا إلى ضعف حجة وفد هيئة تحرير ليبيا مقارنة بغيره من الوفود. لذا كان القنصل المصري أحمد بهجت يعقد صفقات توريد أغنام لمصر مع مسؤولي الحكم في برقة، وأن هناك جهود بدلتها شخصيات ليبية لإرسال طُلاَّب من برقة للدراسة بالأزهر[3]. ومن ثم كان عليها توثيق العلاقة مع البرقاويين والطرابلسيين وعدم مهاجمة بريطانيا والتقرب نحو إيطاليا.

لقد حمل عام 1949م تطورات خطيرة تتعلق بالقضية الليبية كيّفت الدور الدبلوماسي المصري من السعداوي، ففي الأول من يونيو من السنة ذاتها أُعلن عن استقلال إقليم برقة[4]، فهاجمته الصحف المصرية وعبد الرحمن عزام؛ حيث اتهموا إدريس السنوسي

(1) مفتاح السيد الشريف، مسيرة الحركة الوطنية. . .، ص78.

(2) تقرير الملحق العسكري البريطاني. . .، نقلاً عن مفتاح السيد الشريف، مسيرة الحركة الوطنية. . .، ص59 ـ 60.

(3) المصدر نفسه.

(4) Adrian Pelt, Libyan Independence and the United Nations, New Haven and London, Yale University Press, 1970, P40.

دار الكتب والوثائق القومية القاهرة، وثائق عابدين غير المنشورة، المحفظة رقم 124 ليبيا تقارير، الكود الأرشيفي 002571 ـ 0069، رسالة الأمير محمد إدريس السنوسي إلى الملك فاروق بتاريخ 5 يونيو 1949م، يَطلب الإعتراف باستقلال برقة.

بالعمالة لبريطانيا وبالتفريط في القضية الوطنية الليبية[1]. ومن هنا شَرَع عزام في إجراء الاتصالات مع الإيطاليين أعداء السعداوي وأعداء الأمير إدريس، بل إنه اتُهم بأنه قد خطط معهم لاستقلال طرابلس منفصلة عن برقة تحت الوصاية الإيطالية، وقد صرح أن الحكومة الإيطالية اتصلت بالأمانة العامة للجامعة العربية والحكومة المصرية من أجل حل للمشكل الليبي، وقد أدّت تصرفات عزام هذه إلى القطيعة بينه وبين السعداوي[2].

كانت الحكومة المصرية على علمٍ مسبق باستقلال برقة، فقد ترأس ليلة الأول من يونيو 1949م محمود فهمي النقراشي بصفته رئيساً لمجلس الوزراء ووزير الخارجية اجتماعاً بمبنى الخارجية المصرية، حضره عبد الخالق حسونة باشا وكيل الوزارة، وأحمد بك بهجت القنصل المصري العام ببنغازي، وجرى الاتفاق على عدم إصدار أية تصريحات أو تعقيبات على نبأ إعلان استقلال برقة[3].

وفيما يبدو أن رأي المجتمعين خلص إلى مراقبة التطورات الأخيرة بدقة والاستعداد لاتخاذ ما يلزم من إجراءات بالتنسيق مع عبد الرحمن عزام، فعلى أثر عودة وفد هيئة تحرير ليبيا من أمريكا يوم 9 يونيو 1949م إلى القاهرة، تحولت الأخيرة إلى اجتماعات ثنائية وثلاثية ما بين السعداوي وأعضاء هيئة تحرير ليبيا وعبد الرحمن عزام، أو ما بين وزير الخارجية المصري وكبار مساعديه والسعداوي، وأحياناً كان عزام يُمثّل الطرف الثالث في الاجتماعات تلك، ومثل الدكتور محمد فؤاد شكري نقطة اتصال مهمة مع الخارجية المصرية، وجرى الاتفاق على بذل مساعي لإقناع أمريكا أو بريطانيا في الموافقة على أن تتولّى إحداهما الوصاية على ليبيا، حتى تتمكن من تحقيق استقلالها، لكن تلك المساعي رُفضت بحجة الأعباء المالية، رغم أن مصر أبدت استعدادها لتحمل تلك الأعباء بشروطٍ معينة[4].

(1) الشريف، مسيرة الحركة الوطنية. . .، ص107 ـ 108.
(2) المرجع نفسه، ص94 ـ 95، 177 ـ 192.
(3) المرجع نفسه، ص107، 110.
(4) المرجع نفسه، ص108 ـ 109.

في 25 يوليو 1949م وصل المريّض القاهرة لإقناع السّعداوي بالعودة إلى طرابلس، وحال وجوده بالقاهرة تقابل رفقة السعداوي مع عبد الخالق حسونة باشا وكيل وزارة الخارجية المصرية، وتقابلا مع عزام أكثر من مرة، واتفقوا فيما بينهم على الترحيب بالأمير إدريس حال مجيئه إلى طرابلس وهو في طريقه الى لندن، وإقامة حفل شعبي كبير على شرفه، هذه كانت من ضمن إشارة الدبلوماسية المصرية على السعداوي ورفاقه، لكن عزام لم يكن راض عن ذلك، ومن ثم لم يُبد استعداداً للدعم المالي عند التطرق لهذه النقطة، بل بالعكس لوحظ عليه أنه بدأ يفقد تأثيره في الأوساط العربية ويخالف السعداوي في الاتجاه[1].

أصبح القنصل المصري ببنغازي في سنة 1949م أكثر ميلاً للاستماع لمعارضي السعداوي، وخاصة من حزب الاتحاد المصري الطرابلسي، الذي أوعز إليه إرسال رسالة إلى مبنى القنصلية أحالها القنصل إلى وزير خارجية بلاده 9 فبراير 1949م، شدد فيها على أن الشعب الليبي في معظمه لم يَعُد يثق في بشير السعداوي، ويرميه البعض بالتخبط وبموالاة الأجنبي وبالقصور ويزرع بذور الفتنة بين طرابلس وبرقة، ونصح حكومته بعدم الاعتماد من الآن فصاعداً على السعداوي[2]. مما أربك نشاط السعداوي وجعل موقفه عصيباً رغم ما بذل من جهود وطنية لدعم التقارب البرقاوي الطرابلسي في هذه الفترة بعد استقلال برقة[3].

لقد كان اغتيال النقراشي يوم 28 ديسمبر 1948م، وفرار ثلاثة من الإخوان المسلمين المتهمين بقتله إلى برقة، وايواء الأمير إدريس لهم في يونيو 1949م قد تسبب في حدوث

(1) المرجع نفسه، ص109 ـ 112، 122.

(2) دار الكتب والوثائق القومية القاهرة، وثائق الخارجية المصرية غير المنشورة، ميكروفيلم رقم 29 ليبيا، أرشيف البلدان، الملف رقم 1، مذكرة القنصل المصري العام ببنغازي، 9 فبراير 1949م إلى وزير الخارجية المصرية بالقاهرة، والمتضمنة اقتراحاته بناء على طلب حزب الاتحاد المصري الطرابلسي بعدم الاعتماد على السعداوي.

(3) قناوي، مرجع سابق، 310 ـ 311.

أزمة دبلوماسية بين برقة ومصر[1]، كان لها تداعيات خطيرة على موقف الدبلوماسية المصرية من السعداوي، فالأخير رغم أنه فقد مناصراً له، لكنه أصبح ومن في طرابلس أكثر قبولاً لدى الدبلوماسيين المصريين خاصة، وأنهم أصبحوا ضمن جسم سياسي جديد ولد يوم 14 مايو 1949م عُرف باسم المؤتمر الوطني[2].

وبمناسبة قرب عرض القضية الليبية على الأمم المتحدة سبتمبر 1949م اجتمع في يوليو 1949م عزام وبشير السعداوي رئيس هيئة تحرير ليبيا مع وزير الخارجية المصري أحمد خشبة باشا؛ حيث أكدا له أن مصر لها دور في الدفاع عن ليبيا وطرابلس بعد استقلال برقة في هيئة الأمم المتحدة، وشدد السعداوي على أن مصر تختلف في مركزها عن الدول العربية الأخرى، وأن أهل ليبيا يعتقدون أن مصر هي وحدها من تقودهم وترعى مصالحهم[3].

وفيما يبدو وجد السعداوي معارضة في قبول أفكاره، فكان عليه إرسال البرقيات لوزارة الخارجية المصرية لتبيان خطر بعض معارضيه وأهدافهم ضد الوطن، فحال سماعه بوصول عمر منصور الكيخيا للقاهرة لمقابلة رئيس الوزراء محمود النقراشي أرسل السعداوي رسالة إلى الخارجية المصرية طلب فيها تحذير النقراشي من الكيخيا، متهماً إياه بأنه داعية للإيطاليين تدفعه المصلحة الشخصية فقط[4].

---

(1) السفير حسن عيسى، مصدر سابق، ص61 ـ 62. لتفاصيلٍ أوفى عن الأزمة المصرية السنوسية حول هذه القضية انظر: الشريف، مسيرة الحركة الوطنية. . .، ص113 ـ 122، 450؛ أيضاً: نقولا زيادة، رسائل من برقة، مراجعة: يوسف المجريسي، وأحمد بسام ساعي، مركز الدراسات الليبية، اكسفورد، ط1، 2008م، ص183، 208.

(2) الشريف، مسيرة الحركة الوطنية. . .، 154 ـ 162. ؛ أيضا: قناوي، مرجع سابق، ص316 ـ 318.

(3) جريدة الزمان، ع508، 2 يوليو 1949م.

(4) دار الكتب والوثائق القومية القاهرة، وثائق عابدين غير المنشورة، الكود الأرشيفي 002577 ـ 0069، المحفظة رقم 124، أوراق خاصة بليبيا، رسالة بشير السعداوي لوكيل وزارة الخارجية المصري محمد بك عبد المنعم يوم 9 أكتوبر 1948م.

كانت اللجنة الطرابلسية في القاهرة ممثلة في أعضائها أبو القاسم الباروني، والفيتوري السويحلي، والطاهر أحمد الزاوي، وعمر الغويلي، وبمناسبة قرب عرض القضية الليبية على الجمعية العامة للأمم المتحدة للتصويت واحتجاجاً على إعلان استقلال برقة قد شنت هجوماً لاذعاً على السعداوي، متهمة إياه ببيع ليبيا للإنجليز تحت مسمى الوحدة ودعوا الجامعة العربية ومصر لتغيير موقفهما من السعداوي[1]. ويذكر أن إعلان السعداوي تأييده للأمير إدريس هو ما دفع اللجنة لمناصبته العداء، ففي مذكرة سابقة للجامعة العربية تهجمت اللجنة الطرابلسية على إدريس السنوسي منتقدة ما قام به خدمة للإنجليز[2]، وضمناً كان بشير السعداوي من بين المتهمين إسوة بالأمير إدريس السنوسي، كما كان سبيلاً لتعميق هوة الخلاف بينه وبين الجامعة العربية، وخاصة أمينها العام عبد الرحمن عزام الذي صار يجاهر علناً بعدائه للسعداوي، واتخذ خطوات من شأنها عودة إيطاليا لحكم ليبيا بديلاً عن أية تدخلات خارجية، وبحجة عدم قدرة العناصر المحلية على إنقاذ بلادها من الفوضى والخلافات القائمة والسير بها نحو تحقيق الاستقلال والرخاء[3].

قوبلت تلك التصريحات بحملة استهجان من قبل بعض الهيئات البرقاوية والطرابلسية، فقد أرسل مايسمى بتنظيم شباب برقة إلى وزير الخارجية المصري برقية استهجان ضد تصريحات عبد الرحمن عزام العدائية الذي نشرها متهجماً على الأمير إدريس السنوسي بسبب إعلان الأخير استقلال برقة يونيو 1949م[4]. وأرسلت المجموعة الوطنية البرقاوية

(1) المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية طرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات، الوثائق العربية، ملف اللجان والأحزاب، وثيقة رقم 35ج قرار اللجنة الطرابلسية المجتمعة بالقاهرة بتاريخ 24 سبتمبر 1949م، وانظر الوثيقة 35 ب مذكرة اللجنة الطرابلسية المؤرخة في القاهرة سبتمبر 1949م المُرسلة إلى هيئة الأمم المتحدة.

(2) المصدر نفسه، وثيقة رقم 35 د، مذكرة اللجنة الطرابلسية المرسلة إلى مجلس الجامعة العربية أعتقد أنها في يونيو 1949م.

(3) لتفاصيل أوفى عن الخلافات بين السعداوي وعزام انظر: الشريف، مسيرة الحركة. . . ، ص504 ـ 510، 563 ـ 565.

(4) دار الكتب والوثائق القومية القاهرة، وثائق عابدين غير المنشورة، الكود الأرشيفي 002571 ـ 0069، المحفظة رقم 124، برقية من تجمع شباب برقة إلى وزير الخارجية المصري بنغازي، 17 يونيو 1949م.

رسائل مشابهة، انتقدت فيها تصريحات عزام ضد استقلال برقة وضد شخص الأمير إدريس السنوسي[1].

كان التصويت الدولي على استقلال ليبيا 21 نوفمبر 1949م ومنحها الاستقلال بحلول الأول من يناير 1952م في فترة انتقالية، قد خفف من حدة التوتر بين الدبلوماسيين المصريين بما في ذلك الجامعة العربية والسنوسيين، وجعل الجميع يركز على الفترة الانتقالية وطبيعة المرحلة التي ستعقبها.

لكن هذا لم يمنع من وجود معارضة للسعداوي ونشاطاته في ليبيا، كان قد دبرها عبد الرحمن عزام وأنصاره في القاهرة وطرابلس، ففي صيف 1951م بدأت المتاعب في وجه السعداوي، فاللجنة الطرابلسية بالقاهرة التي تكونت برعاية عزام أخذت في مناوأته، بل إن صحفاً طرابلسية صادرة في العاصمة طرابلس انتقدت السعداوي، وحاولت الانتقاص من دوره الوطني، واستمر التراشق الكلامي ما بين اللجنة والمؤتمر الوطني حتى أُعلن استقلال ليبيا رسمياً في ديسمبر 1951م[2].

نَصَح القنصل المصري ببنغازي حكومته فيما يبدو بعدم الثقة في الأمير إدريس السنوسي، فالقنصل المصري العام ببنغازي نقل في وقت لاحق إلى حكومته أن عمر باشا منصور الكيخيا المقرب من الأمير إدريس وبمناسبة الاحتفال في بنغازي بالتصويت الأممي على منح ليبيا استقلالها، والذي جرى في أوائل ديسمبر 1949م، نشر العديد من المقالات في الصحف الصادرة في برقة كانت ملأى بالطعن والتجريح في حق مصر والمصريين[3].

---

(1) الشريف، مسيرة الحركة الوطنية. . .، ص108.

(2) المرجع نفسه، ص636 ـ 640.

(3) دار الكتب والوثائق القومية القاهرة، وثائق الخارجية المصرية غير المنشورة، ميكروفيلم رقم 29 ليبيا، أرشيف البلدان، الملف رقم 1، مذكرة القنصل المصري العام ببنغازي، 3 ديسمبر 1949م إلى وزير الخارجية المصرية بالقاهرة.

كان السعداوي حريصاً على دوام العلاقة مع مصر رغم التطورات المتسارعة على الساحتين المحلية والدولية، فعندما كثرت الشكاوي ضد الدكتور محمد فؤاد شكري تدخل السعداوي لدى القنصل المصري العام ببنغازي، والذي كان في طرابلس وقابله في مقر إقامته المؤقتة بأحد فنادق مدينة طرابلس في مارس 1950م، وأكد له أن الدكتور شكري يُقدِّم خدمات كبيرة وجليلة لمصر وليبيا، وأن السعداوي لا يمكن أن يستغني عنه ملتمساً من الخارجية المصرية إنصاف الدكتور في ترقياته العلمية الجامعية، ومنحه المكافآت المالية الموعود بها من الخارجية المصرية[1].

وعلى الرغم من أن القنصل المصري قد أشعر حكومته بأنه ذهب لمقر المؤتمر الوطني بطرابلس مرتين، ووجد أن الدكتور محمد فؤاد شكري يقوم بدورٍ مهم لصالح سياسة مصر في ليبيا باعتباره المستشار لهيئة المؤتمر[2]، إلا أن موجة العداء ضد الدكتور شكري والسعداوي ازدادت وتيرتها في هذه الأثناء؛ فقد كشفت اللجنة الطرابلسية بالقاهرة في أوائل سنة 1950م عن مكمون توجسها منهما، فأرسلت إلى الجامعة العربية تشكو من تصرفات السعداوي والدكتور محمد فؤاد شكري، واتهمتهما بالترويج لدعاية إنجليزية لإبطال القرار الأممي باستقلال ليبيا، داعية الجامعة لتدارك الأمر[3].

لم تتوقف الشكاوي من الدكتور شكري وطالبته الشخصيات المناوئة للسعداوي بالرحيل[4]، فجريدة طرابلس الغرب نشرت بتاريخ 8 مايو 1951م «على رسلك أيها الدخيل

---

(1) دار الكتب والوثائق القومية القاهرة، وثائق الخارجية المصرية غير المنشورة تصنيف قديم، الأرشيف السري الجديد المحفظة رقم 1602، رسالة القنصل المصري العام ببنغازي محمد مصطفى ياسين من طرابلس إلى وزير الخارجية بتاريخ 11 مايو 1950م، والمتضمنة لرسالة السعداوي للوزير بخصوص الدكتور شكري.

(2) المصدر نفسه.

(3) المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية طرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات الوثائق العربية، ملف اللجان والأحزاب، وثيقة رقم 1 مذكرة الهيئة التنفيذية للجنة الطرابلسية القاهرة 31 مارس 1950م المرسلة إلى الأمانة العامة للجامعة العربية.

(4) دار الكتب والوثائق القومية القاهرة، وثائق الخارجية المصرية غير المنشورة تصنيف قديم، الأرشيف السري =

ارحل عنا فقد أزف وقت رحيلك»[1]. وأرسلت اللجنة الطرابلسية بالقاهرة مذكرة إلى وزير الخارجية المصري تشكو فيها من تصرفات محمد فؤاد شكري واتهمته بتفريق الكلمة في ليبيا والتشيع لفريق ضد آخر، فضلاً على أنه كان دائماً يحط من قدر العرب والجامعة العربية وأمينها عزام والليبيين، وطالب أعضاء اللجنة إبعاده من طرابلس على الفور[2].

نجحت الدبلوماسية المصرية في هذه المرحلة في أن يكون لمصر عضو في مجلس العشرة الاستشاري الذي نص عليه القرار الدولي، وقد أسندت رئاسته للهولندي أدريان بلت[3]، فمكنت تلك العضوية المندوب المصري من الإقامة بطرابلس بصفة رسمية هناك في ظل عدم وجود تمثيل دبلوماسي مصري في المدينة حتى ديسمبر 1951م[4]. ومكنته من ثم من تقديم العون للسعداوي خدمةً للأهداف القومية المصرية، وقد بذلت الدبلوماسية المصرية دوراً ليكون للفريق الذي يترأسه بشير السعداوي حضور في المؤسسات الليبية التي كان على الفترة انتقالية تكوينها؛ تمهيداً لاستقرار البلاد مثل الجمعية التأسيسية، ولجنة الستين ونحوها[5].

كان الإعداد للانتخابات الرئاسية والرغبة في أن يكون السعداوي الفائز بها قد

= الجديد المحفظة رقم 1603، رسالة مندوب مصر لدى مجلس الأمم المتحدة بليبيا محمد علي نشأت إلى وكيل وزارة الخارجية المصرية بتاريخ 9 مايو 1951م.

(1) المصدر نفسه.

(2) المصدر نفسه، مذكرة اللجنة الطرابلسية بالقاهرة إلى محمد صلاح الدين بك وزير الخارجية بتاريخ 11 مايو 1950م.

(3) يذكر أن مجلس الوزراء المصري قام بترقية محمد كامل سليم بك السكرتير العام لمجلس الوزراء إلى مرتبة سفير، وعُيِّن ممثلاً لمصر في المجلس الاستشاري في ليبيا انظر: الأهرام 12 ديسمبر 1949م؛ أيضاً: صفاء شاكر، مرجع سابق، ص193 ـ 194.

(4) صفاء شاكر، مرجع سابق، ص194.

(5) عن دور مصر في هذه الفترة خلال المجلس الاستشاري انظر: الشريف، مسيرة الحركة الوطنية. . .، ص460 ـ 489.

جعل الدبلوماسية المصرية تركز على السعداوي بشكل أساسي، ربما إدراكاً منها بحظوظه الكبيرة في تولي زمام الأمور في البلاد، ومن ثم وضعت الدبلوماسية المصرية إدريس السنوسي في مرتبة متأخرة عن السعداوي، بناء على اقتراحات القنصل المصري ببنغازي، فقد أوصى حكومته بالعناية ببشير السعداوي ومساعدته في المعركة الانتخابية ومده بالأموال اللازمة لذلك، خوفاً من تحوله إلى عدو للمصالح المصرية، واستغلال مصر حاجته للمال بطلبه من الحكومة المصرية خمسة آلاف جنيهاً مصرياً للإنفاق على البرنامج الانتخابي[1].

في 13 ديسمبر 1951م وصل السعداوي طرابلس قادماً إليها من القاهرة، واستُقبل استقبالاً جماهيرياً كبيراً، وقال في إحدى تصريحاته أنه متفق مع وزير الخارجية المصري الذي وعد بتقديم الدعم الكامل للمؤتمر الوطني لخوض غمار الانتخابات القادمة التي ستجري 19 فبراير 1952م، ومساعدته ضد المؤامرات الإنجليزية والغربية[2].

كان فشل السعداوي في الفوز بالانتخابات ضربة قوية للدور الدبلوماسي المصري، أسهمت في حدوثه الدول الاستعمارية التي تريد الانفراد بليبيا وإبعاد مصر عنها[3]، لذا فقد هُزم السعداوي وأُقنع الأمير إدريس من قبل البعض بنفي السعداوي نهائياً من ليبيا،

---

(1) دار الكتب والوثائق القومية القاهرة، وثائق الخارجية المصرية غير المنشورة، ميكروفيلم رقم 48 ليبيا، أرشيف البلدان، الملف رقم 1، مذكرة الوزير المفوض صلاح الدين فاضل القنصل المصري العام ببنغازي، يناير 1952م إلى وزير الخارجية المصرية بالقاهرة. ومن الغريب أنه في مسألة الحدود نصح حكومته بالتركيز على هضبة السلوم بدل الجغبوب، فمن وجهة نظره الحدود الشمالية السلوم وبرديه تشكل أهمية كبرى مقارنة بواحة الجغبوب التي إذا عَبَرت منها قوات معادية فستجد أمامها الصحراء القاحلة ولن تنفعها الجغبوب إلا بمدها بالمياه. يذكر أن السعداوي كان يحب المكوث بالقاهرة ومن ثم حتى أواخر سنة 1951م كان أخوه نوري يقوم مقامه في الغرب الليبي، وفي مقابلة مع صحيف إنجليزية بالقاهرة في أكتوبر 1951م نشر أنه خلال 1948م تقاضى بشير السعداوي أموالاً من الجامعة العربية، ولكن حالياً لا وأنه يطمح في التعاون مع الإنجليز انظر: الشريف مسيرة الحركة الوطنية. . .، ص641 ـ 643.

(2) الشريف، مسيرة الحركة الوطنية. . .، ص643 ـ 645.

(3) عن هزيمة السعداوي في الانتخابات والمؤامرات التي حيكت ضده وجعل الحكومة المصرية تنفض يدها منه انظر: الشريف، مسيرة الحركة الوطنية. . .، ص697 ـ 710.

فغادرها للمرة الأخيرة في فبراير 1952م، ليفرض على الدبلوماسية المصرية التعامل بشكل مختلف مع الشأن الليبي بدون السعداوي. فبناء على تعليمات من القنصل المصري ببنغازي أفاد فيها أن الاعتماد على السعداوي ومستشاره الدكتور محمد فؤاد شكري مضيعة للوقت، فكلاهما أسهم في الإضرار بسمعة مصر وخاصة مع اشتداد خلافاتهما مع عبد الرحمن عزام أمين الجامعة العربية خلال الفترة التي سبقت إعلان استقلال ليبيا 24 ديسمبر 1951م[1].

كانت العلاقات في وقت سابق قد تحسنت بين مصر والأمير إدريس السنوسي، وفيما يبدو أن المعارضة الداخلية للسعداوي وخلافاته مع الجامعة العربية جعلت الدبلوماسية المصرية تنفض يديها من السعداوي تدريجياً، ففيما كان الليبيون يستعدون لإعلان الاستقلال رسمياً أواخر 1951م، شرعت الخارجية المصرية بناء على مبادرة من القنصل المصري ببنغازي التي نقل فيها طلب الأمير إدريس السنوسي منه أن تكون مصر أول دولة تعترف بالاستقلال وتتبادل التمثيل الدبلوماسي مع ليبيا، حث بلاده على ذلك واتخاذ الخطوات التي من شأنها خدمة المصلحة المصرية العليا[2].

لكن القنصل المصري رغم نقله للطلب السنوسي السالف الذكر فإنه قدَّم مجموعة من النصائح لحكومته في تعاملها مع الليبيين في فترة الاستقلال، منها إنهاء مظاهر النظرة الاستعلائية إزاء الشعب الليبي التي تنتهجها بعض الصحف والشخصيات المصرية، وإبعاد معكري صفو العلاقات بين مصر ومن في سدة الحكم في ليبيا من المصريين، ومنعهم من نشر أية تصريحات صحفية إزاء ليبيا، وأبرز أن مصر عليها أن تبذل قصارى جهدها في اختيار ولي العهد، خلفاً للملك إدريس السنوسي، مشدداً على أنه بنيل إبراهيم نجل

(1) انظر: مذكرات القنصل المصري العام ببنغازي إلى الوزير المفوض صلاح الدين فاضل، وإلى وزير خارجية بلاده في فبراير ومارس 1952م، دار الكتب والوثائق القومية القاهرة، وثائق الخارجية المصرية غير المنشورة، ميكروفيلم رقم 48 ليبيا، أرشيف البلدان، الملف رقم 1.

(2) دار الكتب والوثائق القومية القاهرة، وثائق عابدين غير المنشورة، مجلس الوزراء المحفظة رقم 23 وزارة الخارجية مذكرات، مذكرة وزارة الخارجية المصرية إلى مجلس الوزراء بتاريخ 22 نوفمبر 1951م.

السيد أحمد الشريف السنوسي لهذا المنصب تكون مصر قد انتصرت في سياستها في ليبيا على أعدائها المنافسين مثل الإنجليز وغيرهم[1].

وهكذا كانت الدبلوماسية المصرية قد تعاملت مع المناضل بشير السعداوي وفقاً لضرورات المصلحة القومية المصرية، ووفقاً للمستجدات على الساحة الليبية، ومواقف بشير السعداوي نفسه، وكيّفت السياسات المتناقضة للدول الكبرى دور الدبلوماسية المصرية، ورسمت الكثير من معالمه في هذه الفترة، ضمن تنافس دولي على ليبيا بِرُمتها. كانت مصر تُمنِّي النفس بالظفر في تولي زمام الأمور في الجارة ليبيا وتوجيه سياستها الداخلية والخارجية لخدمة ذات السياسة العامة للدولة المصرية حينذاك، فقد تحولت السفارات المصرية في باريس، ولندن، وروما إلى خلية نحل لمساعدة السعداوي الذي زار الأولى والثانية في إطار إقناع الغرب بوجهة نظر الليبيين حيال قضية بلادهم، وكان رؤساء الوفود الرسمية المصرية إلى الاجتماعات الدولية الثنائية وغير الثنائية يقدمون النصح والمشورة للسعداوي، ويقدمونه للرأي العام الغربي حتى يلقى التأييد من الأوساط الغربية كافة، ومن ثم كان السعداوي يترأس الوفود الليبية المشاركة في اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة في أوروبا أو في مقر الجمعية بالولايات المتحدة الأمريكية، وكان يَلْقى التأييد من قبل الدبلوماسيين المصريين الموظفين بالمنظمة، أو بالهيئات الدبلوماسية المصرية، أو رؤساء وفود مصر في تلك الاجتماعات، كما كان يَلْقى التأييد من دبلوماسيّ مصر بالجامعة العربية على الأقل قبل اشتداد حدة الخلاف مع عبد الرحمن عزام.

❐ ❐ ❐

(1) دار الكتب والوثائق القومية القاهرة، وثائق الخارجية المصرية غير المنشورة، ميكروفيلم رقم 48 ليبيا، أرشيف البلدان، الملف رقم 1، مذكرة الوزير المفوض صلاح الدين فاضل القنصل المصري العام ببنغازي، يناير 1952م إلى وزير الخارجية المصرية بالقاهرة.

المصادر والمراجع

*** أولاً ـ الوثائق غير المنشورة:**

أ ـ دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة:

ـ وثائق وزارة الخارجية المصرية غير المنشورة، تصنيف قديم، المحفظة رقم 1455.

ـ وثائق الخارجية المصرية غير المنشورة الأرشيف السري الجديد المحفظة رقم 242.

ـ وثائق وزارة الخارجية المصرية غير المنشورة، الكود الأرشيفي 021483 ـ 0078، المحفظة رقم 481، رسالة الوزير الإيطالي المفوض بالقاهرة إلى الخارجية المصرية بتاريخ 9 ديسمبر 1924م، ومذكرة إدارة الشؤون السياسية بوزارة الخارجية المصرية بتاريخ يونيو 1947م بشأن إنشاء قنصلية مصرية في طبرق.

ـ وثائق الخارجية المصرية غير المنشورة، الكود الأرشيفي 022800 ـ 0078، المحفظة رقم 558، الجزء الأول المجاعة في تونس وليبيا.

ـ وثائق الخارجية المصرية غير المنشورة، الكود الأرشيفي 045908 ـ 0078، المحفظة رقم 558، الجزء الثاني المجاعة في تونس وليبيا.

ـ وثائق الخارجية المصرية غير المنشورة، ميكروفيلم رقم 29 ورقم 48 ليبيا، أرشيف البلدان.

ـ وثائق الخارجية المصرية غير المنشورة تصنيف قديم، الأرشيف السري الجديد المحفظة رقم 1602، 1603.

ـ وثائق عابدين غير المنشورة، المحفظة رقم 124 الملف 11، الكود الأرشيفي 002576 ـ 0069.

ـ وثائق عابدين غير المنشورة، المحفظة رقم 124 الملف 15، الكود الأرشيفي 002580 ـ 0069.

ـ وثائق عابدين غير المنشورة، المحفظة رقم 124 ليبيا تقارير، الكود الأرشيفي 002571 ـ 0069.

ـ وثائق عابدين غير المنشورة، الكود الأرشيفي 002577 ـ 0069، المحفظة رقم 124، أوراق خاصة بليبيا.

ـ وثائق عابدين غير المنشورة، المحفظة رقم 134 الملف 13، الكود الأرشيفي 002578 ـ 0069.

ـ وثائق عابدين غير المنشورة، مجلس الوزراء المحفظة رقم 23 وزارة الخارجية مذكرات.

ب ـ المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس:

ـ شعبة الوثائق العربية:

ـ ملف بشير السعداوي رقم 173، الوثيقة رقم 3.

ـ ملف العارف مانة رقم 195 الوثيقة رقم 5.

ـ ملف اللجان والأحزاب وثيقة رقم 1، 6، 35 ب وج ود.

ـ شعبة الوثائق الأجنبية:

- Governo Della Cirenaica, Gabinetto, Del Governatore, Relazione Di Governo, Gennaio 1923 _ Maggio 1924 _ A _ S _ E _ il Ministro delle Colonie, Bengasi, 18 Maggio 1924.
- F.O: 371/ 12392, No 1, Relations between Great Britain, Italy and the Senussi, 1912 to 1924.

*** ثانياً ـ الجرائد:**

ـ الأهرام 12 ديسمبر 1949م.

ـ جريدة المصري، 15/ 6/ 1940.

ـ جريدة الإخوان المسلمين الصادرة بتاريخ 9 أغسطس 1949م.

ـ جريدة الزمان، ع508، 2 يوليو 1949م.

*** ثالثاً ـ الكتب:**

1 ـ ارويعي محمد علي قناوي، بشير السعداوي ودوره في الحركة الوطنية الليبية (1884 ـ 1957م)، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، ط1، 2014م.

2 ـ آمال السبكي، سعد زغلول والكفاح السري 1919 ـ 1925م، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2012م.

3 ـ بشير السني المنتصر، مذكرات شاهد على العهد الملكي الليبي، مكتبة 17 فبراير، بنغازي، ط2، 2012م.

4 ـ حسن عيسى، أعلام الدبلوماسية المصرية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2008م.

5 ـ حسين مؤنس، دراسات في ثورة 1919م، دار الرشاد، القاهرة، ط2، 2005م.

6 ـ صفاء شاكر، الخارجية المصرية 1937 ـ 1953م، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2006.

7 ـ الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، بيروت، دار الفتح للطباعة والنشر، ليبيا، والسيد محمد الرماح بشينه، ط2، 1970م.

8 ـ عبد الرحمن عزّام، صفحات من المذكرات السرية لأول أمين عام للجامعة العربية، جمع: جميل عارف، المكتب المصري الحديث، القاهرة ـ الإسكندرية، ج1، 1977م.

9 ـ عبد الوهاب النجار، الأيام الحمراء مذكرات الشيخ عبد الوهاب النجار عن ثورة 1919، إشراف ودراسة: أحمد زكريا الشلق، إعداد وتحقيق: مصطفى الغريب أحمد، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2010م.

10 ـ شكري، محمد فؤاد، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، وثائق تحريرها واستقلالها، القاهرة، مطبعة الاعتماد، 1957م.

11 ـ مفتاح السيد الشريف، ليبيا نشأة الأحزاب ونضالاتها، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2010م.

12 ـ مفتاح السيد الشريف، مسيرة الحركة الوطنية الليبية الصراع من أجل الاستقلال، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2011م.

13 ـ زيادة، نقولا، رسائل من برقة، مراجعة: يوسف المجريسي وأحمد بسام ساعي، مركز الدراسات الليبية اكسفورد، اكسفورد، ط1، 2008م.

- Pelt, Adrian, Libyan Independence and the United Nations, New Haven and London, Yale University Press, 1970.

*** رابعاً ـ الأبحاث والمقالات:**

ـ غويطة، مفتاح، موقف مصر من المجاعة في ليبيا، مجلة مصر الحديثة، دار الكتب والوثائق القومية القاهرة، العدد السادس عشر، يناير 2017م.

❑ ❑ ❑

نشاط بشير السَّعداوي السِّياسيّ
خارج ليبيا من أجل نشر فضائح الاحتلال الإيطالي
ضد الشَّعب اللّيبي 1924 ـ 1931م

د. أكرم عثمان عبد الرازق عمر
جامعة طبرق

د. هاشم منصور مفتاح بدر
جامعة عمر المختار

المقدمة

تُعدُّ شخصية بشير السعداوي من الشخصيات البارزة في الحركة الوطنية الليبية، نظرًا إلى تعدد الأدوار التي أدَّاها في مختلف أطوار حياته؛ حيث قضى سبع سنوات في الوظائف الحكومية قبيل الغزو الإيطالي، مما جَعَلَتْهُ على علم مبكّرٍ بالأطماع الإيطالية في بلاده، ومنذ عام 1908م نشط مع بقية زعماء الحركة الوطنية في الكتابة إلى النواب الليبيين في البرلمان العثماني لتنبيههم إلى المطامع المحدقة بوطنهم من قبل إيطاليا، وعلى إثر ذلك عَقَد السعداوي ومن معه من الزعماء الوطنيين أول مؤتمر عرفته البلاد للبحث في قضية الأطماع الإيطالية وتنبيه الأهالي لذلك، وكان ذلك في مدينة الخُمس مسقط رأسه في بداية عام 1910م، ولم يتوقف بشير السعداوي عند هذا الحد، بل أخذ على عاتقه معاناة شعبه فسافر على إثرها إلى أغلب البلاد التي تهتم بالقضية الليبية، وعمل على تكوين تشيكلات سياسية للجالية الليبية في مصر وبلاد الشام لتوحيد الصف الليبي، ما أزعج السُّلطات الإيطالية، فأصدرت في حقه حكماً بالإعدام، وقد هدف البحث إلى إبراز دور الحركة الوطنية في استقلال ليبيا متمثلة في نشاط بشير السعداوي السياسي خارج الوطن، وإطلاع العالم على فضائح الاحتلال الإيطالي ضد الشعب الليبي، وحاول البحث الإجابة على هذا السؤال الرئيس: ما هو النشاط الذي قام به بشير السعداوي خارج ليبيا؟ وسنحاول من خلال هذا البحث الإجابة عن هذا السؤال معتمدين على عدد من الوثائق،

ومستخدمين المنهج التاريخي في سرد الأحداث وتحليلها، ولقد تم تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث:

أولاً: نشأته وبداية كفاحه الوطني حتى عام 1912م.

ثانيا: دوره في تأسيس اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية في سوريا.

ثالثا: الجهود التي بذلها لإطلاع الرأي العام العربي والإسلامي على الممارسات الإيطالية في ليبيا.

* * *

*** أولاً ـ نشأته وبداية كفاحه الوطني حتى عام 1912م:**

1 ـ نشأته:

هو بشير إبراهيم بن محمد بن إبراهيم السعداوي المصراتي، من مواليد مدينة الخُمس في منتصف عام 1884م[1]، وينحدر نسبه من بيتٍ عريق ينتهي في أصوله البعيدة إلى بني الأغلب، الذين أسَّسوا دولتهم في أفريقيا في القرن الثالث الهجري «التاسع الميلادي»، وقد نشأ بشير السعداوي في مدينة الخُمس، وبدأ يحفظ القرآن الكريم في مدينة سرت التي انتقل إليها برفقة أخيه نوري بعد تعيينه مديرًا للمالية هناك؛ وأصبح بشير السعداوي حافظًا للقرآن سنة 1897م[2] وهو في الثالثة عشر من عمره، وكان للبيئة العلمية الدينية التي نشأ فيها فضلٌ كبيرٌ في أن يُقدِّر العلم والمعرفة ويُقبل على الدراسة والتثقيف[3]، رجع بشير السعداوي بعد ذلك إلى الخُمس بعد ما تعلّم علوم الفقه المالكي، والتفسير، والتجويد، وعلوم اللغة العربية، كالنحو، والصرف، والأدب، والبلاغة، والعَرُوض،

(1) محمد فؤاد شكري: السنوسية دين ودولة، دار الفكر (القاهرة، 1948م)، ص394؛ الطاهر أحمد الزاوي: أعلام ليبيا، ط2، الفرجاني، (طرابلس ـ ليبيا، 1971م)، ص132.

(2) محمود السيد الدغيم: جهاد بشير السعداوي ضد الفاشية، مقال نُشر في صحيفة الحياة في عددها الصادر في 1/ 3/ 1995م.

(3) محمد فؤاد شكري: ميلاد دولة ليبيا الحديثة، ص389.

وعلم التوحيد، وعلم الفرائض، وعندما رغب في استكمال دراسته لم يجد أمامه سوى المدرسة الرشدية بالخُمس فالتحق بها سنة 1902م، فوجد نظامًا جديدًا من التعليم يعتمد في التدريس على المناهج الحديثة والمنظمة(1)، وفي سنة 1904م استطاع بشير السعداوي أن يتخرج في هذه المدرسة في عامين بدلاً من أربعة أعوام؛ حيث تعلّم فيها كثيراً من علوم الجغرافيا، والتاريخ العثماني، والتاريخ العام، والأخلاق والرياضيات(2).

عمل بشير السعداوي بعد تخرّجه مأموراً للأعشار في متصرفية الخُمس بعد أن أوصى عليه أستاذه «حقي شيناص»(3) متصرف الخُمس (خلوصي بك)، وطلب منه تعيينه في وظيفة تليق به، ثم تدرج بعد ذلك وعيّنه كاتبًا في قسم التحريرات في الخُمس، وصار «حقي شيناص» يبذل جهده لمساعدة بشير السعداوي في عمله الجديد، ويتردد عليه في الديوان، ثم انتُدب للتفتيش على الأعشار بمشاركة قضاء مصراته في الخُمس، ومعنى ذلك أن يزور الحقول والأراضي للتفتيش على الهيئات التي تقوم بتقدير المحاصيل، وقيمة الأعشار أو الضرائب في المناطق التابعة لمتصرفية الخُمس وهي مسلاَّته، وزلتين، ومصراته، وسِرْت، وتاورغاء، ثم عُيِّن السعداوي بعد ذلك مفتشًا لدوائر النفوس أو مصلحة الإحصاء، وكانت ذات صلة وثيقة بعمل المحكمة الشرعية؛ حيث تُسجّل المواليد

(1) صلاح الدين حسن السوري: تحديث المؤسسات التعليمية والقضائية والدينية في ولاية طرابلس الغرب 1835 ـ 1911م، مجلة البحوث التاريخية، السنة 5، العدد 2، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، يوليو 1983م، ص223.

(2) محمد فؤاد شكري: ميلاد دولة ليبيا الحديثة، ص399؛ انظر: الطاهر أحمد الزاوي: أعلام ليبيا، ص112 ـ 113.

(3) أصله من ريزة في إقليم لازستان على ساحل البحر الأسود الجنوبي الملاصق للحدود الروسية، وكان حقي شيناص أحد أعضاء جمعية تألفت لنشر العلم في ولايات الدولة العثمانية في ولاية طرابزون التي تقع غرب ريزة، وقد أُرسل إلى الخُمس للعمل في المدرسة الرشدية، وكان رجلاً مثقفًا يُتقن من اللغات الأجنبية الفرنسية، والإنجليزية، والألمانية، إلى جانب التركية، والعربية، محمد فؤاد شكري: ميلاد دولة ليبيا الحديثة، ص395.

والوفيات، وتحفظ سجلاّت الطلاق والزواج، وما تحتاج إليه المحكمة الشرعية في مسائل الميراث، ثم تولى التحقيق في محاكمة الموظفين، وكانت هذه الوظيفة ذات سلطات كبيرة لأن التحقيق كان يتم باللغة التركية.

في عام 1908م عُيِّن بشير السعداوي باشكاتبًا لمجلس الإدارة في الخُمس، وعندما حدث نزاعٌ بين أهل تاورغاء على تقسيم الأراضي، كتب رشيد بك متصرف الخُمس إلى مركز الولاية بمدينة طرابلس، يخبرهم بأنه قد أوفد إلى تاورغاء موظفاً يعتمد عليه في إنهاء الخلاف القائم، وبالفعل تمكن بشير السعداوي من تسوية النزاع وتقسيم الأراضي بين الأهالي، ولكنه لم يبق طويلاً في هذا المنصب؛ حيث تم تعيينه مديرًا للتحريرات في عهد المشير إبراهيم باشا (1910 ـ 1911م)، وقد ظل السعداوي في هذه الوظيفة بمركز الخُمس حتى الغزو الإيطالي عام 1911م، وخلال تلك الفترة التي قضاها في الوظائف الحكومية زاد اختلاطه بالناس، وزادت معرفته بمشاكلهم، ولم تصرفه وظيفته الحكومية عن مواصلة التعليم، فقد كانت مكتبة جدّه محمد تُزوّده بما يحتاجه من الكتب، فقرأ مقدمة ابن خلدون، وحفظ فصولاً منها، واطّلع على كتابات الشيخ محمد عبده ورسائله، وكان من بين تلك الرسالات رسالة التوحيد التي طُبعت لأول مرة سنة (1897م)، وكانت تصل إلى تونس، والجزائر، إضافة إلى طرابلس عن طريق صحيفة المؤيد التي كان يُصدرها الشيخ علي يوسف؛ حيث اهتمت بكل كتابات محمد عبده ورسالاته، وكانت رسالة التوحيد دفاعًا قويًا عن الإسلام، كما كانت أسلوبًا جديدًا لم يعرفه السعداوي من قبل فأصبح يقرأ كل ما استطاع أن يعثر عليه من كتابات محمد عبده، ومن الكتب الأخرى التي قرأها السعداوي وكان له أثر في نفسه كتاب محمد فريد وجدي (1875 ـ 1954م)، عن المدنية والإسلام، وهو يدعو إلى الإصلاح، إلى جانب أنه دفاع عن الإسلام وبيان للتعاليم الدينية[1].

(1) محمد فؤاد شكري: ميلاد دولة ليبيا الحديثة، ص400 ـ 407.

2 ـ بداية كفاحه الوطني حتى عام 1912م :

عَلِم بشير السعداوي مبكراً بالأطماع الإيطالية ونواياها العدوانية تجاه ليبيا من خلال ما كان يُنشر ويدور بإيطاليا في صُحفها وتناقشه الهيئات والأحزاب الإيطالية، والتي تتحدّث دائمًا عن حق إيطاليا في الاستعمار وأهدافها في شمال أفريقيا، وكان الولاة العثمانيون في ليبيا يَعْرفون ذلك، كما كان يَعْرفه المطّلعون على الأمور من أبناء الشعب نفسه[1].

في عام 1897م استعد سكان مدينة الخُمس للغزو فقاموا بالتدرُّب على السلاح، كما بعث سكان زليتن في عام 1901م إلى متصرف الخُمس من أجل الموافقة على إدخالهم في التدريب العسكري[2]، وقام متصرف الخُمس بإبلاغ السكان عن أطماع إيطاليا في طرابلس الغرب بعد أن بدأت بتحقيق أهدافها بإنشاء فرع لمصرف روما في طرابلس وبرقة، بعد أن حصلت على موافقة الدولة العثمانية بشأن ذلك منذ عام 1907م، وقد قام هذا المصرف وفروعه في كل من طرابلس، والخُمس، وبنغازي بدورٍ كبير في التمهيد للاحتلال الإيطالي من خلال شراء الأراضي، وإعطاء القروض للسكان بضمان أراضيهم[3].

وبعد أن صار نشاط الإيطاليين واضحًا عن طريق مصرف روما في مجالات متعددة، أصبحت الحكومة العثمانية تحرص على مساندة الليبيين في عرقلة المصالح الإيطالية، وعندما أعلن الاتحاديون الأتراك سياستهم المناهضة للاستعمار الأوروبي، أعطوا لليبيين أملاً كبيرًا للوقوف في وجه هذه المصالح الاقتصادية والسياسية والاستيطانية بالبلاد[4]،

(1) محمد مصطفى بازامة: بداية المأساة أو التمهيد السياسي للاحتلال الإيطالي، ط1، المطبعة الأهلية، بنغازي (ليبيا، 1961م)، ص45.

(2) معارك الجهاد ملف رقم 47، وثيقة رقم 87 مؤرخة في 20 يونيو 1313هـ الموافق 1897م، أيضًا وثيقة رقم 92 مؤرخة في 23 أكتوبر (1317هـ/ 1901م) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات.

(3) محمد عبد الكريم الوافي: الطريق إلى لوزان، جامعة قاريونس [سابقاً]، (بنغازي ـ ليبيا 1978م)، ط1، ص44 ـ 45.

(4) مصطفى حامد ارحومة، المقاومة الليبية التركية ضد الغزو الإيطالي، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد =

وعلى إثرها قام بشير السعداوي مع بقية الزعماء الوطنيين في الكتابة إلى النواب الليبيين في البرلمان العثماني منذ عام 1908م لتنبيههم إلى الأطماع الإيطالية، وكان هؤلاء النواب هم محمود ناجي، الأرناؤوطي عن الخُمس، والصادق بن الحاج عن طرابلس، وفرحات الزاوي عن الزاوية، وسليمان الباروني عن الجبل الغربي[1]، ولقد زادت مخاوف بشير السعداوي ومن معه من الزعماء الوطنيين من نوايا الإيطاليين عندما أوفدت إيطاليا بعثة علمية إلى طرابلس في بداية عام 1911م، للتنقيب عن المعادن والدراسات الجيولوجية، بينما كانت هذه البعثة في الواقع عسكرية لوضع الخرائط الحربية.

* * *

*** ثانياً ـ دوره في تأسيس اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية في سوريا:**

1 ـ تأسيس اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية:

بدأ بشير السعداوي فور وصوله إلى بيروت باستئناف نشاطه السياسي؛ حيث جدّد صلاته بالرؤساء العرب، والمشتغلين بالسياسة العربية في لبنان، ودمشق، كما اتصل بزعماء الحركة الوطنية الليبية في مصر وناقش معهم المطالب الموحدة للتفاهم مع الإيطاليين[2]، والتي يجب أن يتفق الزعماء الوطنيون في المهجر عليها، ثم قرر السعداوي السفر إلى دمشق ليلتحق بالجالية الليبية التي بدأت في توحيد صفوفها من أجل تكوين جمعية تهدف إلى متابعة الجهاد وخدمة القضية الليبية[3]، وعندما كبرت الجالية الليبية في دمشق، نادى المهاجرون بتشكيل جبهة سياسية تناضل ضد إيطاليا من أجل دعم الجهاد في ليبيا، واستغل هؤلاء المهاجرون الذكرى الرابعة عشر لإعلان إيطاليا الحرب

= الغزو الإيطالي، (طرابلس، 1988م)، ص70.

(1) محمد فؤاد شكري: ميلاد دولة ليبيا الحديثة، ص427 ـ 428.

(2) الطاهر أحمد الزاوي: أعلام ليبيا، دار الفرجاني، طرابلس ـ ليبيا، 1971م، ط2، ص117.

(3) علي زين العابدين بن موسى، ومحمد أديب الحاج: الليبيون في سوريا، نادي عمر المختار (دمشق، 1952م)، ص38 ـ 39.

على ليبيا، وعقدوا اجتماعًا في منزل أحد المهاجرين في دمشق وهو فوزي النعاس، من أجل تشكيل أول جمعية سياسية في شهر أكتوبر 1925م، وحضر هذا الاجتماع مجموعة كبيرة من الجالية الليبية كان من بينهم بشير السعداوي، وأحمد راسم، وناجي التركي، وفوزي النعاس، ومنصور بن قدارة، وعبد السلام أدهم، ومصطفى بن نوح، وعمر فائق شنيب، وحسين ظافر بن موسى، وأديب الحاج، وطارق الأفريقي، وحسن البوصيري، وعبد الغني الباجقني، وأبو بكر التركي، وصلاح القابسي، وأبو بكر قدورة، وفهمي الحشاني، ومحمد دريبيكة، وغيرهم ممن حضر، وقد اعتَبَر المجتمعون أنفسهم هيئة تأسيسية لجمعية تَجْمَع كل قوى الجالية الليبية من أجل مواجهة سياسة إيطاليا في ليبيا[1]، وقد انتُخب بشير السعداوي رئيسًا لهذه الجمعية، وعمر فائق شنّيب أميناً للسر، وحسين ظافر موسى مسؤولاً عن الدعاية والنشر والإعلام، وأبو بكر قدورة للاتصال بالأحزاب السورية وعلمائها، وفوزي النعاس للتنظيم الإداري، وناجي التركي للاتصال بالهيئات والمنظمات الدولية، ومنصور قدارة، عن الناحية المالية، وصلاح القابسي للإشراف على الشباب الليبي، وتنظيم الحفلات والمهرجانات، وتشكيل الفرق الرياضية والكشفية[2].

كما قرَّر المجتمعون تسمية اللجنة التي ستتولّى العمل باسم اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية، وبدأ فوزي النعاس مع بعض زعماء اللجنة في العمل، ونجحوا في تحقيق الاتصال بين أفراد الجالية الليبية، وأخذوا يمدون الصحف السورية والعربية بأخبار الجهاد الليبي وأساليب إيطاليا الاستعمارية التي كانت تمارسها في ليبيا، وكانت هذه الأخبار تُوقَّع باسم الجالية الليبية في سوريا، واستمر هذا النشاط السياسي والاجتماعي بشكل سري حتى عام 1928م؛ حيث قرر أعضاء اللجنة التنفيذية وضع ميثاق وطني لها[3]، كانت أهم بنوده:

(1) تيسير بن موسى: كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام (1925 ـ 1950م)، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، (طرابلس، 1983م)، ص40.

(2) ملف اللجان والأحزاب رقم 36، وثيقة رقم 60، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

(3) تيسير بن موسى: كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام، ص40 ـ 41.

1 ـ تشكيل حكومة مستقلة ذات سيادة في طرابلس وبرقة.

2 ـ دعوة جمعية تأسيسية لتسن دستوراً للبلاد.

3 ـ العناية بالأوقاف وإدارتها من قبل لجنة إسلامية منتخبة[1].

4 ـ أن تنتخب الأمة مجلساً نيابياً يقرره الدستور.

5 ـ المحافظة على شعائر الدين الإسلامي وتقاليد السكان في جميع أنحاء البلاد.

6 ـ تحسين العلاقات بين ليبيا وإيطاليا بموجب معاهدة يعقدها الطرفان ويُصدّق عليها المجلس النيابي[2].

لقد كانت الأسباب التي أدَّت إلى الإعلان عن نشاط اللجنة التنفيذية كثيرة، وكان من أهمها اقتناع المهاجرين الليبيين بعدم صدق الحكومة الإيطالية في إصدارها العفو العام عن المهاجرين عام 1927م؛ حيث أرسلت عملاءها إلى البلدان كافة التي يوجد بها هؤلاء المهاجرون للتأكيد على جدية الوعد الفاشستي وعدالته، وعندما وقعت هذه الدعاية في نفوس بعض المهاجرين الليبيين، وقرروا العودة إلى وطنهم، ألقت الحكومة الإيطالية القبض عليهم وسجنتهم[3].

وقد ساعدت جريدة النهضة التي تصدر في تونس على كشف حقيقة الدعاية الإيطالية عندما أصدرت بياناً للمهاجرين الليبيين في البلدان العربية تحذرهم فيه من العودة للوطن، ووضحت الجريدة أهداف إيطاليا التي تسعى إليها من خلال دعايتها، وهي القضاء على نشاط المهاجرين بفصلهم عن إخوانهم العرب[4]، واتضح بذلك للجالية الليبية في سوريا

(1) نقولا زيادة، محاضرات في تاريخ ليبيا من الغزو الإيطالي حتى الاستقلال، معهد الدراسات العالمية، بيروت، 1958م، ص118.

(2) صحيفة الثورة، (طرابلس) العدد الصادر في 13 شوال 1390هـ الموافق 10 ديسمبر 1970م.

(3) ملف أحمد زارم رقم 62، وثيقة رقم 34، وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

(4) جريدة النهضة، العدد 4772 الصادر في 14 سبتمبر 1929م.

عدم صدق إيطاليا في العفو عن المهاجرين، وبدأت اللجنة التنفيذية عملها في دمشق بوضع بيانٍ موجَّه إلى جميع الليبيين في المهجر توضح فيه أسباب تشكيل اللجنة، وميثاقها الوطني الذي جاء متوافقًا مع قرارات مؤتمر غريان، حتى ينال موافقة معظم الليبيين في داخل البلاد وخارجها، واتفق أعضاء اللجنة على وضع خطة تحقّق من خلالها اللجنة تأييدًا قوميًا وإسلاميًا وعالميًا، ذلك من خلال عدة أسس، وهي:

1 ـ إجراء اتصالات مكثفة مع الزعماء العرب والمسلمين المناهضين للفاشست.

2 ـ الاتصال بالجماهير العربية عن طريق الصحافة وتوزيع مناشير توضح للرأي العام حقيقة الاستعمار الإيطالي، ويكون ذلك في المواسم الإسلامية العامة كموسم الحج، والمناسبات الوطنية الأخرى.

3 ـ استغلال المساجد من أجل إلقاء الخطب التي توضح ما يعانيه العرب المسلمون في ليبيا في ظل الاحتلال الإيطالي.

4 ـ الاتصال بالهيئات والمؤسسات العالمية، مثل عصبة الأمم المتحدة، وجمعية حقوق الإنسان من أجل الاحتجاج على ما تفعله إيطاليا من ممارساتٍ في ليبيا[1].

2 ـ نشاط اللجنة التنفيذية (1928 ـ 1931م):

باشرت اللجنة التنفيذية عملها في الاتصال بقادة الجهاد الليبي من أجل الحصول على معلوماتٍ دقيقة عن سير العمليات الحربية داخل البلاد[2]، وقررت أن تفتح فروعًا لها في لبنان، والعراق، والأردن، وفلسطين، وتونس، وبدأ أعضاء اللجنة عملهم داخل دمشق، فكانوا يتوزعون كل يوم جمعة على المساجد لإلقاء الخطب من أجل إثارة الرأي العام ضد ما ترتكبه إيطاليا في ليبيا، وقاموا بتوزيع منشوراتٍ شملت كل أعمالها في جميع

(1) تيسير بن موسى: كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام، ص40.

(2) ارويعي محمد علي قناوي: الكفاح الوطني للمهاجرين الليبيين ضد الغزو الإيطالي (1911 ـ 1945م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة قاريونس [سابقاً]، (بنغازي ـ ليبيا 1999م)، ص33.

أنحاء سوريا، فتمكنوا بذلك من قيادة المظاهرات المؤيدة للجهاد في ليبيا، كما أعلنوا مقاطعة البضائع الإيطالية في سوريا، ولبنان[1]؛ حيث نظّموا دعاية واسعة ضد مؤسساتهم، وطاف أعضاء اللجنة التنفيذية في بيروت، ودعوا المسلمين الذين لهم أولاد في المدارس الإيطالية إلى إخراجهم منها، الأمر الذي أثار المعتمد الإيطالي هناك، فتوجّه إلى المفوضية العليا، وكان معه رئيس الجمعية الفاشستية في بيروت الذي كان يدير تلك المدارس، ودخلوا إلى دار الحكومة اللبنانية، وقدّموا احتجاجًا ضد أعمال اللجنة التي تتخذ من وسائل الضغط والإكراه وسيلة لمنع الطلاّب المسلمين من دخول المدارس الإيطالية، وطالبوا بوقف نشاطها على الفور[2]، وكان ذلك بداية لنجاح نشاط الجمعية التنفيذية في بلاد الشام من أجل اطلاع الرأي العام على القضية الليبية، وكان لابد من ارتباط الصلة والتعاون الكامل بين أعضاء اللجنة، لتوحيد جهودهم من أجل نشاط الجمعية.

هذا وقد تمثّل نشاط بشير السعداوي في اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية من عام 1928م حتى عام 1931م في عدة جهود منها:

أ ـ مفاوضات اللجنة التنفيذية مع السُّلطات الإيطالية في بلاد الشام:

لقد أدّى النشاط الإعلامي الذي قامت به اللجنة التنفيذية إلى احتجاج الحكومة الإيطالية لدى فرنسا من أجل إيقاف نشاطها، لا سيما بعد اشتراك اللجنة في المظاهرات الشعبية السورية، ولكن الحكومة الفرنسية التي كانت منهمكة في مشاكلها مع الشعب السوري لم تكن راغبة في إثارة الشعب عليها، وبذلك لم تفعل شيئًا ضد نشاط اللجنة، الأمر الذي دفع بالحكومة الإيطالية إلى التفاهم المباشر مع أعضاء الجالية الليبية في دمشق، في الوقت الذي بدأت فيه بمفاوضة عمر المختار في ليبيا عام 1929م، وذلك من أجل إيقاف نشاطهم السياسي في بلاد الشام وبدأت هذه المفاوضات عندما طلب القنصل

(1) ملف رقم 36، وثيقة رقم 53، وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

(2) جريدة البلاغ، العدد الصادر في القاهرة، بتاريخ 17 أكتوبر 1931م.

الإيطالي في دمشق «اسبرانيا» الاتصال بالسعداوي من أجل الاجتماع، وفي شهر يوليو 1929م، التقى الطرفان في فندق بدمشق وحضر عن الجانب الإيطالي «اسبرانيا» وعن الجانب الوطني حضر كل من بشير السعداوي، وعمر فائق شنيب، وعبد الغني الباجقني، ومنصور قدارة، وحسين البوصيري، كما حضر الاجتماع القنصل الفرنسي في بيروت، وقدَّم السعداوي مطالبه، التي تمثّلت في منح البلاد الحرية والاستقلال التام، وأَنْ تُوافِقَ إيطاليا على عقد معاهدة تضمن لها مصالحها الاقتصادية[1]. وكان رد القنصل الإيطالي على ذلك أنه سوف يُقدِّم هذه المطالب للحكومة في روما، وقام السعداوي بتسليمه رسالة إلى «موسوليني» تضمنت شروط اللجنة التنفيذية لعقد الصلح بين الطرفين[2]، ومما جاء فيها «**وإذا أصبحتم ترغبون في نشر لواء السكينة والسلام على تلك الربوع، وبدأتم في مفاوضة السيد عمر المختار، فإننا نرغب ـ وكلنا أمل ـ في أن يكون السلام عامًا لا خاصًا ببرقة التي هي جزء لا يتجزأ من طرابلس على أسس تضمن مصالح الفريقين**»[3]، إلا أن الحكومة الإيطالية لم ترد على مطالب اللجنة، وصرّحت عن طريق قنصليتها في دمشق أنها قادرة على البطش بأعضاء اللجنة التنفيذية إن لم يوقفوا نشاطهم المعادي لها، كما قامت بتهديد بشير السعداوي بتنفيذ الأحكام الصادرة ضده من قبل الحكومة بالإعدام، وبذلك لم تأتِ المفاوضات مع إيطاليا بأية نتيجة، وكانت هذه هي آخر الاتصالات بين الجالية الليبية في بلاد الشام، وبين الحكومة الإيطالية[4].

ب ـ نشاط اللجنة خارج بلاد الشام:

كان من أهداف اللجنة التنفيذية أن يكون لها نشاط واسع خارج بلاد الشام، وذلك

(1) محمد فؤاد شكري: ميلاد دولة ليبيا الحديثة، ص647.

(2) ارويعي محمد علي قناوي: الكفاح الوطني للمهاجرين الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ص35.

(3) رسالة السعداوي إلى موسوليني في 2 سبتمبر 1929م، نقلاً عن تيسير بن موسى: كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام، ص177.

(4) ارويعي محمد علي قناوي: الكفاح الوطني للمهاجرين الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ص35.

من أجل إيصال نشاطها السياسي والإعلامي للعالم الإسلامي كله، وكانت تونس من بين الدول التي استهدفتها اللجنة، نظرًا لوجود جالية كبيرة من المهاجرين الليبيين بها؛ حيث قام بشير السعداوي بتوجيه رسالة إلى قيادات الجالية الليبية بتونس في شهر أكتوبر عام 1929م، حثّ فيها المهاجرين على القيام بواجباتهم الوطنية، وطلب منهم توحيد صفوفهم من أجل تكوين جمعية سياسية تعمل بمختلف الوسائل لدعم الجهاد في ليبيا، وتخليصها من الاستعمار الإيطالي[1].

وكان ذلك بداية تأسيس اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية في تونس؛ حيث أصبح أعضاؤها يستلمون التوجيهات والنصائح من بشير السعداوي من أجل ممارسة نشاطهم على الساحة التونسية، وكان الاتصال بهم يتم عن طريق الرسائل الشخصية في بداية تأسيس اللجنة، ثم أرسل إليهم السعداوي كل ما كانت تنشره اللجنة في سوريا عن الأعمال الإيطالية في ليبيا، من أجل نشرها في تونس، وطلب منهم التعاون من أجل الحصول على المزيد من المعلومات التي تفيد في نشر هذه الفظائع؛ حيث كان السعداوي يهدف إلى تجنيد أقلام مواطنيه في المهجر، وأقلام الزعماء التونسيين أنفسهم في الحرب الإعلامية التي يشنها ضد الاستعمار الإيطالي في بلاده، ولذلك اضطر أحمد زارم للدخول ثلاث مرات سرًا إلى طرابلس للحصول على أخبار المجاهدين والعدو الإيطالي من أجل نشرها في الصحافة التونسية دفاعًا عن القضية الوطنية، ومن جهةٍ أخرى، رحَّب الزعيمان التونسيان عبد العزيز الثعالبي، ومحيي الدين القليبي بالتعاون مع بشير السعداوي من أجل نشر مقالات وأنباء عن الأوضاع في تونس في الصحف السورية، في الوقت الذي بدأت في الصحف التونسية تنشر أنباء الجهاد في طرابلس وبرقة، رغم رقابة الحكومة الفرنسية عليها التي أدَّت إلى إيقاف بعضها عن العمل، وهذا ما أكد عليه محيي الدين القليبي في إحدى رسائله إلى بشير السعداوي عام 1931م؛ حيث قال: «**لعلّ سعادتكم**

---

(1) ملف أحمد زارم رقم 62، وثيقة رقم 46، بتاريخ أكتوبر 1929م، وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

على علم من إيقاف جريدة النهضة، والوزير من أجل الحملة التي قامت بها ضد فظائع إيطاليا في طرابلس ـ برقة. . . فما بالك بمن يتناول أعمال فرنسا نفسها»[1].

فعمل السعداوي على إيجاد وسائل أخرى غير الصحف يمكن لأعضاء اللجنة التنفيذية في تونس استغلالها لخدمة قضيتهم الوطنية، كاستغلال المساجد لإلقاء الخطب، وتوزيع المنشورات، وقد جاء رد المهاجرين الليبيين إيجابيًا حول مقترحات السعداوي في كتاب بعثوا به في 15 نوفمبر 1931م، جاء فيه «**نعلم سعادتكم أننا جمعنا بعضنا نحن مهاجري طرابلس الغرب. . . من أجل وطننا العزيز الذي تسلطت عليه دولة الاستعمار، ونحن مستعدون لمساعدتكم بكل ما يمكن لأجل الكفاح على آخر دم في جسدنا»**[2].

كذلك حرصت اللجنة على استغلال موسم الحج لتُعرِّف بمعاناة الشعب الليبي لكل المسلمين، فكانت ترسل جماعة كل عام محملين بآلاف المنشورات لتوزيعها على الحجاج العرب والمسلمين، وكان من بين تلك المنشورات بيان أصدرته اللجنة عنوان (**صيحة من صحراء الدماء ـ الشعب الطرابلسي، البرقاوي المظلوم يستنجد بالعالم الإسلامي**)، كما وزّعت منشورًا آخر بعنوان (**ملحق للذكري ـ صورة الأنشودة الفاشية في طرابلس الإسلامية ـ وداع فاشستي لأمه، صرخة من ساحة الجهاد إلى العالم الإسلامي**)[3]، وجاء هذا المنشور ترجمة لأنشودة وضعها أحد الشعراء الإيطاليين، ونشرتها إحدى الصحف الإيطالية، وهي تُصوّر شابًا يُودّع أُمّه وهو في طريقه إلى طرابلس؛ حيث قال «**يا أماه أنا مسافر إلى طرابلس فرحًا ومسرورًا، لأبذل دمي لسحق الأمة العربية، ولأحارب الديانة الإسلامية**»، فحثّ منشور اللجنة الأمة الإسلامية على التحرك من أجل إنقاذ المسلمين في ليبيا من حرب صليبية، تشنها عليهم إيطاليا، حيث يقول المنشور

(1) محمد فؤاد شكري: ميلاد دولة ليبيا الحديثة، ص832 ـ 833.

(2) ملف رقم 14، الظرف الرابع، وثيقة رقم 10، بتاريخ 15 نوفمبر 1931م، وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

(3) تيسير بن موسى: كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام، ص48 ـ 49.

«أيها المسلمون تصوّروا هذا الوعيد، وهذه الإهانات الموجهة إلى شعب مسلم بريء لا ذنب له إلا الإسلام، . . . سلام على الإسلام في هذه الربوع، سلام عليك أيها الدين القويم، وداعًا أيتها القِبْلَة المحمدية، وداعًا أيها القرآن، سلامٌ على ذكر الله في المساجد». وبذلك كان المنشور وما حمله من عباراتٍ يحرّك شعور المسلمين ويؤثر فيهم[1].

أعلنت الحكومة الإيطالية استيائها الشديد على ما تقوم به اللجنة التنفيذية من نشاطٍ معادٍ لها في بلاد الشام وخارجها، لا سيما بعد أن اتصلت بحزب «أنتي فاشيستي» المضاد للفاشية، الذي تأسّس في باريس في 28 مارس 1927م وذلك باندماج كل من الحزب الاشتراكي الإيطالي، والحزب الجمهوري، والاتحاد العام للعمل، والجمعية الإيطالية للدفاع عن حقوق الإنسان، وبدأت اللجنة في اتصالها بالحزب، عندما تحصّل على نص احتجاج كانت قد أرسلته اللجنة إلى عصبة الأمم بجنيف في 20 أبريل 1931م عن الفظائع الإيطالية، فكتب الحزب إلى بشير السعداوي في 17 مايو من العام نفسه، على لسان نائب السكرتير العام «بيترو مونتاسيني» أعلن استنكاره للكوارث التي نزلت بسكان طرابلس، وبرقة على يد الحكومة الفاشية، كما ذكر الحزب أن الإيطاليين واقعون تحت الاضطهاد الفاشستي، ولذلك فهم متحدون مع اللجنة التنفيذية فيما تعمل من أجله، وطلب «بيترو مونتاسيني» من بشير السعداوي أن يفصل بين إيطاليا، والنظام الفاشستي، لأنه لا يمثل الشعب الإيطالي، كما طلب تزويده بمعلوماتٍ وافية عن اللجنة التنفيذية وأغراضها، فكان رد السعداوي عليه أنه يريد معرفة وجهة نظر الحزب في حل القضية الليبية، كما وضح له الأهداف التي تأسست من أجلها اللجنة التنفيذية، وقد ساعدت الاتصالات التي قامت بها اللجنة مع حزب أنتي فاشيست في فرنسا على إقامة علاقات جيدة مع الاتحاد الفرنسي للدفاع عن حقوق الإنسان في باريس، الذي أرسل في 5 أغسطس 1931م للسعداوي من أجل تزويده بكل ما لديه من معلومات عن الأعمال الإيطالية في ليبيا،

(1) منشورات اللجنة التنفيذية في مواسم الحج، نقلاً عن تيسير بن موسى: كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام 1925 ـ 1950م.

فوعدهم السعداوي أنه يرسل إليهم كتاب يحوي كل تلك الفظائع عندما ينتهي من طباعته وترجمته[1].

* * *

*** ثالثاً ـ الجهود التي بذلهتا اللجنة التنفيذية لإطلاع الرأي العام العربي والإسلامي على الممارسات الإيطالية في ليبيا:**

1 ـ حضور المؤتمر الإسلامي في القدس:

نجحت اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية في تكوين شخصيتها السياسية بين الأوساط العربية والإسلامية، بسبب تحركها السياسي في توزيع المنشورات، وعقد الاجتماعات والندوات، وتزويد الصحف بالمقالات، وقد أكَّد على هذا النجاح الذي حققته اللجنة الدعوة التي وصلت إليها من اللجنة التحضيرية للمؤتمر الإسلامي من أجل حضور مؤتمر يُعقد في القدس برئاسة مفتي فلسطين أمين الحسيني، فقررت اللجنة أن ترسل كُلاً من بشير السعداوي، وطارق الأفريقي من أجل حمل تقريرها، ولتمثيلها أمام المؤتمر[2]، الذي عُقد في ديسمبر 1931م وحضره مندوبون عن معظم البلاد العربية والإسلامية، وقد قدّم السعداوي تقرير اللجنة للمؤتمر، وقام بتوزيع منشورٍ على الأعضاء يتناول الأوضاع في ليبيا، انتقد فيه الإدارة الفاشية التي تفرض الضرائب على السكان، وتغتصب أرضهم، وتهتك حرمات الدِّين[3]. وقد نتج عن المؤتمر ميثاق مكوّن من ثلاث مواد هي:

1 ـ إن البلاد العربية وحدة تامّة لا تتجزأ، وكل ما طرأ عليها من أنواع التّجزئة لا تقرّه الأمة.

---

(1) تيسير بن موسى: كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام، ص78 ـ 80.

(2) تيسير بن موسى: كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام، ص51.

(3) لوثروب استودارد: حاضر العالم الإسلامي، ترجمة: عجاج نويهض، تعليق شكيب أرسلان، دار الفكر، (بيروت، 1971م)، ص383 ـ 385.

2 ـ لمَّا كان الاستعمار بجميع أشكاله وصيغه يتنافى كل التنافي مع كرامة الأمة العربية، وغايتها العظمى، فإن الأمة العربية ترفضه، وتقاومه بكل قواها[1]، كما صدر عن المؤتمر قرارات أخرى كان من أهمها انتخاب بشير السعداوي عضو دائم في لجنة المؤتمر الإسلامي، وضرورة عقد مؤتمر عربي في إحدى العواصم العربية لمناقشة وسائل نشر الميثاق، وكيفية تحقيقه.

2 ـ مؤتمر رؤساء الدول العربية:

في 28 مايو 1946م، وَصَل بشير السعداوي إلى مصر برفقة عبد العزيز آل سعود من أجل حضور مؤتمر رؤساء الدول العربية، الذي انعقد بزهراء أنشاص واستمرّ حتى يوم 29 مايو 1946م[2]. وبذل السعداوي جهوده من أجل إثارة القضية الوطنية أمام المؤتمر الذي أكد على ضرورة استقلال ليبيا ووحدتها وانضمامها للجامعة العربية[3]، وقد أدَّت هذه الجهود إلى زيادة التأييد العربي والإسلامي للقضية الليبية؛ حيث وصلت للسعداوي رسائل من بعض المهاجرين الليبيين في اليمن، ومن نادي الإصلاح العربي الإسلامي في عدن، يطلبون إرسال كميات كبيرة من كتاب فظائع السود الحمر لتوزيعها في كل المدن اليمنية من أجل الدعاية ضد إيطاليا[4].

* * *

(1) ملف الهادي المشيرقي رقم 5، وثيقة غير مصنفة، بتاريخ 13 ديسمبر 1931م، وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

(2) محمد فؤاد شكري: ميلاد دولة ليبيا الحديثة، ص125 ـ 126.

(3) أحمد زارم: انهزام إيطاليا وبعث قضية المستعمرات، مجلة الشهيد، العدد الرابع، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، (طرابلس، 1983م)، ص36.

(4) ملف رقم 14، الظرف الرابع، وثيقة رقم 31 بتاريخ 17 نوفمبر 1934م؛ وثيقة رقم 95، بتاريخ 28 نوفمبر 1934م، وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

الخاتمة

يتضح مما سبق ذكره أن بشير السعداوي لم يدخر جهداً لخدمة بلاده ليبيا، وجعل مكافحة الاستعمار الإيطالي مشروعه في الحركة الوطنية داخل ليبيا وخارجها، وعمل بجد وإخلاص لتأسيس مقاومة وطنية ليبيّة خارج ليبيا، إذ ابتدأ نضاله (بمعركة الأقلام)، كما أسماها باعتبار الثقافة هي الجزء السياسي لتوضيح الأساليب الاستعمارية، وإفهام الرأي الليبي بأن ايطاليا بلد استعماري فلا بد من محاربته، كذلك عمل السعداوي على تأسيس جمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوي والتي كان لها الأثر الكبير في التفاف المناضلين الليبيين حوله خارج ليبيا، وقد منحه الليبيون شرف تمثيلهم في المحافل العربية والإسلامية والدولية، والتي قام فيها بنشر فظائع الاستعمار الإيطالي ضد الشعب الليبي، كما حضر المؤتمر الإسلامي الذي عُقد في القدس سنة 1931م، فكان له بالغ الأثر في اطلاع العالم العربي والإسلامي، كذلك حضر مؤتمر رؤساء الدول العربية الذي أكد فيه على ضرورة استقلال ليبيا، وعلى الرغم من هذه الجهود التي قام بها السعداوي في خدمة بلاده والسعي إلى استقلالها، نجده يكافأ بأن ينتقل الى جوار ربه في المنفى! ولكنه يبقى رمزاً يحتذى به إن شاء الله.

❐❐❐

المصادر والمراجع

*** أولاً ـ الوثائق :**

1 ـ ملف أحمد زارم رقم 62، وثيقة رقم 46، بتاريخ أكتوبر 1929م، وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

2 ـ ملف أحمد زارم رقم 62، وثيقة رقم 34، د.ت. وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

3 ـ ملف اللجان والأحزاب رقم 36، وثيقة رقم 60، د. ت، وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

4 ـ ملف الهادي المشيرقي رقم 5، وثيقة غير مصنفة، بتاريخ 13 ديسمبر 1931م، وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

5 ـ ملف رقم 14، الظرف الرابع، وثيقة رقم 31 بتاريخ 17 نوفمبر 1934م؛ وثيقة رقم 95، بتاريخ 28 نوفمبر 1934م، وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

6 ـ ملف رقم 36، وثيقة رقم 7، بتاريخ عام 1928م، وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

7 ـ ملف شكري فيصل رقم 14، الظرف الرابع، وثيقة رقم 98 بتاريخ 29 أبريل 1926م، وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

8 ـ ملف معارك الجهاد رقم 47، وثيقة رقم 87 مؤرخة في 20 يونيو 1313هـ الموافق 1897م، أيضًا وثيقة رقم 92 مؤرخة في 23 أكتوبر (1317هـ/ 1901م)، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات.

*** ثانياً ـ المراجع :**

1 ـ إبراهيم أحمد أبو القاسم: المهاجرون الليبيون بالبلاد التونسية (1911 ـ 1957م)، مؤسسة عبد الكريم عبدالله، تونس، 1992م.

2 ـ ارويعي محمد علي قناوي: الكفاح الوطني للمهاجرين الليبيين ضد الغزو الإيطالي (1911 ـ 1945م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة قاريونس [سابقاً]، بنغازي، 1999م).

3 ـ تيسير بن موسى : كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام (1925 ـ 1950م)، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1983م.

4 ـ الطاهر أحمد الزاوي : أعلام ليبيا، ط2، دار الفرجاني، طرابلس ـ ليبيا، 1971م.

5 ـ علي زين العابدين بن موسى ومحمد أديب الحاج : الليبيون في سوريا، نادي عمر المختار، دمشق، 1952م.

6 ـ لوثروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامي، ترجمة : عجاج نويهض، تعليق : شكيب أرسلان، دار الفكر، بيروت، 1971م.

7 ـ ماريو غرسو : التسلسل الزمني لأحداث المستعمرات الإيطالية، ترجمة : شمس الدين عرابي بن عمران، مركز جهاد لليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1988م.

8 ـ محمد عبد الكريم الوفي : الطريق إلى لوزان، ط1، جامعة قاريونس [سابقاً]، بنغازي، 1978م.

9 ـ محمد فؤاد شكري : السنوسية دين ودولة، دار الفكر، القاهرة، 1948م.

10 ـ محمد فؤاد شكري : ميلاد دولة ليبيا الحديثة، وثائق تحريرها واستقلالها، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1957م.

11 ـ محمد مصطفى بازامة : بداية المأساة أو التمهيد السياسي للاحتلال الإيطالي، ط1، المطبعة الأهلية، بنغازي، ليبيا، 1961م.

12 ـ مصطفى حامد ارحومة، المقاومة الليبية التركية ضد الغزو الإيطالي، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1988م.

13 ـ نقولا زيادة، محاضرات في تاريخ ليبيا من الغزو الإيطالي حتى الاستقلال، معهد الدراسات العالمية، بيروت، 1958م.

* ثالثاً ـ الدوريات :

1 ـ أحمد زارم : انهزام إيطاليا وبعث قضية المستعمرات، مجلة الشهيد، العدد الرابع، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1983م.

2 ـ جريدة النهضة، العدد 4772 الصادر في 14 سبتمبر 1929م.

3 ـ صلاح الدين حسن السوري : تحديث المؤسسات التعليمية والقضائية والدينية في ولاية طرابلس الغرب 1835 ـ 1911، مجلة البحوث التاريخية، السنة 9، العدد 2، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، يوليو 1987.

4 ـ صحيفة الثورة، (طرابلس) العدد الصادر في 13 شوال 1390هـ الموافق 10 ديسمبر 1970م.

5 ـ محمد السيد الدغيم: جهاد بشير السعداوي ضد الفاشية، مقال نُشر في صحيفة الحياة في عددها الصادر في 1/ 3/ 1995م.

*** رابعاً ـ الرسائل الجامعيّة:**

1 ـ سالم عبد القادر محمد: الوجود الإيطالي في ليبيا قبل الغزو الإيطالي (1835 ـ 1911م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، مصر، 1998م.

❑ ❑ ❑

الجلسة العلمية الرابعة

رئيس الجلسة

د. نصر الدّين البشير العربي

وقائع الجلْسة

* مراسلات بشير السّعداوي مع قادة حركة المقاومة والأعيان في ليبيا 1932 ـ 1952م:

د. إبراهيم أحمد أبوالقاسم.

* قراءة وثائقيّة لتهنئة الزّعيم السّعداوي للمؤرّخ محمد مسعود بصدور كتابه (تاريخ ليبيا العام):

د. عائشة محمد بن مسعود فشيكة.

* الجمعيّة التّنفيذيّة الطّرابلسيّة ـ البرقاويّة في سوريا بقيادة بشير السّعداوي ودورها في النّضال ضد الإيطاليين (1925 ـ 1931م):

د. المبروك محمود صالح سليمان.

مراسلات بشير السَّعداويّ
مع قادة حركة المقاومة والأعيان في ليبيا
(1932 ـ 1952م)

د. إبراهيم أحمد أبوالقاسم
المركز اللّيبي للمحفوظات والدّراسات التّاريخيّة

المقدِّمة

من التقاليد المتعارف عليها بالجامعات المصريّة، وعلى وجه الخصوص جامعتي القاهرة وعين شمس عقد مواسم ثقافية بكليات الآداب والتربية خلال العام الدراسي، أي ما يُعرف (بالسمنار) وهو لقاء أسبوعي يَجمع أساتذة الجامعة وطلبة الدراسات العليا المتخصصين في فرع من فروع العلوم الإنسانية؛ حيث يتم عرض ورقة بحثية تتبعها مناقشة علمية من قبل الأساتذة، وبحكم تخصصي في التاريخ الحديث والمعاصر، فقد دعيت من قبل أ.د. عبد العزيز نوّار العميد السابق لكلية الآداب بجامعة عين شمس للمشاركة في هذا المنتدى العلمي، وتشاء الصُّدف أن يكون بقسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة عين شمس بعض الوثائق المبعثرة التي تخص بشير السّعداوي أحد رموز الحركة الوطنية الليبية، وقد وُضعت في صناديق (كرتون) ضمن وثائق الدكتور محمد فؤاد شكري التي سُلِّمت لقسم التاريخ بعد وفاته، وكان الدكتور شكري مستشاراً لبشير السعداوي الذي أسَّس هيئة تحرير ليبيا بالقاهرة، وبحكم تخصّص الدكتور شكري في التاريخ فهو يدرك أهمية الوثيقة، لذلك تجمّعت لديه العديد من الوثائق الأصلية التي تخصّ السّعداوي.

ومن بين هذه الوثائق التي شدَّت انتباهي الرسائل التي تلقَّاها السعداوي من قادة حركة المقاومة، وبعض الأعيان في ليبيا، ويتضح من تلك المراسلات أن بشير السعداوي كان على تواصل مستمر مع أغلب قادة حركة المقاومة، ومع الأعيان والسياسيين في البلاد.

* * *

الرّسائل من حيث الشكل والموضوع

*** أولاً ـ من حيث الشكل:**

ـ أغلب الرسائل كُتبت بخط متواضع، وبأقلام أصحابها، ويغلب على معظمها الأسلوب الذي يجمع بين الفصحى والعامية، الأمر الذي يُسْتَعْصَى على غير الباحث الليبي معرفة تلك المفردات، وبالتالي يصعب استيعاب محتوى الوثيقة.

ـ وَرَدَ في معظم الرسائل عبارة (رداً على جوابكم المؤرخ في. . .) وهو ما يؤكد أن تلك الرسائل كانت رداً على رسائل كان قد بَعَث بها السعداوي، وحرصاً منه على التواصل مع قادة حركة المقاومة في الداخل والخارج.

*** ثانياً ـ من حيث الموضوع:**

ـ تُعبِّر الرسائل على أن قضية الوطن كانت هماً مشتركاً بين أبناء ليبيا بالداخل والخارج.

ـ الرّسائل في مجملها تناولت بحث القضية الوطنية من حيث تبادل المعلومات، والمطالبة بتكاثف الجهود للعمل على المستويين الداخلي والخارجي من أجل وحدة ليبيا واستقلالها.

ـ تناولت بعض الرسائل الجانب الاقتصادي؛ حيث أشارت إلى سنوات الجفاف، والسنوات الممطرة التي عاشتها ليبيا، وبيان بأسعار المواد الأساسية في طرابلس، وبنغازي كالقمح، والشعير، والزيت، وأسعار بيع الحيوانات.

ـ كانت الرسائل وسيلة لتبادل المعلومات حول ما تنشره الصحف من موضوعاتٍ حول القضية الليبية، وبعضها كُتب بأقلامٍ ليبية، وكان الأسلوب المتبع إرفاق قصاصات من تلك الصحف بالرسائل، وكانت تلك فرصة لتوسيع دائرة توزيع تلك الموضوعات التي تخدم القضية الليبية، وتكشف فظائع الاستعمار الإيطالي، وإحاطة الرأي العام في الداخل والخارج بالمآسي التي يعانيها الشعب الليبي من جرَّاء الاستعمار الفاشي.

وفيما يلي نستعرض أهم هذه المراسلات وملاحظاتنا عليها:

*** مع الشيخ سليمان الباروني:**

توضح رسائل الشيخ سليمان الباروني مدى المعاناة التي عاشها أبناء الوطن في ديار الغربة، بعد أن فَرَض عليهم الاستعمار الإيطالي سياسة التهجير، فقد قاسوا وعائلاتهم المشاق والمتاعب، وجاء في رسالة سليمان الباروني بتاريخ 16/ 7/ 1932م المُرسلة إلى بشير السعداوي في دمشق:

«كنت كتبت إليكم كتاباً قبل مبارحتي مسقط وهو جواب تهنئتكم بالعيد، وصلت بغداد في أواسط صفر وجدت العائلة كلها في خير تحسنت صحتها وزال ما كان بإبراهيم من خبال العقل بسبب حُمَّى الملاريا والحمد الله، إلا أنه لا تزال تعاودهم حمى خفيفة من حين إلى حين، والجميع يتناولون الأدوية بمعرفة الدكتور، إني متردد في إعادتهم إلى عُمَان بعد التجربة وإعادتهم إلى طرابلس بدون أن تحصل لي حرية في زيارتهم متى شئت رجوع إلى الأسر والتشتت الذي كنا نتألم منه والى الآن لم أجزم برأي. قَرَّب الله ما فيه الخير، أرجو أن تبين كيفية المعيشة في دمشق ببيان أجرة البيت المتوسط الصحي، والنفقة المتوسطة، وتحياتي إلى أنجالكم والإخوان الطرابلسيين ومن هنا إبراهيم ويوسف يسلمان عليكم والعائلة كلها تقدم تحيتها إلى عائلتكم الكريمة»[1].

ومن الرسالة يتبيّن أن الشيخ سليمان الباروني كان على علاقة وطيدة ببشير السعداوي، فقد أطلعه على أحوال أبنائه، وتطور علاجهم، كما طلب نقل سلام وتحيات أسرته إلى أسرة بشير السعداوي.

وكان سليمان الباروني قد اختار سلطنة عُمان للإقامة بها خلال هجرته، إلاّ أنه يبدو أن عُمان لم تعد المكان المناسب لإقامته لأسباب لم تفصح عنها الرسالة، وقد طلب من رفيقه السعداوي بإفادته ببعض المعلومات عن أوضاع المعيشة في دمشق؛ حيث كان

(1) وثائق محمد فؤاد شكري، رسالة الشيخ سليمان الباروني إلى بشير السعداوي في دمشق في 16/ 7/ 1932م.

ينوي الانتقال لها، ولا يفضل العودة إلى طرابلس التي قد يصبح فيها أسيراً لدى الإيطاليين حسب أقواله.

*** مع أحمد اشتيوي السويحلي، من الإسكندرية:**

كان أحمد السويحلي المقيم في الإسكندرية على تواصلٍ مستمر عن طريق الرسائل مع بشير السعداوي، وتضمنت تلك الرسائل الكثير من المعلومات حول الأوضاع المأساوية التي كان يعيشها المواطن الليبي تحت إدارة الاحتلال الإيطالي.

وفي رسالته بتاريخ 13/ 4/ 1932م يقول: «حضرة المحترم الفاضل أخينا بشير بك السعداوي حفظه الله، شرفنا جوابكم وما به علمناه وحمدنا الله على صحتكم وقوتكم على العفو الموهوم حقيقة هو عفو موهوم وبارد لا له معنى وفي نفس طرابلس لم يسمع به أحد، وفي موسم هذا الحج بلغوا حجاج كثيرين من طرابلس ولم يسمع فيه عفو ولا غير ويكفيك أن المحابيس ما طلق منهم أحد إلا الحاج فرج المسلاتي ومن زليطن الحاج سالم البحباح وأما الحاج محمد الذيب والشيخ ارحومة الصاري وغيرهم كثيرين من كل الجهات باقيين في السجن»[1].

كما تضمنت الرسالة الإشارة إلى عودة بعض المهاجرين إلى أرض الوطن، غير أن ذلك كان يجد معارضة من قبل بعض زعماء المهاجرين لأنهم يرون في ذلك «أن رجوع المهاجرين بهذه الصفة فيه ضرر بحيث إذا الأكثرية رجعوا بدون قيد ولا شرط فهذا معناه يزيد في أنفة الفاشية، والباقية لا يكون لها صفة».

كما تشير رسالة أحمد السويحلي إلى الدور الذي يقوم به بشير السعداوي في خدمة القضية الوطنية «ولمعلومكم دفاعكم وحركتكم في الجرائد والمناشير، وتشهير فظائع الطليان حصلت منها راحة الطرابلسية الذين هم تحت الطليان، والمفهوم من الحجّاج في

(1) وثائق محمد فؤاد شكري، رسالة أحمد اشتيوي السويحلي في الإسكندرية إلى بشير السعداوي في دمشق المؤرخة في 13/ 4/ 1932م.

هذه المدة حالتهم تحسنت نوع ما، غير أنهم في شدة الفقر لأنه من مدة ثمانية سنوات ماجتهمش مطر».

وجاء في الرسالة المؤرخة في 17/ 5/ 1932م «شرفني جوابكم المؤرخ في 11 صفر 1351هـ وما سطرتم به علمناه، ونشكركم أنا وعموم الإخوان على اجتهادكم نحو الوطن الذي هو واجب عموم الطرابلسيين ليحذوا حذوكم، ويجتهدوا مثلكم حسب الاستطاعة وقد تسلمت صورة من الميثاق»[1].

ويكرّر أحمد السويحلي في رسائله الإشارة إلى موضوع عودة المهاجرين إلى الوطن، ويبدو أن عودة المهاجرين كانت تشكل هاجساً لدى الزعماء المهاجرين، نظراً إلى أن إيطاليا كانت تسعى لإغراء المهاجرين إلى العودة خدمةً للمصالح الإيطالية، وجعل الاستعمار الاستيطاني أمراً واقعاً، لذلك كان بعض زعماء المهاجرين يوجّهون إصبع الإتهام بالخيانة لكل من يحرّض المهاجرين على العودة، وقد تضمنت الرسالة اسم الشخص الذي كان متحمساً لتحريض المهاجرين على العودة إلى ليبيا.

وجاء في رسائل أحمد السويحلي الإشارة إلى الإجراء التعسفي الذي اتّخذته إيطاليا بتجنيد الليبيين في الخدمة العسكرية «الأخبار في هذه الأيام الطليان أجروا القرعة العسكرية في طرابلس من سن 18 إلى 60 سنة بحيث يأخذوهم صغير وكبير، ومن الاثنين واحد، من مدة زمنية لم نأخذ جرائد من طرابلس ولا بريد برقة، ولم نعلم شيء وكل من روح إلى مصراتة أو غيرها يبعث جواب ويشكي من الحالة هناك، وهذا بالطبع صار التمر 20 فرنك والشعير 8 فرنك والنعجة من 50 إلى 100 فرنك والبقرة 500 وراجع والجمل 600 فرنك والزيت 6 فرنك ولا يمشي لها أحد والمفهوم حالتهم بطالة، وكل من يجده الفاشست خارج في الليل يقتلوه ويرمون في البحر»[2].

---

(1) المصدر نفسه، الرسالة المؤرخة في 17/ 5/ 1932م.

(2) المصدر نفسه.

وجاء في رسالته المؤرخة في 10/ 2/ 1933 «شرفني جوابكم في 2 شعبان وما به علمناه واستلمت معه عدة جرائد اطلعنا على ردكم على قوانين إيطاليا من جهة التجنيد وما أبدوه من سوء نواياهم وبعضهم للطرابلسين، فجازاكم الله خيراً وإحساناً وكثر الله من أمثالكم».

وركّز السويحلي في رسالته إلى السعداوي على موضوع زيارة ملك إيطاليا، وما يتطلبه الموقف من عمل من قبل المهاجرين خدمة لقضية بلادهم.

«بالطبع عندكم معلومات من الجرائد زيارة ملك إيطاليا إلى مصر وزوجته في 17 و18 و20 فبراير، وهل في فكركم نكتب له شيء أو نقدم له طلب باسم جمعية الدفاع الطرابلسي، وإذا رأيتم نكتب له طلبات ويمضي بإمضاءات من طرفنا اكتب وأرسل لنا بحيث نحضر ونقدم له، إنما الطلب يكون في مصلحة الوطن وللعموم وترجيع القانون الأساسي مع تعديله، ويمكن طلب شديد لأن الطليان نواياهم بطالة نحو بلادنا ولازم نشدو عليهم... عرفونا بما في فكركم وإذا كتبتم طلب باسم الدفاع أرسلوه لنا بحيث نمضوه إذا يستحق الإمضاء ونذكر فيه ما يناسبكم إلا اسم الأمير لا لنا له لزوم، وعضواً من أعضاء برقة مثل الأطيوش والكزة وغيرهم بحيث يكون مشترك، وأظن ملك إيطاليا بعد مصر يتوجه إلى بنغازي»[1].

وتضمنت الرسالة المعلومة التالية:

«منذ مدة ثلاثة أيام وزيادة السفارة الإيطالية تسأل على رؤوس الطرابلسين وخوف تجعل مؤامرة بمناسبة قدوم مليكهم إلى مصر».

كانت زيارة ملك إيطاليا إلى مصر خلال الفترة 17 ـ 20 فبراير سنة 1933م وبالاً على المهاجرين الليبيين في مصر؛ حيث شن البوليس المصري والقنصلية الإيطالية على

(1) وثائق محمد فؤاد شكري رسالة أحمد السويحلي في الإسكندرية إلى بشير السعداوي في دمشق المؤرخة في 10/ 2/ 1933م.

قادة المهاجرين الليبيين في مصر حملة مداهمة وإيقاف، يشير إلى ذلك أحمد السويحلي في رسالته إلى بشير السعداوي المؤرّخة في 27/ 3/ 1933م «ولما دخلوا البيت ضبطوا كل ما وجدوه من الأوراق والجوابات وكل المناشير والجرائد، وكان قسم وافي من صنف المناشير البعض مطبوع في مصر وكل ما طبعتم في الشام وأيضاً وجدوا مسدس وهو نملكه في طرابلس وكان معي من سنة 1917م».

وتستعرض الرسالة الأسلوب المهين الذي تعرّضوا إليه أثناء التحقيق في مركز البوليس المصري «ولما بلغنا مأمور الكركون وقفنا أمامه، وأول مقابلة لنا سب جد والدينا، وصار يعذب فينا بالبوكس»[1].

*** مع أحمد المريّض، من الإسكندرية:**

جاء في رسالة أحمد المريّض التي بعث بها من الإسكندرية إلى بشير السعداوي في دمشق، المؤرّخة في مارس 1933م.

«شرفني خطابكم الكريم وإني اعتذر لك متأخر الرد على خطابك الأول، فقد كنت دايم الله عازماً على الكتابة إليك قبل أن تكتب إلي، ولكن النفس الكريمة تتغاضى عن هفوات أصدقائها ولا ترى في ذلك حجة كافية لقطع الصداقة والمواصلة. فما بالك من رجل شريف عالي الهمة كبير القلب نبيل العواطف.

أخي، كنت اتفقت مع أخونا الفاضل عبد الرحمن عزام بكتابة خطاب لملك إيطاليا أثناء زيارته القُطر المصري، وأن يكون ذلك الخطاب بمطالبنا كاملة ويوقعها معظم الأعيان الموجودون بالقطر المصري. لكن عند اطلاعنا على الخطاب الذي دبجه يراعكم اكتفينا به، **أولاً** لأنه عبر عما يكنه كل طرابلسي، **ثانياً** نعتبر أن لجنة الدفاع إلى ترأسونها هي من الوجهة الأدبية كوفد موكل من الأمة الطرابلسية لها ما للوفود الرسمية من التفويض والتعبير

(1) وثائق محمد فؤاد شكري، رسالة أحمد السويحلي في الإسكندرية إلى بشير السعداوي في دمشق المؤرخة في 27/ 3/ 1933م.

عن أماني البلاد والمطالبة بحقوقها، اطلعنا على الخطاب الذي وجهتموه لرئيس الوزراء الإيطالي، وقد أرسلت الصورة التي عندي لجريدة البلاغ الغراء لنشرها»(1).

وأشارت الرسالة إلى المصاعب التي بدأت تواجه التنقل بين مصر وليبيا بعد أن أقامت القوات الإيطالية الأسلاك الشائكة على الحدود، ما ترتب عليه قطع المواصلات وتعذّر وصول الأخبار عما يجري داخل البلاد، كما تطرّقت الرسالة إلى المعاملة السيئة التي عاملت بها الحكومة المصرية المهاجرين الليبيين أثناء زيارة ملك إيطاليا إلى مصر، وهي المعلومات نفسها التي أشار إليها أحمد السويحلي في رسائله إلى بشير السعداوي.

*** من الأمير محمد إدريس السنوسي، من منطقة الحمام، الإسكندرية:**

«أما عن اتحاد الزعماء الموجودين هنا، وإسناد أمرهم إلينا، فمع اعتقادنا بعدم مخالفة أحدهم للمصلحة العامة، كوننا لم نفاتح أحداً منهم في هذا الأمر، حيث لم يطلب منا شيء، ولو أن حسن الأمل والقسم خيرا، إنما يوجد من الزعماء من خاطبنا شفاهيا أو كتابيا مؤيداً لخطتكم التي تتوخونها لصالح الوطن، وهم عائلة عبد الملك الموجودين بالحمام، وعمر أبو دبوس، وعون بك سوف، وعبد الجيل سيف النصر، والشيخ الفضيل المهشهش، والشيخ صالح الاطيوش، خلاف هؤلاء لم يخاطبنا لا شفاهة وكتابة من الموجودين بالقطر المصري»(2).

*** من مشايخ وأعيان ووجهاء فزان:**

«نحن الموقعين أدناه مشايخ وأعيان قطر فزان نقرر مايأتي: ما كان في زمن من الأزمان الماضية، أو عصر من عصور التاريخ الغابرة أن انفصلت فزان عن أمها طرابلس، أو جزئت من ذلك الكل المسمى ـ ليبيا ـ ولن يكون ذلك في المستقبل أبداً، فإننا

(1) وثائق محمد فؤاد شكري، رسالة أحمد المريّض ـ من الإسكندرية إلى بشير السعداوي في دمشق، المؤرخة في مارس 1933م.

(2) وثائق محمد فؤاد شكري، رسالة الأمير محمد إدريس السنوسي في منطقة الحمام ـ الإسكندرية إلى بشير السعداوي (بدون تاريخ).

ـ باعتبارنا ـ ممن يهمهم مصير فزان لا نرضى بأن نقطع أوصاله وتبعثر أشلاؤنا، وتمزق وحدتنا فتذهب أمالنا بدداً، فنحن ليبيون في السراء والضراء يشملنا ما يشمل طرابلس وبرقة، وحقوقنا التي نطلبها وأهدافنا التي نسعى إليها واحدة، ألا وهي استقلال بلادنا الكامل ووحدتها التامة بأجزائها الثلاثة، طرابلس، برقة، فزان»[1].

*** من المهاجرين اللّيبيين في الإسكندريّة:**

«حفظ الله الزعيم الجليل صاحب العزة بشير السعداوي رئيس المؤتمر الوطني العام الطرابلسي، نحن الموقعين أدناه والمقيمين بمصر نقدم طلبنا هذا، ونعتبر أنفسنا من الآن منضمين للمؤتمر مع تأييدنا له مطلقاً، وتقبل جميع مبادئه بدون قيد ولا شرط، ونزكي اليمين ونعمل به، وهذه المبادئ التي أولها الوحدة الحقيقية (طرابلس، برقة، فزان) الجزء الذي لا يتجزأ والاستقلال التام»[2].

*** من المهاجرين الليبيين في أبي المطامير، محافظة البحيرة:**

«نقل إلى أسماعنا المذياع في الساعة 30 : 8 مساء ذلك النبأ الذي كما قال الشاعر (هجم السرور علي ومن فرط ما قد سرني أبكاني) بل وسر كل وطني غيور لما قمتم به من جهود جبارة وأعضاء المؤتمر الموقرين.

وفي الصباح بينما نحن وبعض الأخوان يتصفح الجرائد وجدنا في جريدة المصري وصفاً للاجتماع الذي يضم 8000 عضواً لذلك تلميح عن الوحدة التي كانت سبباً في بلبلة أفكار الأمة سواء داخل البلاد أو خارجها، قد تخطيتم العقبة التي كان يتلبد عليها المفسدون، وقد أرحتموه بقراركم هذا الذي شرحتموه وعن تمسك الأمير بوحدة البلاد بأجزائها الثلاثة (طرابلس، برقة، فزان) فقضيتم على الدخلاء المفسدين المرتزقة أذناب

---

(1) وثائق محمد فؤاد شكري، خطاب مشايخ وأعيان ووجهاء فزان إلى بشير السعداوي رئيس المؤتمر الوطني العام بطرابلس المؤرخ في 20/ 5/ 1949م.

(2) وثائق محمد فؤاد شكري، رسالة المهاجرين الليبيين في الإسكندرية إلى بشير السعداوي رئيس المؤتمر الوطني العام بطرابلس، يطالبون بالانضمام إلى المؤتمر الوطني العام الطرابلسي (بدون تاريخ).

المستعمرين، إلى الأمام إلى العلا، فتحيا الأمة، ورجال المؤتمر الأبرار تحت قيادتكم»[1].

*** من المؤتمر الوطني الأول للشباب الطرابلسي:**

«يتشرف المؤتمر الوطني للشباب الطرابلسي الذي انعقد أخيراً بمدينة طرابلس أن يرفع لسعادتكم بصفتكم زعيم الأمة وقائدها إلى ميدان الشرف والحياة الحرة بعضاً من أعماله حتى تكونوا على بينة من نمو الشجرة التي غرستموها بيديكم وسقيتموها بروحكم العالية وإيمانكم القوي.

انعقد المؤتمر مساء الخميس 14/ 4/ 1949م ودامت جلساته إلى يوم الجمعة 15/ 5/ 1949. وقد حضره ما يزيد على الثلاثمائة شاب يمثلون مختلف الطبقات من الحاضرة ودواخل القُطر نوقشت في أثنائه القضية الوطنية من الوجهة السياسية على ضوء التطورات الأخيرة، وقد عبر المؤتمر عن أسفه الشديد لعدم تمكنكم من السفر إلى أمريكا لإتمام الرسالة السامية التي حملتم لواءها طيلة الثلث القرن الأخير كما عبر المؤتمر عن شعوره نحو سعادتكم الذي يعتبركم رمز الجهاد والتضحية»[2].

*** من الجبهة الوطنية المتحدة في طرابلس:**

«تتشرف الجبهة الوطنية المتحدة بأن تحيط سعادتكم علماً بأنها قررت في جلستها المنعقدة يوم 7 صفر 1366هـ الموافق 31/ 12/ 1946م إيفاد العضو المحترم محمود بك المنتصر إلى مصر ليتصل بجناب سمو الأمير السيد محمد إدريس المهدي السنوسي ويتفاهم معه فيما يخص سفر الوفد المتفق عليه إلى برقة وملاقاة سموه هناك، وبما أن الموقف ربما يحتاج إلى شيء من المعالجة فالرجاء حضرتكم معاضدته في مهمته ومد يد المساعدة إليه

(1) وثائق محمد فؤاد شكري، رسالة المهاجرين الليبيين في أبي المطامير ـ بمحافظة البحيرة، المؤرخة في 28/ 5/ 1950م.

(2) وثائق محمد فؤاد شكري، رسالة المؤتمر الوطني الأول للشباب الطرابلسي إلى بشير السعداوي المؤرخة في 18/ 4/ 1949م.

وتزويده بما لديكم من معلومات تتعلق بقضيتنا، وهو بدوره سيوضح لكم ما عندنا»[1].

*** من حزب الأحرار في طرابلس:**

«إن الشعور الفياض والحماس المتزايد يوما فيوما في عموم القطر من الحدود الغربية إلى الحدود الشرقية يحفز المرء حتما للقيام بعمل ايجابي ينفع البلاد، أنكم تصديتم للعمل ووضعت فيكم الأمة ثقتها فإن قصرتم تصبحوا مسؤولين أمام الله والناس، أن القادر الذي خلصنا من مهزلة (بريطانيا) هو وحده سيوقفنا في العمل الذي ستقوم به لهذه الأمة المسكينة.

لا تنسى يا بشير بك أنا وانتم لم يبق من العمر متسع نُكفّر به عن سيئاتنا التي مضت إلا عملا واحدا ألا وهو خدمة هذا الوطن بإخلاص. أمام قضيتنا أربعة أشهر وإننا نعلم جيدا بأن الطليان سيأخذون عدتهم، وستميلون جميع الدول بما لديهم من وسائل مادية ومعنوية، وخوفا من أن نصبح أمام أمر واقع فيجب علينا شرعا أن نسبق الحوادث ونحزم أمرنا مع بقية الأجزاء الذين هم على استعداد تام لتلبية كل عمل مفيد.

أن الجهاد الذي بدأتموه ولم ينتج منها هي نتيجته المطلوب قد قربت وأينعت شجرته فحرام عليكم أن تضيعوا الفرصة تفلت منكم»[2].

*** رسالة محمد المنصوري أحد المتطوعين الليبيين في حرب فلسطين إلى بشير السعداوي:**

«فوجئنا بالخبر المؤلم ألا هو اتفاق (بيفن سفورزا) الذي يقرر تقسيم ليبيا، وإعادة طرابلس للاستعمار الإيطالي، وقد علمنا أن المظاهرات والعصيان المدني قد عم جميع القطر الطرابلسي، الأمر الذي أصبحنا نحن جميع المتطوعين الليبيين في اضطراب زائد،

---

(1) وثائق محمد فؤاد شكري، رسالة الجبهة الوطنية المتحدة في طرابلس إلى بشير السعداوي المؤرخة في 20/ 5/ 1949م.

(2) وثائق محمد فؤاد شكري، رسالة حزب الأحرار في طرابلس إلى بشير السعداوي المؤرخة في 2/ 1/ 1947م.

نريد الرجوع إلى بلادنا للاشتراك مع أخواننا في تحرير وطننا العزيز، لذلك نرجو الاتصال بصاحب السعادة عزام باشا حفظه الله وأبقاه، والمحادثة معه بأمر رجوعنا إلى وطننا في أسرع وقت»[1].

* مع أحمد الفقيه حسن:

ومن الذين كانت لهم مراسلات مع بشير السّعداوي في شأن القضية اللّيبيّة أحمد الفقيه حسن الذي كان يرى أهمية أن تكون هناك صِلاَت مباشرة عن طريق اللقاءات والمراسلات مع اخوانه المهاجرين في بلاد الشام ومصر.

ويتّضح التوافق في الرأي بين بشير السعداوي وأحمد الفقيه حسن؛ حيث جاء في رد السعداوي على الرسالة الموجهة إليه من الفقيه حسن التي استنكر فيها عمل الجبهة الوطنية، وقد أكّد السعداوي في بداية رده الاعتراف بوطنية صديقه أحمد الفقيه حسن وغيره، وبأعماله المشكورة في الحفاظ على مصلحة الوطن، وضمان سيادته واستقلاله، وأظهر أسفه واستياءه من الانقسام الذي نشب بين حزب الكتلة الوطنية الحرة الذي يُعدُّ أحمد الفقيه حسن في طليعة قادته وبين حزب الجبهة الوطنية.

ولم يدّخر أحمد الفقيه حسن وسعاً في إسداء النصائح إلى صديقه السعداوي، يقول في إحدى رسائله «بركان السياسة يضطرم اليوم في هذه البلاد، والمفسدون لعبوا دوراً وكان نفوذهم يسود البلاد، والحزب الوطني يحتضر من جزاء أعمال الفئة الضالة (الجبهة الوطنية المتحدة) فلا تصدقوا ما يذاع عنها، فإنها جرثومة الفساد التي تريد أن تقضي على الوطن»[2].

(1) وثائق محمد فؤاد شكري، رسالة محمد المنصوري أحد المتطوعين الليبيين في حرب فلسطين إلى بشير السعداوي المؤرخة في 16/ 1/ 1949م.

(2) محمد مسعود جبران، أحمد الفقيه حسن 1895 ـ 1975م حياته وأدبه، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ط1، 2000م، ص106.

* مع محمد بن مسعود فشيكة:

كان بشير السعداوي متابعاً للحركة الأدبية برغم انشغاله بالشأن السياسي، وقضية الوطن التي كانت تعيش في أربعينيات القرن الماضي مرحلة حاسمة، وفي تلك الأثناء قام الأستاذ محمد بن مسعود فشيكة[1] بإنجاز عملاً بالغ الأهمية إحياءً لتاريخ ليبيا، ألاَ وهو إصدار كتاب (تاريخ ليبيا العام)[*]؛ حيث كانت البلاد في حاجةٍ ماسة لكتابة تاريخها، وقد حاز الكتاب إعجاب الكثير من أبناء الوطن، واعتُمد كمرجع لدراسة مادة التاريخ بالمدارس الليبية، وقد عَبَّر بشير السعداوي عن إعجابه وتقديره للأستاذ محمد بن مسعود من خلال الرسالة التالية: «حضرة الأستاذ الفاضل محمد بن مسعود حفظه الله، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقد أدخل على قلبنا السرور مؤلفكم القيّم (تاريخ ليبيا العام) وأنه لمجهود نعتز ونفخر، ولا يسعنا إلا أن نهنئكم على توفيقكم هذا، وأن نشكر المولى سبحانه وتعالى الذي أتاح لهذا الوطن الكريم من أبنائه من أخذ على عاتقه تدوين تاريخه، وأملنا وطيد في أن يحذو حذوكم أبناؤنا الأعزاء من أهل الثقافة والعلم، فيسجلوا تاريخ الوطن للأجيال القادمة بمثل هذا الأسلوب الفذ والتنسيق البديع، وإنا لمنتظرون ظهور الجزء الثاني من هذا التاريخ القيم قريباً بعون الله، بارك الله جهودكم ونفع أبناؤنا بعلمكم وفضلكم، ودمتم موفقين، والسلام»[2].

بشير السعداوي

8 فبراير 1949م

---

(1) محمد بن مسعود فشيكة (1904 ـ 1990م) وُلد بقرية الشواهدة بمصراتة، هاجر والده إلى تونس وعمل في التجارة في المنطقة المنجمية في المتلوي والرديف؛ حيث عمل العديد من المهاجرين الليبيين هناك، وفي عام 1926م التحق بالأزهر الشريف، وأثناء دراسته تولّى رئاسة لجنة رواق المغاربة وأوقافه، وبعد عودته إلى الوطن التحق بالتدريس في مدارس طرابلس.

(*) صدر الجزء الأول من الكتاب في طبعته الأولى سنة 1948م عن المطبعة العسكرية البريطانية في طرابلس. (المُحرّر).

(2) شعبة الوثائق والمحفوظات، م/ 161/ 2، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، رسالة بشير السعداوي إلى الأستاذ محمد بن مسعود فشيكة، مؤرّخة في 8/ 2/ 1949م.

الخاتمة

نخلص في خاتمة الورقة البحثية إلى أن بشير السعداوي كان رمزاً من رموز الحركة الوطنية الليبية، وقد تعدّدت الأدوار التي قام بها، فهو المجاهد بالبندقيّة عند بداية العدوان الإيطالي على ليبيا عام 1911م، وهو السّياسيّ المحنّك الذي أرسى سياسة التوافق بين الأشقاء، وصولاً إلى وحدة البلاد واستقلالها، والدِّفاع عن القضيّة الوطنيّة على مستوى المنظمات والمؤتمرات والملتقيات الدّوليّة والإقليميّة.

وعندما رأى بشير السّعداوي خطورة انتشار الدّعاية الإيطاليّة بالخارج لغرض استمالة الرّأي العام العالمي لغرض تبرير احتلالها لليبيا، تحوّل إلى الخارج؛ حيث بدأ نشاطه السّياسي من دمشق، وقد أسّس هناك رفقة زملائه بالمهجر عام 1928م لجنة الدفاع عن طرابلس وبرقة، وفي عام 1947م أسّس مع زملائه المهاجرين في مصر هيئة تحرير ليبيا، وعندما قرّرت هيئة الأمم المتحدة إرسال اللّجنة الرّباعيّة إلى ليبيا لتقصي الحقائق، ومعرفة مطالب الشعب الليبي، سرعان ما تحوّل السّعداوي إلى ليبيا، وبدأ اتصاله المباشر بالمواطنين لحثّهم على التركيز أمام اللجنة بالمطالبة بالاستقلال ووحدة البلاد بأقاليمها الثّلاثة.

ومن خلال المراسلات الموجّهة للسعداوي من قادة الحركة الوطنية الليبية في الداخل والخارج، ومن المواطنين الليبيين في مختلف المناطق نجد تلك الرسائل تصف بشير السعداوي بعباراتٍ تؤكد مكانة الرجل في قلوب أبناء وطنه، من ذلك: الزعيم المبجل... الزعيم الجليل، المناضل... المجاهد، ومما يسجِّل للسعداوي دوره على الصعيد العربي والإسلامي، فقد استطاع عام 1934م إصلاح ذات البين بين الأشقاء في السّعوديّة واليمن؛ حيث سعى إلى حقن دماء الأشقّاء بسبب النّزاع على الحدود بين اليمن والسعودية، وذلك من خلال اتصالاته ومشاوراته مع الإمام يحيي حميد الدين، والملك عبد العزيز، والتي انتهت بنجاح، وتم احتواء ذلك الخلاف.

وبرغم الجهود التي بذلها السعداوي لخدمة وطنه، والتي توّجها بتأسيس المؤتمر

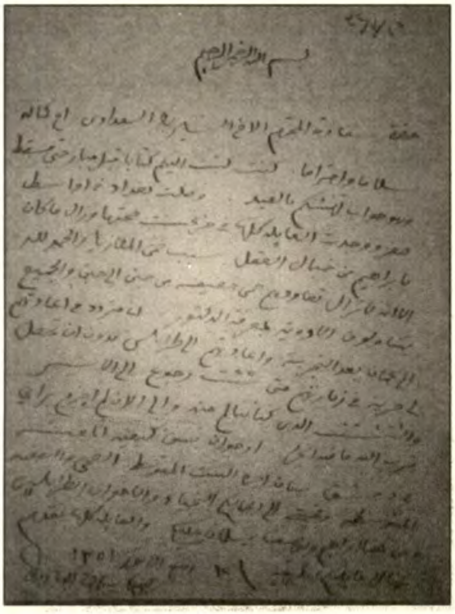
الوطني العام في طرابلس الذي تصدَّى لمحاولات تجزئة الوطن، والارتماء في أحضان الإمبريالية، بالتمهيد لإنشاء القواعد الأجنبية فوق الأرض الليبية، وتزييف الانتخابات البرلمانية، برغم كل ذلك كان مصير السعداوي النفي خارج الوطن؛ حيث أُجبر على مغادرة البلاد، وعاش لاجئاً، إلى أن وافته المنية في بيروت عام 1957م، وكأن لسان حاله يردِّدُ قول شاعرنا الكبير أحمد الشارف:

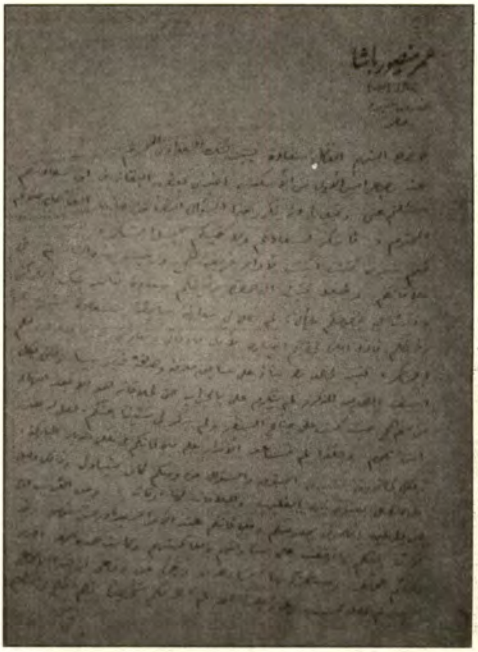
رضينا بحتف النفوس رضينا ... ولم نرضَ أن يُعرف الضيم فينا

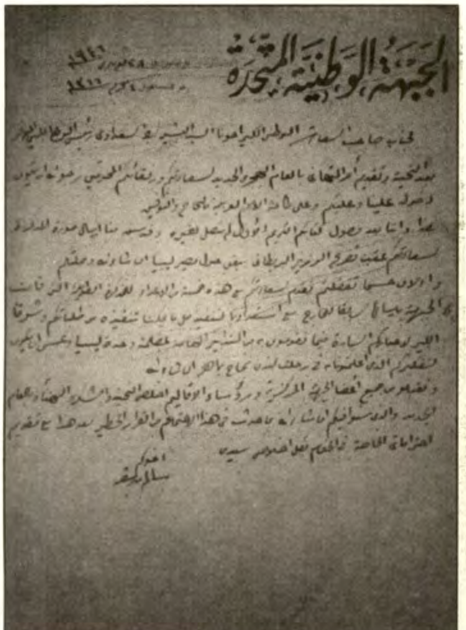
❒ ❒ ❒

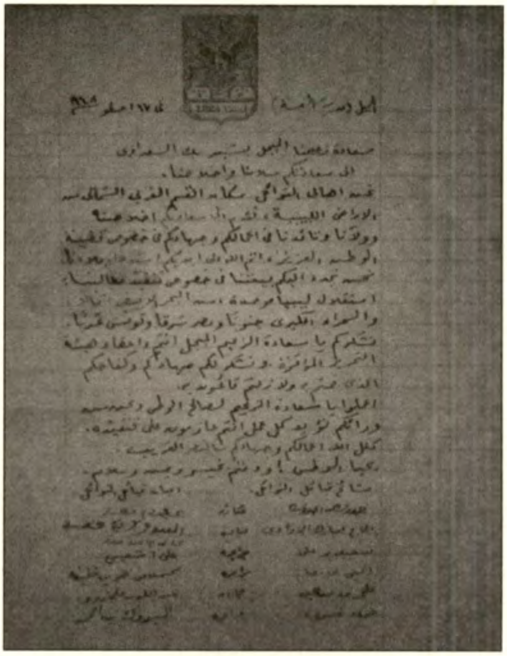
ملحق الوثائق

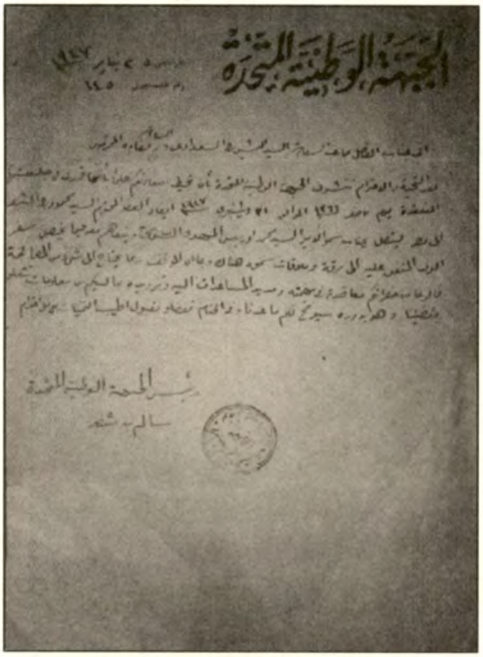


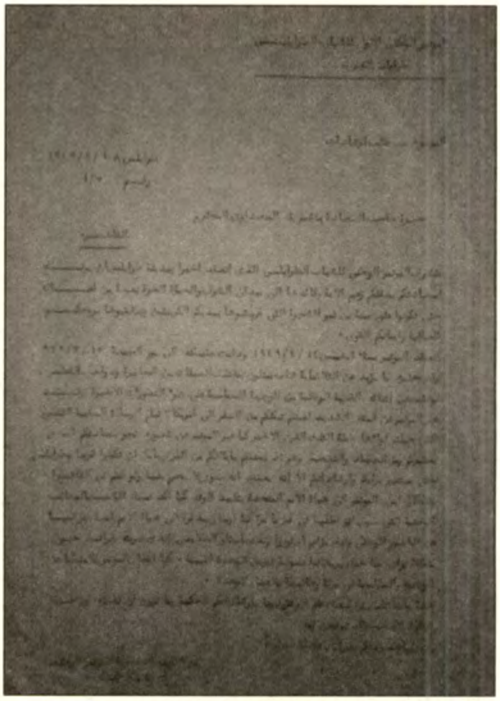


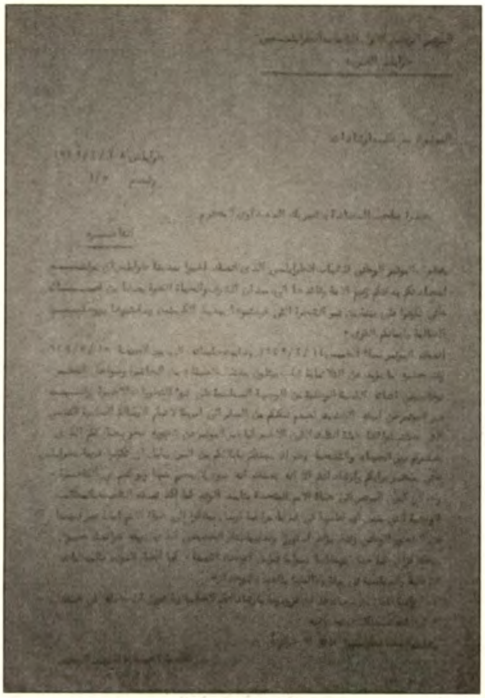


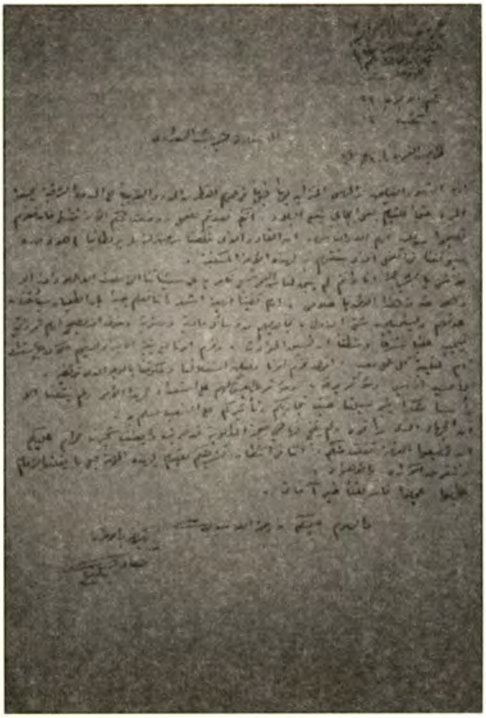


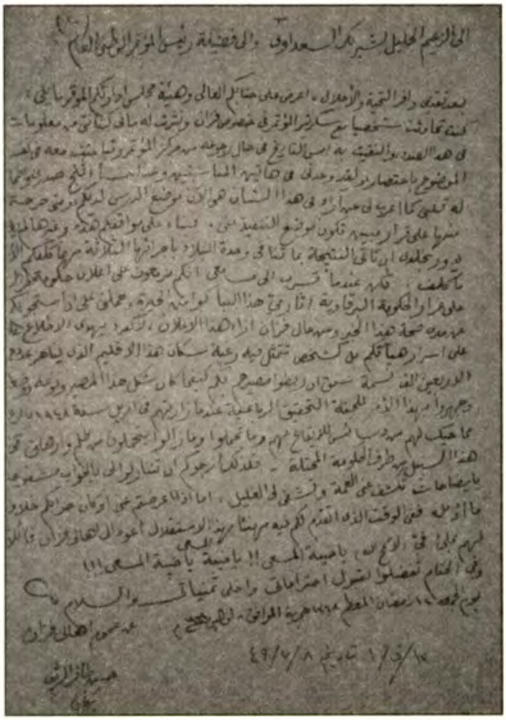



الجبهة الوطنية المتحدة

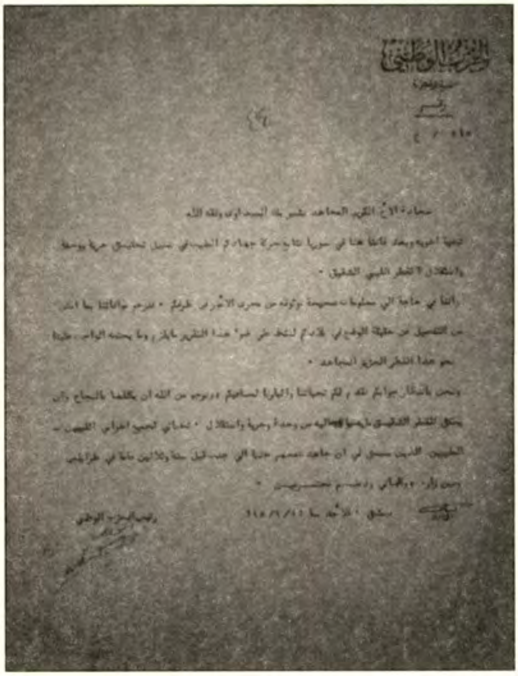




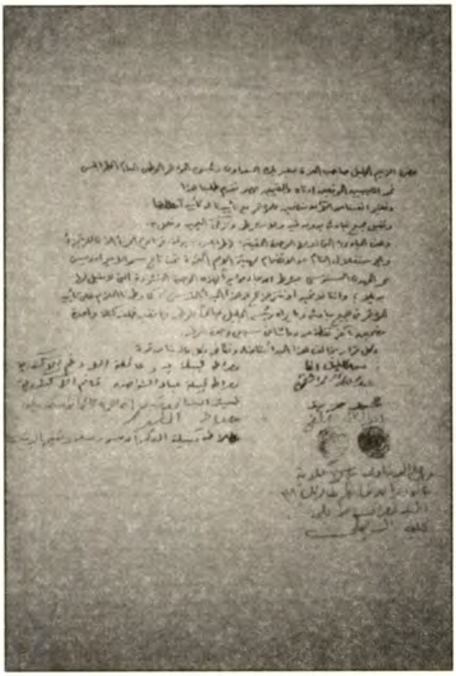




الى الزعيم الجليل بشير بك السعداوي ، الى فضيلة رئيس المؤتمر الوطني العام



الحزب الوطني



المصادر والمراجع

تركّزت الدِّراسة على الوثائق الأصلية التي تم العثور عليها ضمن وثائق الدكتور محمد فؤاد شكري بقسم التاريخ بجامعة عين شمس بالقاهرة، وقد أفردنا في مقدمة البحث تحليلاً لهذه الوثائق من حيث الشَّكل والمحتوى.

*** أولاً ـ الوثائق:**

ـ وثيقة (1) رسالة الشيخ سليمان الباروني إلى بشير السعداوي في دمشق المؤرخة في 16/ 7/ 1932م، يَشرح فيها الظروف التي أجبرته على الإنتقال من عُمان إلى بغداد، وإبداء رغبته في الانتقال إلى دمشق.

ـ وثيقة (2) رسالة أحمد اشتيوي السويحلي في الإسكندرية إلى بشير السعداوي في دمشق المؤرخة في 13/ 4/ 1932م، بشأن الظروف التي يعيشها المهاجرون الليبيون في مصر.

ـ وثيقة (3) رسالة أحمد اشتيوي السويحلي في الإسكندرية إلى بشير السعداوي في دمشق المؤرخة في 17/ 5/ 1932م، يَشرح فيها الظروف الاقتصادية المأساوية التي وصلت اليها البلاد تحت النظام الفاشيستي.

ـ وثيقة (4) رسالة أحمد اشتيوي السويحلي في الإسكندرية إلى بشير السعداوي في دمشق المؤرخة في 10/ 2/ 1933م، بشأن زيارة ملك إيطاليا إلى مصر.

ـ وثيقة (5) رسالة أحمد اشتيوي السويحلي في الإسكندرية إلى بشير السعداوي في دمشق المؤرخة في 27/ 3/ 1933م، بشأن الإجراءات التعسفية التي اتخذتها القنصلية الإيطالية والسُّلطات المصرية ضد المهاجرين الليبيين.

ـ وثيقة (6) رسالة أحمد المريّض في الإسكندرية إلى بشير السعداوي في دمشق المؤرخة في مارس 1933م بشأن اقتراح تقديم خطاب إلى ملك إيطاليا بمناسبة زيارته إلى مصر.

ـ وثيقة (7) من محمد إدريس السنوسي في منطقة الحمام بالإسكندرية إلى بشير السعداوي (د. ت) يُهدي فيها تقديره لنشاط السعداوي في خدمة الوطن.

ـ وثيقة (8) خطاب مشايخ وأعيان ووجهاء فزان إلى بشير السعداوي بتاريخ 20/ 5/ 1949م، يُعبِّرون عن تلاحمهم مع طرابلس وبرقة.

ـ وثيقة (9) من المهاجرين الليبيين في الإسكندرية إلى بشير السعداوي رئيس المؤتمر الوطني بطرابلس يطلبون الإنضمام للمؤتمر (د. ت).

ـ وثيقة (10) رسالة المهاجرين الليبيين في أبي المطامير ـ الجيزة، إلى بشير السعداوي تعبيراً عن فرحتهم بتمسّك الأمير ادريس بوحدة البلاد بأجزائها الثلاثة.

ـ وثيقة (11) رسالة المؤتمر الوطني الأول للشباب بطرابلس إلى بشير السعداوي بتاريخ 18/ 4/ 1949م، يشرحون فيها نتائج مؤتمر الشباب في طرابلس.

ـ وثيقة (12) رسالة الجبهة الوطنية المتحدة إلى بشير السعداوي في 20/ 5/ 1949م، بشأن إرسال محمود المنتصر إلى ادريس السنوسي.

ـ وثيقة (13) رسالة حزب الأحرار إلى بشير السعداوي في 2/ 1/ 1947م، بشأن الثّقة التي وضعها الليبيون في شخصية بشير السعداوي.

ـ وثيقة (14) رسالة محمود المنصوري أحد المتطوعين الليبيين في حرب فلسطين إلى بشير السعداوي بشأن طلب المتطوعين الليبيين العودة إلى ليبيا للدفاع عن بلادهم، بسبب إعلان مشروع بيفن ـ سفورزا الإجرامي.

ـ وثيقة (15) رسالة بشير السعداوي إلى الأستاذ محمد بن مسعود فشيكة المؤرخة في 8/ 2/ 1949م، يشكره على إصدار كتابه (تاريخ ليبيا العام).

*** ثانياً ـ المراجع:**

1 ـ إبراهيم أحمد أبوالقاسم، المهاجرون الليبيون بالبلاد التونسية، مؤسسة عبد الكريم بن عبدالله، تونس، 1992م.

2 ـ تيسير بن موسى، كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام 1925 ـ 1950م، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1983م.

3 ـ محمد عبد الرحمن برج، العلاقات المصرية الليبية عبر التاريخ، جزء 1، المركز العربي الدولي، القاهرة، 1992م.

4 ـ محمد مسعود جبران، أحمد الفقيه حسن 1895 ـ 1975م حياته وأدبه، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ط1، 2000م، طرابلس.

5 ـ نيكولاي ايليتيش بروشين، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969م، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ط2، طرابلس، 1988م.

*** ثالثاً ـ رسائل جامعية لم تُنشر :**

1 ـ إبراهيم أحمد أبوالقاسم، مصر والمسألة الليبية 1911 ـ 1952م، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، الجامعة التونسية، 1997م.

❒ ❒ ❒

قراءة وثائقيّة لتهنئة الزّعيم السّعداوي
للمؤرِّخ محمد مسعود بصدور كتابه (تـاريخ ليبيا العام)

د. عائشة محمد بن مسعود فشيكة
كلية الآداب ـ جامعة طرابلس

المقدِّمة

موضوع البحث يتمحوّر حول وثيقة تاريخية من وثـائق والـدي **المـؤرّخ/ محمـد مسعـود فشيكـة** ـ رحمـه الله ـ مضمونها الخطاب الذي أرسله **الزّعيم بشير السّعداوي** ـ رحمه الله ـ إلى المؤرِّخ بمناسبة صدور مؤلّفه **تاريخ ليبيا العـام (الجـزء الأول)** سـنة **1948**م. والبحث قراءة تاريخيّة تحليليّة لمضمون الخطاب في السّياق الوطني والتّاريخي والاجتماعي والسّياسيّ، والوقوف على مرحلة من مراحل التّعليم في ليبيا.

كما أنّه يستخدم أسلوب التّحليل من منظورٍ معاصـر لـبعض مـا تضـمّنه الخطـاب ويتضمن البحث المحاور التّالية:

1 ـ صدور كتاب «تاريخ ليبيا العام من القـرون الأُولـى إلـى العصـر الحاضـر»، (خلفية تاريخية).

2 ـ محتوى الكتاب: التّأريخ للوطن ـ المنهج والتّدريس.

3 ـ سيرة المؤرّخ وسيرة الزّعيم (قواسم مشتركة).

4 ـ القيم الوطنيّة والعلميّة في خطاب الزّعيم (تحليل اجتماعي معاصر).

* * *

1 ـ صدور كتابه (تاريخ ليبيا العام من القرون الأولى إلى العصر الحاضر) الجزء الأول:

*** خلفية تاريخية:**

تشير المصادر والدراسات حول التعليم في ليبيا إلى أهمية العوامل التاريخية والاجتماعية لمعرفة بداياته وتطوره ومستقبله.

ومن أبرز هذه العوامل وأكثرها تأثيراً العهود التي مرت بها ليبيا منذ الحكم العثماني، ويليه الاحتلال الايطالي 1911م، وعهد الإدارة العسكرية البريطانية 1943م.

ولقد كان لهذه المراحل تأثيرها على حالة التعليم في ليبيا، فالمجتمع الليبي في العهدين العثماني والإيطالي كانت تغلب على أفراده الأمية بأنواعها المختلفة الأبجدية، والثقافية، والحضارية[1].

وبعد خضوع إقليم طرابلس إلى حكم الإدارة البريطانية عبَّر المواطنون عن مطالبهم بضرورة فتح المدارس لتعليم أبنائهم، وقد قامت الحكومة بتشكيل لجنة (مكوّنة من خمسة ضباط بريطانيين) وقد توصَّلت إلى أربع توصيات وهي[2].

1 ـ الخطوات التي يجب اتباعها تلبيةً لرغبة المواطنين الليبيين لتعليم أبنائهم.

2 ـ تحديد عدد المدارس التي سيُعاد فتحها.

3 ـ تقدير الميزانية اللاّزمة لهذه المدارس.

4 ـ المناهج اللاّزمة والكُتب الدراسيّة المقرّرة.

ويتّضح مما سبق أن اللّجنة أوصت بأهمية المناهج والكتب الدّراسيّة المُقرّرة،

(1) عمر التومي الشيباني، الثقافة والتعليم في ليبيا في العهد الايطالي، مجلة البحوث التاريخية، السنة 26، العدد الثاني، يوليو 2004م، ص158.

(2) أحمد محمد العاقل، التعليم في ليبيا خلال الفترة 1935 ـ 1950م، المجتمع الليبي 1935 ـ 1950م، أعمال الندوة العلمية الثامنة التي عُقدت بالمركز في الفترة من 26 ـ 27 سبتمبر 2000م، تحرير: محمد الطاهر الجراري، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2005م.

وبذلك فقد أعلنت معارف طرابلس في جريدة طرابلس الغرب يوم (5 ديسمبر 1946م) عن مسابقة تأليفيّة لتاريخ ليبيا وكان - المرحوم - محمد بن مسعود من بين المشتركين في المسابقة، وأُعلنت النتيجة بحصول مؤلّفه المُعنون باسم (تاريخ ليبيا العام من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر) في جزئين على الدَّرجة الأولى بقرارٍ من أعضاء لجنة الفحص والاختيار، والتي كانت تضم اثنين من ذوي الاطلاع الواسع بالتاريخين اللّيبي والإسلامي، وهما الأديب والشاعر الكبير مدير الأوقاف الطرابلسية، أحمد بك الفقيه حسن، والأستاذ الشيخ محمد بن عبد السلام المصراتي، وثلاثة من المُلمين تماماً بالتاريخ العالمي قديمه وحديثه، وهم الكمندتور جورج نعامة، والدكتور خليل الخوري، والأستاذ فيليب السّتاتي[1].

ولقد قرّرت إدارة المعارف الطرابلسية استعماله في مدارسها مقرّراً للسنة الخامسة الابتدائية، وتَرْجم المُؤلِّف الكتاب إلى اللغة الانجليزية، واللغة الإيطالية[2] وتم تدريسه في المدارس الأجنبية كمقرّر وضمن مقرراتٍ للتاريخ الليبي.

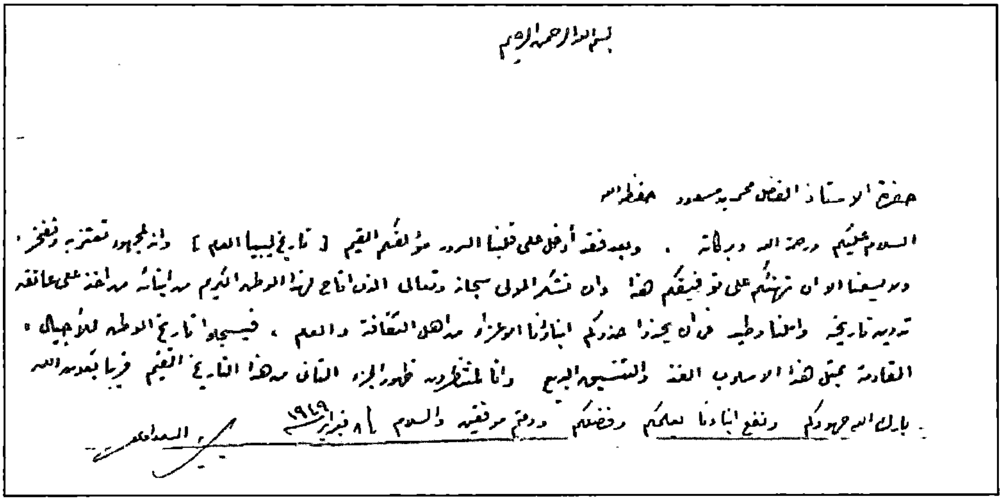
*** أصداء ظهور الكتاب:**

لقد كان لصدور الكتاب أصداءٌ في الوسط الثقافي والتعليمي والاجتماعي؛ حيث تمت الإشادة والتقدير بدور المؤلِّف في كتابة تاريخ الوطن وتوفير الكتاب المدرسي المنهجي في الظروف الصعبة التي كانت تعاني منها البلاد، ويُعدُّ خطاب الزعيم بشير السّعداوي إلى محمد بن مسعود (موضوع هذا البحث) من أهم وثائق التقريض والإشادة والتقدير لمؤلِّف الكتاب، والوثيقة موجودة في مكتبة المرحوم بخط يد الزَّعيم بشير السّعداوي.

(1) محمد مسعود فشيكة، رمضان السويحلي البطل الشهير بكفاحه للطليان، طرابلس: دار الفرجاني، 1974م، ص335.

(2) Mohamed Ben Massoud Fushika, A short History of Libya Tripoli, 1962.

Mohamed Ben Massoud Fushika, staria della libia Maggi, 1956.


بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأستاذ الفاضل محمد بن مسعود حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فقد أدخل على قلبنا السرور مؤلفكم القيم [تاريخ ليبيا العام] وإنا لمجهودكم نعتز ونفخر ويسعدنا أن نهنئكم على توفيقكم هذا وأن نشكر المولى سبحانه وتعالى الذي أتاح لهذا الوطن الكريم من أبنائه من أخذ على عاتقه تدوين تاريخه وأملنا وطيد في أن يحذو حذوكم أبناؤنا الأعزاء من أهل الثقافة والعلم ، فيسجلوا تاريخ الوطن للأجيال القادمة بمثل هذا الأسلوب الفذ والتنسيق البديع وإنا لمنتظرون ظهور الجزء الثاني من هذا التاريخ القيم قريبا بعون الله بارك الله في جهودكم ونفع أبناءنا بعلمكم وفضلكم ودمتم موفقين والسلام 8 فبراير 1949

بشير السعداوي

يتّضح من الخطاب أن مضمونه يحتوي عدداً من الأبعاد التي يُمكن التّوقف عندها بإعادة القراءة والتحليل في السياق التاريخي، والوطني، والاجتماعي، والرؤية المعاصرة، ويمكن تناول هذه الأبعاد في النقاط التالية:

- الكتاب أدخل السرور على قلب الزعيم (بشير السَّعداوي).
- الاعتزاز والفخر بالمجهود الذي قام به المؤلِّف والتهنئة له.
- التّوجه بالشكر للمولى سبحانه وتعالى أن أتاح لهذا الوطن من أبنائه من أخذ على عاتقه تدوين تاريخه.
- أن جهد المؤلِّف قدوة يجب أن يَحْتذي بها أبناء الوطن في تسجيل تاريخهم.
- تناول أسلوب الكتاب وأثنى عليه بالقول الأسلوب الفذ والتَّنسيق البديع.
- الإشارة إلى انتظار ظهور الجزء الثاني من التاريخ القيِّم.

إن قراءة الخطاب في سياقه التاريخي (الفترة الزمنية 8 فبراير 1949م)، تشير إلى أنّه يتضمن عدداً من الأبعاد التي سبق ذكرها وسيتم تحليل بعضاً من مضامينها.

المضمون الأول: إن الكتاب (المؤلَّف) أدخل السرور إلى قلب الزعيم بشير بك السَّعداوي رئيس المؤتمر الوطني الطرابلسي، وهو يحمل مشاغل الوطن الذي لم يحصل

على الاستقلال بعد، ولكن السّرور دخل لقلبه من ظهور كتاب التاريخ للمؤرِّخ محمد بن مسعود، وهذا يدل على تقديره للعلم والمتعلّمين وللمُخلصين من أبناء الوطن.

المضمون الثاني: التوجّه بالشُّكر إلى المولى سبحانه وتعالى أن أتاح للوطن من أبنائه من قام بتدوين تاريخه وحمل على عاتقه هذه المسؤولية، فمعرفة تاريخ الوطن أهميته كبيرة للأجيال القادمة والحاضرة.

المضمون الثالث: خطاب الزعيم السَّعداوي وصف (أسلوب المؤلِّف) بقوله: الأسلوب الفذ والتنسيق البديع، وهذا يعكس معرفة بمضمون الكتاب وتنسيقه ومدى ملاءمته للتلاميذ.

إن القراءة المعاصرة لقضايا التعليم يمكن الاستدلال على أهميتها من المضامين السابقة، وهو ما يمكن التعبير عنه بالقول إن التعليم من أهم الأُسس لبناء الدول الحديثة، وهو من أكبر تحديات التنمية، بل أنه عامل حاسم في نجاحها، والتّعليم هو أساس بناء البشر وإنضاج قدراتهم، باعتبار هذا معياراً للبقاء الفاعل في عالم اليوم والغد[1].

وأن ما يُنفقُ على التعليم والتربية نوعاً من الاستثمار الاقتصادي الذي لا تقلّ فائدته عن الاستثمارات الاقتصادية[2].

ويُعدُّ التعليم أساس بناء عقول الأفراد وتزويدهم بالمعرفة، وبهذا فهو يُمثِّل الثروة الحقيقية للشعوب التي أصبحت تُقاس بما تملكه من رأس مال اجتماعي، وبما تملكه من خطط وآليات لتنفيذ وتحقيق الأهداف المنشودة من التعليم. ومن الثابت أن المَدْرسة بكل الأولويات المرتبطة بها (المُعلّم ـ الطالب ـ المنهج) هي الأساس في نجاح أهداف التعليم، وكما تَبيّن فإن خطاب الزعيم السّعداوي تضمّن الإشارة إلى جهد المؤلف في

(1) نشرة المنتدى العربي للتنمية البشرية، 5 يونيو 2002م، ص13.

(2) عمر التومي الشيباني، دور التربية في بناء الفرد والمجتمع، طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع 1983م، ص9.

إعداد المنهج الملائم لعقول الناشئة، وهو ما يُعدُّ من القضايا المعاصرة والمطروحة في سياسات وبرامج التّعليم (وسيتم تناولها في المحور الثاني).

وبناءً على ما تقدَّم فإنه يمكن القول أن خطاب الزعيم بشير السّعداوي إلى المؤرّخ محمد بن مسعود يُعدُّ وثيقةً تاريخيّة لها مدلولها الوطني والاجتماعي والقيمي والتاريخي.

* * *

2 ـ كتاب تاريخ ليبيا العام (الجزء الأول): المنهج والدّروس:

يحَمْل الكتاب كما هو مُبيّن عنوانه: تاريخ ليبيا العام من القرون الأولى إلى الوقت الحاضر (الجزء الأول)، وهذا هو شكل الكتاب في طبعته الأولى، ومكان طباعته طرابلس، المطبعة العسكرية البريطانية 1948م.


قررت ادارة المعارف الطرابلسية تدريسه للسنة الخامسة الابتدائية

تاريخ ليبيا العام

من القرون الاولى الى العصر الحاضر

الجزء الاول

بقلم الأستاذ

محمد بن مسعود

المتخرج فى دار العلوم العليا بالقاهرة ومدرس التاريخ بمدرسة طرابلس الثانوية

الطبعة الاولى

١٣٦٨ هـ طرابلس الغرب المطبعة العسكرية البريطانية ١٩٤٨ م

والكتاب يقع في 138 صفحة، مُقرّر من إدارة المعارف تدريسه للسنة الخامسة الابتدائية، أُخذت موضوعاته من نيّف وخمسين مرجعاً، منها الأوروبي، والعربي، والتركي، ومنها روايات لعقلاء أمناء ظهر بعد التّحري صدقها[1].

دُرُوس الكتاب: الدُّروس التي يحتويها الكتاب قام المؤلف بفهرسة موضوعاتها حسب تسلسل تاريخها، وبترقيم كل درس والموضوع الذي يخصّه، أي أن كلّ درسٍ له رقمٌ وعنوانٌ مفصّل يَذْكره معه، فالدَّرس الأول على سبيل المثال، موضوعه مسائل التاريخ كان على النحو الآتي: ص11 الدرس (1 ـ 2) (مسائل التاريخ).

التاريخ، تعريفه، أنواعه، أمثلته، فوائده، مصادره، مؤرخ صغير، صلته بالجغرافيا، حوادث التاريخ، سببها، تسميات القرون، هيرودوت، الكتابة، أصلها، البشر، أجناسهم، مساكنهم، المناخ، الحضارة، اختبارات. وقد تضمن الفِهرس موضوعات الكتاب بالشكل السابق نفسه.

وقد اشتملت موضوعات كتاب التاريخ الليبي منذ أقدم العصور إلى نهاية الفترة التاريخية في الجزء الأول من الكتاب وموضوعها ليبيا في عهد الموحّدين.

وفي درس التاريخ الليبي يوضّح المؤلف علاقة التاريخ بالجغرافيا بالقول «لا يُفهم تاريخ أمّة من الأمم حتى يَعْرف الإنسان موقعها وأحوال بلادها الطبيعية» وبعد معرفة (جغرافية ليبيا) يأتي دَرْس (اللّيبيون القدماء) ويشمل: (أصلهم، أخلاقهم، الأسرة، لغتهم، وظيفة الأم، وظيفة الأب، انتشار الأسرة، نفوذ المرأة، لغتهم، منازلهم، عاداتهم، لباسهم).

وبعد الانتهاء من دَرْس التاريخ الليبي تأتي دروس مراحل تاريخ ليبيا وعلاقته بالأمم الأخرى، وتشمل الموضوعات والدروس الآتية:

(1) محمد بن مسعود، تاريخ ليبيا العام من القرون الأولى إلى العصر الحاضر (الجزء الأول) طرابلس الغرب: المطبعة العسكرية البريطانية، 1948م، ص2.

- ليبيا واليونان.
- ليبيا والفينيقيون.
- ليبيا والرومان.
- ليبيا في عهد الخلفاء.
- ليبيا في العهد الأموي.
- ليبيا في العهد العباسي.
- ليبيا في عهد الأغالبة.
- ليبيا في العهد الفاطمي.
- ليبيا في عهد الموحدين.

* * *

3 ـ سيرة الزّعيم وسيرة المؤرّخ (قواسم مشتركة):

إن الاهتمام بمعرفة القواسم المشتركة بين سيرتي الزعيم والمؤرخ، جاء نتيجةً لما تضمنّه الخطاب من عباراتٍ تُجسِّد معنى الوطن والمسؤولية تجاهه، وكيف قام كلّ منهما بدوره في مسيرة النضال والعلم. فمضمون الخطاب كان دافعاً للبحث عن أسسٍ لمعرفة هذه القواسم المشتركة والتي سيتم تناولها في العناصر التالية:

*** العنصر الأول ـ كتاب تاريخ ليبيا العام ومؤلِّف كتاب دولة ليبيا الحديثة[1]:**

لقد أرسل الدكتور محمد فؤاد شكري ـ رحمه الله ـ خطاباً للمؤرّخ محمد بن مسعود بمناسبة صدور مؤلفه تاريخ ليبيا العام (الجزء الأول) تضمّن الإشادة والتقدير لجهد المؤلف، وفيما يلي نص الخطاب حرفياً:

(1) مؤلِّف كتاب ليبيا الحديثة هو: الدكتور محمد فؤاد شكري، أستاذ التاريخ بجامعة (فؤاد الأول) (جامعة القاهرة حالياً) وهو كان منتدب كمستشارٍ قانوني لهيئة تحرير ليبيا.

(عزيزي المؤرخ محمد بن مسعود حفظه الله، تحيةً مباركة وبعد: فقد تلقيت بيد الممنونيّة والشكر مؤلّفكم القيّم (تاريخ ليبيا العام) وقد قرأته بكل عنايةٍ وشغفٍ زائد، وذلك لما ضمّه هذا الكتاب بين دفتيه من معلوماتٍ تاريخيةٍ نفيسة ناهيك عن سهولة العبارة، وجزالة اللفظ، وإحكام الترتيب، حتى أن القارئ يجد نفسه مدفوعاً دفعاً إلى استيعابه والتمتع به.

ولعلّ أبرز نواحي هذا المؤلّف القيّم تلك العناية الواضحة التي بذلتموها في تقريب الحقائق التاريخية إلى أذهان الناشئة، وربط هذه الحقائق بتنسيقٍ بديع، واهتمامكم بعمل الملخصات الدقيقة عنها عند نهاية كل فصل من فصوله الشيّقة، كما تَظهر مهارة المربي الكامل والأستاذ القدير، في تلك التمارين التي ذيلتم بها الكلام للتثبيت.

وأرجوا الله تعالى أن ينفع بعلمكم وأدبكم وفضلكم أبناء هذا الوطن الكريم ودمتم في حفظ الله وسلامته. المخلص محمد فؤاد)[1].

وكما تَبيّن من نصّ الخطاب فإن الدكتور محمد فؤاد شكري كان من بين الذين تناولوا كتاب تاريخ ليبيا العام بالإشادة والتقريظ، وبيان قيمته العلمية والتربويّة برأي متخصص في مجال التاريخ.

كما أننا نجد في كتاب «ميلاد دولة ليبيا الحديثة ووثائق تحريرها واستقلالها» إحدى القواسم المشتركة بين الزّعيم والمؤرّخ، وهي أن أستاذ التاريخ (محمد فؤاد شكري) قام بتأليف كتاب ميلاد دولة ليبيا الحديثة وكان الإهداء في هذا الكتاب إلى روح الزعيم بشير السعداوي، وقد جاء النّص على النحو التالي: (قبيل الانتهاء من طبع هذا الكتاب وفي السابع عشر من شهر يناير 1957م لبّى نداء ربه الزّعيم الليبي المغفور له السّيد بشير السّعداوي بعد حياةٍ حافلة بالجهاد المثمر، وبعد أن جنى ثمار جهاده هذا حرية كاملة واستقلالاً تاماً

(1) محمد مسعود فشيكة، رمضان السويحلي البطل الليبي، مرجع سابق، ص336.

لبلاده العزيزة ليبيا. فإلى روحه الأبيّة الطاهرة أُهدي هذا الكتاب علّ في ذلك ما يفي ببعض واجب الصديق نحو صديقه الذي مضى سائلاً المولى ﷻ أن يتغمدّه برحمة منه وفضل، وأن يُجزي له الثواب جزاء ما أسلف من خير لوطنه والعروبة والإسلام)[1].

فالكتاب استُهل بإهداءٍ إلى روح الزّعيم اللّيبي بشير السّعداوي عرفاناً بما قدّمه للوطن، ووفاءً من مؤلِّف الكتاب (محمد فؤاد شكري) إلى ما تربطه من صداقةٍ ومعرفةٍ بالزَّعيم. كما أن الكتاب يحمل عنوان «ميلاد دولة ليبيا الحديثة»، وممّا لا شكّ فيه فإن بناء الدّولة لا يتم دون جهود المخلصين من أبنائها، وقد وثّق المؤلف دور الزَّعيم السَّعداوي في تأسيس دعائم دولة ليبيا، كما وثَّق (في المجلد الثاني) سيرته الذّاتية، ومحطّات هجرته وعودته للوطن، وجهوده في بناء الدّولة، ولقد توصلت الباحثة من بعد قراءتها إلى قواسم أخرى مشتركة بين الزّعيم والمؤرّخ.

وأول هذه القواسم هي المولد والنشأة:

ـ الزّعيم السَّعداوي وُلِدَ في الخُمس سنة 1884م ونشأ فيها، وتحصَّل على تعليمه الأول في الكُتَّاب. ثم دخل معترك الحياة وهو لا يزال يافعاً، وتولَّى قيادة الكفاح ضد الإيطاليين في جبهة ساحل الأحامد وهو في سنّ السّابعة والعشرين[2].

ـ المؤرّخ محمد مسعود فشيكة وُلِدَ في مصراته سنة 1904م بقرية الشّواهدة، وتعلّم القرآن في الكُتَّاب بقرية الزّعابة، وبعد ذلك دَخَل المدرسة[3] الابتدائيّة.

ـ وبعد المولد والنشأة الأولى تأتي محطات الهجرة والعودة للوطن لكلّ من الزّعيم والمؤرّخ، وهو ما يتضمنه العنصر الثاني.

---

(1) محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة وثائق تحريرها واستقلالها، الجزء الأول 1945 ـ 1947م، المجلد الأول، القاهرة، مطبعة الاعتماد، 1957م.

(2) محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، مرجع سابق، ص387.

(3) محمد مسعود فشيكة، رمضان السويحلي، مرجع سابق، ص323.

*** العنصر الثاني ـ مسارات الهجرة والعودة للوطن:**

لقد اتّفق كلّ من الزّعيم والمؤرّخ في مسارات الهجرة من الوطن والعودة إليه؛ حيث قَصَد كلّ منهما في هجرته الأولى أو المسار الأول تركيا، ثم بلاد الشّام، ومصر كانتا المسار الثاني، ثم العودة إلى الوطن، الزعيم السعداوي هاجر إلى تركيا مع من هاجر من أبناء بلاده وكان ذلك في سنة 1912م.

وقد كانت الهجرة إلى تركيا هي المقصد الأول للمؤرّخ محمد مسعود؛ حيث هاجر مع التُّرك إلى بلادهم في بعثة دراسيّة سنة 1911م.

وفي سنة 1926 عاد السَّعداوي إلى طرابلس، وكان قد هاجر إلى دمشق عام 1923م، واتّخذ من دمشق مقراً لنشاطه، وأسَّس بها مع زملائه في المهجر (جمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوي بالشام)[1]، واستطاع أن يشن حرباً على إيطاليا أطلق عليها (حرب الأقلام)، وقد انشغل بحالة سوريا التي كانت تحت الانتداب الفرنسي كانشغاله بوطنه، وفي ذلك العهد عمل السّعداوي مستشاراً للحكومة في عهد أحمد نامي بك.

في سنة 1914م أثناء الحرب العالمية الأولى انتقل المؤرّخ إلى دمشق، وفي سنة 1918م في عهد الأمير فيصل التحق المؤرخ بدوزة فنيّة للبرق والهاتف واجتاز الإمتحان التطبيقي في هذه الدورة بنجاح، وأُرسل في بعثةٍ فنيّة إلى شرق الأردن، وإثر عودته عُيِّن موظفاً في المكالمات الهاتفيّة بوزارة الحربيّة.

وفي عهد الانتداب الفرنسي على سوريا 1924م عُيِّن المؤرّخ مأموراً في دوما للخطوط والمراكز الهاتفيّة بقضائها (قائم مقام قضاء دوما) أيام متصرفها رفعت بك الأيوبي[2].

---

(1) محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، المجلد الثاني، مرجع سابق، ص529.

(2) محمد مسعود فشيكة، رمضان السويحلي، مرجع سابق، ص327.


قضاء دوما

السيد محمد سعود ... مأموراً على هواتف قضاء دوما وقد برهن في كل مدة استخدامه ...

... لشؤون الوظيفة ... الانتباه والدقة التامة والأمر الذي ...

... رؤسائه وتقديرهم لخدماته ... وحسن الأخلاق والآداب ...

... وظيفته اعتباراً من ١ كانون ثاني ... أعطي له هذه الوثيقة ...

١ كانون ثاني

قائم مقام قضاء دوما

(شهادة من قضاء دوما للمؤرّخ سنة 1923م)

وتُعدُّ مصر هي القاسم المشترك الثالث لمسارات هجرة الزّعيم والمؤرّخ. ففي مصر أَسّس السّيد السعداوي أول هيئة نظاميّة في المهجر للدفاع عن قضية الوطن، وقد امتدّ نشاط هذه الهيئة إلى بُلدانٍ أخرى شملت سوريا، ولبنان، وفلسطين، والحجاز، والهند، وتونس، والجزائر[1].

وقد استمرّت الصِّلاتُ بين الزَّعيم السَّعداوي وبين مواطنيه المجاهدين، واعتمدت الهيئة الطرابلسية برنامجاً يحمل عنوان (مذكرة في القضية اللّيبيّة شرح ومطالب) وكان مطلب الحصول على استقلال ليبيا هو أولها.

---

(1) محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، المجلد الأول، مرجع سابق، ص296.

المؤرّخ قَصَدَ مصر في سنة 1926م لمواصلة تعليمه وتقوية تحصيله، وانتسب للأزهر برواق المغاربة، وفي السنة الأولى لوصوله مصر تحصّل على الشهادة الابتدائيّة النّظاميّة للأزهر من الخارج. وتقدّم بعدها لثانوية الأزهر النّظامي.

وفي سنة 1935م حَصَل المؤرّخ على شهادة التّخرج من دار العلوم متفوقاً، وقد نوّهت عنه أمهات الجرائد المصريّة ومنها جريدة البلاغ الوفديّة، والأهرام في عددها المؤرّخ يوم 19 أكتوبر 1935م، ونَشَرت صورته باعتباره أول ليبي يحوز هذه الشّهادة العلميّة[1]. وبعد تخرّجه اشتغل في التّعليم الحر بمدارس القاهرة، واختاره صديقه السّيد ولي الدِّين آل أسعد رئيس البعثة السّعوديّة بالقاهرة أستاذاً ممتازاً لفريقٍ من طُلاّبها الوجهاء[2]. وبعد هذه المسارات كانت العودة إلى الوطن قاسم مشترك بين الزَّعيم والمؤرّخ.

*** العنصر الثالث ـ العودة للوطن والجهود في بنائه:**

في سنة 1948م عاد الزَّعيم السَّعداوي إلى الوطن وبدأ في طرابلس استكمال دوره النضالي لتحقيق الوحدة الوطنيّة وتجميع القوى السَّياسيّة تحت هدفٍ واحد لتحقيق الاستقلال. ولقد وثّق المؤرّخ هذا الدّور الذي قام به الزّعيم في الجزء الثاني من مؤلَّفه تاريخ ليبيا العام، والذي كان الزَّعيم قد انتظر صدوره بالقول في خطابه للمؤرّخ: (وإنا لمنتظرون ظهور الجزء الثاني من هذا التَّاريخ القيِّم قريباً بعون الله).

وكتب المؤلِّف في الكتاب عن حالة ليبيا في عهد الإدارة البريطانيّة بعد زوال الاحتلال الايطالي وبداية تأسيس الأحزاب السياسية في برقة وفي طرابلس، وفي مدينة طرابلس تكونت أحزاب سياسيّة عِدّة منها الكتلة الوطنية الحرّة، والحزب الوطني، والجبهة الوطنية المتحدة، وافتتحت كلها فروعاً في المراكز الرّيفيّة، إلاّ أن الأحزاب الطرابلسية أصابها شيء من الاختلافات على الأساليب العملية لتحقيق الهدف، ولكن بعودة الزعماء المهاجرين

---

(1) محمد مسعود فشيكة، رمضان السويحلي، مرجع سابق، ص330.

(2) محمد بن مسعود، كأنك معي في طرابلس وتونس، طرابلس الغرب، مطبعة ماجي، 1935م، ص32.

وهم: الزعيم بشير بك السعداوي، وعون بك سوف، وأحمد بك السويحلي، ومنصور بك بن قدارة، والضابط محمد غالب بك الكيب، وغيرهم، استطاعوا بما لهم من أسبقيّة في التّضحيات والجهاد أن يؤلّفوا بين القلوب، واتّحدت بهم الآراء والمساعي[1].

وفي سنة 1935م عاد المؤرّخ محمد مسعود فشيكة إلى الوطن بعد غيابٍ دام نحو أربعة وعشرين سنة في رحلة طلب العلم. وبعد العودة بدأ جهوده في التّعليم والتأليف وأداء الوظائف المُسندة إليه. وفي مجال التعليم عُيِّن عقب عودته أستاذاً في المدرسة الإسلاميّة العليا بمدينة طرابلس، وكانت الدراسة في المدرسة الإسلاميّة جامعة بين المنهج الثّانوي المصري في أهم مقرّراته العلميّة والاجتماعيّة، ومضافاً إليها اللّغة الإيطاليّة.

وفي الفترة الواقعة بين سنتي 1946 ـ 1948م عَمِل بالتدريس في مدرسة طرابلس الثانوية، ومن ضمن جهوده التعليمية عُيِّن مديراً لمدارس مصراتة سنة 1944م، في زمن الإدارة البريطانية بطرابلس.

أما جهوده في مجال التأليف فكان أولها مؤلّفه في سنة 1948م «تاريخ ليبيا العام من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر» في جزأين، وهذا الكتاب كما سبقت الإشارة قرّرته إدارة المعارف للمرحلة الابتدائية. ثم توالت مجهوداته في التأليف لكتب التاريخ، والجغرافيا، والتربية الوطنية، والنحو والتي وصل عددها إلى ما يقرب العشرين كتاباً.

لقد تولّى المؤرّخ عدداً من الوظائف، فقد عُيِّن مفتشاً عاماً للمواد الاجتماعية، كما تولّى إدارة التعليم الحر في ليبيا، وكانت تتبعه مدارس ثماني جاليات أوروبيّة أكبرها الإيطالية، وتضم في مجملها اثني عشر ألف تلميذٍ وتلميذة، وكان للمؤرّخ دوراً وطنياً في تنفيذ القانون الخاص بالتعليم الحر[2]، وتطبيق أهم شروطه في تدريس اللّغة العربيّة، وتاريخ وجغرافيّة البلاد في المدارس الأجنبيّة.

(1) محمد بن مسعود، تاريخ ليبيا العام من القرون الأولى إلى العصر الحاضر، الجزء الثاني، طرابلس الغرب، مطبعة ماجي، 1950م، ص166.

(2) محمد مسعود فشيكة، رمضان السويحلي، مرجع سابق، ص337.

ولقد كان للمؤرّخ مشاركات في المؤتمرات العلميّة والتربويّة، ومَثَّل ليبيا في عـددٍ منها، مثل مؤتمر منظمة اليونسكو الذي انعقد في الاسكندرية 1965م. كما شارك في أعمـال اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية في العام نفسه. كما مَثَّل ليبيا أيضاً في الموسم الثالـث للكتاب العربي في مدينة الرباط 1965م.

مستعجلين اياها الوفاء بما وعدت من حرية واستقلال ، واستلمت هذه المطالب اللحة وبقيت على تسويفها الاول وتناقشها المل ، وحينئذ انفجر استياء الليبين وتذمرهم بثوران نفسى كبير ، فوقعت بنواحى فزان قلاقل احدثت سراعا ، وجرت فى كل من برقة وطرابلس مظاهرات سياسية صاخبة وتفاقمت بعضها حتى اصطدمت برجال الامن وحماة القانون ، وكانت احداها فى مدينة طرابلس راجعة فى الحقيقة لاسباب خارجية وهى مشكلة فلسطين ، وقعت يوم ٤ فبراير ١٩٤٥ وعرفت بحادثة اليهود ، ومات فيها وجرح بعض من السكان العرب واليهود ، واتضح انها كانت وليدة الجهل المطبق ، ولم يشترك فيها عقلاء الطرفين بتاتا ، بل اوجبت سخطهم وتبادروا لخصومها فورا كما ان الحكومة احالت المذنبين للقضاء العسكرى ، فعوقب اناس وابرىء آخرون ، وفى اثناء هذه السنة ١٩٤٥م، عمت الامطار الوابلة القطر الليبى، حتى جاء وادى المجنين الى مدينة طرابلس بسيل عرم ، واحدث للناس اضرارا جسيمة فى المواشى والمغروسات والمنازل ، وتعطلت به طرق المواصلات مع الدواخل ، ثم بقى متدفقا فى شوارع العاصمة مدة يومين ، وكانت حقا سنة خصبة ، وذات محصول فائق ، غير انه (لكل شيء اذا ما تم نقصان فلا يغير بطيب العيش انسان) فبعد سنتين من هذا الخصب وقعت البلاد الطرابلسية فى جفاف شامل ، هلكت به المواشى ونزح كثير من الاهالى الى برقة المطيرة ، وعظم البؤس واشتد الاحتياج الاليم الى ان امتلأت مدينتى طرابلس وبنغازى بطلاب الاحسان ، وجميع هؤلاء من الذين تركوا اراضيهم العطشة ، وتداركت ادارة طرابلس العسكرية تخفيف الوطاة ، بجلبت من الخارج كميات وافرة من الحبوب ، فصرفتها للفلاحين اللازومين باعتبارها سلفة لحين ايسارهم ، واقام الفيوررون بتاييد الحكومة ملاجىء للفقراء فى مختلف الجهات ، وساهمت مصر المفضالة وبتوجيهات ملكها المحبوب جلالة

مظاهرات وحوادث

سيل المجنين

سنتا الجفاف



صورة الزعيم بشير بك السعداوي رئيس المؤتمر الوطني الطرابلسي حين شبابه

— ١٩٧

(صورة الزّعيم السّعداوي في كتاب تاريخ ليبيا العام - الجزء الثاني)

* * *

4 ـ القيم الوطنيّة والعلميّة في خطاب الزّعيم (تحليل اجتماعي معاصر):

لقد تبيَّن من مضمون الخطاب في إطار سياقه التاريخي (أي تاريخ تأليف الكتاب وتلقِّي خطاب الزَّعيم) حضور الوطن والعِلْم، وتَجسَّد الوطن في الاعتزاز والفخر الذي عَبَّر عنه الزعيم بمجهود أحد أبنائه الذي حمل على عاتقه مسؤولية وواجب التأريخ للوطن وتسجيل تاريخه، كما تَجسَّد الوطن في أن المؤرّخ قام بهذا العمل بعد أن قضى سنواتٍ طويلة في تلقي وتحصيل العِلْم، وجاءت كلمات الخطاب بالقول (وأملنا وطيد في أن يحذو حذوكم أبناؤنا الأعزّاء من أهل الثقافة والعِلْم) فتأليف الكتاب لم يكن عملاً سهلاً في تلك الفترة، ولكنّ المؤرّخ أحسّ بالفراغ ونقص المؤلّفات، واعتبر أنه من النقيصة والتّقصير أن يُسدّ بتكليف الكُتَّاب غير اللّيبيين بالكتابة في تاريخ ليبيا وجغرافيتها، وما يتّصل بمادة التربية الوطنية، أو بجلب الكتب والمقرّرات الاجتماعية من الأقطار الشقيقة[1]. وقد أوضح الخطاب معاني التقدير والفخر بجهود أبناء الوطن وما قدَّموه للأجيال.

إن قراءة الخطاب في السياق التاريخي أظهرت هذه المعاني للوطن والعِلْم، وهو ما يُمكن التعبير عنه بقيم الوطن وقيم العِلْم، وقد اختارت الباحثة أسلوب التحليل الاجتماعي من منظورٍ معاصر لمناقشة هذه القيم.

وتُعْرَف القيم بأنها ظاهرة معنوية لها أهميتها في سلوك الأفراد وفي استمرار المجتمع وتغيره، ولقد حظى موضوع القيم باهتمام علماء الاجتماع، ويرجع هذا الاهتمام إلى أيام العالم المشهور ابن خلدون؛ حيث يؤكِّد على أهمية الدِّين في تأكيد واستمرار التعاون والتنافس من أجل بقاء الجماعة[2]. وتُصنّف القيم إلى عددٍ من المسميات، ومنها على سبيل المثال القيم الغائيّة، والقيم الوسيلة، والقيم الماديّة، والقيم المعنويّة.

(1) محمد مسعود جبران، الاستاذ محمد بن مسعود فشيكة 1904 ـ 1990م، كلمات في تأبينه وبيان آثاره، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1998م، ص118.

(2) ياسين علي الكبير، النسق القيمي، إطار نظري ومنهجي لدراسة التغير الاجتماعي، مجلة الفكر العربي، العدد 19، يناير 1981م، ص26.

والقيم الغائيّة تتعلّق بالأهداف والغايات التي يَسْعَى الفرد أو المجتمع للوصول إليها، أما القيم الوسيلة فهي الأساليب المقبولة اجتماعياً للوصول إلى القيم الغائية. والقيم في عمومها ظاهرة تتشكّل في المجتمع وتؤثّر في ما يَحْدُث به من تغيّر اجتماعي، كما أن القيم تُعدُّ موجهّات لسلوك الأفراد وتبدو في تصرفاتهم وأفكارهم ومعتقداتهم، التي ممّا لا شك فيها مؤثّرة في المحيط الاجتماعي الذي ينتمون إليه. ولذلك فقد استخدم بعض علماء الاجتماع القيم الثقافية والعقائد الدِّينيّة التي يشترك فيها الأفراد لتفسير نشأة السلوكيات الجماعية بين الأفراد، رغم اختلاف شخصياتهم على عدة مستويات[1]. وبذلك اعتبروا أن هذه القيم قد تُشكِّل أرضيّة للتضامن الاجتماعي بين الأفراد.

تُعدُّ قيم الوطن، وقيم العِلْم من الدروس المستفادة من الوثيقة التّاريخية (خطاب الزّعيم السَّعداوي)، فالوطن يضم كل معاني القيم في النّضال والكفاح من أجل أرضه وسمائه وخيراته وقيمه ووجوده، ولقد ناضل الزّعيم السَّعداوي من أجل تحقيق وحدة وترابط نسيجه الاجتماعي، وتَحقّق حلم الاستقلال.

والعِلْم يضم كل معاني القيم في التّعليم، والتّحصيل، والتّدريس، والأمانة، والتأليف، وما يرتبط بها من مكانة المُعلّم وعلاقته بالمتعلّم (المُدرِّس، الطّالب) والمنهج والمتعلّمين، وقد أوضح الخطاب هذا الدّرس من خلال تقديره للمؤرّخ وقيمته العلميّة.

وتُعدُّ هذه الدروس المستفادة مصدراً لتنفيذ رؤية ليبيّة معاصرة في معالجة أزمة الوطن وأزمة العلم، وذلك من خلال المقترحات التالية:

المقترحات والتوصيات

1 ـ تنشيط الذّاكرة الاجتماعيّة الوطنيّة لإعادة تماسك النّسيج الاجتماعي.

2 ـ العمل على تفعيل التّواصل بين الأجيال وتحديث الذّاكرة الوطنيّة.

---

(1) محمود الذوادي، الثقافة بين تأصيل الرؤية الإسلامية واغتراب منظور العلوم الاجتماعية، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2006م، ص51.

3 ـ التأكيد على أهمية دور الدَّولة في الرّفع من قيمة العِلْم.

4 ـ المطالبة والتّأكيد على أهمية دور الدّولة في التّقدير المادّي والمعنوي لروّاد التّعليم في ليبيا.

5 ـ إعادة النظر في محتوى المناهج الدّراسيّة في مجال التّربيّة الوطنيّة والتّاريخ، وتضمين مفهوم الوطن ضمن موضوعاتها.

6 ـ إعادة قراءة التاريخ الليبي في أقسام التاريخ في الجامعات الليبية ومؤسسات البحث العلمي، بما يمكن من الاستفادة منه في الرؤية المعاصرة.

❑❑❑

المصادر والمراجع

1 ـ أحمد زايد وآخرون: رأس المال الاجتماعي لدى الشرائح المهنية من الطبقة الوسطى، القاهرة، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، 2006م.

2 ـ دليل المؤلفين الليبيين منذ الفتح الإسلامي لليبيا حتى سنة 1976م، أمانة الإعلام والثقافة [سابقاً]، 1977م.

3 ـ رأفت غنيمي الشيخ: تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة، طرابلس، دار التنمية للنشر والتوزيع، 1972م.

4 ـ علي الهادي الحوّات: التعليم والمعرفة والتنمية، دراسات في المجتمع العربي، منشورات الجامعة المغاربية، 2007م.

5 ـ عمر التومي الشيباني: دور التربية في بناء الفرد والمجتمع، طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، 1983م.

6 ـ ليونارد أبلتون: سياسة التعليم الإيطالي إزاء العرب الليبيين 1911 ـ 1922م، ترجمة: عبد القادر المحيشي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1999م.

7 ـ محمد بن مسعود: معالم ليبية، 1968م.

8 ـ محمد بن مسعود: مراحل العصور الليبية، طرابلس الغرب، مطبعة ماجي، 1950م.

9 ـ محمد بن مسعود: تاريخ ليبيا العام من القرون الأولى إلى العصر الحاضر (الجزء الأول)، طرابلس الغرب، المطبعة العسكرية البريطانية، 1948م.

10 ـ محمد بن مسعود: تاريخ ليبيا العام من القرون الأولى إلى العصر الحاضر (الجزء الثاني)، طرابلس، مطبعة ماجي، 1950م.

11 ـ محمد بن مسعود: كأنك معي في طرابلس وتونس، طرابلس الغرب، مطبعة ماجي، 1953م.

12 ـ محمد الطاهر الجراري (تحرير): المجتمع الليبي 1835 ـ 1950م، أعمال الندوة العلمية الثامنة التي عُقدت بالمركز في الفترة من 26 ـ 27/ 9/ 2000م، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2005م.

13 ـ محمد فؤاد شكري: ميلاد دولة ليبيا الحديثة، وثائق تحريرها واستقلالها، الجزء الأول، مطبعة الإعتماد، 1957م.

14 ـ محمود الذوادي: الثقافة بين تأصيل الرؤية الإسلامية واغتراب منظور العلوم الاجتماعية، دار الكتاب الجديد المتحد، بيروت، 2006م.

15 ـ مقدمة العلاّمة ابن خلدون: تحقيق: حجر عاصي، دار الهلال، بيروت، 1991م.

16 ـ نيكولاي إيليتش بروشين: تاريخ ليبيا في العصر الحديث، منتصف القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، ترجمة: عماد حاتم، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2005م.

❐ ❐ ❐

الجمعيّة التّنفيذيّة الطّرابلسيّة ـ البرقاويّة في سوريا بقيادة بشير السَّعداوي ودورها في النّضال ضد الإيطاليين (1925ـ1931م)

د. المبروك محمود صالح
كليّة الآثار والسّياحة ـ جامعة طبرق

كان بشير السَّعداوي جزءً لا يتجزأ من مجريات الأمور السياسية والعسكرية في البلاد. إلاّ أن انهيار المقاومة الشعبية ضد الاستعمار الإيطالي ورحيل العثمانيين من حكم البلاد إثر توقيع اتفاقية لوزان 1912م، وذلك إلى جانب قيام بعض الزعماء الليبيين بمفاوضة الإيطاليين الذين أقنعوهم بتطبيع العلاقات معهم؛ كل ذلك دفع ببعض الأُسر الليبية ومن بينهم أسرة السَّعداوي وبعض زعماء الجهاد إلى الهجرة إلى خارج الوطن، فاختاروا الهجرة إلى بلاد الشام؛ حيث استقبلهم الوالي ناظم باشا وأمَّن لهم إقامة طيبة منذ عام 1912م.

تركّز الثّقل الأكبر للمهاجرين الليبيين في مدينة دمشق، محاولين تكوين جبهة موحدة تتولّى مهمة الدّفاع عن الوطن المحتل بالوسائل السياسية والإعلامية المتاحة، في محاولةٍ لاستنهاض هِمم الليبيين المهاجرين إلى بلاد الشام، والأشقّاء العرب، للوقوف إلى جانب إخوانهم الليبيين الذين شرّدهم الاستعمار الإيطالي واحتلّ بلادهم.

تكمن أهمية الموضوع في إبراز نضال بشير السَّعداوي ضد الاستعمار الإيطالي لليبيا، من خلال انشائه اللجنة التنفيذية الطرابلسيّة ـ البرقاويّة في بلاد الشّام، إلى جانب جهوده السّياسيّة الأخرى ومكانته الرَّفيعة بين قادة التَّحرّر الوطني، بسبب نشاطه السّياسي المتعدّد في مختلف جهات الوطن العربي، وبقي شخصاً فاعلاً على مختلف الأصعدة حتى وفاته، عليه كان من الواجب تسليط الضّوء على ذلك المناضل الوطني في تلك الحقبة من تاريخ البلاد.

يهدف هذا البحث إلى الإجابة عن مجموعة التساؤلات الآتية: ما هي العوامل التي دفعت بشير السَّعداوي وبعض زعماء المقاومة الليبية للهجرة إلى بلاد الشام؟ وكيف تم تأسيس اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية ـ البرقاوية؟ وما هي أهم بنود ميثاقها الوطني؟ وما هو أبرز نشاطها؟ وما كان موقف أعضائها مما ارتكبه الاستعمار الإيطالي من فظائع بحق المواطنين الليبيين؟

ولتوضيح الموضوع فقد تم تقسيم البحث إلى المحاور التالية:

أولاً: العوامل التي دفعت السعداوي للهجرة إلى بلاد الشام.

ثانياً: تأسيس اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية ـ البرقاوية.

ثالثاً: نشاط اللجنة التنفيذية (1928 ـ 1931م).

* * *

*** أولاً ـ العوامل التي دفعت السَّعداوي للهجرة إلى بلاد الشام:**

غادَرَ بشير السَّعداوي البلاد عن طريق البحر من ميناء الخُمس في نوفمبر عام 1911م، متجهاً إلى بلاد الشام ومنها إلى اسطنبول التي وصلها عام 1913م، في ظروفٍ صعبة بسبب الحروب البلقانية وتغيّر الحكومات. لذلك غادرها متجهاً إلى بيروت محل إقامة أسرته بعد الهجرة؛ حيث أقام هناك لمدة ثلاثة أشهر ليعود بعدها إلى اسطنبول في أواخر سبتمبر 1914م[1].

وعندما طلبت منه الحكومة العثمانية حثّ أهل طرابلس مشاركتها في حربها ضد الحلفاء، كان ردّ السَّعداوي بأن الطرابلسيين يجب أن يحاربوا إيطاليا التي تحتلّ بلادهم. بعد ذلك تم تعيين السَّعداوي قائم مقام لينبع البحر في الحجاز التي وصلها عام 1915م، وكان الشريف حسين بن علي أمير مكة وقتئذ يقود ثورة ضد الأتراك التي لم يَرْض عنها

(1) محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، وثائق تحريرها واستقلالها، مطبعة الاعتماد، القاهرة، ج1، م2، 1957م، ص400، 406، 407.

السعداوي لولائه للدولة العثمانية، وبذلك دافع عن ينبع البحر حتى سقطت في 24 يوليو 1916م، وبقي بعدها متخفياً حتى غادرَ الحجاز إلى دمشق مقر القيادة العثمانية، لكنه لم يمكث هناك طويلاً حتى تم تعيينه قائم مقام في متصرفيه جبل لبنان في يناير 1918م[1].

ومع ذلك كان على السّعداوي أن يغادر لبنان؛ لأنه رفض أن يكون في خدمة الإنجليز والفرنسيين بعد سقوط لبنان وفلسطين وطرد الأتراك منهما، فاتّجه إلى اسطنبول. وحاول هناك الاتفاق مع أحمد الشريف لإقناع الأتراك بطرح قضية طرابلس الغرب في مؤتمر الصُّلح في فرساي بباريس، وتشكيل وفدٍ ليبي لإثارة هذه القضية هناك بعد هدنة (مودروس) التي قضت بوقف القتال بين الأتراك والحلفاء. إلاّ أنه فشل في تلك المحاولة. فعاد إلى بيروت في يوليو 1920م، وتدارس الأمر مع أخوه نوري السعداوي، فقرّرا مواصلة الجهاد من أرض الوطن، فغادر بيروت إلى ليبيا متجها إلى مدينة الخُمس ليقوم بترتيبات الصُّلح بين زعماء القبائل، لا سيما بعد نشوب الحرب الأهلية التي أسفرت عن مقتل المجاهد رمضان السويحلي في 24 أغسطس 1920م، وعلى إثر ذلك انعقد مؤتمر غريان عام 1921م، والذي انتخب حكومة وطنية سُميت (هيئة الإصلاح المركزية) برئاسة أحمد المريّض. وانتُخب بشير السّعداوي عضواً فيها، كما انتُخب أخوه نوري السّعداوي في الوفد الذي تقرّر إرساله إلى روما لمطالبة الحكومة الإيطالية بتنفيذ قرارات مؤتمر غريان، ولكن الوفد عاد دون تحقيق أية نتائج[2].

ثم كان على السّعداوي الإصلاح بين الفرقاء المتقاتلين في منطقة الجبل الغربي، على أثر هجوم الرّجبان والزّنتان على البربر في يفرن في أكتوبر 1921م، فتمّت المصالحة بينهما في منتصف عام 1921م، وذلك من أجل إفشال المخطط الإيطالي (فرق تسد). فعملت إيطاليا بعد ذلك على إجهاض القرارات التي نتجت عن مؤتمر قصر سرت في 21 يناير 1922م، والذي أقرّ مبايعة أميرِ مُسلم ترضاه الأمة لحكم البلاد، فأرسلت هيئة الإصلاح

(1) المرجع نفسه، ص462 ـ 464.

(2) وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف أحمد المريّض رقم 3، وثيقة رقم 19.

وفدًا برئاسة بشير السعداوي لمقابلة حكومة إدريس السنوسي في أجدابيا للمبايعة بالإمارة(1).

وعاد بعدها إلى مصراتة، ونادى بالبيعة للأمير السنوسي؛ حيث كَتَب نصّ وثيقة البيعة وقام بعرضها على هيئة الإصلاح فنالت الموافقة. واحتوت تلك البيعة على منح السُّلطات الثلاث الدينية والسياسية والعسكرية للأمير، وحمل كتاب البيعة مستشار هيئة الإصلاح (عبد الرحمن عزّام) ومعه السَّعداوي فوصلا اجدابيا في نوفمبر 1922م، وهو العام نفسه الذي تولّى فيه الحزب الفاشستي حكم إيطاليا بقيادة (موسوليني)(2).

أخذ السَّعداوي عهداً من البرقاويين لمشاركة إخوانهم الطرابلسيين للجهاد ضد إيطاليا، وغادر بعدها اجدابيا في 9 مارس متجهاً إلى مصر بعد أن حَكمت عليه الحكومة الإيطالية بالإعدام في العام نفسه. فأقام هناك حتى أبريل 1924م؛ حيث تَرَك مصر لأن القنصلية الإيطالية طلبت تسليمه إليها، وخيّرتهم مصر بين التّجنس بالجنسيّة المصريّة أو الخروج منها، فطلب بشير السَّعداوي من السُّلطات المصريّة مَنْحه وثيقة سفرٍ للهجرة إلى بيروت؛ حيث يُقيم شقيقه الأكبر محمد نوري السَّعداوي، فمنحته السُّلطات المصريّة وثيقة سفر، وغادر ميناء الإسكندرية البحري متوجهاً إلى بيروت فوصلها في شهر مايو 1924م. وفي بيروت تقابل مع أسرته وتباحث مع شقيقه الأكبر في أوضاع الوطن المحتل، فأشار عليه بالتوجّه إلى دمشق حيث تتركز أعدادٌ كبيرة للمهاجرين الليبيين هناك، فقرَّر الانتقال إليها للإقامة بها والالتقاء بباقي زعماء النضال الذين وصلوا إليها في فتراتٍ مختلفة(3). ليبدأ مرحلة جديدة من كفاحه الوطني في بلاد الشَّام. وقد أدّت عدة عوامل

(1) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، المكتبة الصوتية، مقابلة مع أحمد خليفة زارم.

(2) وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف رقم 9، وثيقة رقم 93 عن حقيقة الحرب الطرابلسية وموقف عزام منها، د. ت.

(3) المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس، شعبة الوثائق والمحفوظات، ملف الوثائق السياسية والمهاجرون الليبيون، رقم (34) و، ر، (2). موضوع عن الهجرة الليبية إلى المشرق وخاصة سوريا؛ علي زين العابدين بن موسي، ومحمد أديب الحاج، الليبيون في سوريا، دمشق: نادي عمر المختار 1952م، ص38.

إلى هجرة بشير السَّعداوي وعدد كبير من الليبيين إلى سوريا، وهي :

1 ـ خضعت بلاد الشَّام حتى عام 1918م لسُلطة الدولة العثمانية، لذلك وَصَل إليها عدد كبير من الليبيين بعد الغزو الإيطالي، وخاصّة من سكان المدن، وكان أغلبهم من الموظفين[1].

2 ـ عندما اشتدّت المقاومة الوطنية ضد القوّات الإيطاليّة في ليبيا، قامت سُلطات الاحتلال الإيطالي بالقبض على العناصر الوطنيّة من أجل منعهم من الوصول إلى معسكرات المجاهدين، وقامت بنفيهم خارج البلاد وأرغمتهم على السّفر إلى مناطق بعيدة لكي تصعب عودتهم إلى ليبيا، فوصل عدد كبير منهم إلى سواحل بلاد الشّام.

3 ـ بخضوع مصر للاستعمار الإنجليزي اختار الليبيون الهجرة إلى بلاد الشّام، وتونس، التي خاضعت للاستعمار الفرنسي، والذي كان في تنافس مع الإيطاليين للسيطرة على الدول العربية.

4 ـ غادرت مجموعة كبيرة من الليبيين الذين كانوا يعملون في اسطنبول، أو دَرَسوا بها إلى بلاد الشام، بعد أن حالت الحرب في ليبيا دون رجوعهم للوطن، لا سيما بعد انقلاب مصطفى كمال، وما نجم عنه من إلغاء الخلافة وإعلان الجمهورية، كما تَرَكت مجموعة أخرى الحجاز بعد إعلان ثورة الشريف حسين عام 1916م، وجاؤوا إلى بلاد الشام[2].

إلى جانب هذه العوامل كان لدى بشير السَّعداوي دافعٌ آخر جعله يغادر بيروت ويستقر في سوريا، وهو علاقته القويّة برجال الحركة الوطنية في بلاد الشام. ومن بينهم «أحمد نامي» الذي تعرّف عليه في بيروت عن طريق مهاجر طرابلسي يُدعى الدكتور «رجب فردي»، وقد أصبح أحمد نامي فيما بعد رئيساً للحكومة الوطنية السوريّة تحت الانتداب الفرنسي

---

(1) علي زين العابدين بن موسى، قصة شعب، نادي عمر المختار، دمشق، 1955م، ص100.

(2) تيسير بن موسى، كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام (1925 ـ 1950م)، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1983م، ص31 ـ 32.

في 26 أبريل 1926م، وَطَلب من بشير السَّعداوي أن يكون مستشاراً له، فوافق على ذلك؛ حيث تولّى المهمة حتى سقوط حكومته في 28 فبراير 1928م، التي لم تستطع إقناع الفرنسيين بتلبية المطالب الوطنية، في ظل وجود معارضة شديدة من قبل الحكومة الفرنسية(1).

بالرّغم من سقوط تلك الحكومة؛ إلاّ أن بشير السَّعداوي مارس نشاطه الوطني بطريقةٍ سِرّية؛ ناهيك عن تعاونه مع الحركة الوطنية السُّوريّة منذ اندلاع ثورة عام 1925م، واستمرّ في نشاطه حتى استطاع بمعاونة بعض المهاجرين اللّيبيين في سوريا تأسيس اللجنة التنفيذية للجاليات الطّرابلسيّة البرقاويّة(2). وحرَّض الوطنيين على الكتابة في الصُّحف والمجلاّت للمطالبة بحقوق الشَّعب في التّخلص من الاستعمار(3).

***

* ثانياً ـ تأسيس اللّجنة التنفيذيّة للجاليات الطّرابلسيّة ـ البرقاويّة:

في عام 1925م دعا بشير السَّعداوي لعقد اجتماع حضره زعماء الجالية الليبية في مدينة دمشق بمنزل «فوزي النّعاس»، وهو أحد المهاجرين، بهدف تأسيس لجنة تنفيذية سياسية تحثُّ على النضال ضد الاحتلال الإيطالي لليبيا، وذلك في الذِّكرى الرابعة عشر لإعلان إيطاليا الحرب على ليبيا، وكان من بين الحاضرين: أحمد راسم، وناجي التّركي، ومنصور قدارة، وعبد السلام أدهم، ومصطفى بن نوح، وعمر فائق شنّيب، وحسين ظافر بن موسى، وأديب الحاج، وطارق الأفريقي، وحسن البوصيري، وعبد الغني الباجقني، وأبو بكر التركي، وصلاح القابسي، وأبو بكر قدورة، وفهمي الحشاني، ومحمد دريبيكة، وغيرهم. وقد اعتبر المجتمعون أنفسهم هيئة تأسيسيّة لجمعية تَجْمع

(1) محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص599، 613، 628؛ وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف شكري فيصل رقم 14، الظّرف الرابع، وثيقة رقم 98 بتاريخ 29 أبريل 1926م.

(2) محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص510، 643.

(3) إبراهيم أحمد أبو القاسم، المهاجرون الليبيون بالبلاد التونسية (1911ـ 1957م)، مؤسسة عبد الكريم بن عبدالله، تونس، 1992م، ص22.

كل قوى الجاليّة اللّيبيّة، من أجل مواجهة سياسة إيطاليا في ليبيا[1].

كما اتّفق المجتمعون على أن يكون اسم اللجنة هو «اللّجنة التّنفيذيّة للجاليات الطّرابلسيّة البرقاوية». وبدأ «فوزي النعاس» بالاتصال بجميع أفراد الجالية الليبية الذين أمدّوا الصحف السورية والعربية بأخبار الجهاد الليبي، وأساليب إيطاليا الاستعمارية التي كانت تُمارسها في ليبيا، وكانت هذه الأخبار تُوقَّع باسم الجالية الليبية في سوريا، واستمرّ هذا النشاط السياسي والاجتماعي بشكلٍ سري حتى عام 1928م؛ حيث قرّر أعضاء اللّجنة التّنفيذيّة وضع ميثاقٍ وطنيٍ لها[2]، كانت أهم بنوده:

1 ـ تشكيل حكومة مستقلّة ذات سيادة في طرابلس وبرقة.

2 ـ دعوة جمعية تأسيسية لتسن دستوراً للبلاد.

3 ـ العناية بالأوقاف وإدارتها من قبل لجنة إسلاميّة مُنتخبة.

4 ـ أن تَنْتخب الأمة مجلساً نيابياً يقرّره الدّستور.

5 ـ المحافظة على شعائر الدِّين الإسلامي وتقاليد السُّكان في جميع أنحاء البلاد.

6 ـ تحسين العلاقات بين ليبيا وإيطاليا بموجب معاهدة يعقدها الطّرفان ويُصدِّق عليها المجلس النيابي[3].

اختار المجتمعون بشير السَّعداوي رئيساً للّجنة التي أصبحت المُمثّل الشَّرعي للشعب الليبي والمتحدّثة باسمه، متحملة مسؤولية إدارة كفاح المهاجرين الليبيين في بلاد الشّام، كما أنها وضعت حداً بين مرحلة العمل الفردي للقضيّة الوطنيّة، وبين مرحلة العمل الجماعي المُنظّم للتعريف بالقضية الوطنية قومياً وعالمياً. وكُلِّف عمر فائق شنّيب أميناً لسِرّ اللّجنة،

---

(1) تيسير بن موسى، المرجع السابق، ص39، 40.

(2) المرجع نفسه، ص40، 41.

(3) نقولا زيادة، محاضرات في تاريخ ليبيا من الغزو الإيطالي حتى الاستقلال، معهد الدراسات العالمية، بيروت، 1958م، ص118؛ صحيفة الثورة، طرابلس، العدد الصادر في 13 شوال 1390هـ، الموافق 10 ديسمبر 1970م.

وحسين ظافر موسى مسؤولاً عن الدّعاية والنّشر والإعلام، وأبوبكر قدورة للاتصال بالأحزاب السوريّة وزعمائها، وفوزي النّعاس للتنظيم الإداري، وناجي التّركي للاتصال بالهيئات والمُنظّمات الدّولية، ومنصور قدراة، عن الناحية الماليّة، وصلاح القابسي للإشراف على الشّباب اللّيبي وتنظيم الحفلات والمهرجانات، وتشكيل الفرق الرياضية والكشفية[1].

كانت الأسباب التي أدَّت إلى الإعلان عن نشاط اللّجنة التّنفيذيّة كثيرة، وكان من أهمها اقتناع المهاجرين الليبيين بعدم صدق الحكومة الإيطالية في إصدارها العفو العام عن المهاجرين عام 1927م؛ حيث أرسلت عملاءها إلى البلدان كافةً التي يوجد بها هؤلاء المهاجرون للتأكيد على جديّة الوعد الفاشستي وعدالته. وعندما وَقَعَت هذه الدعاية في نفوس بعض المهاجرين الليبيين، وقرّروا العودة إلى وطنهم، ألقت الحكومة الإيطاليّة القبض عليهم وسجنتهم[2].

بدأت اللجنة التنفيذية عملها في دمشق بوضع بيانٍ موجّه إلى جميع اللّيبيين في المهجر، توضّح فيه أسباب تشكيل اللّجنة، وميثاقها الوطني الذي جاء متوافقاً مع قرارات مؤتمر غريان عام 1920م، ذلك حتى ينال موافقة كل الليبيين في داخل البلاد وخارجها، واتّفق أعضاء اللجنة على وضع خطة تحقّق من خلالها اللجنة تأييداً قومياً وإسلامياً وعالمياً، ذلك من خلال عدة أُسس، وهي:

1 ـ إجراء اتصالاتٍ مكثّفة مع الزّعماء العرب والمسلمين المناهضين للفاشست.

2 ـ الاتصال بالشعوب العربيّة عن طريق الصحافة وتوزيع مناشير توضح للرأي العام حقيقة الاستعمار الإيطالي، ويكون ذلك في المواسم الإسلاميّة العامة كموسم الحج، والمناسبات الوطنية الأخرى.

---

(1) وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف اللجان والأحزاب رقم 36، وثيقة رقم 60، د. ت.

(2) وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف أحمد زارم رقم 62، وثيقة رقم 34، د. ت.

3 ـ استخدام المساجد من أجل إلقاء الخُطب التي توضّح ما يعانيه أبناء ليبيا في ظل الاحتلال الإيطالي.

4 ـ الاتصال بالهيئات والمؤسسات العالمية، مثل عصبة الأمم المتحدة، وجمعية حقوق الإنسان من أجل الاحتجاج على ما تفعله إيطاليا من ممارساتٍ في ليبيا[1].

بدأت اللجنة التنفيذية نشاطها، معلنةً عن تشكيلها وبيان أغراضها، وكانت تُصدّر رسائلها وبرقياتها موقّعة باسم بشير السَّعداوي، الذي أصدر بياناً موجّهاً لكلّ الليبيين يُعلن فيه عن إنشاء لجنة تنفيذية للدفاع عن طرابلس وبرقة، تُناضل ضد إيطاليا وتَرَى من الضروري الاتصال بكلّ أبناء الوطن للتعاون معها، كما حَرص السَّعداوي في بيانه على إظهار الخطر الإيطالي وضرورة مكافحته، وفضح أعماله عن طريق توحيد الجهود الوطنيّة في ليبيا وخارجها، لكي تصل القضيّة الليبية إلى كل العالم[2]، وهذا ما أكّدت عليه اللجنة التنفيذيّة للجاليات الطرابلسيّة البرقاويّة في بيانها الأول الذي أصدرته عند تأسيسها، وجاء من ضمنه «إن الواجب عليكم أن تعملوا الخير لبلادكم، وذلك بتنظيم صفوفكم، وجمع كلمتكم، وأن تؤلّفوا في كلّ قُطر تسكنونه جمعية تلم شعثكم، وتجمع شملكم. . . واملؤوا الصحف بالمقالات والقضاء بالاحتجاجات، اكتبوا النشرات وقفوا للحوادث بالمرصاد، وانتهزوا الفرص، وفكروا فيما يعود على وطنكم بالنفع»[3].

* * *

ثالثاً ـ نشاط اللجنة التنفيذية (1928 ـ 1931م):

باشرت اللجنة التنفيذية عملها في الاتصال بقادة الجهاد الليبي من أجل الحصول على

(1) تيسير بن موسى، المرجع السابق، ص44.

(2) وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف رقم 36، وثيقة رقم 7، بتاريخ عام 1928م، انظر: ملحق رقم 1؛ تيسير بن موسى، المرجع السابق، ص44.

(3) نص البيان الذي أصدرته اللجنة التنفيذية عند تشكيلها، نقلاً عن تيسير بن موسى، المرجع السابق، ص175، 176.

معلوماتٍ دقيقة عن سير العمليات الحربيّة داخل البلاد، وقرّرت أن تفتح فروعاً لها في لبنان، والعراق، والأردن، وفلسطين، وتونس، وبدأ أعضاء اللجنة عملهم داخل دمشق، فكانوا يتوزّعون كل يوم جمعة على المساجد لإلقاء الخُطب من أجل إثارة الرأي العام ضد ما ترتكبه إيطاليا في ليبيا، وقاموا بتوزيع منشوراتٍ شملت كل أعمالها في جميع أنحاء سوريا، فتمكّنوا بذلك من قيادة المظاهرات المؤيدة للجهاد في ليبيا، وكان ذلك بداية لنجاح نشاط الجمعية التنفيذية في بلاد الشّام من أجل اطلاع الرأي العام على القضية الليبية، كما أعلنوا مقاطعة البضائع الإيطالية في سوريا، ولبنان[1]؛ حيث نظّموا دعاية واسعة ضد مؤسّساتهم، وطاف أعضاء اللجنة التنفيذية في أرجاء بيروت، وحثّوا المسلمين الذين لهم أولاد يَدْرُسون في المدارس الإيطاليّة إلى إخراجهم منها، الأمر الذي أثار غضب المعتمد الإيطالي هناك، فتوجّه إلى المفوضية العليا برفقة رئيس الجمعية الفاشستية في بيروت الذي كان يدير تلك المدارس، ودخلا إلى دار الحكومة اللبنانية، وقدّما احتجاجًا ضد أعمال اللجنة التي تتخذ من وسائل الضغط والإكراه وسيلة لمنع الطُّلاّب المسلمين من دخول المدارس الإيطالية، وطالبوا بوقف نشاطها على الفور[2].

وقد قام السَّعداوي بدورٍ كبيرٍ في إنجاح تلك المقاطعة ضد الإيطاليين في سوريا ولبنان، ذلك بوصفه رئيساً للّجنة التنفيذية؛ حيث حرص على تنظيم جهود كل الأعضاء لخدمة القضية الليبية، ولقد دلّت على ذلك الرّسالة التي بعث بها إلى عمر فائق شنّيب، جاء فيها: «**فقد تشرّفت بكتابك المتضمن قبولك الاشتراك في جريدة المرصاد التي اختارها الإخوان لخدمة القضية الطرابلسية... سنواصل السّير ونتابع حتى تسمح الحكومة الإيطالية بأحقية مطالبنا المشروعة وبضرورة التفاهم الذي سيكون مبنياً على**

(1) ارويعي محمد علي قناوي، الكفاح الوطني للمهاجرين الليبيين ضد الغزو الإيطالي (1911 ـ 1945م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة قاريونس [سابقاً]، بنغازي، 1999م، ص33؛ وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف رقم 36، وثيقة رقم 53، د. ت.

(2) جريدة البلاغ، العدد الصادر في القاهرة، بتاريخ 17 أكتوبر 1931م.

أساس الاعتراف بحقوقنا الطبيعية، وقد خاطبنا في هذا الصدد عموم إخواننا من الجالية الطرابلسية في جميع الآفاق، وطلبنا المعاونة الأدبية لنكون يداً واحدة في خدمة القضية، فوافتنا الأنباء منهم بالإجابة»[1].

هذا وقد استمرّ نشاط بشير السَّعداوي في اللجنة التنفيذية للجالية الطرابلسية ـ البرقاوية من عام 1928م حتى عام 1931م في عدة جهودٍ منها:

أ ـ مفاوضات اللجنة التنفيذية مع السُّلطات الإيطالية في بلاد الشَّام:

أدّى النشاط الإعلامي الذي قامت به اللجنة التنفيذية إلى احتجاج الحكومة الإيطالية لدى فرنسا من أجل إيقاف نشاطها، لا سيما بعد اشتراك اللّجنة في المظاهرات الشّعبيّة السّورية، ولكن الحكومة الفرنسية التي كانت منهمكة في مشاكلها مع الشّعب السوري لم تكن راغبة في إثارة هذا الشعب عليها، وبذلك لم تفعل شيئاً ضد نشاط اللجنة، الأمر الذي دفع بالحكومة الإيطالية إلى التفاهم المباشر مع أعضاء الجالية الليبية في دمشق، في الوقت الذي بدأت فيه بمفاوضة عمر المختار في ليبيا عام 1929م، وذلك من أجل إيقاف نشاطهم السّياسي في بلاد الشّام، وبدأت هذه المفاوضات عندما طلب القنصل الإيطالي في دمشق (اسبرانيا) الاتصال بالسَّعداوي من أجل الاجتماع به. وفي شهر يوليو 1929م، التقى الطّرفان في فندق بدمشق وحضر عن الجانب الإيطالي «اسبرانيا» وعن الجانب الوطني حضر كل من بشير السَّعداوي، وعمر فائق شنّيب، وعبد الغني الباجقني، ومنصور قدارة، وحسين البوصيري، كما حضر الاجتماع القنصل الفرنسي في بيروت، وقدَّم السَّعداوي مطالبه، التي تمثَّلت في منح البلاد الحرية والاستقلال التام، وأن توافق إيطاليا على عقد معاهدة تضمن لها مصالحها الاقتصادية. وكان رد القنصل الإيطالي على ذلك أنه سوف يُقدِّم هذه المطالب للحكومة في روما، وقام السَّعداوي بتسليمه رسالة إلى موسوليني

---

(1) وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف رقم 14، الطرف السادس، وثيقة رقم 27، بتاريخ 10 أبريل 1929م، انظر: الملحق رقم (2).

تضمنت مطالب اللجنة التنفيذية لعقد الصلح بين الطرفين[1]، والتي جاء فيها «إذا أصبحتم ترغبون في نشر لواء السّكينة والسلام على تلك الربوع، وبدأتم في مفاوضة السيد عمر المختار، فإننا نرغب وكلنا أمل في أن يكون السلام عاماً لا خاصاً ببرقة التي هي جزءٌ لا يتجزّأ من ليبيا على أسس تضمن مصالح الفريقين»[2]. إلاّ أن الحكومة الإيطالية لم ترد على مطالب اللجنة، وصرّحت عن طريق قنصليتها في دمشق أنها قادرة على البطش بأعضاء اللجنة التنفيذية إن لم يوقفوا نشاطهم المعادي لها، كما قامت بتهديد بشير السَّعداوي بتنفيذ الأحكام الصادرة ضده من قبل الحكومة بالإعدام.

وبذلك لم تأتِ المفاوضات مع إيطاليا بأي نتيجة، وكانت هذه هي آخر الاتصالات بين الجالية الليبية في بلاد الشام، وبين الحكومة الإيطالية[3].

ب ـ اتصال اللجنة بقادة الجهاد الليبي:

قرّرت اللجنة التنفيذية أن تُصدر كتاباً يكون شاملاً لكل الممارسات الإيطالية في ليبيا، من أجل اطلاع الرأي العام عليها.

ومن أجل الحصول على معلوماتٍ موثقة، قامت اللجنة بمراسلة قادة وزعماء الجهاد الليبي، وقد كَتَب هؤلاء المجاهدون خلال عامي 1930 ـ 1931م للسَّعداوي، وحملت رسائلهم الكثير من المعلومات عن الأوضاع في ليبيا، وكان من بينهم أحمد المريّض في مصر، الذي كَتَب عن أعمال إيطاليا أثناء سير العمليات الحربيّة في الجبل الأخضر[4]؛ ومحمد فكيني الذي كَتَب في نوفمبر 1930م عن سقوط فزان، وعن أوضاع المجاهدين

(1) علي زين العابدين بن موسى ومحمد أديب الحاج، الليبيون في سوريا، نادي عمر المختار، دمشق، 1952م، ص39؛ محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص647؛ اورويعي محمد علي قناوي، المرجع السابق، ص35.

(2) رسالة السَّعداوي إلى موسوليني في 2 سبتمبر 1929م، نقلاً عن تيسير بن موسى، المرجع السابق، ص177.

(3) اورويعي محمد علي قناوي، المرجع السابق، ص35.

(4) تيسير بن موسى، المرجع السابق، ص47، 191.

الذين مات العديد منهم في الصّحراء بعد المعركة؛ كما وَعَد فكيني في نهاية كتابه أن يبعث إلى بقية المجاهدين من أجل الحصول على معلوماتٍ تُفيد اللجنة في نشاطها[1].

وفي 19 فبراير 1931م، كَتَب المجاهد عبد الجليل سيف النصر للسَّعداوي عن الفظائع الإيطاليّة في الكُفرة؛ حيث قَتَل الجنود الإيطاليون النساء والشيوخ، وشربوا الخمر في المساجد، وبذلك استفادت اللجنة في منشوراتها من هذه الرسائل فكَتَبت عن الممارسات الإيطالية، وأخبار الجهاد الليبي في الكثير من الصُّحف والمجلاّت العربيّة والإسلاميّة[2].

ج ـ نشاط اللجنة خارج بلاد الشّام:

كان من أهداف اللجنة التنفيذية أن يكون لها نشاط واسع خارج بلاد الشام، إذ قام السَّعداوي بجهودٍ أخرى في نشاط اللجنة التنفيذية في جوانب مختلفة، ومنها اتصاله بالمهاجرين الليبيين في مصر للتعاون معهم وكسب تأييدهم، ولذلك أرسل إليهم كتاباً جاء فيه «**كن لنا عوناً يا أخي الفاضل في دعوة تصامت فيها الآذان واستخف بها الإخوان. . . فنحن الذين ندرك الخطر العظيم الذي أحاق بتلك الأمة، وإذا لم نعمل فعلينا أن نتحمل المسؤولية الكبرى يوم نلقى الله**»[3].

كما كانت تونس من بين الدّول التي استهدفتها اللجنة، نظراً لوجود جالية كبيرة من المهاجرين الليبيين بها؛ حيث قام بشير السَّعداوي بتوجيه رسالة إلى تونس في شهر أكتوبر عام 1929م، حثّ فيها المهاجرين على القيام بواجباتهم الوطنية، وطلب منهم توحيد صفوفهم من أجل تكوين جمعية سياسية تعمل بمختلف الوسائل لدعم الجهاد في ليبيا، وتخليصها من الاستعمار الإيطالي. وكان السَّعداوي قد وجّه هذه الرّسالة إلى جريدة

(1) رسالة محمد فكيني إلى السَّعداوي بتاريخ نوفمبر 1930م، نقلاً عن تيسير بن موسى، ص187 ـ 189.

(2) رسالة عبد الجليل سيف النصر إلى بشير السَّعداوي بتاريخ 19 فبراير 1931م، نقلاً عن: محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص704.

(3) وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف رقم 14، الظرف الرابع، وثيقة رقم 81 بتاريخ 27 يوليو 1929م؛ ملف رقم 47، وثيقة رقم 22، بتاريخ عام 1929م.

الصّواب التونسية التي نشرتها في 18 أكتوبر لكي تكون كتاباً مفتوحاً أمام المهاجرين جميعهم في المغرب العربي كله، وقد أثارت هذه الرسالة اهتمام كثير من الليبيين؛ حيث أكّد أحد أعضاء جمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوي في تونس وهو أحمد زارم الذي هاجر إلى تونس عام 1919م على ذلك، فقال «**حينما وقع نظري على هذه الرسالة والعنوان غمرتني موجة من السرور والفرح، وحينما نشرت الرسالة إلى المجاهدين علمنا بأن إخواننا مصممون على العمل رغم مكائد الاستعمار وتكاثفه، ومن هنا فقد رسخ في نفوسنا أن تضامن الاستعمار على ظلمنا وملاحقته لنا حتى خارج بلادنا. . . لا يمكن أن يمنعنا عن خدمة بلادنا، خصوصاً بعد ظهور إخواننا في ميدان العمل علناً**»[1].

كان لتلك الرسالة دوراً مهماً في تحقيق اتصال المهاجرين باللجنة التنفيذية؛ حيث قال أحمد زارم: «**أسرعتُ بالكتابة إلى السَّعداوي على العنوان المنشور بالجريدة. ولم تطل المدة حتى تلقيت جوابه، ومنذ أن وصلني هذا الجواب توطّدت بيننا الصِّلة، وأخذنا في تبادل الرسائل فيما بيننا**»[2].

وقد أكّد على هذه الصلة بشير السَّعداوي في رسالته التي بَعَث بها إلى أحمد زارم من أجل توحيد صفوف المهاجرين الليبيين في تونس، وتعاونهم لتشكيل جمعية سياسية تخدم القضية الطرابلسية البرقاوية، فقال: «**يوجد بجامع الزيتونة أخ لنا أرجو أن تتصل به، واسمه محمد عباس**». فقام أحمد زارم بالاتصال بالشيخ محمد عباس المصراتي، وكان معه من المهاجرين الطرابلسيين كلّ من محمد المجدوب التاجوري، ومحمد عمار، ومحمد علي، وبدأ هؤلاء بالتّعاون مع أحمد زارم من أجل تشكيل لجنة تضمهم الأربعة تكون مرتبطة بلجنة الشام، وقد أُسندت كتابتها العامة إلى أحمد زارم، الذي كَتَب بذلك إلى

(1) وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف أحمد زارم رقم 62، وثيقة رقم 46، بتاريخ أكتوبر 1929م؛ مذكرات أحمد زارم، المصدر السابق، ص113 ـ 114؛ جريدة الصواب، العدد 596، الصادرة في تونس بتاريخ 18 أكتوبر 1929م.

(2) مذكرات أحمد زارم، المصدر السابق، ص121 ـ 122.

اللجنة التنفيذية في دمشق، وكان ذلك بداية تأسيس اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية في تونس؛ حيث أصبح أعضاؤها يستلمون التوجيهات والنّصائح من بشير السَّعداوي من أجل ممارسة نشاطهم على الساحة التونسية، وكان الاتصال بهم يتم عن طريق الرسائل الشخصية في بداية تأسيس اللجنة، ثم أرسل إليهم السَّعداوي كل ما كانت تنشره اللجنة في سوريا عن الجرائم الإيطالية في ليبيا، من أجل نشرها في تونس، وطلب منهم التعاون من أجل الحصول على المزيد من المعلومات التي تفيد في نشر هذه الفظائع؛ حيث كان السَّعداوي يهدف إلى تجنيد أقلامِ مواطنيه في المهجر، وأقلام الزعماء التونسيين أنفسهم في الحرب الإعلامية التي شنَّها ضد الاستعمار الإيطالي في بلاده، ولذلك اضطر أحمد زارم للدخول ثلاث مرات سراً إلى طرابلس للحصول على أخبار المجاهدين والعدو الإيطالي من أجل نشرها في الصحافة التونسية دفاعاً عن القضية الوطنية[1].

كما رحّب الزعيمان التونسيان عبد العزيز الثعالبي، ومحيي الدين القليبي بالتعاون مع بشير السَّعداوي من أجل نشر مقالات وأنباء عن الأوضاع في تونس في الصحف السورية، في الوقت الذي بدأت في الصحف التونسية تنشر أنباء الجهاد في طرابلس وبرقة، رغم رقابة الحكومة الفرنسية عليها التي قامت بحجب بعضها عن العمل، وهذا ما أكّد عليه محيي الدين القليبي في إحدى رسائله إلى بشير السعداوي عام 1931م؛ حيث قال «**لعلّ سعادتكم على علمٍ من إيقاف جريدتنا النهضة، والوزير من أجل الحملة التي قامتا بهما ضد فضائع إيطاليا في طرابلس ـ برقة. . . فما بالك بمن يتناول أعمال فرنسا نفسها**»[2].

وبذلك لم تبقَ من الصُّحف إلاّ التي قبلت الحكومة الفرنسية لها البقاء لا التي يريدها الشعب، ومع ذلك فقد أرسل السَّعداوي للمهاجرين في تونس يستنهض هِمَمَهُمْ،

(1) مذكرات أحمد زارم، ص122، 124، 128؛ إبراهيم أحمد أبو القاسم، المرجع السابق، ص95؛ مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، المكتبة الصوتية، مقابلة مع أحمد خليفة زارم، المصدر السابق.

(2) محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص832، 833.

ويشجعهم على العمل والصبر من أجل قضية بلادهم. وكان من بين الذين كَتَب إليهم السَّعداوي في هذا الخصوص الشيخ محمد عباس المصراتي في 19 مايو 1931م، وقد جاء في كتابه «**إن من سلك سبيل خدمة الأوطان، ورام خوض غمار هذا الميدان لا بدّ أن يلاقي عقبات، وصعوبات غير قليلة، وإلا لسهل على كل إنسان مزاولة السياسة... فنحن أمام واجباتٍ وطنية يتحتّم علينا القيام بها مهما لاقينا في هذا السبيل من عراقيل، ولا نتمكن من تذليلها إلا بالصبر، والثبات، فبهما يبلغ المرء مراده وإن طال الأمد**»[1].

ساعدت جريدة النهضة التي تصدر في تونس على كشف حقيقة الدعاية الإيطالية، عندما أصدرت بياناً للمهاجرين الليبيين في البلدان العربية تحذّرهم فيه من العودة للوطن، وأوضحت الجريدة أهداف إيطاليا التي تسعى إليها من خلال دعايتها، وهي القضاء على نشاط المهاجرين بفصلهم عن إخوانهم العرب[2]، واتّضح بذلك للجالية الليبية في سوريا عدم صدق إيطاليا في العفو عن المهاجرين.

كما هدف السَّعداوي إلى إيجاد وسائل أخرى غير الصُّحف يمكن لأعضاء اللجنة التنفيذية في تونس استخدامها لخدمة قضيتهم الوطنية كاستغلال المساجد لإلقاء الخطب، وتوزيع المنشورات، وقد جاء رد المهاجرين الليبيين إيجابياً حول مقترحات السَّعداوي في كتابٍ بعثوا به في 15 نوفمبر 1931م، جاء فيه «**نُعْلم سعادتكم أننا جمعنا بعضنا نحن مهاجري طرابلس الغرب... من أجل وطننا العزيز الذي تسلّطت عليه دولة الاستعمار، ونحن مستعدون لمساعدتكم بكل ما يمكن لأجل الكفاح على آخر دمٍ في جسدنا**»[3].

بدأ أحمد زارم ورفاقه بتوزيع المنشورات التي وصلت إليهم من سوريا على أئمة المساجد لقراءتها عقب صلاة الجمعة، ونجحوا في قيادة مظاهرات ضد إيطاليا، وأعمالها

(1) المرجع نفسه، ص833، 834.

(2) جريدة النهضة، العدد 4772 الصادر في 14 سبتمبر 1929م.

(3) وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ملف رقم 14، الظرف الرابع، وثيقة رقم 10، بتاريخ 15 نوفمبر 1931م، انظر: الملحق رقم (3).

في ليبيا، لا سيما في تونس العاصمة؛ كما اتّصلوا بمؤسساتٍ وأحزاب مختلفة للتعاون معهم في إثارة القضية الليبية. ونجحت بذلك اللجنة التنفيذية في إيصال نشاطها إلى تونس، كما سعت إلى مَدِّ هذا النشاط في البلدان العربية كلها، لتحقيق أهداف اللجنة في إطلاع الرأي العام على الممارسات الإيطالية[1].

ومن أجل ذلك حرصت اللجنة على أن يكون لها نشاط في الحجاز لكي تستغل موسم الحج، فكانت تُرسل جماعة كل عام محملين بآلاف المنشورات لتوزيعها على الحُجَّاج العرب والمسلمين، وكان من بين تلك المنشورات بيان أصدرته اللجنة بعنوان (صيحة من صحراء الدماء ـ الشعب الطرابلسي ـ، البرقاوي المظلوم يستنجد بالعالم الإسلامي). كما وزّعت منشوراً آخر بعنوان (ملحق للذكرى ـ صورة الأنشودة الفاشية في طرابلس الإسلامية ـ وداع فاشستي لأمه، صرخة من ساحة الجهاد إلى العالم الإسلامي)[2]. وجاء هذا المنشور ترجمةً لأنشودةٍ وضعها أحد الشعراء الإيطاليين، ونشرتها إحدى الصحف الإيطالية، وهي تصوّر شاباً يودّع أمّه وهو في طريقه إلى طرابلس؛ حيث قال: «**يا أمّاه أنا مسافرٌ إلى طرابلس فرحاً ومسروراً، لأبذل دمي لسحق الأمة العربية، ولأحارب الديانة الإسلامية**». فحثّ منشور اللجنة الأمة الإسلامية على التّحرك من أجل إنقاذ المسلمين في ليبيا من حربٍ صليبيّة، تشنّها عليهم إيطاليا؛ حيث يقول المنشور «**أيها المسلمون تصوّروا هذا الوعيد، وهذه الإهانات الموجهة إلى شعبٍ مسلم بريئ لا ذنب له إلاّ الإسلام، . . . سلام على الإسلام في هذه الربوع، سلام عليك أيها الدِّين القويم، وداعاً أيتها القِبْلَة المحمدية، وداعاً أيها القرآن، سلامٌ على ذِكْر الله في المساجد**». وبذلك كان المنشور وما حمله من عباراتٍ يحرّك شعور المسلمين ويؤثّر فيهم[3].

وقد توالت هذه المنشورات من قِبل اللجنة على الحجيج، فأصدر السَّعداوي نداء

(1) مذكرات أحمد زارم، المصدر السابق، ص128، 129.

(2) تيسير بن موسى، المرجع السابق، ص48، 49.

(3) منشورات اللجنة التنفيذية في مواسم الحج، نقلاً عن تيسير بن موسى، المرجع السابق، ص195 ـ 201.

الاستغاثة في موسم الحج في 18 إبريل 1930م، وهو بعنوان (استغاثة مسلمي طرابلسي، وبرقة بحجاج بيت الله الحرام، وجميع إخوانهم في أقطار العالم الإسلامي)، وقد جاء فيه: **«الله أكبر، دماء تسفك، وأعراض تهتك، وحرمات تنتهك ظلمًا وعدواناً، الله أكبر أوطان تغتصب، وأموال تُسلب، وأرواح تُزهق جورًا وطغياناً. . . إن كل تلك الفظائع والفجائع التي يرتكبها الإيطاليون في ربوع طرابلس وبرقة إنما يَصْلي نارها ويعاني دمارها هنالك الشعب الإسلامي العربي، الشعب الطرابلسي ـ البرقاوي المظلوم»**[1].

ولقد أثارت هذه الاستغاثة العالم الإسلامي ضد الحكومة الفاشستية، وأثارت سخط العرب والمسلمين على طغيانها في ليبيا، فطالب الحُجّاج من غير العرب ترجمة المنشور إلى لغاتهم، كما تعهّدوا بنقله والعمل على نشره بين أهل بلادهم، كما استجاب كبار العاملين في القضايا العربية والإسلامية لنداء المنشور الذي أزعج حكومة موسوليني، فردّت عليه بالتّكذيب خشية أن ينقلب الرأي العام في العالم الإسلامي ضدها، وأعلنت الحكومة الإيطالية اعتراضها الشّديد على ما تقوم به اللجنة التنفيذية من نشاط معادٍ لها في بلاد الشام وخارجها، لا سيما بعد أن اتصلت بحزب «أنتي فاشيستي» (أي المضاد للفاشية)، الذي تأسّس في باريس يوم 28 مارس 1927م، وذلك باندماج كلّ من الحزب الاشتراكي الإيطالي، والحزب الجمهوري، والاتحاد العام للعمل، والجمعية الإيطالية للدفاع عن حقوق الإنسان، وبدأت اللّجنة في اتصالها بالحزب الذي تحصّل على نصّ احتجاجٍ كانت قد أرسلته اللّجنة إلى عُصبة الأمم بجنيف في 20 أبريل 1931م عن الفظائع الإيطالية، فكَتَب الحزب إلى بشير السَّعداوي في 17 مايو من العام نفسه، على لسان نائب السكرتير العام (بيترو مونتاسيني)، معلناً استنكاره للجرائم التي نزَلت بسكان طرابلس وبرقة على يد الحكومة الفاشية، كما ذَكَر الحزب أن الإيطاليين أنفسهم واقعون تحت الاضطهاد الفاشستي، ولذلك فهم متحدون مع اللجنة التنفيذية فيما تعمل من أجله، وطلب «بيترو

(1) صحيفة الثورة، المرجع السابق.

مونتاسيني» من بشير السَّعداوي أن يَفْصل بين إيطاليا والنظام الفاشستي، لأنه لا يُمثل الشعب الإيطالي، كما طَلَب تزويده بمعلوماتٍ وافية عن اللجنة التنفيذية وأغراضها، فكان رد السَّعداوي عليه أنه يريد معرفة وجهة نظر الحزب في حل القضية الليبية، كما وضّح له الأهداف التي تأسّست من أجلها اللجنة التنفيذية، وقد ساعدت الاتصالات التي قامت بها اللجنة التنفيذية مع حزب أنتي فاشيست الإيطالي على إقامة علاقاتٍ جيدة مع الاتحاد الفرنسي للدفاع عن حقوق الإنسان في باريس، الذي أَرْسل في 5 أغسطس 1931م للسَّعداوي من أجل تزويده بكل ما لديه من معلومات عن الجرائم الإيطالية في ليبيا، فوعدهم السَّعداوي أنه يُرسل إليهم كتاباً يحوي كل تلك الفظائع عندما ينتهي من طباعته وترجمته[1].

ثم غيّر السَّعداوي اسم الجمعية إلى جمعية الدِّفاع الطرابلسي البرقاوي عام 1932م. واستمرّ في نشاطه الوطني في بلاد الشام حتى نهاية عام 1938م، داعياً لعدالة القضية الليبية وحقّها في التحرر.

ثم غادر سوريا في بداية عام 1939م إلى المملكة العربية السعودية، حيث عمل مستشاراً للملك عبد العزيز بن سعود. وبعد هزيمة إيطاليا في الحرب العالمية الثانية وخروجها من طرابلس عام 1943م، انفتح أمام السَّعداوي باباً جديداً للعمل في القضية الوطنية، ووجد تشجيعاً من الجامعة العربية، وترك العمل مع ابن سعود، وبدأ بتأسيس هيئة تحرير ليبيا عام 1947م، من أجل توحيد كلمة الأحزاب أمام اللجنة الرُّباعيّة التي تشكلّت من قِبل الحلفاء لتقرير مصير البلاد، كما كانت له جهود في الأمم المتحدة مع حزب المؤتمر الوطني الذي أسّسه عام 1949م، واستمرّ في رئاسته حتى خروجه من البلاد في 22 فبراير 1952م؛ حيث أُجريت الانتخابات لمجلس النواب في 19 فبراير 1952م. وكانت السياسة الاستعمارية للبلاد أقوى من أكثريته الشعبية التي تؤيده، وأُعلنت الانتخابات في

(1) محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، المصدر السابق، ص688؛ تيسير بن موسى، المرجع السابق، ص78 ـ 80.

مصلحة غيره، وجاء الأمر بإبعاده عن البلاد بحُجّة أنه يحمل جواز سفر سعودي، ومع هذا فقد استمرّ السَّعداوي بمواقفه الوطنية حتى نهاية عام 1952م، عندما اتّصل بالحكومات العربية في القاهرة، ودمشق، والسّعودية، واستنكر قيام حكومة اتحادية في ليبيا، وكان معارضاً للإمتيازات الأجنبية في البلاد.

* * *

استنتاج البحث

* شكّلت الفئات المتعلّمة أغلبية في الجالية الليبية التي هاجرت إلى سوريا، ممثلين لحركة الجهاد الخارجي، وأن ذلك يُظهر الوعيّ الحضاري الذي كان عليه الشعب الليبي.

* أن ضغط الرأي العام العالمي ضد الحزب الفاشي الإيطالي، كان أحد أسبابه ذلك الجهاد لبشير السَّعداوي والمهاجرين الليبيين في الخارج، الذين استطاعوا إيصال صوت عدالة قضيتهم بحرية، بعيدة عن ضغوط المستعمر.

* أنه كان هناك تعاطف من دول العالم الحر لقضايا الاستقلال في العالم العربي.

* أظهر ذلك الجهاد الخارجي مدى وحدة وتجانس الشعب الليبي في مناطق البلاد كافةً، وشعوره بالوحدة الوطنية، ممّا انعكس على أداء المناضلين في الخارج بجميع دول العالم العربي.

* أن هذا البحث يُظهر صورة من صور كفاح الشعب الليبي في الخارج، التي لم تقتصر على كفاح أبنائه في داخل الوطن بقيادة عمر المختار.

* استغلّ بشير السَّعدواي التنافس الاستعماري بين فرنسا وإيطاليا في كفاحه ضد مستغل تلك الحرية التي تمتّع بها في الشّام، التي كانت تحت الانتداب الفرنسي، ممّا أسهم في إيصال صوت القضيّة الليبية إلى العالم، وإظهار الجرائم الإيطالية.

* اتّساع نشاط الجمعية التنفيذية في الدّول التي كانت تحت سيطرة الاحتلال الفرنسي كسوريا، وتونس، ولبنان.

* لم تتلقّ تلك الجمعيات الوطنية تمويلاً خارجياً، بل اعتمدت على إمكانياتٍ بسيطة، وهو ما يُظهر اعتمادها على منابر المساجد، وبعض المنشورات والمخاطبات بين أعضائها.

* أظهرت الدراسة مدى تلاحم الشعوب العربية في كفاحها ضد المستعمر، وهو ما ظهر في مشاركة تلك الشعوب في المظاهرات التي خرجت في تونس، وسوريا ضد المستعمر الإيطالي في ليبيا.

❒ ❒ ❒

المصادر والمراجع

*** أولاً ـ الوثائق:**

ـ وثائق مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس:

1 ـ ملف أحمد المريّض رقم (3):

ـ وثيقة رقم 19، المصدر السابق.

2 ـ ملف شكري فيصل رقم (14).

ـ الظرف الرابع، وثيقة رقم 98 بتاريخ 29 أبريل 1926م.

ـ وثيقة رقم 27، بتاريخ 10 إبريل عام 1929م.

ـ الظرف الرابع، وثيقة رقم 81 بتاريخ 27 يوليو 1929م.

ـ وثيقة رقم 22، بتاريخ عام 1929م.

ـ الظرف الرابع، وثيقة رقم 10، بتاريخ 15 نوفمبر 1931م.

3 ـ ملف أحمد زارم رقم (62).

ـ وثيقة رقم 34، د.ت.

ـ وثيقة رقم 46، بتاريخ أكتوبر 1929م.

ـ المكتبة الصوتية، مقابلة مع أحمد خليفة زارم.

4 ـ ملف اللجان والأحزاب رقم 36.

ـ وثيقة رقم 53، د.ت.

ـ وثيقة رقم 60، د. ت.

ـ وثيقة رقم 7، بتاريخ عام 1928م.

ـ وثيقة رقم 93 عن حقيقة الحرب الطرابلسية وموقف عزّام منها، د.ت.

*** ثانياً ـ المراجع العربية والمُعرّبة:**

ـ إبراهيم أحمد أبو القاسم، المهاجرون الليبيون بالبلاد التونسية (1911 ـ 1957م)، مؤسسة عبد الكريم عبدالله، تونس، 1992م.

- تيسير بن موسى، كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام (1925 ـ 1950م)، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1983م.
- علي زين العابدين بن موسي، ومحمد أديب الحاج، الليبيون في سوريا ـ دمشق: نادي عمر المختار 1952م.
- علي زين العابدين بن موسى، قصة شعب، نادي عمر المختار، دمشق، 1955م.
- محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، وثائق تحريرها واستقلالها، مطبعة الاعتماد، القاهرة، ج1، م2، 1957م.
- نقولا زيادة، محاضرات في تاريخ ليبيا من الغزو الإيطالي حتى الاستقلال، معهد الدراسات العالمية، بيروت، 1958م.

*** ثالثاً ـ الرسائل العلمية:**

- اورويعي محمد علي قناوي، الكفاح الوطني للمهاجرين الليبيين ضد الغزو الإيطالي (1911 ـ 1945م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة قاريونس [سابقاً]، بنغازي، 1999م.

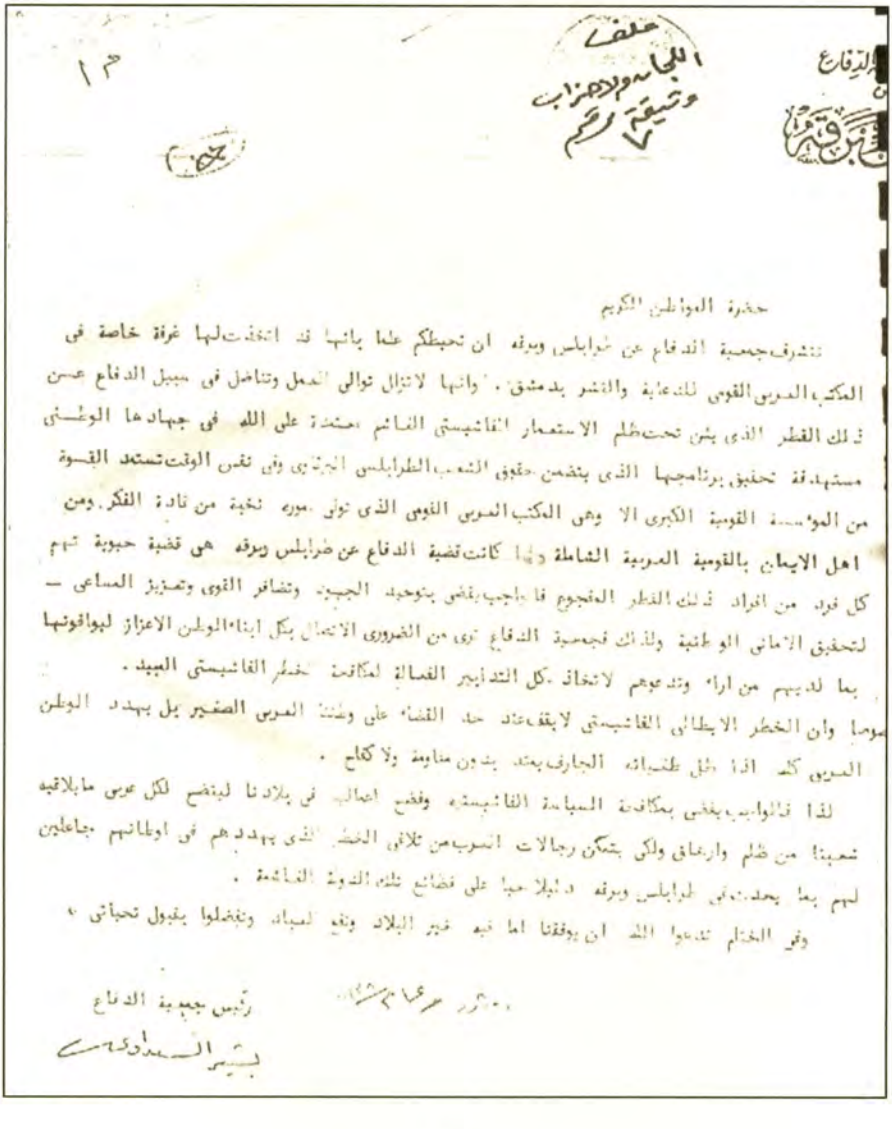
*** رابعاً ـ الصحف والجرائد:**

- جريدة النهضة، العدد 4772 الصادر في 14 سبتمبر 1929م.
- جريدة الصواب، العدد 596، الصادرة في تونس بتاريخ 18 أكتوبر 1929م.
- جريدة البلاغ، العدد الصادر في القاهرة، بتاريخ 17 أكتوبر 1931م.
- صحيفة الثورة، طرابلس، العدد الصادر في 13 شوال 1390هـ الموافق 10 ديسمبر 1970م.

❐❐❐

الملحق رقم (1)

جمعية الدِّفاع عن طرابلس وبرقة تُعلن أنها اتّخذت من دمشق مقراً لها من أجل الدِّفاع عن القضيّة اللّيبيّة، بتاريخ عام 1928م.



حضرة المواطن الكريم

تتشرف جمعية الدفاع عن طرابلس وبرقه ان تحيطكم علما بانها قد اتخذت لها غرفة خاصة فى المكتب العربى القومى للدعاية والنشر بدمشق . وانها لاتزال توالى العمل وتناضل فى سبيل الدفاع عن ذلك القطر الذى يئن تحت ظلم الاستعمار الفاشيستى الغاشم معتمدة على الله فى جهادها الوطنى مستهدفة تحقيق برنامجها الذى يتضمن حقوق الشعب الطرابلسى البرقاوى وفى نفس الوقت تستمد القوة من المؤسسة القومية الكبرى الا وهى المكتب العربى القومى الذى تولى اموره نخبة من قادة الفكر . ومن اهل الايمان بالقومية العربية الشاملة ولما كانت قضية الدفاع عن طرابلس وبرقه هى قضية حيوية تهم كل فرد من افراد ذلك القطر المفجوع فالواجب يقضى بتوحيد الجهود وتضافر القوى وتعزيز المساعى — لتحقيق الامانى الوطنية ولذلك فجمعية الدفاع ترى من الضرورى الاتصال بكل ابناء الوطن الاعزاء ليوافونها بما لديهم من اراء وتدعوهم لاتخاذ كل التدابير الفعالة لمكافحة خطر الفاشيستى العتيد .

وان الخطر الايطالى الفاشيستى لايقف عند حد القضاء على وطننا العربى الصغير بل يهدد الوطن العربى كله اذا خلى طغيانه الجارف بعند بدون مقاومة ولا كفاح .

لذا فالواجب يقضى بمكافحة السياسة الفاشيستية وفضح اعمالها فى بلادنا ليتضح لكل عربى مايلاقيه شعبنا من ظلم وارهاق ولكى يتمكن رجالات العرب من تلافى الخطر الذى يهددهم فى اوطانهم جاعلين لهم بما يحدث فى طرابلس وبرقه دليلا حيا على فظائع تلك الدولة الغاشمة .

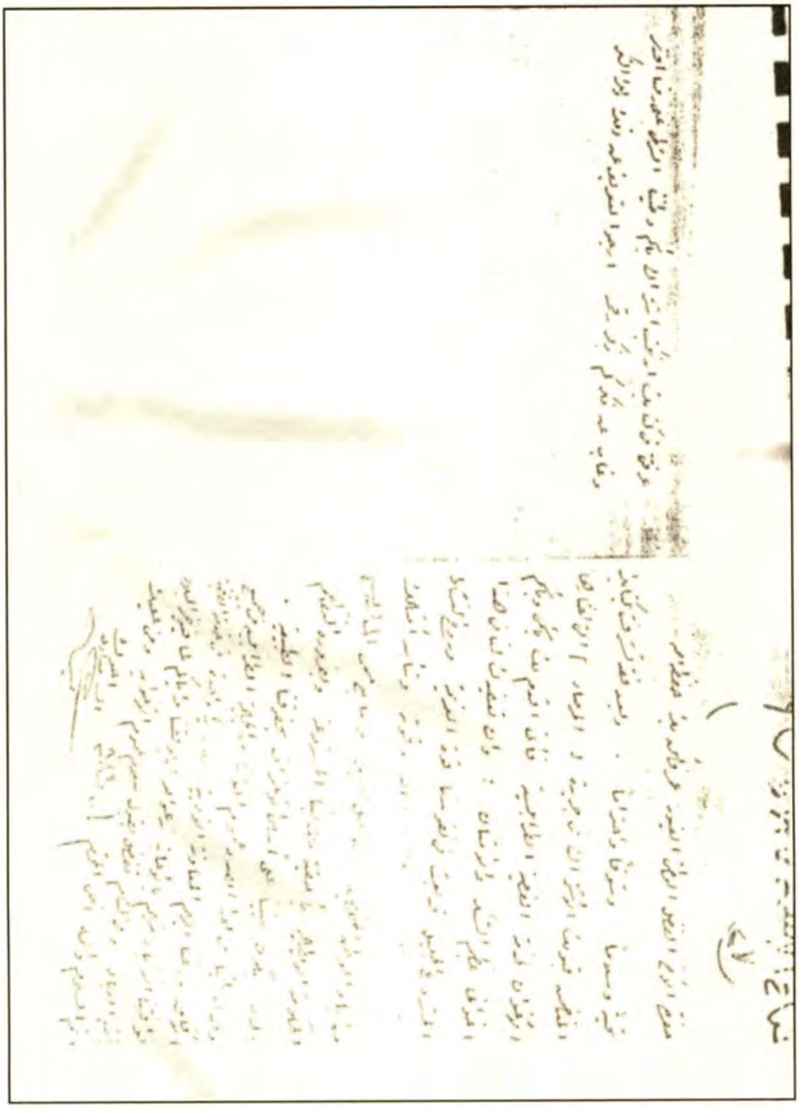
وفى الختام ندعوا الله ان يوفقنا لما فيه خير البلاد ونفع العباد وتفضلوا بقبول تحياتى .

رئيس جمعية الدفاع

بشير السعداوى

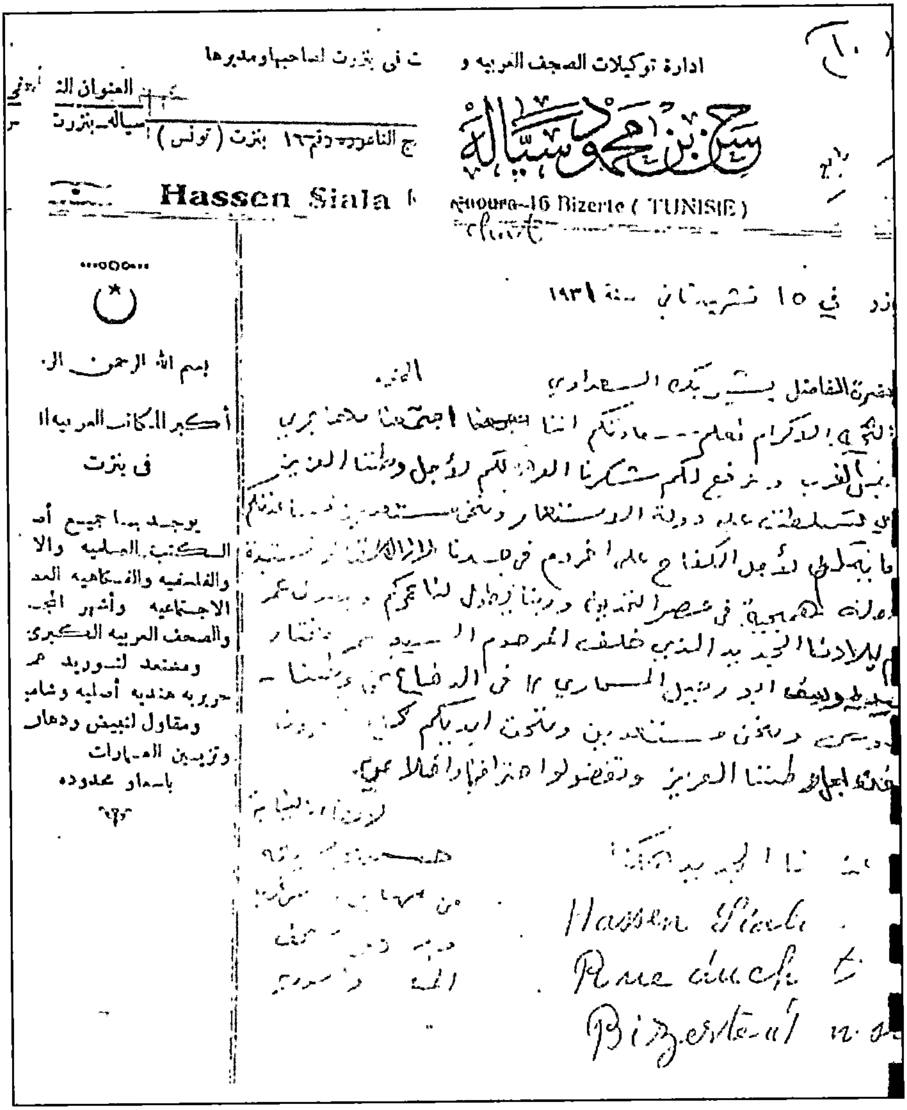
الملحق رقم (2)

رسالة من بشير السَّعداوي إلى عمر فائق شنّيب من أجل توحيد الجهود الوطنية في خدمة القضية الليبية، بتاريخ 27 أبريل عام 1928م.



الملحق رقم (3)

رسالة من مهاجري طرابلس الغرب في تونس إلى بشير السَّعداوي، يُعلنون فيها استعدادهم من أجل خدمة قضية بلادهم، بتاريخ 15 نوفمبر 1931م.



ادارة توكيلات الصحف العربيه و ... ت فى بنزرت لصاحبها ومديرها

حسن بن محمود سيالة

ج الناعورة رقم ١٦ بنزرت (تونس)

العنوان التلغرافي: سياله - بنزرت

Hassen Siala ... Naoura-16 Bizerte (TUNISIE)

بسم الله الرحمن الرحيم

أكبر المكاتب العربيه في بنزرت

يوجد بها جميع أصناف الكتب العلميه والادبيه والفلسفيه والفكاهيه والعلوم الاجتماعيه وأشهر المجلات والصحف العربيه الكبرى ومستعد لتوريد جميع الكتب حربيه هنديه أصليه وشامي ومقاول لتبييض ودهان وتزيين العمارات بأسعار محدوده

بنزرت في ١٥ تشرين الثاني سنة ١٩٣١

حضرة الفاضل بشير بك السعداوي المحترم

Hassen Siala

Rue ...

Bizerte

الجلسة العلمية الخامسة

رئيس الجلسة

د. ارويعي محمد قناوي

وقائع الجلْسة

* موقف فرنسا من القوى الوطنية في طرابلس: بشير السّعداوي أنموذجاً (1945 ـ 1951م):

د. أحمد امراجع نجم وأ. عبد الناصر علي اشتيوي.

* الفترة الحرجة والحاسمة في تاريخ ليبيا السّياسي ودور البشير السّعداوي فيها (1948 ـ 1952م):

أ. جمال احميدة دويش.

* السّعداوي ومشروع بناء الدّولة الوطنيّة المستقلّة، المؤتمر الوطني الطّرابلسي (1949 ـ 1952م) أنموذجاً:

د. محمود العارف قشقش.

* التأريخ للوطن: محاولات للتّنظير المنهجي:

د. إدريس مفتاح حمودة.

* الكتابة التّأريخيّة عن الحركة الوطنيّة اللّيبيّة 1931 ـ 1951م بين الهواة والأكاديميين:

د. فاتح رجب قدارة.

موقف فرنسا من القوى الوطنيّة في طرابلس
بشير السَّعداوي أنموذجاً (1945 ـ 1951م)

د. أحمد امراجع نجم
جامعة بنغازي

د. عبد الناصر علي اشتيوي
جامعة سرت

من خلال تتبع موقف فرنسا من القضيّة الليبية (1945 ـ 1951م) في المحافل الدولية أو على صعيد الحراك الوطني الداخلي، يتضح لنا حجم الرفض الفرنسي لنيل ليبيا استقلالها، وذلك لاعتباراتٍ عدّة ليس أقلّها الأهمية الجيو ـ استراتيجية لإقليم فزان الذي سيطرت عليه فرنسا منذ عام 1943م، وخوفها من انتقال حُمّى الاستقلال إلى مستعمراتها في شمال أفريقيا، وأطماع اقتصاديّة باحتمالية وجود نفط في جنوب ليبيا.

لذلك عملت فرنسا على أكثر من مسار لوأد طموح الليبيين في نيل استقلالهم وحريتهم، فكان كبح جماح القوى الوطنية الطرابلسية من التّمدّد في عمق نفوذها الفزّاني على رأس أولوياتها، غير أن الاختراق الذي حَدَث في القضية الليبية وصدور قرار الأمم المتحدة رقم 289 بتاريخ 21 نوفمبر 1949م، بنيل ليبيا استقلالها أَجْبر السُّلطات الفرنسية على تغيير أدوات وأشكال الصراع في ليبيا، فلجأت الحكومة الفرنسية إلى سياسة التفاهم مع الحلفاء والقوى المحلية، في محاولةٍ للوصول إلى صياغة لمفهوم وشكل الدولة المقبل، وذلك لضمان استمرار نفوذها في المنطقة.

ومع ذلك شكل التيار الوحدوي الذي قاده أحمد الفقيه حسن، وبشير السَّعداوي في البداية عقبة جديدة في وجه السياسة الفرنسية في ليبيا، ولهذا عملت تارةً لعرقلة المرحلة الانتقالية التي نصَّت عليها خطة مندوب الأمم المتحدة السيد أدريان بلت، حتى استطاعت الوصول إلى تفاهماتٍ مشتركة مع الزعيم الأبرز للقوى الوطنية الطرابلسية السيد بشير

السَّعداوي فيما يخصّ شكل الحكم والنظام السياسي لليبيا الجديدة وبما يحفظ نفوذها.

تعالج هذه الدراسة موقف فرنسا من القوى الوطنية والأحزاب السياسية في طرابلس بصفةٍ عامة ورئيس حزب المؤتمر الوطني الطرابلسي بشير السَّعداوي خاصّة، لكونه هو من قاد المفاوضات المكوكيّة مع الأمير محمد ادريس السنوسي، والأكثر حضوراً في الأوساط السياسية الطرابلسية.

تنطلق هذه الدراسة من فرضية أن فرنسا لم تتدخّل في سياسة وبرامج وتكوين الأحزاب السياسية الطرابلسية، ولكنها تركّز على تطلع الأحزاب الطرابلسية إلى الانتشار والتّمدّد في إقليم فزان ومحاولة القيام بدور في عملية التغيّر السياسي والاجتماعي في الإقليم من جهة، ومن جهةٍ أخرى الوقوف ضد خطر الأفكار والشعارات الوحدوية التي ترفعها هذه الأحزاب وتُعدُّ أحد المحرمات السياسية.

تحاول هذه الدراسة أن تشرح بعض المحرّكات الكامنة وراء الإطار العام للسياسة الفرنسية تجاه الأحزاب السياسة والقوى الوطنية في إقليم طرابلس، من خلال دراسة وتفسير موقف فرنسا منها ومن السيد بشير السَّعداوي خلال الفترة من 1945 ـ 1952م.

تستند هذه الدراسة أساساً إلى مصادر أولية من أرشيف وزارات الخارجية، والدفاع، والمستعمرات الفرنسية، وبخاصّة تقارير ممثلي فرنسا في ليبيا وتصوّرهم لحل القضية الليبية وكيفية الحفاظ على المصالح الفرنسية، ونفوذ فرنسا ومحاضر اجتماع وزارة الخارجية الفرنسية فيما يخصّ القضية الليبية، وموقف ساسة فرنسا من النُّخب السياسية الطرابلسية.

* * *

فرنسا والأحزاب السّياسيّة الطرابلسيّة

من خلال هذه الدراسة نسعى إلى تقديم مقاربةٍ تحليلية لعلاقة فرنسا بالقوى الوطنية الطرابلسية «الأحزاب والهيئات السياسية» في ضوء ما ورد في وثائق وزارة الخارجية الفرنسية والدفاع والمستعمرات الفرنسية، والمراجع ذات العلاقة، وعليه يمكن تقسيم علاقة فرنسا بالقوى الوطنية إلى ثلاث مراحل أساسية:

*** المرحلة الأولى ـ مرحلة التجاذبات السياسية 1945 ـ 1949م:**

بطرح المسألة الليبية على طاولة المفاوضات بين الحلفاء في مؤتمر لندن 1945م، عشية بداية الحرب الباردة بين الكتلة الشرقية والغربية، ومطالبة روسيا بموضعٍ قدمٍ لها في طرابلس، والرَّد الأمريكي بأن تُمنح ليبيا استقلالها بعد عشرة سنوات، تُوضع خلالها تحت الوصاية الدولية. أدركت فرنسا أن ملف ليبيا دخل في لعبة الصراع بين الأطراف الدولية، وأن الرّؤى بينها وبين حلفائها ربما تكون بعيدة، ولذلك تبنّت استراتيجية جديدة تقضي بالتّقرب من أعداء الأمس، وهي إيطاليا لإيجاد مقاربةٍ سياسية لتحقيق أهدافها في ليبيا، وهذا المسعى الجديد للسياسة الخارجية الفرنسية أدخلها في تجاذباتٍ سياسية وصراعٍ في بعض الأحيان مع القوى الوطنية في طرابلس، التي كانت ترى في خيار الاستقلال والوحدة هدفاً لا مندوحة عنه. واستمرَّت هذه المرحلة حتى صدور قرار الأمم المتحدة باستقلال ليبيا في 21 نوفمبر 1949م.

*** المرحلة الثانية ـ مرحلة الصراع الدبلوماسي والسياسي:**

أقرَّت الخارجية الفرنسية بخسارتها «معركة الاستقلال» في صراعها مع القوى الوطنية في ليبيا ومؤيدي هذا الطرح من الأطراف الدولية، بعد صدور قرار الأمم المتحدة باستقلال ليبيا قبل عام 1952م، ما دفعها للدخول في صراعٍ دبلوماسي وسياسي مع القوى الوطنية في طرابلس، خاصّةً لتعطيل استقلال ليبيا ووحدتها كهدف استراتيجي، وعندما اضطرت لقبول هذا الواقع نتيجة للضغوط الدولية والمحلية، سَعَت إلى عرقلة

وصول القوى الوطنية التي لا تؤمن بالطّرح الفيدرالي وتعتنق الأفكار الوحدوية والقومية إلى سدة صنع القرار السياسي في طرابلس، واستمرّت هذه المرحلة من 1949 حتى عام 1952م.

*** المرحلة الثالثة ـ القوى الوطنية وصراع السُّلطة والنظرة الفرنسية في الانتخابات البرلمانية لعام 1952م:**

نحاول من خلال هذه المرحلة معرفة طور وفصل جديد من مجهودات السَّعداوي الذي تعرّض للعديد من المشاكل والمؤامرات أبعدته عن الحكم في ليبيا، وكذلك فرنسا وما الدّور الذي يمكن أن تقوم به في هذه المرحلة التي سترسم رجالات ليبيا وسياسييها الجدد، إذاً مرحلة أخرى من الصراع السياسي تُفتح، ولزم علينا محاولة الكشف عن خفاياها، علّنا نجد المعلومة التي تفيدنا في فهم أحداث تلك الانتخابات ونتائجها وانعكاساتها على مستقبل ليبيا.

* * *

*** المرحلة الأولى ـ مرحلة التجاذبات السياسية 1945 ـ 1949م:**

عَرَفت المرحلة الأولى من العلاقة بين القوى الوطنية الممثلة في الأحزاب السياسية الطرابلسية تجاذبات سياسية وصلت في كثير من الأحيان باتهام فرنسا إنها دولة مستعمرة وتصادر الحريات العامة. ويمكن أن نُرجع تأزم العلاقة بين فرنسا والأحزاب والجماعات السياسية للموقف الفرنسي المؤيد لرجوع طرابلس تحت الوصاية الإيطالية.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وانتصار الحلفاء عبَّر قائد قوات فرنسا الحرة الجنرال شارل ديجول عن نشوة النصر بقوله: **(إن إقليم فزان نصيب فرنسا العادل من هذه الحرب)**[1] إضافة إلى ذلك أنه في عام 1943م وجّه كلمة إلى أهالي فزان يطمئنهم فيها

(1) De Gaulle Charles, Letters notes et carnets, ttélégramme du général de Gaulle au général Leclerc, le 22 septembre 1942, éd. Plon, 1982, P 400.

بأنهم سيكونون بأمانٍ تحت الحماية الفرنسية[1]، ما أكّد على عزم فرنسا إطالة البقاء في هذا الإقليم. بهذه الكلمات وضع شارل ديجول الخطوط العريضة لسياسة بلاده تجاه ليبيا، وهي العمل على الاحتفاظ بهذا الجزء من البلاد، غير أن ذلك يتطلب العمل والتنسيق بين حلفاء فرنسا وخاصة شريكها في السيطرة العسكرية على ليبيا، المملكة المتحدة بموجب مذكرة تفاهم بين البلدين في 23 يناير 1943م. ولقاء «لوكلير ـ مونتغمري» في 26 يناير لترسيم الحدود بين ولايتي طرابلس وفزان، خاصّةً مع إصرار فرنسا ضم غدامس ودِرج الى إقليم فزّان لمكانتهما الاستراتيجية لفرنسا في ضبط الحدود وحركة النقل مع تونس والجزائر[2]، بناءً على هذا التوجه بدأت وزارة الخارجية والدفاع في فرنسا العمل على وضع الخطط والسياسات لتنفيذ هذه الرؤية الاستراتيجية.

ممّا لا شك فيه أن الأهمية الجيو استراتيجية لإقليم فزان بالنّسبة للمستعمرات الفرنسية في شمال أفريقيا والوسطى والغربية، هي من حتّمت على صانعي القرار في باريس المضي قدماً في هذا التصور على الرغم من العراقيل التي سوف تواجهه.

عندما عُرضت القضية الليبية على الحلفاء من خلال المؤتمرات التي عُقدت بلندن في شهر سبتمبر 1945م، وباريس 1946م، ثم مؤتمر الصلح مع إيطاليا 1947م، حرصت فرنسا على رفض كل ما من شأنه أن يؤدّي إلى استقلال ليبيا ووحدتها، وذلك للأسباب الرئيسة التالية:

1 ـ الأهمية العسكرية والجيو ـ استراتيجية لفزّان، فهي تحتوي على خَمْس قواعد عسكرية، وحلقة وصل بين المستعمرات الفرنسية في وسط وشمال القارة، وحزام أمن

(1) Ibrahim Abdallah Ali, «Les conditions administratives, économiques et sociales au Fezzan sous l'administration militaire française 1943 - 1956», Moncef Ouannès et Pierre Noël Denieuil, Une histoire méconnue. Les relations libyo - françaises au Fezzan de 1943 à 1956, Édition Cérès, Tunis, IRMC, 2012, p. 92.

(2) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique levant sous - série anciennes colonies italiennes 1944 - 1952, dossier n°2, télégramme n°73, de Tripoli aux ministres des Affaires étrangères, le 19 octobre 1945.

لمستعمراتها في شمال أفريقيا.

2 ـ تخوّف فرنسا من نمو الشعور القومي في بلدان المغرب العربي بسبب حصول ليبيا على استقلالها، ما يؤدّي ذلك إلى موجاتٍ من المدّ القومي في مستعمراتها.

3 ـ إضافة إلى خوف فرنسا من حصول الشيوعيين السوفييت على موطئ قدم في ليبيا، ما يُشكل خطراً كبيراً على مستعمراتها[1].

ففي 13 أكتوبر 1945، في باريس، طالب شارل ديجول في تصريحٍ له بتأييده لرجوع طرابلس وبرقة إلى الاستعمار الإيطالي[2]، وللتأكيد على موقف بلاده في مؤتمر لندن سنة 1945م، عندما وافقت فرنسا على الطَّرح الأمريكي بوضع ليبيا تحت وصاية دولية لمدة عشر سنوات[3]. استُقبل تصريح ديجول بامتعاضٍ شديد في الأوساط الطرابلسية، فبعث زعماء طرابلس برسالة إلى القنصلية الفرنسية في طرابلس يبدون استعدادهم لقبول أية وصاية، ويُفضّلون أن تكون عربية ولكنهم ضد عودة إيطاليا إلى طرابلس[4]. وفي السياق

(1) خلال مؤتمر لندن 1945م، أعلن مولتوف وزير خارجية الاتحاد السوفياتي بأن حكومته تحبذ وضع كل المستعمرات الإفريقية تحت إدارة واحدة من الدول الأربع، وأن الاتحاد السوفياتي على أتم استعداد لتسلم إدارة الأجزاء الغربية من ليبيا، أي طرابلس. للمزيد من المعلومات انظر: نقولا زيادة، محاضرات في تاريخ ليبيا من الاستعمار إلى الاستقلال، جامعة الدول العربية القاهرة، 1958م، ص163.

(2) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°3, lettre n°63 le 22 octobre 1945 de Raoul Le Bourgois, vice_consul du France à Tripoli, à Ministre des Affaires étrangères à Paris.

(3) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°60, compte_rendu n°143, de la séance du 14 septembre 1945, tenue à Lancaster House Londres.

(4) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°2, Lettre n°278, de M. Ali el_Féki Hassen, au Consul du France à Tripoli M. Chambard, le 21 septembre 1946, et aussi Lettre n°285, du Partis Front National uni au Ministre des Affaires étrangères, publié dans le Journal Trablous el Gharb, le 27 octobre 1946.

نفسه صرّح ديغول لرئيس وزراء إيطاليا «دي غاسبري» أن فرنسا لا تمانع من عودة إيطاليا إلى طرابلس وبرقة، لأنه يرى لإيطاليا الحق في ذلك، خاصّةً بعد مشاركتها لدول الحلفاء[1] في نهاية عام 1943م بقيادة بادوليو ومساهمتها في القضاء على الفاشية[2].

بدأت القوى الوطنية في طرابلس تشعر بالخطر الذي يُحاك لمصير البلاد ربما بالعودة إلى الاستعمار الإيطالي من جديد، وكانت الانطلاقة بإعادة تنظيم صفوفها في شكل نادٍ أدبي لم يطل به الحال حتى تحوّل على يد الأستاذ علي الفقيه حسن إلى حزب سياسي في 8 يناير 1946م، لتكون بداية انطلاق العمل السياسي في طرابلس والنضال من أجل قضية واحدة وهي استقلال ليبيا ووحدتها، وإن تباينت الأنماط، والتي عَبّرت من خلالها النُّخب الطرابلسية عن تطلعاتها وأمانيها، وذلك في كثيرٍ من الأحيان بسبب التدخل الخارجي والصراع على الزعامة والسُّلطة[3].

ولفهمٍ أكثر لنشاط هذه الأحزاب والهيئات وموقف فرنسا منها نذكرها في إيجاز:

1 ـ الحزب الوطني:

أول الأحزاب برئاسة أحمد الفقيه حسن، في 8 أبريل 1946م، لم يكن له برنامج سياسي واضح بخصوص مستقبل ليبيا ومسألتي الوحدة والإمارة السنوسية، ولهذا استقال معظم أعضائه الفاعلين مثل رئيسه علي الفقيه، وسالم المنتصر.

2 ـ الكتلة الوطنية الحرة:

في 30 مايو 1946م أعلن علي الفقيه حسن تأسيس حزب الكتلة الوطنية الحرة،

(1) Guillen Pierre. «De Gaulle et l'Italie, de la Libération à son départ du pouvoir (1944_1946)». In: De Gaulle et l'Italie. Actes du colloque de Rome, 1er_3 mars 1990. Rome: École Française de Rome, 1997. pp. 45_64.

(2) BESSIS, J., La Libye contemporaine, histoire et perspectives méditerranéennes, L'Harmattan, Paris, 1986, p.63.

(3) محمد الهادي عبدالله أبوعجيلة، كفاح الشعب الليبي من أجل الوحدة والاستقلال (1939 ـ 1963م) دار ومكتبة الشعب، 2012م، ص133.

دعا من خلاله إلى الاستقلال التام ووحدة الأراضي الليبية والانضمام للجامعة العربية، وعدم ربط إمارة الأمير محمد إدريس السنوسي بقضية وحدة ليبيا واستقلالها، كما كان ضد الوجود الإيطالي في البلاد وسيطرتهم على المناصب الإدارية.

3 ـ الجبهة الوطنية المتحدة:

أُسِّس هذا الحزب بزعامة سالم المنتصر في مايو 1946م، وحظي بتأييد العديد من أعيان البلاد وشيوخ القبائل، وأفصح الحزب عن مبادئه في مذكرةٍ وزّعها على رؤساء الدول الكبرى، وأهم هذه المبادئ هي: وحدة ليبيا والاستقلال تحت حكم ديمقراطي، وعضوية الجامعة العربية[1].

4 ـ حزب الاتحاد المصري الطرابلسي:

تأسَّس هذا حزب في 16 مايو 1946م بقيادة علي رجب، الذي يَرَى أن استقلال ليبيا يجب أن يكون تحت التّاج المصري والدفاع عن فلسطين والوقوف أمام عودة الإيطاليين لليبيا.

5 ـ حزب الأحرار:

ظهر هذا الحزب في مارس 1948م، على يد بعض المثقفين الطرابلسيين، ولم تختلف أهداف ومبادئ الحزب عن سابقيه، مع تأكيده على تأييده تنصيب الأمير محمد إدريس السنوسي على عرش ليبيا[2].

6 ـ حزب الاستقلال:

في يوليو 1949م، أُسِّس هذا الحزب بعد الخلاف الذي حدث بين بشير السَّعداوي

(1) عقيل البربار، حركة التحرر الليبية في القرن العشرين، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني والثلاثون، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2011م، ص64.

(2) للمزيد من التفاصيل عن الأحزاب الطرابلسية انظر: سالمة محمد الجاضرة، الجماعات السياسية الليبية، أصولها التاريخية ومواقفها السياسية وممارستها التوفيقية (1943 ـ 1951م) رسالة ماجستير غير منشورة، 14 ـ 02 ـ 1984م، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة قاريونس [سابقاً].

وسالم المنتصر حول قضية الوحدة واستقلال ليبيا تحت إمارة الأمير محمد إدريس السنوسي، ودَعَم هذا الحزب معارضي السَّعداوي والجامعة العربية، وتحصَّل الحزب على دعم إيطاليا، وملخص برنامج هذا الحزب السياسي بأن يُترك للشعب الليبي حق اختيار شكل النظام السياسي الذي يرتضيه على أساس انتخاباتٍ تضم ممثلي الأحزاب السياسية في ليبيا، كما يعتقد الحزب بأن إيطاليا أصلح من الجامعة العربية لمساعدة ليبيا في نيل استقلالها، لأن الجامعة العربية غير مَرْضي عنها[1].

7 ـ حزب المؤتمر الوطني الطرابلسي:

أسفرت المساعي التي قادها بشير بك السَّعداوي بدعوة القيادات السياسية الطرابلسية، ورؤساء الهيئات السياسية إلى اجتماعٍ عام لتوحيد الجهود الطرابلسية في كيانٍ سياسيٍ واحد، ليُعبّر عنهم في المحافل المحلية والدولية، قرَّر المؤتمرون في جامع المجابرة بمسلاّتة في 21 أغسطس 1949م، تكوين حزب سياسي أُطلق عليه اسم المؤتمر الوطني؛ حيث انتُخب بشير السَّعداوي رئيساً له، ومحمد أبو الأسعاد العالم، ومصطفى ميزران، والطاهر المريّض نواباً للرئيس[2].

بدأت الأحزاب السياسية الطرابلسية محاولة الاتصال بباقي أجزاء الوطن ونشر أفكارها ومبادئها إيماناً بواجبها الوطني والقومي، فتقدّم الحزب الوطني في أواخر ديسمبر 1946م إلى القنصل العام لفرنسا في طرابلس، بفتح فروعٍ له في سبها، وغدامس للعمل على وحدة الأمة الليبية وتحقيق أمانيها في الاستقلال والوحدة. وقد أبدت السلطات الفرنسية انزعاجها من هذا الطلب، خاصّة أنها منعت جميع أنواع النشاط السياسي في فزّان، فأبلغت الخارجية الفرنسية في 24 يناير 1947م السيد مصطفى ميزران بأن حزبه غير مرحّب

(1) مجيد خدوري، ليبيا الحديث، دراسة في تطورها السياسي، ترجمة نيقولا زيادة، دار الثقافة، بيروت، 1966م، ص119.

(2) ارويعي محمد علي قناوي، بشير السَّعداوي والحركة الوطنية، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2014م، ص316 ـ 317.

به في فزان[1].

وفي السياق نفسه فإن أفكار ومبادئ حزب الكتلة الوطنية الحرة وَجَدت لها أنصاراً ومعتنقين لها في غدامس، وذلك عَبْر رسائل كان يرسلها «علي الفقيه حسن» يشرح فيها أفكار الحزب وأهدافه[2]. فوجّه أعيان ووجهاء غدامس، وعلى رأسهم القاضي أحمد عز الدين خطاباً إلى حزب الكتلة الوطنية الحرة يعلنون فيه تأييدهم لمبادئ الكتلة، فوقَعَ الخطاب في يد السلطات الفرنسية التي سارعت على الفور إلى عزل القاضي الشرعي أحمد عز الدين والتحقيق مع باقي الأعضاء[3].

انزعجت الكتلة الوطنية الحرة من الإجراءات الفرنسية واعتبرت عزلهم للقاضي الشرعي أحمد عز الدين: (اختراق للخطة التي رسمتها لهم «فرنسا» من طرف الحلفاء في إدارة تلك البلاد مؤقتاً، كما إنّها تسعى إلى تحطيم الآمال القومية والرغبات الوطنية وتصادر كل فكر حر، وإنها تمنع كل رجلٍ يرغب بالانضواء لرجال الوطن الأحرار بطرابلس، وإن كل محاولة تقوم بها فرنسا مصادمة لرغبات الأمة الطرابلسية ستصاب بالفشل)[4].

---

(1) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°34, Lettre de Ministre des Affaires étrangères à Paris au Consul de France à Tripoli, le 24 janvier 1947.

(2) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°34, Lettre n°236, de Bloc National Liberal à Tripoli à Ali Bouchaa et Hadj Ahmed ben Haroun de Ghadamès le 1er mars 1947, traduction de l'arabe.

(3) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°34, lettre d'Ali Bouchaa et Hadj Ahmed ben Haroun de Ghadamès aux membres du Bloc national Libéral à Tripoli, le 10 mars 1947 Traduction de l'arabe. Cette lettre n'est pas sortie de Ghadamès, car elle est tombée aux mains des Français, dossier n° 34, K.166_3, A.M.A.E.

(4) خطاب علي الفقيه حسن إلى جناب قنصل فرنسا في طرابلس، مذكرة احتجاج لدى الحكومة الفرنسية =

استمرّت فرنسا في هذه المرحلة في استخدام الورقة الإيطالية كأفضل خيارٍ لها للحفاظ على مصالحها ونفوذها في المنطقة، والإدعاء بأحقيّة إيطاليا في أي مشروعِ وصاية على طرابلس، هذه المناكفة السياسية استخدمتها فرنسا مع حلفائها أيضاً لإبقاء الوضع في ليبيا على ما هو عليه حتى بعد توقيع معاهدة الصلح في باريس سنة 1947م، وتنازل إيطاليا عن جميع مستعمراتها.

ففي 17 سبتمبر 1947م صرَّح وزير الخارجية الفرنسي بيدو Bidault (بأنه سيبذل جهده لإشراك إيطاليا في هيئة الأمم المتحدة حتى تتمكن [إيطاليا] من العمل في تلك السواحل من جديد تحت إشراف الأمم المتحدة)[1].

أثارت تصريحات الوزير الفرنسي غضب وحنق علي الفقيه حسن والكتلة والوطنية الحرة، والتي ردّت بعباراتٍ شديدة اللهجة في رسالةٍ بتاريخ 19 سبتمبر 1947م، للخارجية الفرنسية نورد بعضاً منها (هذا التصريح لا يمت للحقيقة بصلة، وإنما بدافع العنصرية اللاتينية، ولا يحترم مواد ميثاق الأطلنطي ومعاهدة الصلح وميثاق الجامعة العربية، ولا رغبات الأمة الليبية. . . وأنه مشبع بروح الجشع والاستعمار، وأنه مندفع بالعاطفة العنصرية نحو الشعب اللاتيني)[2].

وفي السياق ذاته اجتمع أهم حزبين وطينيين في طرابلس، وهما الكتلة الوطنية الحرة، والحزب الوطني في 22 نوفمبر 1947م، واتفقا على العمل سوياً على عدم عودة إيطاليا إلى طرابلس، خاصة بعد أن أيقنا أن الحكومة الفرنسية تدعم عودة

= باريس بخصوص أعمالها في غدامس، 8 يوليو 1947م، ملف 44، ملف المستعمرات الإيطالية، أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية.

(1) رسالة الكتلة الوطنية الحرة إلى وزارة الخارجية الفرنسية، حول تصريحات الوزير بيدو، 19 سبتمبر 1947م، ملف 44، ملف المستعمرات الإيطالية، أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية.

(2) رسالة الكتلة الوطنية الحرة إلى وزارة الخارجية الفرنسية، حول تصريحات الوزير بيدو، 19 سبتمبر 1947م، ملف 44، ملف المستعمرات الايطالية، أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية.

إيطاليا إلى طرابلس[1].

أدركت الجامعة العربية ومصر حالة التّشظي التي تعاني منها القوى الوطنية خاصةً فيما يخص الخلاف بين الأحزاب السياسية حول مسألة الإمارة السنوسية واستقلال البلاد، وتصوّرت أن مسألة توحيد الجهود الوطنية في الداخل أصبحت مسألة مُلحّة، خاصة بقرب توقيع معاهدة الصُّلح مع إيطاليا 1947م، وإرسال لجنة تحقيق دولية إلى ليبيا للاستماع لمطالب السُّكان. وأُوكلت هذه المهمة لبشير بك السّعداوي، الذي اجتمع بالزعماء الطرابلسيين في القاهرة في منزل جواد بن زكري، وانتهى الاجتماع بتأسيس هيئة تحرير ليبيا في 13 مارس 1947م، وعُيِّن بشير السّعداوي رئيساً لها وعضوية كلٍ من: أحمد السويحلي، جواد بن زكري، ومنصور بن قدارة، وطاهر المريّض، ومحمود المنتصر[2].

انتقلت الهيئة إلى طرابلس في مارس 1948م، قبل وصول اللجنة التحقيق الدولية، وقد أسفرت مساعي السّعداوي على توحيد كلمة الأحزاب الطرابلسية أمام اللجنة الدولية، وذلك بالتوقيع على اتفاق في 20 مارس 1948م، ينصّ على المطالبة بالوحدة والاستقلال والانضمام للجامعة العربية مع تجنب مسألة الإمارة السنوسية لتوحيد الصفوف. ولم يتوقف نشاط السّعداوي على طرابلس، بل عزم على الانتقال إلى فزّان لتوعية السكان بالمطالبة بالاستقلال والوحدة، غير أن الإدارة الفرنسية التي كانت تدرك خطورة تحرك السّعداوي ومطالبه السياسية، رفضت طلبه بدخول فزان، الأمر الذي أغضب السّعداوي وعبّر عن ذلك في بيانٍ للشعب الليبي اتهم فيه فرنسا بالعمل على إغلاق المنطقة أمام أبناء طرابلس،

(1) Archives de MAE La Courneuve, Série Afrique Levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°44, lettre n°37 le 25 novembre 1947, de M. Chambard consul de France à Tripoli, au M. Le Ministre français des Affaires étrangère, sur l'entente entre les partis tripolitains.

(2) محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، وثائق تحريرها واستقلالها، الجزء الأول، القاهرة، 1957م، ص2؛ انظر كذلك: اورىعي قناوي، المرجع نفسه، ص238.

ومنعهم من الاستماع إلى الناس ومطالبهم بشأن مصير البلاد خلال زيارة اللجنة الرباعية، وتوعّد فرنسا بأنهم لن يتركوا فزان ومصيرها رهناً بيد فرنسا، ولن نسمح بانفصال فزان عن الوطن[1].

لم يقتصر التنديد بالتدخل الفرنسي في طرابلس ودعمها لعودة إيطاليا إلى مستعمراتها على الأحزاب اليمينية «الوطنية»، فقد دعَت اللجنة الطرابلسية[2] في القاهرة الحكومة الفرنسية بعدم إعطاء وعودٍ لعودة إيطاليا إلى طرابلس، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك عندما حاولت تذكير الحكومة الفرنسية بأنه لا يوجد معاهدة بين الطرابلسيين والفرنسيين تسمح لهم باحتلال جزء من الأراضي الليبية، ولهذا فإن الكتلة الطرابلسية ضد الاحتلال الفرنسي وتطلب منهم مغادرة الأراضي الطرابلسية[3].

فالواقع أن الفرنسيين على درجةٍ كبيرة من الخوف من تحصّل ليبيا على استقلالها، ذلك أنهم يرون أن مصالحهم السياسية والاستراتيجية ليس فقط في فزان، بل في شمال أفريقيا بالكامل محفوفةً بالمخاطر، في ظل تنامي التيار السياسي الوطني وروح الاستقلال المدعومة من مصر والجامعة العربية التي قد تدعم دول المغرب العربي.

لذلك كان الساسة الفرنسيون يعتقدون أن الترويج لنظام الوصاية والتحالف مع

(1) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°5, extrait du manifeste de S.E. Bechier bey Essaadaoui au peuple libyen, le 2 septembre 1948.

(2) أُعلن في أكتوبر 1943م عن تشكيلها رسمياً في القاهرة من قبل المهاجرين الليبيين، واختير أحمد السويحلي رئيساً لها، ومن مبادئها: المطالبة بالاستقلال، والوحدة ومناهضة الاستعمار، واستمرّت في الوجود حتى سنة 1952م، للمزيد من المعلومات انظر: عز الدين العالم، تاريخ ليبيا المعاصر السياسي والاجتماعي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2000م، ص256 ـ 266.

(3) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°44, note n°22 du Comite tripolitain du Caire à L'Ambassadeur de France au Caire, le 2 avril 1947.

إيطاليا والعمل على عودتها إلى طرابلس في ظل الأمم المتحدة، خير ضامنٍ لاستمرار الهيمنة الفرنسية على فزان وشمال أفريقيا ومقاومة المد القومي في المنطقة.

غير أن هذه السياسة في بُعدها الأول واجهت معارضة من قبل بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية التي لم تحسم أمرها بشأن المسألة الليبية في البداية، بالإضافة إلى الجامعة العربية والقوى المحلية، ومع ذلك استمرّت فرنسا حتى بعد إخفاق مؤتمر باريس في ديسمبر 1948م، في إيجاد تسوية للقضية الليبية، إلاّ عبر تأييدها للوصاية الإيطالية على طرابلس، لهذا أَرْسلت الأحزاب الطرابلسية بتاريخ 8 ديسمبر 1948م رسالة إلى الأمين العام للأمم المتحدة تُندّد فيها بتصريح الحكومة الفرنسية في 3 ديسمبر 1948م، والتي دَعَت فيه إلى الوصاية الإيطالية على طرابلس، كما دعت في الوقت نفسه إلى رفضها لجميع أشكال الوصاية على ليبيا وحقها في الاستقلال، ورسالة أخرى إلى قنصل فرنسا في طرابلس، تحذّر فيه فرنسا من مغبة اتّباع هذه السياسة لتعارضها مع الأماني القومية والوطنية للأمة الطرابلسية(1).

وفي إطار المساعي الدولية لحل القضية الليبية، أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في 8 ديسمبر 1948م، قراراً يقضي بتأجيل موضوع المستعمرات الإيطالية إلى دورة أبريل 1949م. ومن ناحيةٍ أخرى أصدر مجلس جامعة الدول العربية في جلسته المنعقدة بتاريخ 21 مارس 1949م، قراراً يقضي بإرسال وفدٍ ليبي موحد إلى «ليك سكسيس»(*). وعملاً بهذا القرار عقد زعماء طرابلس اجتماعاً في 31 مارس 1949م،

---

(1) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°5, télégramme n°191, de Consulat français à Tripoli au Ministre des Affaires étrangères, traduction une lettre des Partis libyennes t le 8 décembre 1948.

(*) ليك سكسيس هي بلدة في ولاية نيويوك بأمريكا ضمّت المقر المؤقت للأمم المتحدة بين عامي 1946ـ 1951م. (المُحرِّر).

لانتخاب ممثلي طرابلس في الأمم المتحدة، فقرّر المجتمعون اختيار منصور بن قدارة، وجواد زكري، ومحمد فؤاد شكري[1].

تحرّك حزب الاستقلال وأعيان وزعماء المناطق المحيطة بطرابلس ضد هذا الاختيار، فأصدروا بياناتٍ تحمل توقيعهم واسمائهم موجّهة إلى الأمين العام للأمم المتحدة يَذْكرون فيها أن هذا الوفد لا يُمثّل طرابلس. وأصحاب هذه الرسائل هم أعيان وزعماء المناطق التالية: مصراتة، وبني وليد، ومنطقة القِبلة، وسوق الجمعة، وترهونة، وغريان، والزنتان[2]، وفي الحقيقة هذه خطوة ليست بالعمل السهل، وتحمل في طيّاتها رسالة سياسية مفادها أن هيئة تحرير ليبيا وبعض الأحزاب التي انضوت للعمل تحتها لا تُمثّل طرابلس. اقترح Chambard «شمبار» قنصل فرنسا في طرابلس[3] على وزارة خارجيته استغلال هذه البيانات لإحراج الوفد الطرابلسي، وذلك بعد ان أخّرت بريطانيا إرسالها بحجة التأكد من التوقيعات وختم أصحابها، وكان القنصل الفرنسي يأمل أن أرسال هذه البرقيات إلى الأمم

---

(1) اورويعي قناوي، المرجع نفسه، ص299 ـ 298.

(2) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique levant sous – série anciennes colonies italiennes 1944 – 1952, dossier n°6, les télégrammes des notables libyens, DOC N° 235, 236;237, 238, 239, 240, 2041,2042.

(3) منذ طَرْح المشروع البريطاني في مؤتمر باريس والقاضي بمنح ليبيا استقلالها فوراً، أدركت فرنسا أن عليها البحث في الأمم المتحد عن حليفٍ جديدة يدعم رؤيتها في حل الملف الليبي والوقف ضد المقترح البريطاني السابق «استقلال ليبيا»، فوجدت في إيطاليا المستعمِر القديم السَّند والحجة القوية لتعطيل تمرير أي مشروعٍ في ليبيا، خاصّة وأن إيطاليا مدعومة من قبل الكتلة اللاّتينية في الأمم المتحدة.

- Archives de MAE La Courneuve, série Afrique levant sous – série anciennes colonies italiennes 1944 – 1952, dossier n°64, télégramme n°09 de l'Ambassade de France à Rome au Département des Affaires étrangères, le 14 octobre 1948.

- Archives de MAE La Courneuve, série Afrique levant sous – série anciennes colonies italiennes 1944 – 1952, dossier n°64, note n°25, un entretien avec M. le Conseiller de l'Ambassade d'Italie à Paris au sujet des colonies italiennes, le 21 octobre 1948.

المتحدة سوف يُحرج الوفد الطرابلسي[1]، الذي طالب على لسان المتحدّث باسمه الدكتور محمد فؤاد شكري باستقلال ليبيا وهاجم الدول الاستعمارية وعلى رأسها إيطاليا[2].

أبْدَت الحكومة الإيطالية تخوّفها من تحرّك الوفدين الطرابلسي والعربي في دهاليز الأمم المتحدة، لذلك طلبت من قنصل فرنسا السيد «شمبار»، تسهيل سفر إبراهيم بن شعبان إلى «ليك سكسيس» ليُسجّل نقطة احتجاجٍ ضد ممثل طرابلس، ولم يتأخر قنصل فرنسا بلقاء بن شعبان وسالم المنتصر رئيس حزب الاستقلال وطاهر القرمانلي، وبعد نقاشاتٍ مستفيضة عن الحالة الليبية أدرك «شمبار» ما يحملونه من عداءٍ للوجود البريطاني في طرابلس وما سيقدّمونه من تنازلاتٍ لإيطاليا. غير أن الإدارة الفرنسية أخطرت شمبار بأن تسفير بن شعبان لا يمكن أن يتم دون موافقة الأمم المتحدة، وهذا ما لا تملكه فرنسا على اعتبار أن دولة الإدارة في طرابلس هي بريطانيا. هذا الحراك الإيطالي والفرنسي على الساحة الطرابلسية، يوضّح مدى انزعاج وتخوّف هذه الأطراف من إصرار الوفد الطرابلسي على استبعاد إيطاليا من أية تسوية سياسية بخصوص ليبيا وتصميمها على الاستقلال والوحدة.

لم تتوقّف المساعي الفرنسية الحثيثة بالعمل على عودة إيطاليا إلى طرابلس، فقد اتفقت سراً مع إيطاليا وبريطانيا على مشروع وصاية ثلاثية أُطلق عليه اسم مشروع بيفن ـ سفوزا[3]. وبمجرّد أن انتشر خبر مناقشة المشروع إلى الصحافة، حتى خرجت المظاهرات المندّدة به، ووصفته بالعمل المشين، وصوّرت فرنسا بأنها دولة استعمارية تريد احتلال ليبيا مع باقي الدول الاستعمارية.

(1) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°6, Lettre n°234, de M. Chambard, consul de France à Tripoli à M Schuman, ministre des Affaires étrangères, le 15 Avril 1949.

(2) اورويعي قناوي، المرجع السابق، ص301 ـ 302.

(3) محمد يوسف المقريف، ليبيا بين الماضي والحاضر، ج1، مركز الدراسات الليبية، أكسفورد، 2004م، ص243. انظر كذلك: كلوديو سيجري، الشاطئ الرابع، الاستيطان الإيطالي في ليبيا، ترجمة عبد القادر المحيشي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1987م، ص247.

لم تَعْرف طرابلس في تاريخها المعاصر مظاهراتٍ بهذا الحجـم، ولا القـوة علـى الاستمرار في الزخم الشعبي، والذي انطلق في 9 مايو 1949 ـ انظر صورة رقم (1) ـ ؛ حيث شارك فيها الجميع من طُلاّب المدارس، وسياسيين، وأعيان، ورجال الـدِّين بــ 400 شخص حسب المصادر البريطانية والفرنسية، لتتجاوز في يوم السـادس عشـر مـن مـايو العشرين ألفاً، ورُفعت فيها الشعارات المعادية لدول الوصاية، وكان نصـيب فرنسـا مـن هذا التنديد «تسقط فرنسا»، «والموت لفرنسا». وانتهى الحراك السياسي بسقوط مشروع بيفن ـ سفورزا وزيادة نفوذ حزب المؤتمر الوطني في الحياة السياسية الطرابلسـية، وبـدأ الطرابلسيون أكثر قبولاً لفكرة الوحدة مع برقة والأمير محمد إدريس[1].



مظاهرة مايو 1949م في طرابلس ضد مشروع بيفن ـ سفورزا[2]

(1) وثيقة رقم 75، ملف 7، تقرير القنصل شمبار إلى وزير الخارجية.

(2) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique levant sous-série anciennes colonies italiennes 1944-1952, dossier n°7, échauffements entre police et manifestants à Tripoli le 11 mai 1949, Photo n°213.

وفي أكتوبر 1949م، وخلال جلسة للأمم المتحدة في «ليك سكسيس»، كان أول لقاءٍ رسمي يجمع بشير السَّعداوي، مع شخصيةٍ سياسية فرنسية بهذا المستوى وهو «موريس كوف دو مورفيل» Maurice Couve de Murville رئيس الوفد الفرنسي إلى ليك سكسيس. وكتمهيدٍ لمدِّ جسور الودّ مع فرنسا طالب بشير السَّعداوي بإقامة علاقة مميزة بين فرنسا والعرب، عندها ذكّر «كوف دو مورفيل» السَّعداوي بمواقفه العدائية لفرنسا منذ زيارة لجنة التحقيق الدولية سنة 1948م، خاصة فيما يتعلّق بفزان، وإنه منذ ذلك التاريخ لم يُعطِ تصريحاً إيجابياً نحو فرنسا. غَيْر أن السَّعداوي أكمل حديثه حول رؤيته لمستقبل ليبيا، وأنه يريد الاستقلال والوحدة، ثم تحدَّث عن المشاكل التي تواجه هذا الطرح، ممّا يتطلّب الأمر مساعدة فرنسية. وفي المقابل تعهد السَّعداوي بالحفاظ على المصالح الإيطالية في طرابلس، وأن يحترم ويراعي الوضع الفرنسي في فزان[1]، وكان اللقاء بالنسبة لفرنسا جلسة تعارف لمعرفة مواقف السَّعداوي الحقيقية من فرنسا بعيداً عن الإعلام، أما السَّعداوي فإنه يُدرك أن فرنسا أحد العقبات الرَّئيسة في الملف الليبي، ولِحَلْحَلة هذا الملف لابد من بحث الأمر معها مباشرةً، ودعم الأخيرة لاستقلال ليبيا، ولهذا قدَّم رؤيته لمستقبل ليبيا في الاستقلال والوحدة.

تميّزت هذه المرحلة بالتجاذبات السياسية بين فرنسا والقوى الوطنية الطرابلسية بسبب دعم الأولى لفكرة الوصاية الإيطالية على طرابلس، غير أن العلاقة لم تتجاوز التنديد بالسياسة الفرنسية محلياً ودولياً والاحتجاج على سياستها. أمّا فرنسا فإن سياستها تجاه القضية الليبية في المحافل الدولية نجحت إلى حدٍ كبير في استغلال التناقضات الدولية حول المسألة الليبية، وذلك عبر التّمسك بعودة صاحب الحق الشرعي ـ حسب وجهة النظر الفرنسية ـ

(1) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°10, lettre n°218, de M. Jean Chauvel délégué du France auprès des N.U, au Ministre des Affaires étrangères, conversations avec les délégations tripolitaines aux N.U. Le 29 octobre 1949.

في هذه المستعمرات على اعتبار أنها كانت تحت حكم إيطاليا قبل عصر الفاشيست. وداخلياً استطاعت عبر التحالف والتنسيق مع إيطاليا ومؤيديها في طرابلس من أحزابٍ سياسية وشخصياتٍ وطنية من عرقلة وشق صف القوى الوطنية، وذلك عبر تأليب طرفٍ ضد آخر، واستغلال الصراع على الزعامة بين بشير السَّعداوي، وسالم المنتصر، وعلي الفقيه حسن. وكان ذلك واضحاً في موقف حزب الاستقلال وسالم المنتصر، والقرمانلي من السيد بشير السَّعداوي ومساعيه الدولية لتوحيد القوى الوطنية. ومن ناحيةٍ ثالثة وُفّقت الخارجية الفرنسية في منع التيار الوطني من الانتشار والتّمدد في إقليم فزّان، وذلك عبر اتّباع سياسة مصادرة الحريات العامة ومنع النشاط السياسي في الإقليم، والقبض على كل من يؤمن ويتبع الأحزاب السياسية الطرابلسية، وما حَدَث في غدامس خير شاهدٍ على مدى سطوة فرنسا في إدارتها العسكرية لإقليم فزان.

* * *

*** المرحلة الثانية ـ مرحلة الصّراع الدبلوماسي والسّياسي 1949 ـ 1952م:**

نصّ قرار الأمم المتحدة رقم 289 الصّادر بتاريخ 21 نوفمبر 1949م، على استقلال ليبيا في موعدٍ أقصاه يناير 1952م، وتشكيل مجلس استشاري لمساعدة الليبيين على نقل السُّلطة من دولتي الإدارة فرنسا وبريطانيا إلى حكومة ليبية دستورية، ووقع الاختيار على السيد أدريان بلت ليكون مندوباً للجمعية العامة للأمم المتحدة في ليبيا، كما نصّ القرار على تشكيل مجلس استشاري ضم ست دول: هي: بريطانيا، وفرنسا، والولايات المتحدة الأمريكية، وباكستان، ومصر، وإيطاليا، بالإضافة إلى ممثل عن كل إقليمٍ وممثّل عن الأقليات.

وافق المجلس الاستشاري في 25 أبريل 1950م، على خطة السيد بلت لإقرار الدّستور ونقْل الحكم إلى حكومة دستورية وتنصّ الخطة على التالي:

1 ـ انتخاب المجالس المحلية في كلّ من برقة وفزان وطرابلس خلال شهر يونيو 1950م.

2 ـ اختيار أعضاء اللجنة التحضيرية للجمعية الوطنية في مدة لا تتجاوز شهر يوليو 1950م، لتحديد الطريقة التي ستُجرى بها انتخابات الجمعية الوطنية وكيفية تأليفها وطريقة وضع الدستور.

3 ـ انتخاب أعضاء الجمعية الوطنية ودعوتها للاجتماع في خريف 1950م.

4 ـ تأليف الجمعية الوطنية لحكومةٍ مؤقتة في أوائل عام 1951م.

5 ـ إعلان استقلال ليبيا وتشكيل حكومة قبل يناير 1952م[1].

بعد إقرار خطة السيد بلت لانتقال السُّلطة من دولتي الإدارة في ليبيا إلى حكومةٍ منتخبة، أدركت الحكومة الفرنسية أن ليبيا في طريقها للاستقلال، ولذلك دعت وزارة الخارجية الفرنسية ممثلها في اللجنة الاستشارية إلى تنفيذ السياسة الفرنسية في هذه المرحلة، وذلك بالعمل على تأخير وتعطيل تنفيذ قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 289، وحيلولة دون أن تصبح ليبيا دولة موحّدة أو مركزيّة[2].

هذه السياسة التي كان على مندوب فرنسا في اللجنة الاستشارية السيد Georges Balay «بالاي»، وقنصل فرنسا في طرابلس السيد «شمبار» وضعها موضع التنفيذ سوف تصطدم بالتيار الوحدوي في طرابلس وزعيم حزب المؤتمر الوطني بشير السَّعداوي، لهذا سنناقش هنا الآليات التي اتخذتها فرنسا للحيلولة دون تنفيذ خطة أدريان بلت، ووصول الوحدويين إلى اللجنة التحضيرية المزمع تشكيلها من قبل السيد بلت.

ونحاول في هذا الطرح تحليل السياسة الفرنسية حيال العملية الانتقالية التي أقرّتها الأمم المتحدة ولجنتها الاستشارية، وذلك من خلال رصد المواقف الفرنسية من القوى

(1) هند عادل إسماعيل النعيمي، إدريس السنوسي ودوره في استقلال ليبيا 1890 ـ 1952م، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة بغداد، 2009م، ص314 ـ 315.

(2) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous – série anciennes colonies italiennes 1944 – 1952, dossiern°13, note n°53, pour le ministre français des Affaires étrangères, le 3 juillet 1950.

المحلية الطرابلسية المعنية في هذا البحث، وعلى اعتبار أن باقي عناصر المكـوّن الليبـي في برقة وفزان، فالأولى خاضعة لإرادة الأمير محمد إدريس السنوسـي، والثانيـة تحـت نفوذ البي حَمَد سيف النصر، والحاكم العسكري الفرنسي في فزان. بينما كان الصراع في طرابلس على أشده بين القوى السياسية من جهة والإدارة البريطانية من جهةٍ أخرى، وفي وسط هذا الزّخم السياسي برزت شخصية بشير السَّعداوي كأحد أهم الفاعلين السياسـيين في طرابلس، بالإضافة إلى الشخصيات القومية والوطنية من أمثال مصطفى ميـزران، وعلـي الفقيه حسن، وآل المنتصر. لكلّ الاعتبارات السابقة نحاول دراسة المواقف الفرنسية من هذه القوى، وحيويّة بشير السَّعداوي في مواجهة التّعنت الفرنسي حيال كثيرٍ من المواقف.

*** موقف فرنسا من القوى الوطنية الطرابلسية في لجنة الواحد والعشرين:**

على الرّغم من موافقة فرنسا على المقترح الباكستاني بتكوين لجنـة تحضـيرية مـن احدى وعشرين عضواً، سبعة أعضاء لكل إقليم وإن لم تصوت عليه، إذ أن ذلـك يعطـي لإقليم فزان ومؤيديه حق النقض وتعطيل القرارات في اللجنة، إلاّ إنها أبـدت قلقهـا مـن عملية اختيار ممثلي اللجنة عن طرابلس في لجنة الواحد والعشرين، فقد أصـرّ السـيد بـالاي في بادئ الأمر على أن تتم عملية تعيين أعضاء طرابلس عبر عملية انتخابية تطبيقـاً لمبـدأ الديمقراطية. غير أن هذا الطرح جوبه بمواجهةٍ شرسة من قبل مندوب باكستان ومصـر. كما أبدت الحكومة البريطانية انزعاجها من الموقف الفرنسي المُصـرّ علـى الانتخابـات، وعلّلت موقفها ذلك من خشيتها من انتخاب القوى الوطنية اليمينية، ممّا يُعقّـد مهمـة اللجنـة التحضيرية، ولهذا طالبت السيد «بالاي» بالموافقة على مبدأ التعيين[1].

ومع ذلك كانت فرنسا مصممة على عدم إعطاء الموافقة لوفد فزان بالتصويت على القائمة الطرابلسية حتى تتأكد من تغيير القائمة، خاصة بعد خيبة الأمل في قائمـة المرشـحين

(1) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°22, compte_rendu du Conseil des Nations Unies pour la Libye, séance du 4 mai 1950.

التي تقدّم بها السّعداوي، إذ كانت تضم خمسة أعضاء من حزبه، بالإضافة إلى السيد علي رجب، وممثل للجالية الإيطالية[1]، ما دَفَع الحكومة البريطانية إلى مطالبة السّعداوي بتعديل القائمة، وبعد مشاوراتٍ مع الحكومة الفرنسية وافقت الأخيرة على المرشحين السّبعة، والتي لم تكن تضم عناصر قومية ولا وحدوية.

شهدت هذه المرحلة زيادة نفوذ زعيم حزب المؤتمر الوطني بشير السّعداوي على السّاحة السياسية الطرابلسية، خاصّةً بعد اعتذار زعيم حزب الكتلة الوطنية علي الفقيه حسن عن المشاركة في تقديم قائمة بمرشحين لشغل مقاعد ممثلي طرابلس في اللجنة التحضيرية، وبدعم مندوبي مصر وباكستان في اللجنة الاستشارية لبشير السّعداوي، أدركت الحكومة الإنجليزية خطورة هذا التحالف الذي بدأ يتشكّل على الساحة السياسية الطرابلسية على سياستها، ولهذا طلبت من السيد بلت الابقاء على المفتي في قائمة ممثلي طرابلس في لجنة الواحد والعشرين للحدّ من نفوذ بشير السّعداوي كما وصفته الوثيقة بأنه (منخرط جداً في الولاء المصري)[2].

وفي 21 يونيو 1950م[3]، بعثت الإدارة العسكرية البريطانية في طرابلس قائمة ممثلي طرابلس في لجنة الواحد والعشرين بعد إجراء تعديلاتٍ عليها إلى السيد أدريان بلت[4]،

---

(1) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°13, lettre de M. Chambard, consul de France à Tripoli à M. Schuman, ministre des Affaires étrangères «à propos de la représentation tripolitaine au Comité des 21», le 12 Juillet 1950.

(2) Ibid.

(3) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°13, lettre n°130, datant de 21 juillet 1950, de l'Administrateur en chef britannique en Tripolitaine, au M. Adrian Pelt, relative à la représentation tripolitaine à la Commission préparatoire.

(4) ممثلي طرابلس في لجنة 21 هم: محمد أبو الاسعاد العالم، والشيخ أبو الربيع الباروني، وسالم القاضي، وإبراهيم بن شعبان، وسالم المريّض، وأحمد عون سوف، وعلي رجب، بالإضافة إلى ممثل الأقليات.

والملاحظة على القائمة حسب تصنيف وتحليل قنصل فرنسا في طرابلس أنها لا تشمل العناصر القومية الطرابلسية[1]، وهذا ما دفع فرنسا إلى القبول بها، وكذلك بوادر الاتفاق مع الأمير محمد إدريس السنوسي على التعاون بين ممثلي فزان وبرقة في لجنة الواحد والعشرين، بعد الاجتماع الذي ضم السيد «بالاي» والأمير محمد إدريس السنوسي في يونيو 1950م[2]. بالإضافة إلى اتفاق الأمير محمد إدريس وبشير السَّعداوي في 18 يوليو 1950م، على تأسيس حكومة في طرابلس مثل برقة، وهو الأمر الذي شجّعته فرنسا وحثّت الحكومة البريطانية على متابعة هذه التفاهمات[3].

قدَّم السّيد «بالاي» إلى اللجنة الوزارية في اجتماع 27 يوليو 1950م التوضيحات التي طُلبت منه إلى السيد شومان Schuman وزير الخارجية والسيد Naegelen، حاكم جنوب الجزائر، ومُمثل وزير الداخلية، والعقيد Sarazac الحاكم العسكري لفزان. واتفق الجميع على أنه ينبغي لفرنسا أن تحافظ على جميع إنجازاتها في فزان، وأن أفضل

(1) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous-série anciennes colonies italiennes 1944-1952, dossier n°13, Lettre de M. Chambard, consul de France à Tripoli à M. Schuman, ministre des Affaires étrangères «à propos de la représentation tripolitaine au Comité des 21», le 12 Juillet 1950.

(2) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous-série anciennes colonies italiennes 1944-1952, dossier n°13, le 18 juillet 1950, un entretien eut lieu à Benghazi entre l'Emir et Béchir el-Sadaoui. Ce dernier accepta que le futur État soit une fédération sous le sceptre d'Idriss El-Senoussi et un traité fut conclu avec la Grande-Bretagne, confiant à cette puissance la défense du Territoire. Télégramme de M. Chambard consul de France à Tripoli au Département français des Affaires étrangères, le 23 juillet 1950.

(3) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous-série anciennes colonies italiennes 1944-1952, dossier n°13, télégramme n°153, de M. Georges Balay représentant du Gouvernement français au Conseil des Dix, au Ministre des Affaires étrangères, le 4 aout 1950.

طريقة لتحقيق ذلك هو الاتفاق مع الأمير محمد إدريس السنوسي المرشّح الوحيد لتاج ليبيا[1]، لهذا أَعطت الحكومة الفرنسية موافقتها لأعضاء فزّان بالسفر والموافقة على ممثلي طرابلس في لجنة الواحد والعشرين، وهو ما حدث يوم 27 يوليو، وكانت أول جلسةٍ للجنة في «الجراند هوتيل» بطرابلس، والتي تم فيها اختيار أبو الأسعاد العالم رئيساً، وناقشت اللجنة التحضيرية في اجتماعها عدد من الموضوعات المتعلقة بطريقة تأليف الجمعية الوطنية، هل ستكون على أساس تمثيلي بنسبة عدد السكان؟ أو على أساس النِّسْبَة؟، أي التّساوي بين الأقاليم الثلاثة في عدد الأعضاء الذين ستتكوّن منهم الجمعية الوطنية، وطريقة الاختيار كيف ستكون؟ بالتعيين أم الانتخاب؟ وإذا تم اختيار مبدأ التعيين من سيكون له حق التعيين، وهل ستُمثّل الأقليات في الجمعية الوطنية؟ وأخيراً تاريخ ومكان انعقاد الجمعية الوطنية.

*** موقف فرنسا من الأحزاب والقوى الوطنية في الجمعية الوطنية:**

في 7 أغسطس 1950م، وافقت اللجنة على إنشاء جمعية وطنية تتكوّن من ستين عضواً، وأقرّت مبدأ التساوي في التمثيل بين الأقاليم الثلاثة. وأثارت هذه المسألة نقاشاً وجدلاً كبيراً بين أعضاء اللجنة التحضيرية، إذ أن ممثلي برقة والسيد بشير السَّعداوي والمندوب الدولي يؤيدون مبدأ الاختيار لتعيين أعضاء الجمعية. بينما عارض وفد فزان هذا الطّرح وأصرَّ على إجراء انتخاب ممثلي طرابلس، واحتكم الطّرفان للتصويت فكانت النتيجة أربعة عشر صوتاً مؤيداً لمبدأ التعيين ضد سبع أصواتٍ للانتخاب[2].

وتشير الوثائق الفرنسية أن رفض بشير السَّعداوي للانتخابات راجع لسببين: الأول

(1) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°13, note n°135, pour M. Schuman ministre français des Affaires étrangères, sur la conférence interministérielle tenue le 27 juillet 1950 sur la Libye, le 31 juillet 1950.

(2) ارويعي قناوي، بشير السَّعداوي ودوه في الحركة الوطنية الليبية، مرجع سبق ذكره، ص362 ـ 361.

هو صعوبة تنظيم الانتخابات، ناهيك عن الوقت الذي سوف تستغرقه عملية إجراء الانتخابات. ثانياً: ضعف حزبه وعدم قدرته على حسم الانتخابات والحصول على نسبة مريحة في اللجنة التأسيسية، بالإضافة إلى مشكلة الأقليات التي سوف تشارك في هذه الانتخابات[1].

إلاّ أن إصرار الحكومة الفرنسية كان له بعدٌ آخر، ألَاَ وهو تنفيذ السياسة الفرنسية الرامية إلى تعطيل حصول ليبيا على استقلالها حتى تحصل من الدّول الكبرى والقوى المحلية على إقرارٍ صريحٍ بمصالحها في إقليم فزّان، هذا من ناحية، ومن ناحيةٍ أخرى العمل على عدم تمكين أنصار الوحدة والفكر القومي من تمثيل طرابلس في اللجنة التأسيسية.

كما أن المفاوضات التي يقودها بشير السّعداوي مع الأمير محمد إدريس السّنوسي في 18 يوليو 1950م، والذي وافق من حيث المبدأ على قبول الفيدرالية والإمارة السنوسية، لم تُحرز أي تقدمٍ ملموس بسبب رفض بعض القوى المحلية هذا الطرح، ولذلك نُصح السعداوي بإجراء مصالحة مع آل المنتصر، سيما إذا عرفنا بأن مختار المنتصر وَصَل إلى القاهرة ليخوض حملة إعلامية ضد السّعداوي، ويشير في لقائاته الصحفية بأن الأخير لا يُمثّل كلّ القوى في طرابلس[2]. وزد على ذلك أن اللجنة الطرابلسية بعثت بمذكرةٍ للجامعة العربية تندّد بقبول السّعداوي للفيدرالية، وممّا زاد من ضعف موقف السّعداوي

(1) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°13, aide_Mémoire, direction d'Afrique_Levant, le 24 juillet 1950.

(2) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°13, lettre du Maurice Couve de Merville ambassadeur de France en Egypte, au Ministre des Affaires étrangères, le séjour de Moukhtar Montasser au Caire, le 20 juin 1950.

أن موقفه الأخير لم يَلْقَ ترحيب واستحسان الجامعة العربية ومصر[1]. ومن الواضح أن الحكومة الفرنسية كانت تخشى بأن هذه التنازلات التي قدَّمها السَّعداوي ما هي إلاّ محاولةٌ لتعيين ممثلي طرابلس في اللجنة التحضيرية وبسط نفوذه عليهم، لذلك يجب أخذ هذه الخطوة السَّعداوية تجاه الأمير بحذر[2].

لذلك عمل بشير السعداوي خلال إقامته في القاهرة على التواصل مع السفير الفرنسي هناك لتوضيح وجهة نظره أكثر، فعقد معه اجتماعاً في 22 أغسطس 1950م، وخلال هذا الاجتماع أكّد السَّعداوي للحكومة الفرنسية رغبته في إقامة النظام الفيدرالي في ليبيا باعتباره هو الأنسب، وأشار أن المَلَكية ممكنة، ولكن النِّظام الجمهوري تحت رئاسة الأمير هي الأفضل.

لم يكتفِ السَّعداوي بهذا التوضيح بل أبدى رغبته في التّوصل إلى تفاهمٍ مع فرنسا، والتي سبق وأن أعرب عنها في سياقٍ سابقٍ من المحادثات، وأنّه على استعدادٍ لتزويد فرنسا بالضمانات كافة التي قد ترغب فيها للحفاظ على مصالحها في فزان، شريطة أن تثق به فرنسا.

اقترح السَّعداوي الاتصال بالسيد «بالاي» فور عودته إلى طرابلس، وسيكون من السهل الاتفاق على برنامج مشترك يعتني بعد ذلك بإحلال الأمير، والبي حَمد سيف النّصر في السُّلطة، ويمكن التفكير في محادثاتٍ تُجرى في بنغازي لهذا الغرض.

علّل السفير الفرنسي في القاهرة «موريس كوف دومورفيل» عَرْض السَّعداوي على فرنسا بسبب عدم وضوحه مع البريطانيين في طرابلس وسوء أحواله مع الجامعة العربية، وأن هدفه من ذلك الحصول على دعم فرنسا أمام تراجع الدعم البريطاني له، ولذلك فإن

(1) ارويعي قناوي، المرجع نفسه، ص361.

(2) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°13, télégramme n°125, de M. Baudet à Londres, le 29 juillet 1950, le Ministre des Affaires étrangères Paris.

عرضه لا يزال بعيداً عن الاهتمام، بيد أن الدور الذي طالب القيام به في تأسيس الدولة الليبية يجب أن نأخذه على محمل الجد[1]، ولذلك لم تمانع الحكومة الفرنسية في اللّقاء الذي عقده مع محمد بي سيف النصر في القاهرة في 27 أغسطس، بخصوص محاولة التوفيق بين البي حَمَد والأمير محمد إدريس والاجتماع في بنغازي بهذا الخصوص، حسب ما عرضه على السفير الفرنسي «كوف دو مورفيل» في 25 أغسطس، بل تعتقد الإدارة الفرنسية بأن هذا العمل ممكن أن يكون مفيداً للسياسة الفرنسية في الظروف الراهنة[2].

في 30 أغسطس 1950م وَصَل إلى طرابلس بشير بي السّعداوي ولم يكن في استقباله إلاّ بعض الشباب من حزب المؤتمر، ولم يكن من بينهم نائبه المفتي محمد أبو الأسعاد العالم، وأَعْلن في اليوم ذاته أن حضوره كان بسبب المشاكل التي تواجه لجنة الواحد والعشرين في تنصيب ممثلين عن طرابلس.

حاول السّعداوي أن يُقنع ممثلي فزان بتغيير وجهة نظرهم حيال مسألة الانتخاب والقبول بمبدأ التعيين، وكُلّلت مساعيه بإقناع السيد المهدي قاضي غدامس بالموافقة على التصويت على مبدأ التعيين، الأمر الذي أزعج السُّلطات الفرنسية واعتبرته خرقاً لسياستها تجاه المسألة الليبية[3].

على الرّغم من هذا الاختراق الذي حقّقه بشير السّعداوي، إلاّ أن الوفد الفزاني

---

(1) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°14, lettre n°76, de M. Couve de Murville, à M. Georges Balay à Tripoli, le 25 aout 1950.

(2) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossiern°14, télégramme n°85, de la Ambassade du France au Caire au Ministre des Affaires étrangères, le 27 aout 1950.

(3) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°14, télégrammes n°126, au M. Chambard Consul du France à Tripoli au Ministres des Affaires étrangères, le 3 septembre 1950.

والبي حَمَد سيف النصر وبدعم الحكومة الفرنسية أصرَّ على عدم الموافقة على مبدأ التعيين لممثلي طرابلس. وأثارت اعتراضات وفد فزان في اللجنة التحضيرية انتقاد السيد أدريان بلت، ومندوب مصر كمال سليم في مجلس العشرة الذي اتّهم فرنسا صراحةً بأن التعليمات التي أعطاها السيد حَمَد سيف النصر هي في الواقع أوامر فرنسية لعرقلة استقلال ليبيا، وأن على السيد بلت إن أراد إيجاد حلاً للمشكلة عليه أن يذهب إلى باريس بدلاً من سبها[1].

ومع ذلك سافر السيد بلت إلى سبها في 12 سبتمبر 1950م، إلاَّ أن مهمته باءت بالفشل، ممَّا أزعج السُّلطات البريطانية التي عبّرت عن قلقها من موقف البي سيف النصر بخصوص انتخاب أعضاء طرابلس في اللجنة التحضيرية، وطالبت من الحكومة الفرنسية الضغط عليه لتغيير وجة نظره، والمسوّغ الذي ساقته الحكومة البريطانية في طلبها كان لخشيتها أن يؤدي موقف وفد فزان إلى ردود فعلٍ غاضبة في طرابلس، وقيام مظاهراتٍ ضد فرنسا بقيادة المفتي. ومن جهةٍ أخرى كُلّلت مساعي الأمير محمد إدريس السنوسي مع البي حَمَد سيف النصر بالنجاح في إقناعه بتغيير وجهة نظره هو والإدارة الفرنسية، التي تحصّلت من الأمير على ضماناتٍ حقيقية لمصالحها في فزان. ولهذا وافق وفد فزّان في 12 أكتوبر 1950م على إقرار مبدأ تعيين أعضاء الجمعية الوطنية بدلاً من انتخابهم. وفي جلسة 23 أكتوبر تقرّر أن يُقدِّم أمير برقة قائمة بممثلي برقة، والبي حَمَد سيف النصر قائمة فزان، وكُلِّف مفتي طرابلس باختيار عشرين شخصاً من بين الأحزاب والقوى السياسية الطرابلسية لتمثيل طرابلس.

شَرَع مفتي طرابلس في مشاوراته مع الأحزاب السياسية الطرابلسية، وتم اختيار تسعة أعضاء من حزب المؤتمر الوطني، وخمسة من حزب الاستقلال، وستة مستقلين،

---

(1) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous – série anciennes colonies italiennes 1944 – 1952, dossier n°14, lettre n°183, de M. Chambard Consul, de France à Tripoli, au Département français des Affaires étrangères, le 20 septembre 1950.

في حين رفض حزب الكتلة الوطنية المشاركة في القائمة، وعَبَّرت الحكومة الفرنسية عن خشيتها من وصول العناصر القومية والوحدوية إلى الجمعية الوطنية، فبادر الحاكم العسكري البريطاني في طرابلس بإرسال رسالة تطمين إلى السيد «بالاي» في 26 أكتوبر، بأن المؤتمر الوطني لم يأخذ الأغلبية في القائمة، وتم اختيار الأعضاء الأكثر اعتدالاً، تغلّبنا على كثيرٍ من المشاكل للحصول على خمسة مقاعد لحزب الاستقلال ولحفظ التوازن بين الحزبين الكبيرين في طرابلس، ويَعْتقد السيد «بلاكلي» Blackley أن السيد بشير السَّعداوي سوف يرفض قائمة المفتي على اعتبار أن حزب المؤتمر الوطني لديه الأغلبية في طرابلس، في حين وافق حزب الاستقلال على ترشيح المفتي لخمسة من أعضائه، وتعهّد السيد «بلاكلي» إذا وافق وفد فزّان على قائمة المفتي فإنه يضمن تصويت وفد برقة، وعلى الأقل ثلاثة أعضاء من ممثلي طرابلس على القائمة الطرابلسية[1].

لم يكن أمام الإدارة الفرنسية أمام تعهّد الحكومة البريطانية بالاتجاهات السياسية لقائمة المفتي، إلاّ القبول بها ولذلك في 30 أكتوبر 1950م، واعتمدت لجنة الواحد والعشرين القائمة الطرابلسية بستة أصوات من برقة، وسبعة من فزان، وصوتان من طرابلس.

لم تكن قائمة المفتي محل ترحيبٍ من بعض القوى السياسية في طرابلس، فقد عارضتها اللجنة الطرابلسية في القاهرة، والكتلة الوطنية الحرة، وقالتا إنهما سوف تقومان بمظاهراتٍ ضدّها، في حين أبدى بشير السَّعداوي استعداده للتعاون والعمل مع الجمعية الوطنية في بداية الأمر ثم عارضها لاحقاً[2].

في 25 نوفمبر 1950م عَقَدت الجمعية الوطنية أول اجتماعٍ لها، وتمّ انتخاب مفتي

---

(1) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°15, télégramme n°60, de M. Chambard consul de France à Tripoli au Ministre des Affaires étrangères, le 26 octobre 1950.

(2) ارويعي قناوي، المرجع السابق، ص365.

طرابلس محمد أبو الأسعاد العالم رئيساً لها، وفي الجلسة الثالثة المنعقدة بتاريخ 2 ديسمبر 1950م، أقرّت الجمعية الوطنية شكل الدولة والحكم، فكان نصّ القرار كالآتي:

أولاً: أن تكون ليبيا دولة مستقلة ذات سيادة، وأن يكون شكل الحكم اتحادياً وفدرالياً عادلاً.

ثانياً: أن تكون الحكومة مَلكيّة دستوريّة ديمقراطية نيابية تحت تاج الملك محمد إدريس السنوسي.

ثالثاً: أن تَرْفع الجمعية إلى جلالة الملك قرارها التاريخي وتعتبره مَلكاً شرعياً على ليبيا منذ الآن.

وعبّرت الحكومة الفرنسية عن ارتياحها لمخرجات الجمعية الوطنية، وذلك عَبْرَ رسالةٍ بعثت بها إلى رئيس الجمعية المفتي محمد أبو الأسعاد العالم، أبدت فيها أطيب التّمنيات لحسن سَيْر العمل في الجمعية الوطنية الذي يجب أن يضمن الرخاء والرفاه لليبيا[1].

وفي 17 سبتمبر 1950م وصلت الجمعية الوطنية بكامل أعضائها إلى بنغازي وقدّمت البيعة للأمير محمد إدريس السنوسي، وتعهّدوا بالولاء التّام له واستقلال بلدهم، وحَضَر سُموّه مراسم الاحتفال الذي أُقيم بقصر المنار، ولم يقم بالاعتراض على ما أنجزته الجمعية الوطنية من قرارات. وبرجوع السّعداوي إلى طرابلس فوجئ ببردة فعل الطرابلسيين تجاه مسألة الوحدة والفيدرالية؛ حيث خرجت مظاهراتٍ حاشدة للتنديد بالجمعية الوطنية وقرارتها وفرنسا وبريطانيا، وكان السيد بشير السعداوي شخصياً من أبرز القيادات الحزبية والسّياسية التي شجبت قرارات الجمعية؛ حيث أنكر على الجمعية حقّها في وضع الدستور مبرراً ذلك (بعدم صلاحية لجنة الواحد والعشرين في اختيار الأعضاء، وأنها لم تراعِ في

(1) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°15, Message n°190, du Gouvernement de la République Française.

تأليفها رغبة الشعب ولا رغبات أحزابه وهيئاته، واختير أعضاؤها من الأحزاب الاسمية ومنها حزب الاستقلال)[1].

أبدت الحكومة الفرنسية تخوفها من معارضة السَّعداوي والأحزاب السياسية الطرابلسية للنظام الاتحادي ودعم مصر وباكستان والجامعة العربية لهم، وأن الجمعية الوطنية لا تُمثّل جميع السكان، وأنه يجب فتح القضية على أساس نسبة السُّكان، فكان رد السّيد «بالاي» أنه لا سبيل إلى الطعن في الإجراءات التي بموجبها تم تأليف الجمعية الوطنية، لأن الجمعية قد أسّستها لجنة تسلّمت شروطها واختصاصاتها من مجلس الأمم المتحدة في ليبيا، فالجمعية الوطنية ممثلاً حقيقياً للأقاليم الثلاثة[2].

غير أن حدة النّقد الموجّه للجمعية الوطنية قد خَفَت بعد أن اعترفت الجمعية العامة للأمم المتحدة في 17 نوفمبر 1950م بالجمعية الوطنية كجهةٍ مخولةٍ بمهمتها الخاصة بوضع الدستور لليبيا.

أمام هذه الاعتراضات حاول السيد أدريان بلت التوصّل إلى حلٍ وسط يَكْمن في أن مجلس الأمة يتكوّن من غرفتين، الأولى مجلس النواب ويكون على أساس عدد السُّكان، ومجلس الشيوخ يكون بالتساوي بين جميع أعضاء الأقاليم، وبعد نقاشٍ بين أعضاء المجلس استمرّ يومي 12 ـ 13 مارس 1951م، وافق كلّ من مندوب فرنسا، وبريطانيا، وفزان، وبرقة، والولايات المتحدة على مشروع القرار، بينما عارضه مندوب كلّ من مصر، وباكستان، وطرابلس، والأقليات.

وافقت فرنسا على مشروع القرار لإدراكها أن أي عرقلةٍ للتطوّر الدستوري في ليبيا قد يضرّ بمصالحها، خصوصاً في ظلّ المعارضة الطرابلسية الشديدة للجمعية الوطنية ومخرجاتها.

حاول بشير السَّعداوي خلال شهر أغسطس 1951م عرقلة عملية التّطور الدّستوري

(1) ارويعي قناوي، المرجع السابق، ص365 ـ 366.

(2) تقرير الأمم المتحدة عن عمل لجنة الواحد والعشرين، ص25.

في ليبيا، وذلك عبر طلب المساعدة من الجامعة العربية في الثامن من أغسطس بحُجّة أن الجمعية الوطنية لا تُمثّل كل سكان ليبيا وأن مخرجاتها غير قانونية، كما جدَّد مطالبه هذه عبر لقائه وزير الخارجية المصري في الجامعة العربية، وتصريحه للصحف في 15 أغسطس بعدم صلاحية النظام الفيدرالي لحكم ليبيا، ونادى بالوحدة، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، عندما طالب الجامعة العربية بتأخير موعد استقلال ليبيا، وعند عودته إلى طرابلس في 29 أغسطس عقد اجتماعاً للمؤتمر الوطني وصرَّح خلاله بأنه طلب من الجامعة العربية ومصر المساعدة على تحقيق الاستقلال الكامل، وذلك بالوحدة الكاملة لليبيا، وتأخير موعد الاستقلال حتى يستطيع إكمال مهمته باستقلال ليبيا الكامل[1].

لم تُعر الحكومة الفرنسية كثير اهتمامٍ لتحركات ومعارضة بشير السَّعداوي للجمعية الوطنية ومخرجاتها وذلك لعدة أسباب:

ـ أولاً: الاتفاق مع الأمير محمد إدريس السنوسي بخصوص المصالح الفرنسية في فزان، واستمرار عائلة سيف النصر في حكم تلك الولاية.

ـ ثانياً: الاتفاق السِّري بين «ماسيجلي ـ يونغر» (Massigli _ Younger) في 15 يونيو 1951م، والذي تحصّلت فرنسا بموجبه على ضماناتٍ من بريطانيا بمصالحها الاستراتيجية في فزان، مقابل توحيد العملة تحت إدارة بريطانيَّة.

هذه التحالفات الجديدة والتي تضم فرنسا، وبريطانيا، والأمير محمد إدريس السنوسي، والبي حَمَد سيف النصر، هي في الواقع أقوى تأثيراً ونفوذاً من بشير السَّعداوي وحلفائه في الجامعة العربية.

في 7 أكتوبر 1951م وافقت الجمعية الوطنية على كل مواد الدّستور، وفوّضت رئيسها ونائبي رئيسها بإصداره وإرساله رسمياً إلى الأمير محمد إدريس السنوسي. وأثارت هذه

---

(1) Archives de MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous _ série anciennes colonies italiennes 1944 _ 1952, dossier n°19, lettre n°274 de Consul de France à Tripoli M. Chambard au Ministre des Affaires étrangères, le 29 aout 1951.

الخطوة بعض الأحزاب السياسية في طرابلس، خاصّةً الكتلة الوطنية، وحزب المؤتمر الوطني، فخرجت مظاهرات في 19 أكتوبر للتنديد بالنظام الفيدرالي الذي تبنّاه الدستور الجديد، وقاد هذه المظاهرات السيد مصطفى ميزران أمام الفندق الكبير وحملت الشعارات التالية «تسقط الفيدرالية» و«نحن الطرابلسيون نريد ليبيا واحدة» و«وحدة ليبيا أو الحرب حتى الموت».

لم تؤثِّر هذه المظاهرات، والتي لم تضم في أحسن أحوالها ـ حسب التقديرات الفرنسية ـ خمسمائة شخص في سير عمل الجمعية الوطنية والتي أنهت أعمالها في جلستها الثالثة والأربعين، يوم 6 نوفمبر 1951م بالموافقة على قانون الانتخابات، وتفويض الرئيس بإصدار القانون وتوقيعه باسم الجمعية الوطنية.

وفي 24 ديسمبر أعلن الملك محمد إدريس السنوسي من قصر المنار في بنغازي استقلال ليبيا وتكليف السيد محمود المنتصر رئيساً للوزراء ووزيراً للخارجية، بعد أن قدَّم استقالته من الحكومةِ المؤقتة.

من خلال دراسة موقف فرنسا من الأحزاب السياسية عامةً وبشير السَّعداوي وحزب المؤتمر خاصةً، نجد أن الحكومة الفرنسية كما سبق وأن ذكرنا لم تتدخّل في الصِّراع بين هذه الأحزاب على النفوذ في طرابلس، ولا في تكوينها على الرّغم من نصيحة قنصلها بتأسيس حزبٍ موالٍ لها، كلّ ما كان يعنيها في هذه المرحلة الحساسة من تأسيس الدولة الليبية هو ضمان نفوذها ومصالحها الاستراتيجية مع القوى المحلية والدولية والأطراف الفاعلة في المشهد الليبي، وكان الأمير إدريس السنوسي أحد أهم هذه الاطراف، ولذلك عَقَدَت معه التفاهمات في كل المسائل العالقة بين الطرفين، أما بخصوص الأحزاب الطرابلسية، فكان حزب الاستقلال أقرب إلى مصالحها السياسية، بينما كانت دائماً تَنْظُر إلى حزب المؤتمر الوطني بعين الرِّيبة والشك، ولذلك رفضت كل محاولات زعيمه بشير السَّعداوي التّقرب من فرنسا والحصول على دعمها، على الرّغم من اعترافه بمصالحها في فزان وتفهّمه للسياسة الفرنسية هناك، وهذا ما عبّر عنه في لقائه مع السّيد «موريس

كوف دو مورفيل» أو السيد «بالاي» فيما بعد، غير أن النفوذ المصري وعزّام باشا الواضح على سياسات السّعداوي والتي تراوحت بين القبول والرّفض للطرح الفيدرالي، وحسب مصالح هذه الدّول حالت دون وصول هذه المفاوضات إلى تحالفٍ حقيقي بين الطرفين، وكلّ ما أبدته فرنسا تجاه الرجل هو محاولة الاستفادة منه في بعض الأوقات للضغط على الأطراف الطرابلسية لتمرير وجهة نظرها حيال التطور الدستوري في ليبيا.

غير أن خذلان السّعداوي من قبل بريطانيا في الوصول إلى منصب رئيس الحكومة أو حاكم طرابلس، دَفَع الأخير إلى الاتجاه أقصى اليمين وتبنّي وجهة نظر مندوب مصر وباكستان في اللجنة الاستشارية وعزّام باشا بالطعن في إجراءات الجمعية الوطنية، بل المطالبة حتى بتأخير موعد الاستقلال، غير أن إقرار قانون الانتخابات من قبل الجمعية الوطنية وتحديد موعدٍ لها رأى فيها بشير السّعداوي فرصة أخرى للوصول إلى سدة السُّلطة وصنع القرار، ولهذا بدأ التّحرك للبحث عن حلفاءٍ جُدد على السّاحة المحلية أو دعم دولي جديد له، وهذا ما سوف نتعرّف عليه في موقف فرنسا من الانتخابات البرلمانية سنة 1952م.

* * *

*** المرحلة الثّالثة ـ القوى الوطنية وصراع السُّلطة والنّظرة الفرنسية في الانتخابات البرلمانية لعام 1952م:**

تُعدُّ التجربة الليبية في المجال الانتخابي بسيطة ومحدودة جداً بالنظر لاستحقاق عام 1952م، والذي يُعدُّ الأول من نوعه في تاريخ البلاد، إلاّ أنه في الحقيقة شهدت طرابلس زمن الإدارة الإنجليزية بعضاً من الجانب الانتخابي، نذكر منها على سبيل المثال الانتخابات البلدية لعام 1948م، والتي شارك فيها الطرابلسيون وكذلك أفراد الجاليات الإيطالية، واليهودية، والمالطية، وكان أكبر الفائزين هو الطاهر بي القرمانلي بـ (11556) صوتاً وهو مُقرَّب من الإيطاليين؛ حيث قامت مسيراتٍ أمام منزله في «بورتا بينيتو» (Porta Benito) تهتف عاشت إيطاليا، أمّا السيد علي حسن الفقيه فقد تحصّل على ما نسبته (6298) من الأصوات، وهو الذي أثار قلق الفرنسيين بسبب مواقفه العروبية ومناداته بالوحدة للأراضي

الليبية، وكذلك مواقفه تجاه الإنجليز. أما باقي المُرشّحين فقد رأت فيهم فرنسا أنهم لا يُشكلون ذلك الخطر، خاصّة وأن جُلّهم ليست لديهم انتماءاتٍ حزبية، ويُكنّون الود تجاه إيطاليا. أما فيما يخص منصب عميد بلدية طرابلس فقد كانت فرنسا تميل إلى السيد الطاهر القرمانلي بسبب توجهاته الإيطالية[1]، وبذلك يمكننا القول إن فرنسا وإيطاليا تربطهما تحالفاتٍ كبيرة، ولذا نرى موقف فرنسا الإيجابي في هذا الاتجاه.

أمّا برقة فقد شهدت بعد سنواتٍ طوال أول انتخاباتٍ في عهد الإمارة في 17 أبريل 1950م، وفقاً للمادّة الثامنة من الدّستور البرقاوي على عدد تسع مناطق انتخابية موزّعة على المدن التالية: بنغازي، المرج، درنة، والقُرى وغيرها 41، تم فوز 50 مرشحاً، فيما عُيِّن أحد عشر عضواً من قِبل الأمير وفقاً للمادة 43 من الدستور، وتم افتتاح المجلس يوم 12 يونيو 1950م، وفيما يتعلّق بفزّان الفرنسية فلم نجد أي أثرٍ لانتخابات، بل كانت اختيارات ومن بينها اختيار البي حَمَد لمستشاريه في مجلسه الخاص بالنظام السياسي الموضوع من قبل الفرنسيين في 12 يناير 1950م، وفقاً للمادّة الأولى من هذا النظام المتعلّقة بالدستور والسُّلطات[2]، وكذلك وفقاً لدستور فزّان، الباب الثاني، السُّلطة التنفيذية المادّة 14[3].

كما لاحظنا ممّا تم تدوينه حول فرنسا والحركة الوطنية خاصّةً المنضوية تحت قيادة البيك بشير السَّعداوي من عداء، ولكن بعد اقتراب إجراء الانتخابات، أضحى كِلاَ

---

(1) Archives du MAE La Courneuve, série Afrique Levant sous_série anciennes colonies italiennes 1944_1952, dossier n°6 janvier_avril 1949, document secret sur les élections municipales de Tripoli, le 29/ 1/ 1949 de M. Chambard consul de Franc à Tripoli à M. R. Schuman ministre des Affaires Etrangères, pp1_3.

(2) Archives de ANOM Aix_En_Provence, gouvernement général de l'Algérie, affaires indigènes 1830/ 1960, fonds ministériels F81, Fezzan 1943_1952, dossier n°979, régime transitoire du Fezzan, p1_3.

(3) Archives de ANOM Aix_En_Provence, gouvernement général de l'Algérie, affaires indigènes 1830/ 1960, fonds ministériels F81, Fezzan 1943_1952, dossier n°979, la constitution du Fezzan, p1_4.

الطرفين يحاول أن يكون له دورٌ كبير في المرحلة القادمة، وجاءت هذه الانتخابات وفقاً لمقترحٍ قدّمته الدول الإثنى عشر إلى لجنة السياسة في الأمم المتحدة في 23 يناير كانون الثاني، واعتُمد ذلك بالقرار رقم 515(1) في الأول من فبراير 1952م، من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها السّادسة التي عُقدت في باريس، وأشارت الفقرة الثانية من القرار، إلى أن انتخاباتٍ وطنيّة حُرّة وديمقراطية، ستجري وفقاً لدستور المملكة الليبية المتحدة. وتهدف هذه الانتخابات لانتخاب برلمانٍ جديد، وذلك بعد أن تكون الجمعية الوطنية التأسيسية قد أنهت مهامها.

لقد كانت اللُّعبة الانتخابية الأكبر لهذه الانتخابات على المقاعد البرلمانية في إقليم طرابلس، خاصّة العاصمة، لما لهذا الإقليم من خصوصيّةٍ تُميّزه عن كل من فزان وبرقة، إقليمي الزّعيم الواحد، فقد كان التنافس الحزبي والشّخصي على أشدّه بين السّاسة الطرابلسيين، ومن هذا المنطلق كان لهذا البرلمان 35(2) مقعداً لطرابلس، 15 مقعداً لبرقة، و5 مقاعد لفزان، تبعاً لعدد سكان كل إقليم، وفي حين أن الجمعية الوطنية أُنشئت على أساس التكافؤ كما كان الحال بالنسبة للجنة الواحد والعشرين، والجمعية الوطنية التأسيسية. عن طريق الانتخاب، فيما يختار الملك الأربعة وعشرين عضواً لمجلس الشيوخ، ثمانية عن كل إقليم(3).

(1) انظر: موقع الأمم المتحدة قرار رقم 515 المتعلق بالقضية الليبية في دورتها السادسة المنعقدة في باريس نوفمبر 1951م ـ فبراير 1952م، تمّت المشاهدة 19 ـ 8 ـ 2017م.

«http://www.un.org/fr/documents/view_doc.asp?symbol=A/RES/515(VI)»

(2) إبراهيم عميش، التاريخ السياسي ومستقبل المجتمع المدني في ليبيا، الطبعة الأولى، دار برنيق للنشر، 2008م، ص259.

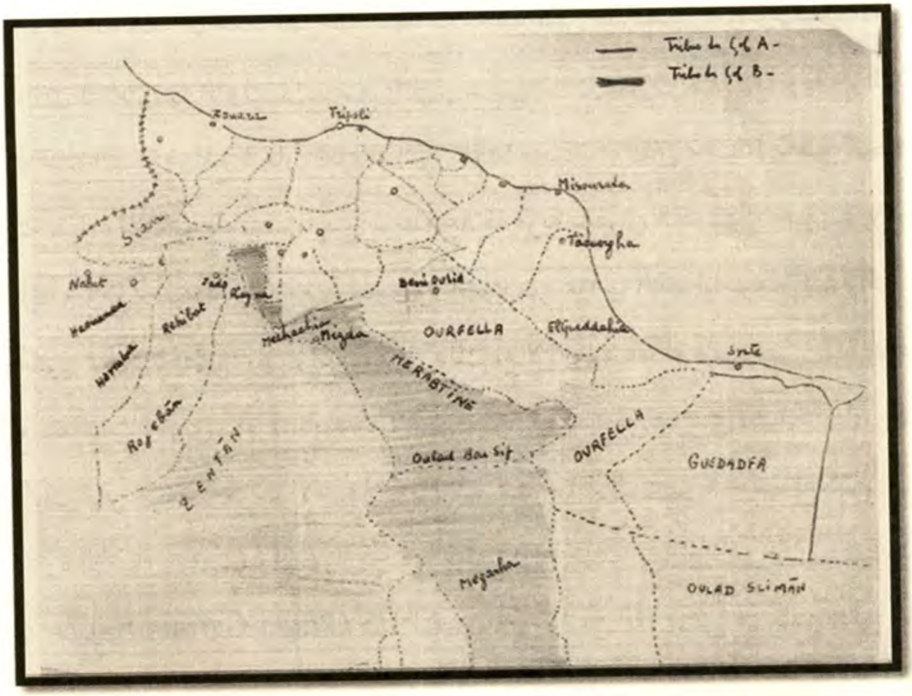
(3) Archives de ANOM d'Axe-En-Provence, gouvernement général de l'Algérie, affaires indigènes 1830/1960, fonds ministériels F81, Fezzan 1943-1952, dossier n°986, document secret n°23/AL, 28 mars 1953, de Ministère des Affaires Etrangères direction des Affaires politique à le Ministère de l'intérieur sous-direction la Libye, note relative à la Libye p40.

وفي الحقيقة أن هذه المرحلة شهدت مجموعتيْن متنافستيْن، الأولى بقيادة بشير السَّعداوي المعارض الأول ـ إن صحّ التعبير ـ لسياسات الدول الاستعمارية، والداعي إلى الوحدة الليبية ورافع شعار العروبة التي تقوده مصر، والثانية متمثلة في الحكومة المؤقتة بقيادة محمود المنتصر الذي تربطه علاقة قوية بالقوى الكبرى، خاصّة بريطانيا وإيطاليا، وفي حقيقة الأمر يُعدُّ محمود المنتصر عَرَّاب الاتفاقيات مع هذه الدّول، ولا نَعْلَم، فربما تحصّل على وعودٍ مقابل ذلك أم لا؟ وإنصافاً له فإنه رفض طلبات فرنسا لتوقيع اتفاقياتٍ أخرى، أو تمديد مُدّة الموقّعة، كما أنّه من مؤيدي الفيدرالية، إضافةً إلى ذلك من خلال حزب الاستقلال برئاسة عمه سالم المنتصر؛ حيث تمكن الأخير من إدارة الأمور خاصّةً وأن ليبيا مجتمع قبلي؛ إذ يصف لنا السفير الفرنسي السيد روجيه غارو (Roger Garraeu) هذا التقسيم، وموازين القوى في طرابلس على النحو التالي:

1 ـ المجموعة الأولى تضم التحالفات التالية: قبائل سرت (ورفلة، قذاذفة، أولاد سليمان) ومجموعة الزنتان (الرجبان، الحرابة، الحوامد، الصيعان) أصدقاء سيف النصر وتحت سيطرة حزب بشير السَّعداوي.

2 ـ المجموعة الثانية وتضم التحالفات التالية: (أولاد بوسيف، المشاشية، المقارحة) معاديين لسيف النصر وتحت سيطرة حزب الاستقلال برئاسة سالم المنتصر، عم رئيس الوزراء من قبيلة مصراتة[1].

(1) Archives de la défense SHD Vincennes, département interarmées, ministériel et interministériel, Répertoire numérique des archives des attachés de défense 1939 – 1986 (Europe, Afrique, Moyen – Orient, Asie), sous – série 14 S 2011, dossier n° 14 S 237, document secret n° 225, le 19 avril 1952, M. Garreau ambassadeur de France à Tripoli, à M. R. Schuman, ministre des Affaires étrangères, p. 5.



التقسيم القبلي (الصَّف) حسب السّفير الفرنسي السيد روجيه غاروو[1]

هذا التقسيم إن دلّ على شيء فإنما على حدّة المنافسة، واستعداد كل تشكيلٍ سياسي على خوض الانتخابات البرلمانية الأولى من نوعها في تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر.

ولكن بما أن موضوع بحثنا عن الحركة الوطنية وفرنسا، فماهي خطوات كلّ منهما في هذه الانتخابات؟ الحقيقة لم يتأخر البي السَّعداوي في محاولة التّقرّب من الفرنسيين بعد سنواتٍ من العداء والكراهية بينهما؛ حيث لم يلبث أن اتّهم البي فرنسا وسياساتها الاستعمارية في ليبيا، وبالفعل كان أول لقاءٍ بينه وبين الفرنسيين في 10 يناير 1951م؛

(1) Archives de la défense SHD Vincennes, département interarmées, ministériel et interministériel, Répertoire numérique des archives des attachés de défense 1939 – 1986 (Europe, Afrique, Moyen – Orient, Asie), sous – série 14 S 2011, dossier n° 14 S 237, document secret n° 225, le 19 avril 1952, M. Garreau ambassadeur de France à Tripoli, à M. R. Schuman, ministre des Affaires étrangères, op. cit. p6.

حيث استعرض السَّعداوي الوضع مع الفرنسيين وأنه لا يُحبّذ الفيدرالية، ولكن حسب قوله يمكن إعطاء استقلالٍ أكبر للإدارات، وأبلغهم أن غالبية الطرابلسيين ضد الفيدرالية، وأن البرلمان يجب أن يكون حسب عدد السُّكان، فردَّ عليه السيد «بالاي» أن ذلك سيلاقي معارضةً شديدة من البرقاويين والفزانيين، «وأنني أرى السَّعداوي واثق من نفسه كثيراً، وأن الفيدرالية كلمة مصطنعة، وأعتقد أنّنا ليس لدينا أية مصلحة من مواصلة الحوار معه في هذه اللحظة، وهو الخاسر الأكبر»[1].

وفي هذا الصَّدد وعن طريق الإنجليز خلال مقابلتهم مع الأمير الذي حذرهم في وقتٍ سابق من السَّعداوي؛ حيث قال الأمير للسيد روبيرت بلاكلي (Robert Blackly) المقيم البريطاني بطرابلس «أن السيد السَّعداوي له مائة وجهٍ ومائة حقيقة وحقيقة»[2]. في الواقع هنا تتضح الحنكة السياسية للأمير في إقناع الآخر، خاصّة من خلال هذه العبارة للسيد بلاكلي بخصوص السَّعداوي والانتخابات «وهو يَعْلَمُ جيداً أنَّنا الأكثر حظاً للفوز بالانتخابات في جميع الأقاليم الثلاثة، فحزب المؤتمر له مطلبٌ واحد فقط وهو الوحدة وحكومة واحدة»[3].

إلاّ أنّه في 10 يونيو 1951م، التقى السَّعداوي بالمسؤولين الفرنسيين؛ حيث ذكر البي السَّعداوي للسيد «بالاي» المندوب الفرنسي في مجلس العشرة للأمم المتحدة في

(1) Archives de la défense SHD Vincennes, département interarmées, ministériel et interministériel, répertoire numérique des archives des attachés de défense 1939 _ 1986 (Europe, Afrique, Moyen _ Orient, Asie), sous _ série 14 S 2011, dossier n° 14 S 237, document secret n°23J, le 10 janvier 1951, conversation M. Chambard avec Béchir Sadaoui, p1 _ 3.

(2) Archives de la défense SHD Vincennes, département interarmées, ministériel et interministériel, répertoire numérique des archives des attachés de défense 1939 _ 1986 (Europe, Afrique, Moyen _ Orient, Asie), sous _ série 14 S 2011, dossier n° 14 S 237, document secret 30 mai 1951, conversation entre M. Blackly et M. Balay p1 _ 2.

(3) Ibid. p2.

ليبيا «لقد أخطأت بوضع الثقة في السيد السنوسي، فهو إنسانٌ بدون شخصية، استخدمه الإنجليز من أجل مصالحهم لتبنّي سياسةً أخرى، لا يمكنني أن أسمح لحكومة المنتصر بتولّي زمام الأمور في البلاد، وهي لا تملك الحاضنة الشعبية. . . وهو متأسف على عدم دعم فرنسا له في المحافل الدولية. . . ولكن نحن لم نخسر شيءٍ بعد»[1]. ولم تكن المقابلة عند هذا الحد، فقد عَرَض السَّعداوي خطة عملٍ انتخابي على الفرنسيين (حيث اقترح عليهم أن يتم ترشيح الأخ الأصغر لبي فزان عمر سيف النصر المناهض للإنجليز للترشح في منطقة سرت لإحباط السياسة الإنجليزية من جهة، والحصول على دعم قبائل سرت مثل، ورفلة، والقذاذفة، وأولاد سليمان المطالبين بالانضمام إلى فزان، وسيحظون بدعمي، وأعتقد أننا يمكننا العمل معاً، وأنهى عرضه بقوله أنه ينتظر أن تَعْرِضوا هذا على حكومتكم، وفي انتظار ردكم)[2].

وفي الحقيقة تُعدُّ هذه الخطوة للبي السَّعداوي متأخرة جداً، خصوصاً فيما يتعلّق بحصوله على موطأ قدمٍ في حكم ليبيا، لأنه بكل بساطة أخذته العاطفة أكثر من الدهاء والمكر السياسيين، كما هو الحال عند محمود المنتصر. أراد بهذا التحالف أن تضغط فرنسا على حلفائها في الشأن الليبي من أجل أن يكون له دورٌ سياسي كبير، ولكن انعدام الثقة تجاه السَّعداوي ونجاح الخصوم في تشويهه، هذا ما وضعه في هذا الموقف، وفي واقع الأمر لم نجد أي وثيقة تثبت ردّ فرنسا على مقترح السَّعداوي، وذلك ربما لأن منطقة طرابلس وما يدور فيها من أحداثٍ سياسية لا تهم فرنسا بالدرجة الأولى، خصوصاً وأنها أرادت فقط الحفاظ على فزان، وذلك من خلال اتفاقها سرّياً مع بريطانيا (ماسيجلي - يونغر Massigli - Younger) في 15 يونيو 1951م، والذي أرادت من خلاله فرنسا الحصول على

(1) Archives de la défense SHD Vincennes, département interarmées, ministériel et interministériel, répertoire numérique des archives des attachés de défense 1939 - 1986 (Europe, Afrique, Moyen - Orient, Asie), sous - série 14 S 2011, dossier n° 14 S 237, document secret n°76/ N, le 10 juin 1951, conversation M. Chambard avec Béchir Sadaoui, p1 - 4.

(2) Ibid. p3 - 4.

ضماناتِ بقائها في ليبيا، في المقابل تدخل ليبيا في نظام العملة الإنجليزية «الإسترليني»، من وجهة نظرنا أن هذا الاتفاق يُعدُّ بداية النهاية للوجود الفرنسي في ليبيا، لأنه بالتّحكم في مركز الدولة من خلال المال يمكنك إخضاع الكل؛ حيث بدأ السّاسة الليبيون بالضغط على فرنسا لترك ليبيا، وتم ذلك بعد اتفاقية حُسْن الجوار عام 1956م.

لقد حاول بعض الليبيين التواصل مع الفرنسيين من أجل التحالف معهم من أمثال «طاهر جلغم» من ورفلة الذي ترك حزب الاستقلال، ولكن في كلّ مرة لم نجد أية ردة فعلٍ فرنسية[1]، إضافة إلى الشيخ صالح السّايح من الجعافرة الذي كان على أتم استعداد للخدمة تحت فرنسا[2]، كذلك الشيخ غويزي من المقارحة الذي عَرَض خدماته على الفرنسيين، وكان رد السيد روجيه شمبار (Roger Chambard) أنه ليس من صلاحياته الرّد على طلبه، وأنه يُحذّر منه للعداء الذي يكنّه تجاه سيف النصر، وأن المقارحة من ضمن صَفّ المنتصر ومصراتة[3]. وهذا إن دلّ على شيءٍ فإنما على حدة التنافس ورغبة

(1) Archives de la défense SHD Vincennes, département interarmées, ministériel et interministériel, répertoire numérique des archives des attachés de défense 1939-1986 (Europe, Afrique, Moyen-Orient, Asie), sous-série 14 S 2011, dossier n° 14 S 237, document n°110, (tribu d'Ourfalla) le 15 août 1951, de M. Chambard, consul de France à Tripoli, p. 1

(2) Archives de la défense SHD Vincennes, département interarmées, ministériel et interministériel, répertoire numérique des archives des attachés de défense 1939-1986 (Europe, Afrique, Moyen-Orient, Asie), sous-série 14 S 2011, dossier n° 14 S 237, document n°110, (tribu des Jaafra) le 13 novembre 1951, de M. Chambard, consul de France à Tripoli, p. 1

(3) Archives de la défense SHD Vincennes, département interarmées, ministériel et interministériel, répertoire numérique des archives des attachés de défense 1939-1986 (Europe, Afrique, Moyen-Orient, Asie), sous-série 14 S 2011, dossier n° 14 S 237, document n° 113/ N, visite du cheikh Ghouizi des Megarha au consulat français à Tripoli, p. 1.

كل شخصية بالفوز بمقعدٍ في البرلمان، حتى وإن لزم الأمر إيجاد تحالفاتٍ وعرض خدماتٍ على المستعمر.

أما فيما يخصّ فرنسا وانتخابات الجنوب الليبي، فقد دارت بالشّكل المرسوم له من قبل الفرنسيين؛ حيث لا أخبار وَرَدَت من هناك، فمثلاً إذا أخذنا انتخابات منطقة غات ـ سردال التي أراد الفرنسيين إعداد القوائم والتشاور مع السيد عمار حسيني من الطوارق الذي أعلن أنه لا يريد أن يكون جزءًا من ليبيا، حتى ولو تركته فرنسا، فتم استدعاؤه من قبل الفرنسيين للتشاور يوم 29 يناير 1951م للبث في ما أعلنه الطوارق، وبعد مشاوراتٍ جرت الانتخابات وتقدّم لها عدد 58 مرشحاً، ثم أضيف 5 مرشحين آخرين ليصبح العدد 63، في مناطق سردال، تونين، الفهيوات، البركات، ومن ناحية أخرى، يُفسّر الفرنسيون أن تَرشُّح بعضاً من الطّوارق الذي وصل إلى 20 مرشحاً هو من أجل قضيتهم الاجتماعية وموقفهم من البيض. وانتهى المطاف بفوز عمار حسيني من الطوارق[1]، فيما فاز المُرشّح الوحيد من «غات ـ سردال» السيد شلقم المدير السابق لمنطقة «غيافه»[2]. ويتّضح لنا على الرغم من أن التقرير أشار إلى عدم تدخل فرنسا في سير الانتخابات، إلاّ أنه من خلال تفاوضها مع حسيني وفوزه في نهاية المطاف يطرح تساؤلاتٍ عدة؟

وبالعودة إلى طرابلس فقد بدأت الانتخابات بين السّعداوي مرشح المعارضة وقائمته، والمنتصر مُرشح الحكومة، والجدير بالذكر كانت غالبية السُّكان من الأميين، ولذلك قامت

(1) Archives de ANOM d'Axe-En-Provence, gouvernement général de l'Algérie, affaires indigènes 1830/ 1960, fonds ministériels F81, Fezzan 1943-1952, dossier n°986, rapport du Capitaine Liepvre chef d'annexion d'Ajiir au sujet des opérations préparatoires aux élections dans la zone Ghât-Seredels, 03 février 1952 à Ouargla, p1-4.

(2) Ibid. p2.

اللجنة المُنظِّمة بوضع الألوان كرمزٍ لكلّ مرشح ليَسْهل على الناخبين معرفة مرشحيهم[1]؛ حيث أشارت الدّلائل وفق حديث السيد «روجيه شمبار (Roger Chambard)» إلى فوز المعارضة بقيادة السَّعداوي، إلاّ أن مرشحي الحكومة أعلنوا أنفسهم فائزين واتّهموا المعارضة بتحريف النتائج، وهو الاتهام نفسه الذي وجّهه السَّعداوي إلى الحكومة ومرشحيها، وجاءت النتائج على النحو التالي:

- طرابلس: 22 منتخب من مرشحي الحكومة، 8 بشير السَّعداوي والمعارضة.
- بنغازي: 12 من مرشحي الحكومة، 3 من المعارضة.
- فزان: خمسة من مرشحي الحكومة.

فيما ظلّت 5 مقاطعات من دون معرفة نتائجها؛ حيث تم تأجيلها بسبب أعمال العنف والاحتجاجات[2].

في ظلّ هذه النتائج والاتهامات المتبادلة، رصد السيد «شمبار» الأجواء الانتخابيّة بقوله «في الوقت الذي مرّت فيه الانتخابات في كلّ من برقة وفزان بكل هدوء ولم تشهد أي مشاكل، كان العكس من ذلك تماماً في طرابلس، والتي شهدت أحداثاً دامية نَتَج عنها قتيلان و34 جريحاً في مصراتة، وقتيلان و17 جريحاً في قلعة بينيتو(Castel Beinto)، وفي ترهونة عشرات الجرحى، وفي سوق الجمعة بطرابلس شهدت أحداث عنفٍ بعد إعلان النتائج، ما اضطر الشرطة لاستخدام السّلاح وقتلت اثنين من المعارضة، وجرحت 44 آخرين، ولم يتوقف العنف عند ذلك، واستخدمت الشّرطة السّلاح ثانيةً وقتلت

(1) تقرير إيطالي عن الانتخابات، https:// www.youtube.com/ watch?v=W5h9NnrW_3s تمت مشاهدته يوم 23 أغسطس 2017م.

(2) Archives de ANOM d'Axe_En_Provence, gouvernement général de l'Algérie, affaires indigènes 1830/ 1960, fonds ministériels F81, Fezzan 1943_1952, dossier n°986, document n°137/ 5247, de commandant d'armée à Sebha à gouvernement général Algérie à Ministère des Affaires Etrangères Paris, le 25 février 1952, p.1.

شخصاً آخر وجرحت 23، وفي نهاية المطاف تم حظر التّجوال من السّاعة 6 مساءً إلى 6 صباحاً»[1].



مواجهات وعنف بين المعارضة والشُّرطة[2]

إذا نظرنا إلى نتائج فزّان نجد الفائزين من مرشحي الحكومة، ما يطرح علامات استفهامٍ كثيرة حول دور الدّول الكبرى في ذلك، خاصّةً وأن مرشحي الحكومة من حزب الاستقلال، وأن هذا الحزب لديه علاقات وتحالفاتٍ بالدّول الكبرى. أمّا فيما يتعلّق بالسيد

(1) Archives de ANOM d'Axe-En-Provence, gouvernement général de l'Algérie, affaires indigènes 1830/ 1960, fonds ministériels F81, Fezzan 1943-1952, dossier n°986, télégramme n°5250, consul de France à Ministère des Affaires Etrangères Paris, le 23 février 1952, échauffements entre manifestants de l'opposition et la police. P.1.

(2) تقرير مصوّر باللّغة الإنجليزيّة عن أحداث العنف بعد انتخابات عام 1952م:
https://www.youtube.com/watch?v=i-0XniQILHw شوهد يوم 23 أغسطس 2017م.

السّعداوي فقد أشار القنصل الفرنسي في رسالته الموجّهة إلى الحاكم العام في الجزائر أن الحكومة أصدرت يوم 22 فبراير، الأمر بالقبض على السَّعداوي وأخيه وحفيده، وبالفعل تم اعتقالهم ونقلهم إلى قلعة بينتو (Castel Benito)، ومنها سيُطردون إلى مصر[1]. وفي واقع الأمر لم يَصْدُر عن المسؤولين الفرنسيين أي تصريحاتٍ بشأن ما حدث للسَّعداوي، ولكن يبقى الأكيد أنهم تخلّصوا من خطرٍ ربما في كان في المستقبل القريب سيكون محدقاً بتواجدهم في فزان، في حين اتهمته الحكومة بأنه يحمل جنسيةً غير ليبية، وفي الجلسة نفسها قرّرت الحكومة بعد التشاور مع الملك حل جميع الأحزاب السياسية[2].

خلاصة القول أن لعبة الانتخابات لا ترتكز على معاييرٍ ثابتة يمكننا الجزم من خلالها على صدق النوايا أو الأشخاص، وتظلّ اللُّعبة السياسية هي الأصعب من جميع النواحي إذا نظرنا لما يتعرّض له الشخص من العديد من التُّهم مثل: التخوين، والتبعية، والرضوخ، وغيرها، ولكن ما يهم في نهاية المطاف هو ذكاؤه وحنكته السياسية التي توصله إلى مبتغاه، ولكن ربما كانت حنكة من تحالف مع فرنسا وإيطاليا وبريطانيا تهدف إلى فكرةٍ مفادها إعطاء الفرصة لاستقلال البلاد، ومن ثم يتم تصفية الحسابات في وقتٍ لاحق، وهذا ما حدث لفرنسا التي كانت أولى الضحايا التي تم أقصاؤها من ليبيا، بل حَدَث لها أسوأ من ذلك، فقد كانت القضية الليبية ضربة قاضية لفرنسا ولوجودها في شمال أفريقيا، خاصّةً في تونس والجزائر، اللتين تلقتا الدَّعم التّام من ليبيا أثناء كفاحهما ضد فرنسا من أجل الحرية والاستقلال، وكانت الحدود الليبية شرٌّ وبيل على فرنسا، ما أدّى في نهاية المطاف لإقصائها من شمال أفريقيا وإنهاء وجودها العسكري. أمّا سياسة التّعنت والتّكبر التي اتّبعها السَّعداوي فلم تُجْدِ نفعاً سوى إنهاء حياته في المنفى. فالحقيقة أن ليبيا في

(1) Archives de ANOM d'Axe_En_Provence, gouvernement général de l'Algérie, affaires indigènes 1830/ 1960, fonds ministériels F81, Fezzan 1943_1952, dossier n°986, télégramme n°5248, le 23 février 1952, le consul de France à Tripoli à M. le gouverneur général de l'Algérie, p.1.

(2) إبراهيم عميش، المرجع نفسه، ص260.

تلك الفترة كان النظام الفيدرالي هو الأنسب لها، لأنه إذا حصل عكس ذلك فسنجد قبائل تتناحر وحروباً أهلية لا نهاية لها، وخير دليلٍ على ذلك الصّراع السّياسي الحاصل اليوم في ليبيا.

مما سبق اتضح لنا أن المسارات التي مرّت بها مواقف الحكومة الفرنسيّة من القوى الوطنية في طرابلس تنبع من ثلاث نقاطٍ رئيسة حسب تبدّل المواقف الدولية من المسألة الليبية، وبمعنى آخر السياسة الفرنسية تجاه القوى الوطنية في طرابلس يحدّدها التطور الذي يطرأ على الملف الليبي في دهاليز السياسة الدولية.

ـ المسار الأول:

النّهج الأول الذي انتهجته فرنسا حيال الحراك الوطني في طرابلس هو عدم التدخل في النشاط السياسي هناك، مع عدم السّماح له بالتّمدّد داخل مناطق نفوذها في فزان. وكان ذلك واضحاً في تعليمات وزارة الخارجية الفرنسية بتاريخ 13 فبراير 1945م، لمساعد القنصل الفرنسي في طرابلس، بعدم التّدخل في الشؤون الداخلية في طرابلس إلاّ بالتنسيق مع الإدارة العسكرية البريطانية، وأن دوره بخصوص القوى السياسية في طرابلس تقتصر على مراقبة نشاطها فحسب، على الرغم من احتجاج القوى الوطنيّة على السّياسة الفرنسيّة نحو المسألة الليبية وذلك بتشجيع عودة إيطاليا إلى طرابلس.

ـ المسار الثاني:

بصدور قرار الأمم المتحدة في 21 نوفمبر 1949م القاضي باستقلال ليبيا، عملت الحكومة الفرنسية على مراجعة سياستها السابقة بخصوص المسألة الليبية، وأدركت أنها لن تستطيع إيقاف قطار استقلال ليبيا، إلاّ أنها عملت بحرفيةٍ كبيرة على إبعاد أنصار تيار الوحدة والقوميّة من لجنة الواحد والعشرين، والجمعية الوطنية، وذلك عبر إعادة صياغة تحالفاتٍ جديدة مع الأمير إدريس السنوسي والبي حَمَد سيف النصر ضدهم، وحاول السيد بشير السَّعداوي بعد شعوره بخذلان حلفائه الإنجليز له التّقرب من الإدارة الفرنسية والحصول على دعمها له، إلاّ أن الأخيرة وإن استمعت له لم تستجبْ لمطالبه بالتحالف

معه، وفضلت التفاهمات التي أجرتها مع بريطانيا والأمير إدريس السنوسي، كأساسٍ لنفوذها وحماية مصالحها في ليبيا.

ـ **أما المسار الثالث والأخير**: فكانت الانتخابات البرلمانية سنة 1952م فرصة أخيرة للسيد بشير السَّعداوي للعودة إلى واجهة السُّلطة بعد أن أُقصِي عنها بالتحالف مع محمود المنتصر، وأيضاً لمواقفه المتقلّبة من الدّستور وتأييده له وإعادة خلط الأوراق الانتخابية لغريمه محمود المنتصر، وذلك بترشحه عبر التحالف مع أولاد سليمان في منطقة سرت، إلاّ ان الإدارة الفرنسية فضّلت الإبقاء على تحالفاتها السابقة، والاكتفاء بنفوذها في منطقة فزّان، ولذلك رفضت كل طلبات المساعدة من قبل خصوم آل المنتصر حلفاء الملك وبريطانيا.

المصادر والمراجع

* أولاً - المصادر والوثائق الفرنسية Archives françaises:

1 - وثائق وزارة الخارجية Archives ministère des Affaires Etrangères:

- Documents série Afrique Levant - sous - série anciennes colonies italiennes 1944 - 1952. Représentations consulaires en Libye, Consulat de France à Tripoli 1944 - 1952.
- Dossier n° 2 novembre 1944 - novembre 1946.
- Dossier n° 3 1946 - 1948.
- Dossier n° 5 questions politiques libyennes dossier général sept - déc 1948.
- Dossier n° 6 questions politiques libyennes, janvier - avril 1949.
- Dossier n° 7 questions politiques libyennes mai - juin 1949.
- Dossier n° 10 questions politiques libyennes octobre novembre 1949.
- Dossier n° 13 janvier - août 1950.
- Dossier n° 14 août octobre 1950.
- Dossier n° 15 octobre - décembre 1950.
- Dossier n° 19 juin - août 1951.
- Dossier n° 22 transfert des pouvoir février - décembre 1951.
- Dossier n° 34 janvier - décembre 1947 Fezzan - Ghadamès.
- Dossier n°44, Libye 1944 - 1952.
- Dossier n°60 Libye 1945 - 1952.
- Dossier n°64 Libye 1944 - 1950.

2 - وثائق وزارة الدفاع Archives de la défense:

- Armée de la Terre Algérie 1945 - 1963, tome II.

- Dossier n°14 S 237 Libye - Fezzan 1943 - 1956.

3 ـ أرشيف وزارة مستعمرات ما وراء البحار Archives Outre-mer:

- Archives des Affaires Sahariennes, fond ministériel F81 1881 - 1963, Fezzan 1943 - 1959.

- Dossier n°979 Fezzan.

- Dossier n°986 Fezzan.

* ثانياً ـ المراجع:

أ ـ مراجع أجنبية:

- BESSIS, J., La Libye contemporaine, histoire et perspectives méditerranéennes, L'Harmattan, Paris, 1986.

- De Gaulle, C. Lettres notes et carnets, télégramme du général de Gaulle au général Leclerc, le 22 septembre 1942, Charles de Gaulle, éd. Plon, 1982.

- Guillen, P. «De Gaulle et l'Italie, de la Libération à son départ du pouvoir (1944 - 1946)». In: De Gaulle et l'Italie. Actes du colloque de Rome, 1er - 3 mars 1990. Rome: École Françoise de Rome, 1997. Pp. 45 - 64.

- Ibrahim, A. A., «Les conditions administratives, économiques et sociales au Fezzan sous l'administration militaire française 1943 - 1956», Moncef Ouannès et Pierre Noël Denieuil, Une histoire méconnue. Les relations libyo - françaises au Fezzan de 1943 à 1956, Édition Cérès, Tunis, IRMC, 2012.

ب ـ مراجع عربية:

1 ـ إبراهيم عميش، التاريخ السياسي ومستقبل المجتمع المدني في ليبيا، الطبعة الأولى، دار برنيق للنشر، 2008م.

2 ـ أبوعجيلة محمد الهادي عبدالله، كفاح الشعب الليبي من أجل الوحدة والاستقلال (1939 ـ 1963م) دار ومكتبة الشعب، 2012م.

3 ـ ارويعي محمد علي قناوي، بشير السعداوي والحركة الوطنية، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، ط1، 2014م.

4 ـ سالمة محمد الجاضرة، الجماعات السياسية الليبية أصولها التاريخية مواقفها السياسية وممارستها التوفيقية (1943 ـ 1951م) رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة قاريونس [سابقاً] 1984م.

5 ـ عقيل البربار، حركة التحرر الليبية في القرن العشرين، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني الثلاثون، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2011م.

6 ـ عز الدين العالم، تاريخ ليبيا المعاصر السياسي والاجتماعي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2000م.

7 ـ كلوديو سيجري، الشاطئ الرابع، الاستيطان الإيطالي في ليبيا، ترجمة عبد القادر الوحيشي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1987م.

8 ـ خدوري مجيد، ليبيا الحديث، دراسة في تطورها السياسي، ترجمة: نيقولا زيادة، دار الثقافة، بيروت، 1966م.

9 ـ محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، وثائق تحريرها واستقلالها، الجزء الأول، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1957م.

10 ـ محمد يوسف المقريف، ليبيا بين الماضي والحاضر، ج1، مركز الدراسات الليبية، أكسفورد، 2004م.

11 ـ نقولا زيادة، محاضرات في تاريخ ليبيا من الاستعمار إلى الاستقلال، جامعة الدول العربية، القاهرة، 1958م.

*** ثالثاً ـ مواقع الكترونية:**

ـ قرار الأمم المتحدة رقم 515 بشأن ليبيا:

« http://www.un.org/fr/documents/view_doc.asp?symbol=A/RES/515(VI)»

ـ تقرير إيطالي مصور عن استقلال ليبيا:

«https://www.youtube.com/watch?v=W5h9NnrW_3s»

□□□

الفترة الحرجة والحاسمة في تاريخ ليبيا السِّياسي ودور البشير السَّعداوي فيها (1948 ـ 1952م)

أ. جمال احميدة دويش
باحث جامعي

المقدِّمة

لم تكن فترةٌ حرِجةٌ وحاسمةٌ في تاريخ ليبيا السياسي كتلك السنوات التي سبقتْ الاستقلال بقليل، ولم يكدْ يتنفّس الليبيون الصُّعداء ـ بعد الحرب العظمى الثانية ـ حتى ألْقتْ الخلافات القديمة بظِلالها على المشهد السياسي الليبي؛ وذلك بعد أن وضعتْ الحربُ أوزارَهَا، وأُبرِمَتْ معاهدةُ الصُّلح مع إيطاليا في فبراير 1947م، وكان من آثار هذه المعاهدة البحث في مصير المستعمرات الإيطالية، ومِن بينها ـ ليبيا ـ الأمر الذي سرَّع في اتخاذ القرار المعروف في 20 أكتوبر 1947م بإرسال لجنة تحقيقٍ دولية إلى ليبيا؛ وهو ما عُرف في تلك الفترة «باللجنة الرُّباعية» وكان السَّببُ الرئيسُ لصدور هذا القرار هو اختلافُ الدولِ الأربع (أمريكا، انجلترا، فرنسا، روسيا) حول مصير المستعمرات الإيطالية السابقة، هذا الاختلاف الذي استفادت منه الجامعة العربية ـ والتي لم تكن طرفاً في اللجنة الدَّولية آنذاك ـ حيث رأتْ في بشير السَّعداوي أن يكون رجُلَ المرحلةِ؛ ذلك لما سبقَ من تاريخه وجهادِهِ، ومواقِفِه الوطنية، والخبرةِ السياسيةِ التي امتلك ناصيتها؛ وأحسنَ استخدامهَا في مَهْجَرِهِ الأوّل والثاني إضافةً إلى كَوْنه مستشاراً «للملك عبدالعزيز آل سعود»؛ إذ دَعته لأن يُلبيّ نداء الوطن، فسَارَعَ إلى القاهرة وأسسَّ هيئة تحرير ليبيا في الشهر الثالث من سنة 1947م، بِطلبٍ من أمينها العام «عبدالرحمن عزّام» ليبدأ مرحلةً جديدة في النضال الوطني والسياسي، من أجل التقريب بين النُّخب، والعمل على إنجاز مشروع الوحدة والاستقلال.

يُسلّطُ هذا البحث الأضواء على هذه الفترة الحَرِجة والحاسمةِ في تاريخ ليبيا

السياسي، والملأى بالأحداث المتسارعة والمتداخلة، والأجواءِ المتوترة التي سيطرتْ على النُّخب الليبية في كيفية الوصول لإنجاز مشروع الاستقلال؛ وتكمُنُ أهميتُهُ كذلك في تسليط الضوء على الظروف المتشابهة إلى حدٍّ ما ـ والتي يعيشها الوطن في الوقت الحاضر.

ولقد ظلَلْتُ أحومُ حول هذه الفترة التي نضجتْ فيها شخصيتهُ السياسية، واتسعت فيها مداركه وخبرته لتكون محور هذا البحث، باعتبارها جامعةً وخاتمةً لحياتهِ السياسية، ومواقفهِ الوطنية، والتي تندرج تقريباً تحت المحورِ الرابع من هذه الندوة، ولتذليل البْحثِ ورَسْمِ حدُودهِ فقد صدَّرتُه بتمهيدٍ عرضتُ فيه مشكلةَ البحْث وأهميَّتَه، ثمَّ قسّمتُه إلى ثلاثةِ مطالبَ رتبتها كالآتي:

* **المطلب الأول:** الطريق إلى السَّعداوي وفيه:

ـ المولد والنشأة.

ـ ثقافة السَّعداوي.

* **المطلب الثاني:**

ـ هيئة تحرير ليبيا الغرضُ والهدف!؟.

* **المطلب الثالث:**

ـ موقف السَّعداوي من خلافات النُّخب ودورُهُ في إنجاز الاستقلال.

وكان مسكهُ خاتمةَ لخَّصْتُ فيها نتائجَ البحث، واستعرضتُ فيها مواقفَهُ الوطنية وليونَتَهُ السياسية، ومثابرتَهُ في إنجاز مشروع الاستقلال.

وأخيراً، فإنَّه لا يسعني إلاَّ أن أشكر هذه المؤسسة الفتية الرائدة في عطائها وجهدها المتواصل، وعلى ما تبذلهُ من جهودٍ علميةٍ رائعة في سبيل رفعة واستقرار الوطن.

* * *

تمهيد

تكاد تكون الفترة الممتدة من سنة 1948 إلى سنة 1952م في تاريخ ليبيا السياسي من أصعب الفترات، وأكثرها حَرجاً، ذلك أن المجتمع الليبي خَرَج من سنوات احتلالٍ مرير إبّان فترة الاحتلال الإيطالي، إلى هيمنة وحُكم الإدارة البريطانية بعد الحرب العالمية الثانية.

ويحكم هذه الفترة التي امتدّت إلى قرابة نصف قرْنٍ في بلدٍ مُترامية الأطراف، واسعة المساحة، يسودها المجتمع القبلي وتحكمها الأعراف والتقاليد، والتي أثقلتها ظروف الاحتلال ومرارة الذُّل والإهانة والتعذيب بواقعٍ اقتصاديٍّ مرير، وفقرٍ مُدقع، وجهلٍ مطبق أدّى إلى هجرتهم ونفيِّهم وتشريدهم، وهم لم يكونُوا إذَّ ذاك من البلادِ الكبيرة في تعداد سُكانها.

سلّمت الدولة العثمانية (تركيا) ليبيا وهي ضعيفة ممزّقة إلى إيطاليا الهمجية البربرية بموجب اتفاقية «أوشي لوزان» أكتوبر سنة 1912م، والدولة العثمانية إذ ذاك في شغلٍ شاغل بالتغيرات والتقلبات الدولية والمخاطر التي تحيط بها من كُل جانب، والمؤامرات الداخلية التي ألهتها تماماً عن الولايات العربية التي كانت تنضوي تحت حُكمها وسيطرتها.

والنتيجة التي أفضت إليها هذه الانشغالات التُّركية هي تسليم ـ ليبيا ـ بالكامل إلى الوحش الإيطالي الذي نهش بأنيابه ضحيته وانقضّ عليها بمخالبه، والتي أراد الله أن تحْيَ بعد موتٍ، وتنجى من بعد هلاك.

البشير السَّعداوي كان من أوائل الليبيين الذين تنبهوا إلى أطماع إيطاليا في طرابلس الغرب (ليبيا)، وذلك بحكم صحبته لمتصرّف الخُمس الدكتور رشيد بك[1]، والذي

---

(1) رشيد بك هو طبيب جركسي أصله من الشام، وقد أرسلته الآستانة متصرّفاً عثمانياً إلى الخُمس، وهو من كبار الاتحاديين الذين قاموا بدورٍ في إعلان الدستور العثماني سنة 1908م، وسبب تلك العلاقة فيما يذكر محمد فؤاد شكري أنَّ البشير السَّعداوي كان يجتمع في بيته بالشيخ عبد الرحمن الزقلعي، والمفتي الشيخ محمود أبو رخيص، وكان يتردّد عليهم شخص يُدعى «زروق المقيرني» هو من نقل لمتصرف الخُمس =

توسَّم في السَّعداوي حسَّه الوطني، وتوقدَّ ذهنه، وقد اتفق الاثنان على عرقلة نشاط بنك «دي روما» والذي سبق الاحتلال الإيطالي باعتباره مشروعاً مشبوهاً، وممهداً للاحتلال الإيطالي؛ حيثُ عمل د. رشيد والسَّعداوي على تنبيه الأهلين بخطورة عمل المصرف والغاية التي أنشئ من أجلها، وقد انعقد أول مؤتمرٍ بميدان سوق الخُمس سنة 1910م[1] بدعوة من بشير السَّعداوي، والذي تقررّ فيه مقاطعة بنك دي روما وعدم التعامل مع المدرستين الإيطاليتيْن في طرابلس والخُمس، وإبراق البرقيات للصحف الأوروبية لإطلاع الرأي العالمي على مساعي إيطاليا في الاستيلاء على الأراضي الليبية.

وقد كانت هذه الأحداث سبباً رئيساً في انضمام السَّعداوي مبكراً إلى جمعية الاتحاد والترقي، وكان القصد من هذا الانضمام استباق المخطط الإيطالي في الاحتلال ومحاولة إلزام الدّولة العثمانية بالدفاع عن طرابلس الغرب.

وقد اشترك السَّعداوي في معركة المرقب الشهيرة في 25 يونيو سنة 1912م، وكان حاضراً وبقوّة في التنسيق بين المجاهدين والاجتماع بهم، وحضّهم على الجهاد قبل وبعد هجرته الأولى، ولم يُهاجر السَّعداوي إلاَّ استجابةً لنداء أخيه الأكبر نوري السَّعداوي، والذي عَرَف في أخيه بشير القدرة على إثارة الرّأي الدّولي، والتّصديّ للمستعمر الإيطالي بإدارة حرب الأقلام، والذي نجح إلى حدٍّ ما في التخفيف من مُعاناة الشّعب الليبي، وفضح ممارسات الاحتلال الإيطالي البغيض[2].

= د. رشيد بك ما يدور في هذه اللقاءات التي كانت تتعلق بالاتحاديين ودولة الخلافة، محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1957م، مجلد 2، ج3، ص426.

(1) كان هذا المؤتمر يخصُّ الأقضية التابعة للواء الخمُس حسب التصنيف أو التقسيم الإداري في العهد العثماني، وكان يضمُّ مصراته ومندوبها نوري السعداوي، وسرت ويمثلها محمد المحمودي، وزليتن ويرأسها عمر بن قدارة، والخُمس وينوبها الشيخ عبدالسلام بن يونس، ومسلاته ومندوبها الحاج فرحات القاضي، وعن تاورغه حضر بشير السّعداوي ممثلاً عنها، محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، مج2، ج3، ص429، المصدر السابق.

(2) محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، مج2، ج3، ص437، المصدر نفسه.

وقد كانت للسَّعداوي مساعٍ حثيثة لإبطال شرعية الاحتلال على الأقل في نظر الدول الأوربية ـ والتي اعترفت بحق إيطاليا في ليبيا ـ وفق التصوّر الإيطالي الاستعماري.

ومن أبرز تلك المساعي التي سعى إليها السَّعداوي الرأي الذي عرضه على السيد أحمد الشريف السنوسي في لقائه به في «بروسّه»[1] وهو أن يتألّف وفدٌ من أصحاب الأقلام، ويسافر إلى «باريس» للمطالبة بحقوق الليبيين في مؤتمر الصُّلح المزمع انعقاده بين الدّول الكبرى في أواخر سنة 1918م، غير أنَّ الصراع المستشري في تركيا وعدم الاستقرار الدّولي والإقليمي عقب الحرب العالمية الأولى، أضاع فرصة عرض القضية الليبية في هذا المؤتمر الدولي.

وقد رجع السَّعداوي إلى أرض الوطن عندما سنحت له الفرصة ليؤدّي واجبه المقدّس، ويَقِف عن قُرْبٍ من الأحداث الجسام التي كانت تعصفُ بالبلاد، رَجَع بعد هجرته الأُولى (1912 ـ 1918م) ليُنسِّقَ بين المجاهدين، ويرأب صدع المتخالفين، وشارك وإخوانه من الزعمات الوطنية في مفاوضات فندق الشريف (قصر الشريف) «1922م»، والتي انعقدت باجتماع الوفد الطرابلسي مع الوفد البرقاوي للتباحثِ في توحيد الزعامات الوطنية، وتنسيق المواقف ضد سياسة الاحتلال الإيطالي، والسّعداوي نفسُه كان صاحبَ الدعوة إلى مُبايعة الأمير إدريس السنوسي في اجدابيا، وهُو ما عُرِفَ بالبيعة الأولى[2].

وكان قبل ذلك حاضراً في مؤتمر غريان 1920م، وعضواً في هيئة الاصلاح المركزي، ومؤثراً فاعلاً في مجابهة الأحداث التي عصفت بالوطن، وهاجر السَّعداوي إلى سوريا

(1) «بروسة» أحد المقاطعات العثمانية، والمدن التركية فيما بعد، وقد مكث السَّعداوي صحبة أحمد الشريف السنوسي ما يقربُ من الأربعة أشهر يتباحثان خلال تلك الأوقات إمكانية الرجوع إلى البلاد، والتقريب بين القُطر الطرابلسي والقُطر البرقاوي في ايجاد زعامةٍ موحّدة لقيادة البلاد في تلك الظروف، وقد اقترح أحمد الشريف محمد إدريس السنوسي للاضطلاع بهذه المهمّة، عبدالمالك بن علي، الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية، دار الجزائر العربية، دمشق، ج2، ص57.

(2) محمد فؤادي شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، مج2، ج3، ص176.

بعدما أصدرت إيطاليا حُكماً بالإعدام ضدّه، وكان ذلك سنة 1924م بعد أن سُدّت عليه السُّبل، وحُصَر المجاهدون في المنطقة الغربية والوسطى، والتي كانت ترزح تحت نير الحزب الفاشيشتي بقيادة موسليني الذي حكم البلاد بسياسة الحديد والنار[1].

وأثناء مهجره الثاني والذي دام لسنواتٍ طويلة (1924 ـ 1948م) لم يُلْقِ السَّعداوي عَصَا الجهاد، فنافحَ بالكلمة الصادقة، وأسّس اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية والبرقاوية سنة (1928م) تأسيساً على مخرجات مؤتمر غريان، والذي حالَ دون نجاحه الانقلاب الفاشستي الإيطالي، وحاولتْ اللجنة التنفيذية استمالة الحكومة الإيطالية عن طريق الأمير «شكيب أرسلان» والذي أبدى تعاطفاً وانحيازاً للقضية الليبية، وكان الغرض من هذا التواصل مع الحكومة الإيطالية رفع بعض المعاناة والألم، وفك القبضة الحديدية عن أبناء الشعب في ليبيا[2].

ولم يترك السَّعداوي مؤتمراً إسلامياً، ولا تجمُّعاً إقليمياً أو دوليّاً إلاَّ وانتهز الفرصة لعرض القضية الليبية، وإسْماع الرأي العام العربي والدولي والإسلامي عذابات وآلام الشعب الليبي. هذه المحطُات المُشرِقة، والمواقف المُشرّفة والتي أعطت البشير السَّعداوي هذا البُعد الوطني ومهدّت له في الزعامة الوطنية، والعمل السياسي؛ وهذا التاريخ الجهادي والنضالي، والذي تجاوز الخمسين عاماً، بكلّ ما فيه من تحدياتٍ صعبة، وعراقيل جَمّة، وتداخل واضطرابٍ في المواقف، ليُعدُّ مشكلةً حقيقيةً تواجهُ الباحثَ في ابتسار هذا التاريخ الحافل في فترةٍ زمنية محدودة، وتكمنُ أهمية البحث في كون أنَّ هذه الشخصية ـ المُهمّة والبارزة في تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر ـ والتي تناوشتها الأقلام في كثيرٍ من المظانّ المتفرقة، في الكتب والصحف والدوريات ـ المحلية والعربية والأجنبية ـ

(1) ارويعي محمد قناوي، بشير السَّعداوي ودوره في الحركة الوطنية الليبية، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، ط1، 2014م، ص124، 125.

(2) محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، مج2، ج3، ص583، مصدر سابق.

لم تشفع لها المعاصرة والحداثة في تقديمها بالصورة الواضحة والوجه المُرضي[1]، ذلك أَنَّ الذين كتبواْ عنها فريقان، فريقٌ ملأ به الدنيا وشغل الناس، وفريقٌ رَمَاه بالخذلان والنسيان، وتأتي أهميته كذلك في تصحيح بعض الأحكام والتصوّرات الخاطئة، والتي كان بعض أصحابها أطرافاً رئيسة في هذا المهمع الصعب؛ حيث حُصروا في الدائرة نفسها وأُشْغِلُواْ بهواجس الخوف والترقب من المجهول.

ومعاذ الله ـ أن أتجنىَّ على أحد ـ فالحقيقة التاريخية كما يُقال مُبهمة المعالم، كثيرةُ المجاهل يكتنفُ بعض حلقاتها كثيرٌ من الغموض، وقد يستولي هذا النقص حتى على الذين عاصروا تلك الأحداث.

* * *

المطلب الأول
الطريق إلى السَّعداوي

وفيه:

1 ـ المولد والنشأة:

ينحدر بشير السَّعداوي من بيتِ علمٍ عريق ينتهي إلى بني الأغلب في القرن الثالث الهجري ـ التاسع الميلادي، وتُعدُّ عائلتُه من العائلات الأصيلة في المنطقة؛ حيث أقام أجداده دولةً لهم شمال أفريقية، عُرفت بدولة الأغالبة، وكان موطنهم منطقة الساحل مابيْن مدينة الخُمس ومصراتة، ثمَّ مالبث أن انتشرتْ فروع منهم في المناطق المحيطة بهم، وجَدَّه من مواليد «زمُّورة» بلدة في نواحي مصراتة[2].

(1) هذا إذا استثنينا البحوث والدراسات الأكاديمية التي كتُبت عن السَّعداوي، ولعلَّ آخرها أطروحة (الدكتوراه) المقدّمة من الباحث ارويعي محمد علي قناوي إلى جامعة عين شمس تحت عنوان «بشير السَّعداوي ودوره في الحركة الوطنية الليبية» (1884 ـ 1957م)، والتي أفدتُ منها في هذا البحث.

(2) محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، مج2، ص393.

وُلدَ بشير السَّعداوي مستهلّ عام 1301هـ ـ 1884م بمدينة الخُمسُ، واسُمه بشير بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم السَّعداوي، وجدُّه الشيخ إبراهيم بن أحمد بن سليمان، وشهرتُه (أبو شروحة) المسراتي من أهل العلم والدِّين؛ حيث ارتحل إلى مصر، ودَرَسَ بالأزهر الشريف على جلّة من العلماء أبرزهم الشيخ محمد الخرشي المالكي المتوفي سنة 1101هـ ـ 1690م، وقد أجازهُ الشيخ الخُرشي في 15 ربيع الأول عام 1075هـ ـ 1664م، فيما قرأه عليه، ويحتفظ آل السَّعداوي بهذه الإجازة حتى الآن[1].

ولعلَّ البسط في سيرة هذه العائلة ونشأتها العلمية يُعطي مزيداً من الإيضاح والكشف عن سيرة مترجمنا مولداً ونشأةً وسُلوكاً، وعائلتُه هذه اشتهرت منذ القديم بالتدين والعلم والوطنية؛ حيث نجد أَنَّ إبراهيم السَّعداوي (الجد الأكبر) لبشير كان قد التحق بخدمة يوسف باشا القره مانلي كاتباً ومُنشئاً، وذلك فيما بيْن عام 1794 ـ 1832م، وإبراهيم هذا كان كغيرِه من الوطنيين الغيورين يتحيّنون الفرص لتخليص البلاد من بطش القره مانليين الإنكشاريين، حتى قام عبدالجليل سيف النصر بثورته المعروفة ضد القره مانليين، فاتصل به إبراهيم السَّعداوي يُمدُّه ببعض المعلومات عن يوسف القره مانلي وصراعاته المتكرّرة مع العائلة القره مانلية، غير أنَّه لم يحالفه الحظ في إتمام مهمته، فقد وُشِيَ به إلى يوسف باشا، والذي بدوره أمر بالقبض عليه، ونفيه إلى الآستانة لمحاكمته هناك، غير أَنَّ الأقدار سمحتْ لإبراهيم السَّعداوي بالفرار إثر تحطُّمِ السفينة التي نقلتهم إلى الآستانة بالقرب من درنة، ليتمكّنَ بعدها من الفرار من قبضة يوسف باشا القره مانلي[2].

وجدُّه الأول ويُدعى «محمداً» فكان من أهل العلم؛ حيث تَرَكَ مكتبةً عامرة بالكتب في الدِّين والأدب، والتي استفاد منها بشير السَّعداوي فيما بعد، وقد احتوت هذه الخزانة

(1) نصّ هذه الإجازة والتي تبدأ: «بأنَّ الشيخ إبراهيم بن أحمد الشهير «أبو شروحه» المسراتي نسباً المالكي مذهباً الزموري داراً ومسكناً»، وهو جَدُّ المترجم له في هذا البحث، يُنظر محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، مج2، ص331، المصدر السابق.

(2) المصدر نفسه، مج2، ص397.

على كثيرٍ من قناطر الكتب الأدبية والدينية، منها شرح ديوان المتنبي، والطّغرائي، والصّفدي، وكانت هذه الدواوين عزيزة المنال في المكتبات الليبية آنذاك[1].

وكان محمد السَّعداوي يشغل في ذاك الوقت رئيساً لمحكمة التمييز أو النقض والإبرام في الخُمس، ويُذكر أنَّه حكم ببراءة بعض رجال قبيلة «القليل» من قُرى مسلاّته في جريرةٍ اتهمُوا بها، فقدِمَ وفدٌ من القبيلة إلى الشيخ محمد السّعداوي شاكرين له عدله وإنصافه، وقدَّمُوا له شيئاً من الهبة والعطايا، فرفضَ عطاءهم وقال لهم: لا أقبلُ منكم بوصفي قاضياً «وإنِّي أخاف الله في نفسي وفي ذريّتي من بعدي»[2].

وهكذا نلحظ أن البشير السَّعداوي خرجَ من بيْت علمٍ ودِينٍ، وانتسَلَ من أصلاب رجالٍ أفذاذ، خافوا على أنفسهم من التلبُّس بالمحرّمات، وهيَّأوا طريق العفَّةِ والكرامة لأبنائهم من بعدهم.

أمّا وَالدُه إبراهيم السَّعداوي المتوفّى عام 1303هـ ـ 1886م، أي بعد وفاة جدّه محمد السَّعداوي بأربع سنين، فقد شغل مأمور الإجراء لتنفيذ الأحكام، ثمَّ صار أميناً لصندوق مركز متصرفية الخُمس، وكانت الأُسرة إذْ ذاك في رَغَدٍ مِن العيْش لِما كان لهَا من بساتين وأراضي زراعية، وظلَّتْ في حوزة آل السَّعداوي حتى صادرها الإيطاليون عند احتلالهم البلاد، وقد أنجب إبراهيم ثلاثة أبناء، هم نوري وهو الأكبر، وأحمد وقد توفي بمصر سنة 1919م، وبشير صاحبُ هذه التّرجمة.

وعند وفاة والده إبراهيم لم يتجاوز السنتيْن من عُمره، إذ كفلهُ عمُّه الصّادق السَّعداوي[3].

ولذا كانت نشأتُه في بيئةٍ علميةٍ ودينيّة، وأُسرة محافظة، وقد بدأ كعادة أهل زمانهِ بحفظ القرآن الكريم في مسقط رأسه بالخُمس ثمَّ أتمَّ حفظه بناحية سرت رفقة عمّه،

(1) محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، مج2، ص399 ـ 412.

(2) المصدر نفسه، مج2، ص376.

(3) المصدر نفسه، مج2، ص399.

وشقيقه نوري السَّعداوي؛ حيث كان شقيقُه الأكبر نوري يشغل وظيفةً في تلك المدينة، وبقي عاماً ثمَّ رجع بشير لاستكمال تعليمهِ في مدينة الخُمس، فَدَرَس الفقه المالكي، وعلم التوحيد، والنحو في سنواته الأولى، وبدأت عليه مخايل النجابة والنبوغ، فعُقدتْ الآمال على ترحيله إلى مصر للدراسة بالأزهر الشريف.

غير أنَّ هذه الأمنية الغالية على بشير وأهله لم تتحققّ؛ حيث فتحت «المدرسة الرّشدية» أبوابها في طرابلس والخُمْس، والتي تُعَدُّ بمثابة مدرسة نظامية استحدثتها حكومة الولاية في ولاية طرابلس الغرب والمتصرفات التابعة لها.

وكانت تتولّى هذه المهمة جمعية لنشر العلم في ممالك الدولة العثمانية، وكانت تضمُّ نخبة من المعلّمين الأَكْفَاءَ وكان من بينهم أُستاذُه «حقي شيناص»(*) والذي كانت تربطه علاقة حميمية بتلميذه بشير السَّعداوي[1].

وقد استفاد مترجمُنا من صحبةِ أستاذه وقراءته عليه استفادةً كبيرة، وأخذ بنصائحه وتوجيهاته الوطنية والإسلامية والتي أثّرت على شخصيته فيما بعد، وقد تخرّج السَّعداوي في هذه المدرسة، وحمل إجازتها سنة 1322هـ ـ 1904م ولم يتجاوز العشرين سنة، وفي المطلب التالي تأصيلاً وتفصيلاً للثقافة والتكوين الذهني الذي نشأ عليه السعداوي.

2 ـ ثقافة السَّعداوي:

قد سبق الإشارة إلى بدايات التكوين الذهني عند بشير السَّعداوي، وأنَّه دَرَس بالمدرسة الرَّشدية، وأَخذَ عن أُستاذه «حقي شيناص» وعن أساتذةٍ آخرين بعض العُلوم التي حفَلَ به الشرق، وكان مِن المُمكن أن تصل أصداء هذه الطفرة العلمية إلى البلاد الليبية عن طريق تنقّل بعض المتعلّمين والمثقفين بين مصر والآستانة، إذْ كانت البلاد قبل الاحتلال الإيطالي لليبيا سهلة المسالك، ومأمونة الطريق، وكانت بعض تلك الكتب والجرائد

(*) حقي شيناص: أصله من ريزة في إقليم (لازستان) على ساحل البحر الأسود، وقد تخرّج في دار المعلّمين، وفي مدرسة الحقوق بالآستانة، وكان يُتقِنُ كثيراً من اللغات الأجنبية إلى جانب لغُتهِ العربية.

(1) محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، ص416، مصدر سابق.

والمجلاّت تَصِلُ عبر تلك التنقلاّت إلى البلاد الليبية شرقاً وغرباً؛ وكانت تحملُ أخبار العالم العربي الإسلامي، والجديد في كُلِّ شيء، وكان بيْت السَّعداوي لا يخلو من هذا الرّفد العلمي، سيما وأنَّ بيته كان بيت عِلم ودِين، وأنهم من العائلات الليبية القليلة التي كانت تحتفظ بخزانة للكُتب، وفي ذلك يقول محمد فؤاد شكري: «فقد وصلت إلى يدي بشير أعداد كثيرة من «مجلة المنار» التي بدأ يُصدرها محمد رشيد رضا منذ مارس 1898م، وكذلك صحيفة المؤيد المصرية، والهلال»[1].

وكان بشيرُ منذُ دراسته بالمدرسة الرشدية منشغلاً بالمطالعة في هذه الجرائد والمجلاَّت، وقد قرأ كتباً عن الإسلام، ومقدمة ابن خلدون، وكتاب «رسالة التوحيد» للشيخ محمد عبده، وكتاب «المدينة والإسلام» لمحمد فريد وجدي[2].

تأثر السَّعداوي بثقافة عصره، وأدرك الدعوة المنادية للتمسُّك بالجامعة الإسلامية، ولذا كان محسوباً من الاتحاديين الذين انضموا فيما بعد إلى جمعية الإتحاد والترقي.

ومع اهتمامه الشديد بالروح الإسلامية الصادعة في الشرق والمدّ الإسلامي الذي وجَد طريقه نحو الآفاق الدِّينية، ووقوفه على آراء مشاهير علماء الإسلام لم يَصرف نظره على القضايا الوطنية والقومية.

متأثراً في ذلك بآراء السيد أحمد الشريف السنوسي، والذي التقاه بـ «بروسه» أثناء هجرته، ولعلَّ اطلاعه على كتاب عبد الرحمن الكواكبي «طبائع الاستبداد»، وآراء مصطفى كامل[3]. هو ما حَدَا به إلى الانفتاح على المشروع الوطني والقومي وفق الثوابت الإسلامية التي نشأ عليها؛ ولذلك نراهُ متمسّكاً بالدعوات الوطنية والقومية لاستقلال الشعوب، وتقرير مصائرها، والتي فتك بها المستعمرون أعداء العرب والإسلام.

(1) المصدر نفسه، مج2، ص427.

(2) محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، مج2، ص314، مصدر سابق.

(3) جمع شقيقه علي فهمي كامل، خطبه وأحاديثه ورسائله تحت عُنوان «مصطفى كامل باشا في 34 ربيعاً» سنة 1908م.

وقد حَرَصَ مترجمنا على تتبّع كُلّ ما يُنشَرُ من أخبارِ وخُطب ورسائل مصطفي كامل[*]، وكانت من أجلى مظاهر الاعتزاز والإعجاب بشخصه الكريم، إذْ كان صاحب دعوةٍ واضحة في ضرورة إجلاء الأجنبي المستعمر من البلاد العربية والإسلامية.

وكان هذا البعُد الوطني والقومي والدِّيني لمصطفي كامل هو المنهج الذي سار عليه البشير السَّعداوي في جهادِهِ ونضالهِ في داخل الوطن الليبي وخارجه.

والسَّعداوي نفسُه، وفي فترةٍ مبكرة من الاحتلال الإيطالي لليبيا كان مشاركاً في الكتابة السياسية، ومنبهاً على ألاعيب الاستعمار، وفاضحاً لأعمالهم البربرية الهمجية التي مارسوها على الشعب في ليبيا، ونراه يكتب في أول صفحات اللّواء الطرابلسي سنة 1916م[1]، وقد راسل الصحف والمجلاّت العربية والأجنبية أثناء مهجره، وشارك في حرب الأقلام رفقة أمير البيان «شكيب أرسلان»[2].

وإنْ دلَّ هذا النشاط على شيء فإنَّما يُدلَّ على نضْج عقلهِ وحسن تكوينه الفكري والثقافي، ومعرفته بعصرِه وزمانهِ ورؤيتهِ للأحداث السياسية رؤيةً ناجزة ثاقبة تنبئ عن أبعاد ومكنون هذهِ الشخصية.

* * *

(*) مصطفى كامل، هو زعيم وطني من مصر، وُلِد سنة 1874م بمدينة القاهرة، وتخرّج حاملاً شهادة الحقوق من فرنسا سنة 1894م، كان مناضلاً ضد الاحتلال البريطاني لمصر، وخطيباً مفوهاً، وكاتباً بليغاً، توفي سنة 1908م وهو في ريعان الشباب، انظر، عبدالرحمن الرافعي، مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1984م، ص31 وما بعدها. (المُحرّر).

(1) صحيفة اللواء الطرابلسي، من الصحف التي صدرت في بدايات الاحتلال الإيطالي، وقد صدرت عن حزب الإصلاح الوطني سنة 1961م، وكان يرأس تحريرها الأستاذ عثمان القيزاني.

(2) شكيب أرسلان: هو شكيب بن حمود، شارك في الحرب الطرابلسية، وله مشاركات أدبية ولغوية، وقد كتب فصولاً وتعليقات مهمة في كتاب حاضر العالم الإسلامي، لمؤلفه لوثروب ستودارد، توفي سنة 1366هـ/ 1946م.

المطلب الثاني
هيئة تحرير ليبيا، الغرض والهدف!؟

لعلَّ تأسيس هيئة وطنية وسياسية لتحرير ليبيا أواخر عام 1947م بالقاهرة، وتبنّي الجامعة العربية بإشراف أمينها العام عبدالرحمن عزّام هذا القرار، والذي تولىّ بنفسه قراءته في إذاعة القاهرة، وقد تعهّد بتقديم دعمٍ ماديّ ومعنوي بإرسال الدكتور محمد فؤاد شكري مستشاراً لهيئة التحرير[1].

كان ذلك البيان القشّة التي قسَمتْ ظهر البعير ـ كما يُقال في المثل العربي ـ وأنَّ هذه الخطوة الجريئة كانت سلاحاً ذا حدّيْن، وأنَّ نتائجها غير محسوبة، ذلك أَنَّ الهيئة تكوّنت من أعضاء المجتمع الطرابلسي[2]، وكان على رأسها بشير السَّعداوي والذي وصل إلى طرابلس في مارس 1948م؛ حيث جاءت هذه الخطوة عقب فشل المفاوضات بين الطرابلسيين والبرقاويين في 18 يناير 1947م بالقاهرة، على أَنَّ الطرفيْن الرئيسيْن في هذه المعادلة لم يتفقا أصلاً على الكيفية والطريق إلى الاستقلال المنشود، وبوصول اللجنة الرباعية إلى طرابلس في مارس 1948م، بات مِن الضروري إيجاد نوعٍ من الاتفاق والوفاق ولو بالقدْر الظاهر منه ـ ذلك أنَّ اللجنة الدولية قد تكون قراراتُها لازمةً وحاسمةً في تقرير مصير ليبيا ولم تتضحْ آنذاك «أجندة» الدول الأربع اتجاه ليبيا.

واللاّفت للنظر هنا أن الشّكوك والاتهامات المتبادلة بين الحزب الوطني البرقاوي، وبين هيئة التحرير قد طغت على بداية العمل السياسي بقوّة، وكادت تقضي على آمال الليبيين في الاستقلال، لولا حكمة وليونة وصبر بشير السَّعداوي، والذي كان له دورٌ كبيرٌ في اجتياز هذه المرحلة الصعبة[3].

---

(1) محمد محمد المفتي، السعداوي والمؤتمر، وزارة الثقافة والمجتمع المدني، طرابلس، 2002م، ص102.

(2) تكوّنت هيئة التحرير من «بشير السَّعداوي رئيساً، والطاهر المريّض، وأحمد السويحلي، ومنصور بن قدارة، ومحمود المنتصر» وكان الأخير هو أول رئيس للوزراء في المملكة الليبية 1952م.

(3) مصطفى فوزي السراج، ذكريات وخواطر، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ط1، 2005م، ص346.

ولعلَّ أول خطابٍ للبشير السَّعداوي بعد وصول هيئة التحرير إلى طرابلس جاء فيه: «أما وقد لاح بريقٌ الأمل، وعقد رجالات العرب في الجامعة العربية عزمهم على مؤازرتنا ومعاضدتنا حتى نحقق قصدنا ونبلغ غايتنا، فحرام علينا أن نفرّط في مصلحة الوطن، وأنَّ الساعة لجدٌّ خطيرة، وبلادنا لا تزال في مفترق الطرق»[1]، وهذا الخطابُ وإن كان موجهاً إلى الأمة والنُّخب الطرابلسية إلاَّ أنَّه في حقيقة الأمر كان مقصوداً به حزب المؤتمر الوطني البرقاوي، والذي بدوره رفض الانضمام إلى هيئة تحرير ليبيا، وسأتناول أسباب هذا الرفض بشيءٍ من الإيضاح والتفصيل في الصفحات اللاّحقة.

ومن جهةٍ أخرى فإن الإدارة البريطانية والتي وَعدت الأمير إدريس السنوسي بإمارة برقة، وسلّمت له بعض السُّلطات التشريعية والتنفيذية، كانت تدسُّ السُّمَّ في العسل، وتُظهر ما لا تبطن، وتتعامل بازدواجية المعايير مع أبناء الشعب الليبي، وإن كانت قد سمحت بعد الحرب العالمية الثانية ـ عندما انتصرت في الحرب ـ بتأسيس بعض المنظمات السياسية من أحزابٍ وجمعياتٍ في كُلّ من برقة وطرابلس[2]، فحتماً لم يكن ذلك بقصد التمدن والديمقراطية كما هو في الظاهر، ولكن كانت ترمي من وراءِ ذلك إلى قيادة النُّخب، وتسييس الأحزاب المنبثقة وفقاً لمصالحها وسياساتها، ولقد نجحت نوعاً ما في تمرير سياساتها الاستعمارية وتشويه بعض رموز الحركة الوطنية باتباعها منهج «فرِّق تسُدْ» والذي دأبت في استخدامه لإضعاف الحركات التحرُّرية في الدول المُستعمرَة.

والبشير السَّعداوي كان من ضمن النُّخب التي لم تَرُقْ في أعين الإنجليز على الرُّغم من اعتدال مواقفه وسياسة اللين والتوافق التي انتهجها، وقد حاولوا استخدامه والتعامل معه قبل الانتخابات الأولى، ولم يُفلحوا في تركيعه وتنازله عن ثوابتهِ الوطنية، وسأوردُ

(1) أحمد زارم، مذكرات، الدار العربية للكتاب، طرابلس ـ تونس، 1979م، ص74.

(2) عبدالرحمن الجنزوري، رحلة السنوات الطويلة، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2000م، ص276.

في خاتمة هذا البحث أنموذجاً رائعاً من تلك المواقف(*).

وبالعودة إلى تاريخ تأسيس الأحزاب في فترة ما بعد الحرب نجد أحزاباً ومنظمات ليبية وغير ليبية وجمعيّات قد تكوّنت في طرابلس وبرقة(1)، غير أنَّ الأحزاب والجمعيات الليبية كان هدفها في الغالب التحرُّر من ربقة المستعمِر، والعمل على النهوض بالوطن، وإن اختلفت رؤيتها في ذلك، أمّا المنظمات والجمعيات غير الليبية فكانت قليلة من حيثُ العدد؛ وأجندتها تبعاً للمصالح السياسية لمؤسسيهَا(2) يقول دي كاندول(**): «وكُنّا تعرضنا في الماضي لشيء من المضايقة من جانب عدّة منظمات سياسية أنشأها بعضُ الشباب تحت رعاية القنصلية المصرية والتي افتُتِحتْ في بنغازي قبل بضعة أشهر» وأهمّ الجمعيات البرقاوية: جمعية رابطة الشباب البرقاوي وجمعية عمر المختار، ولجنة الجبهة الوطنية، والتي وصفها «دي كاندول»: «بأنَّها تتبنَّى أفكاراً رجعية عفا عليها الزمن».

وقد جُمعت تلك الأحزاب الناشئة تحت مسمَّى المؤتمر الوطني البرقاوي، والذي مثّل الموقف السياسي لبرقة إلى حين الاستقلال، باستثناء جمعية عمر المختار والتي خالفت الدعوات المنادية بالاستقلال الفوري لإقليم برقة تحت إمارة السيد محمد إدريس السنوسي.

وتأكيداً على المطالب البرقاوية والتي جاءت في الرّد السابق للجنة البرقاوية على رسالة هيئة التحرير؛ والتي قُدمت للأمير إدريس في بداية الأمر، يرى الباحث أنَّها صارت بمثابة الحقوق المشروعة للمؤتمر الوطني البرقاوي، باعتبار أنَّ «برقة» نالت استقلالها قبل وجود هيئة التحرير، وأسّست جيشاً وحُكومةً مؤقتة في برقة تمهيداً لاستقلال ليبيا بالكامل،

(*) في أثناء إعدادي لهذا البحث حدّثني الأستاذ اللغوي والشاعر عبدالروؤف بالأمين عن معلوماتٍ نقلها عن خالهِ الضاوي مسلّم، وهي جدُّ مهمّة، وقد دونتها في خاتمة البحث.

(1) اورويعي قناوي، بشير السعداوي ودوره في الحركة الوطنية الليبية، ص273، مصدر سابق.

(2) أي، آ، ف ديك أندول، إدريس عاهل ليبيا، حياته وعصره، طبعة خاصة، 1989م، محمد عبده غلبون.

(**) ي. آ. فدى كاندول، واسمه إيريك آرمارفولي ديك اندول، وُلد بمقاطعة «كورنوول» سنة 1901م، وشَغل منصب المقيم الدائم والمفوّض لحكومة صاحبة الجلالة البريطانية في برقة ما بين عاميّ 1946 ـ 1948م.

ويرى البرقاويون أَنَّ حركة الجهاد لم تنطفئْ جذوتُها في برْقة إلاَّ بعد سنواتٍ من خمودها في إقليم طرابلس، وأَنَّ الجيش السنوسي هو مَن أسهم في هزيمة إيطاليا، ورسم ملامح الدولة الجديدة في ليبيا. وكانت جملةُ هذه المطالب قد قُدّمت في إبريل 1948م إلى لجنة تقصِّي الحقائق التابعة للدول الأربع الكبرى.

وفي الفترة نفسها تقريباً، أو قبلها بقليل تكونت أحزاب وتنظيماتٍ سياسية في طرابلس، بلغت سبع منظمات، واختلف الغرضُ من تأسيسها، فمنها ما كانت وطنية، ومنها ما كانت للحضور والمشاركة، ومنها ما كانت تحت رعاية بعض الدول الأجنبية، وأبرز هذه الأحزاب والمنظمات السياسية(1):

1 ـ الجبهة الوطنية المتحدة برئاسة السيد الطاهر المريّض.

2 ـ الكتلة الوطنية الحرة برئاسة السيد أحمد الفقيه حسن.

3 ـ الحزب الوطني برئاسة السيد مصطفى ميزران.

4 ـ الاتحاد المصري ـ الطرابلسي ـ برئاسة السيد علي بن رجب.

5 ـ حزب العمَّال برئاسة الشيخ بشير بن حمزة.

6 ـ حزب الأحرار برئاسة السيد الصادق بن زراع.

7 ـ حزب الاستقلال برئاسة السيد سالم المنتصر.

ذكرتُ في التمهيد السابق أنَّ وجود هذه الأحزاب المتفرقة شرقاً وغرباً وبهذا العدد، وفي وجود صراعاتٍ سياسية أو وجهات نظر أو اجتهادات جهويّة لا تخدم القضية الليبية الكبرى، وهي الوحدة والاستقلال، فكان لابدّ من هيئة تَجْمع المتفرّق، وتقرّب المتباعد، فكانت هيئة تحرير ليبيا، وكانت تلك الأسباب التي أدّتْ إلى تأسيسها، ويُساورُ كثيراً من الباحثين الشكُّ في الدوافع والأسباب التي سرّعتْ في تأسيس هيئة التحرير، والأسباب المعلنة آنفاً تبدو أسباباً ظاهرة فحسب، ولكن ثمة أسبابٌ وأغراضٌ خفية غير مُعلن عنها.

(1) عبدالرحمن الجنزوري، رحلة السنوات الطويلة، مصدر سابق، ص127.

هذا ما جاء في ردّ المؤتمر البرقاوي الذي يؤيد وبقوة إمارة الإدريس السنوسي على برقة، وإمارته على البلاد الليبية إن أرادتْ الأقاليم الأخرى الاتحاد مع إقليم برقة؛ حيث وَرَد في ردّ المؤتمر البرقاوي[1]: «أنَّ أحداً لم يستشر المؤتمر الوطني البرقاوي بخصوص تأسيس الهيئة، وأنَّ أعضاءها مقصورون على المجتمع الطرابلسي»، وكذلك جاءَ في هذا الرّد: «وأنَّ إمارة البلاد لا تكون إلاَّ تحت إمارة السيد إدريس السنوسي».

تكوّنت الهيئة من بشير السَّعداوي رئيساً، وأحمد السويحلي، وجواد بن زكري، والطاهر المريّض، ومنصور بن قدارة، ومحمود المنتصر، واختُير الدكتور محمد فؤاد شكري من قبل الجامعة العربية، أو تحديداً من قبل أمينها العام عبدالرحمن عزّام ليكون مستشاراً لهذه الهيئة، والتي يبدو من خلال تكوينها وتوقيتها أنَّ لها شأن كبير وعملٌ عظيم.

والمهم أنَّ الهيئة تكوّنت، وأُعلن الغرضُ من تأسيسها وهو استقلال ليبيا واحدةً موحّدة، والعمل على تهيئة الأجواء المحلية والإقليمية والدولية للنجاح في هذا المسعى[2].

والذي يَظهر من الاعتراض السابق للجنة البرقاوية، أَنَّ سبباً جليًّا لم يُذكر في الرّد المذكور ـ وهو بيت القصيد ـ أَلاَ وهو إعلان السيد عبدالرحمن عزّام بنفسه عن تشكيل هذه الهيئة، أمَّا الأسباب المعلنةُ في الرَّد فقد وُجدت لها إجابات ربما تكون شافية ومُفيدة، ولكن الأبعاد السياسية لهيئة التحرير لم تُعرف بعد.

وأعتقدُ أنني ملزمٌ بالحديث المفصَّل عن الأسباب المعلنة لتأسيس الهيئة، والتي تبنّاها السَّعداوي وأعضاء الهيئة المذكورون سابقاً، بغض النّظر عن النوايا التي كان يحملها الأمين العام للجامعة العربية عبدالرحمن عزّام اتجاه القضية الليبية بعامّة أو هيئة التحرير بخاصّة، فهيئة التحرير وجُدت بعد وجُود أحزاب ومنظمات سياسية بدأت تعمل في ليبيا، وقد أشرتُ إلى أسمائها سابقاً، وجاءت إلى ليبيا لمواجهة اللجنة الرُّباعية، وجاءت

(1) محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، مج2، مصدر سابق، ص647.

(2) اروبعي محمد علي قناوي، بشير السعداوي ودوره في الحركة الوطنية الليبية، ص239.

كذلك لتخطب وُدَّ المؤتمر البرقاوي؛ إنَّها لمسؤوليات عظامٌ وجسام، ومهمّة تاريخية بالنسبة لهيئة التحرير[1].

وقد أشرتُ إلى نبذةٍ من موقف المؤتمر البرقاوي قبل أن أَشْرَع في بسط أعمال هيئة التحرير وصولاً إلى حَلّها وتأسيس حزب المؤتمر الوطني، وذلك أنَّ المؤتمر البرقاوي كان أشبه بالعُقدة التي وَجَب أن تمرَّ من خلالها كلُ الأطراف.

عندما قدِمت هيئة التحرير إلى ليبيا، وكانت قد سبقتها تفاهماتٍ وتسهيلات، فمقصد الهيئة من حيث المكان كان طرابلس، والتي كانت في الوقت نفسه تنتظر وصول اللجنة الرباعية، ومن حيث الهدف العمل للقضية الوطنية في ربوع البلاد عموماً.

والسؤال الذي يطرح نفسه بقوّة، كيف تمكنّتْ هيئة التحرير من العمل بقدرٍ من الحريّة في وجود الإدارة البريطانية؟ وَهَلْ حاولت الإدارة البريطانية استخدام هيئة التحرير لتمرير مشروعٍ لم يُعلن عنه؟

الجامعة العربية وأمينها عبدالرحمن عزَّام ـ لاشك ـ كانا طرفاً رئيساً في تأسيس الهيئة، وبشير السّعداوي تم استدعاؤه من المملكة العربية السعودية!، أعضاء الهيئة المؤسسون كان معظمهم من المهجّرين في الديار المصرية!، عدم وجود أسماء لشخصيات برقاوية عند التأسيس لهيئة التحرير!

كُلُ هذه التساولات الافتراضية أو المطروحة أصلاً كانت في الحقيقة تحتاج إلى إجاباتٍ مُقنعِة ومحّددة، وقد حاولتُ في هذا البحث الإجابة على معظم هذه التساولات في مظان مختلفة.

ومن خلال ردود السَّعداوي في رسائله ومخاطباته تتضح الصورة جليّة وواضحة لمواقفه تجاه القضية الوطنية بعامّة، وهيئة التحرير وأغراضها وأهدافها بصفةٍ خاصة.

(1) اضطلعت هيئة تحرير ليبيا رغم بِسَاطةِ تكوينها وقِلّة إمكانياتها بدورٍ كبير في جمع الشتات الليبي، ولعلَّ أكبر مهمَّاتها أن وصلت بالملف الليبي إلى أروقة هيئة الأمم.

والحديث عن وصول هيئة التحرير إلى طرابلس، والذي وافق 3 أو 4 مارس من عام 1948م، هو الإطار الزمني والعملي الذي بدأ فيه العمل الوطني والسياسي الشاق، في ظلّ السياسة الدولية المهيمنة على مصائر الشعوب.

رحّبت الهيئات السياسية في طرابلس وفي مقدّمتها الجبهة الوطنية، والحزب الوطني بهيئة التحرير، وكانت من ورائهم جموع الشعب الطرابلسي ترفعُ الشعارات المرحبة بقدوم هيئة التحرير وعلى رأسها «بشير السَّعداوي»؛ حيث خرجت الجمُوع في شوارع وميادين طرابلس تهتف بحبّ الوطن والحرية والاستقلال[1].

وكانت الإدارة البريطانية قد أعطت الإذن بالإعلان عن وصول هيئة التحرير، وسمحت ببعض مظاهر الاحتفال، وفي الوقت نفسه كانت منذ ذلك التاريخ تُراقبُ التطورات والانعكاسات التي قد تنشأ عن هذا المدّ الوطني والذي بدأ يتشكّلُ في إطارٍ سياسي وعملي[2]، في حين كان أمين الجامعة العربية عبدالرحمن عزّام يراقب بدقة تطورات الوضع في ليبيا أولاً بأول.

ويتفق الباحثون أَنَّ لهيئة التحرير مهمتين، مهمّةً داخلية، وأخرى خارجية، ولن تنجح الثانية إلاَّ بعد نجاح المهمّة الأولى.

والبشير السَّعداوي يُدرك تمام الإدراك أنّ الإدارة البريطانية لن تقدّم أيَّ تنازلاتٍ أو تسهيلاتٍ للقوى الوطنية إلاّ وفي حساباتها العامّة حسابات خاصّة تستفيد منها متى شاءت وفي الوقت الذي تريد.

ولئن كان السَّعداوي قد حقق نجاحاً في المهمّة التي أُوكلت إليه وهي توحيد الرأي وجمع الكلمة أمام لجنة التحقيق الدولية في المطالبة بالاستقلال والوحدة، إلاّ أنَّ الخلافات التي ظهرت بين النُّخب، والتي عكّرت صفو المرحلة استطاع كذلك تأجيلها، أو تكييفها

(1) مصطفى فوزي السراج، ذكريات وخواطر، مصدر سابق، ص351.

(2) أحمد زارم، مُذكرات، صراع الشعب الليبي مع مطامع الاستعمار، ص161.

حسب الظروف المتاحة، فمثلاً اعتراض المؤتمر البرقاوي الانضمام إلى هيئة التحرير، وكذلك بعض أعضاء الجبهة الوطنية عن الطريقة والكيفية التي يُدير بها السَّعداوي الموقف العام من القضية الليبية، زاد مِن شكوكهم نحو تصرفاتِه القلقة.

وبحكمته وثاقب رأيه حَرِص السَّعداوي على وحدة النُّخب السياسية في البلاد، وهي في أحلك ظروفها وأسوا انقساماتهما، فقد تمكَّن من جمع أكثر الأحزاب الطرابلسية، وقرَّب وجهة النَّظر بينها في تحديد الأولويات، وأولها قِصر المطالبة أمام لجنة التحقيق الدولية على الوحدة والاستقلال[1].

وقد تمكّن السَّعداوي ـ وبحضور كلٍّ من: ممثلي الهيئات السياسية المكوّنة من الحزب الوطني برئاسة مصطفي ميزران، والجبهة الوطنية المتحدة ويمثلها عون سوف، وحزب الأحرار ويمثله الصادق بن زرَّاع، وحزب الاتحاد الطرابلسي ويمثله يوسف المشيرقي ـ من التوقيع على اتفاقٍ ينصُّ[2] على عدم مشروعية اللجنة الدولية في تقرير مصير البلاد، لوجود هيئاتٍ سياسية وطنية مُتفقة على الوحدة والاستقلال، وهو المطلب الوحيد الذي يُنادي به الشعب الليبي[3].

عملت هيئة التحرير على تنظيم الجهود وتوحيدها، والاستفادة من كُلّ عملٍ يُسهِمُ في خدمة القضية الليبية، فبعثتْ إلى الجامعة العربية برسالة مفادها أنه «نجحت هيئة التحرير في أول مهماتها وهي جمع كلمة الأحزاب السياسية على تقديم مذكرة واحدة تدعو إلى الوحدة والاستقلال»[4] كانت قد وُجهت إلى لجنة التحقيق الدولية.

(1) ارويعي قناوي، بشير السعداوي ودوره في الحركة الوطنية الليبية، مصدر سابق، ص274.

(2) المصدر السابق، ص276.

(3) المصدر نفسه، ص274.

(4) نصُّ الرسالة التي بعثت بها هيئة التحرير مذيّلة بتوقيع بشير السعداوي وقد نُشرت بجريدة الأهرام المصرية عدد 22532 ـ القاهرة بتاريخ 26 مارس 1948م، انظر: ارويعي قناوي، بشير السعداوي ودوره في الحركة الوطنية، مصدر سابق، ص274.

وقد نَجَح السَّعداوي في هذا الاتجاه حتى على مستوى إقليم «برقة»، فالنُّخب الوطنية ببرقة سيّما جمعية عمر المختار تمسّكتْ بمطالب الوحدة والاستقلال، وأضيفتْ جملة «تحت إمارة السيد إدريس السنوسي» بعد كلمة الاستقلال في مطالب المؤتمر الوطني البرقاوي[1].

وبالرجوع إلى موقف الإدارة البريطانية من السعداوي، وموقف السَّعداوي منها. نقرأ من خلال بعض المصادر التي اعتمدت على وثائق الإدارة البريطانية أنَّ بشير السَّعداوي من خلال بطاقة التعريف به أو ملف المخابرات الإنجليزية «أنَّه شخصية متمدنة، دبلوماسي بطبعهِ له تاريخٌ في العمل السياسي حتى قبل مجيئه إلى هيئة التحرير، وهو محل ثقة وأنظار الليبيين، والذي يعتبره جزء كبيرٌ منهم لاسيما المجتمع الطرابلسي بأنَّه زعيمٌ ومناضل وطني»[2].

وفي تقديري، وتقدير بعض الباحثين المهتمين بشخصية البشير السَّعداوي ونضاله الوطني، أنَّ الإدارة البريطانية حاولت الاستفادة بالقدر الممكن من قدرات بشير السَّعداوي الدبلوماسية والسياسية والالتفاف عليه متى أملت الظروف، ولذلك سمحت له بقيادة هيئة التحرير، وحزب المؤتمر، وأعطته هامشاً من الحرية والتنقل، وتركت الجماهير الطرابلسية تلتفُ حوله إلى غاية الانتخابات عام 1952م لتقلب له ظهر المجن.

وبالمقابل فإنَّ البشير السَّعداوي كان على معرفةٍ تامّة بمؤامرات الإنجليز وألاعيبهم من خلال وجوده بالمهجر واضطلاعه بمهمّاتٍ استشارية بالمملكة العربية السعودية، ولا أدلَّ على ذلك إصراره وموقفه المعارض لمنح الاستقلال لبرقة أو لطرابلس بصفةٍ منفردة من قبل الحكومة البريطانية، والذي عرضته على الملك إدريس السنوسي في زيارته إلى بريطانيا العظمى سنة 1948م.

فقد بدا للسَّعداوي أنَّ بريطانيا قد تنقضُ عهدها للملك إدريس السنوسي، وقد يتغيرّ

---

(1) مصطفى فوزي السراج، ذكريات وخواطر، مصدر سابق، ص357.

(2) يُنظر: ارويعي قناوي، بشير السعداوي ودوره في الحركة الوطنية الليبية، الفصل الخامس: نشاط بشير السعداوي السياسي، مصدر سابق.

موقف الدول الكبرى من القضية الليبية وبالتالي تخسر ليبيا استقلالها المنشود؛ وتعود للمجهول إمَّا مستعمرةً إنجليزية، أو مقسّمة بين الدول العظمى إلى عشرات السنين[1].

ذَكرتُ أنَّ هيئة تحرير ليبيا تأسستْ بدعمٍ من الجامعة العربية وعلى رأسها أمينها العام عبدالرحمن عزَّام، وكان الغرضُ من التأسيس مواجهة اللجنة الرباعية، وتوحيد صفوف النُّخب الليبية، وصولاً إلى الهدف المنشود لكلّ الليبيين ألا وهو الوحدة والاستقلال[2]، غير أنَّ الشكوك التي حامت حول عبدالرحمن عزّام من قبل اللجنة البرقاوية، أو المؤتمر البرقاوي في أحداثٍ مختلفة وأزمنةٍ متفاوتة، وعدم التقارب بينه وبين الملك إدريس، وضعت بشير السَّعداوي في الموقف الحرج؛ حيث اتُّهِم من قبل المؤتمر الوطني البرقاوي وبعض الأحزاب الطرابلسية بأنه يسير في ركب عزّام المتحالف مع الإنجليز، في حين سار البشير آنذاك قدُماً نحو الوحدة والاستقلال، لا يلوي على أحد، ورأى في الرّد على تلك التهم إضاعة للوقت فنجح في التقليل من الخلافات وتقريب وجهات النظر إلى حدٍّ ما[3].

واصطُدِمَ السَّعداوي بعد حَلِّ هيئة التحرير وتأسيس حزب المؤتمر الوطني بالانقسام المدوِّي بين النُّخب، بما فيها تلك الأحزاب التي كان بعضُ أعضائها في هيئة التحرير، فاللجنة الطرابلسية في القاهرة، والتي تضمُّ بعض النخب الليبية بقيت بمصر، ومن بينهم الشيخ الطاهر الزاوي، ولم يرضوا على موقف السَّعداوي من تقرّبه واعترافه بإمارة الملك إدريس وشروط المؤتمر البرقاوي، ويرى عبدالرحمن عزَّام في السعداوي أنّه اختُطِفَ، وحاد عن الطريق، ولم يَعدْ رَجل المرحلة كما كان في بداية تأسيس هيئة التحرير، وقرّر عزَّام قطع الدَّعم عن السَّعداوي، بَلْ قرّرت اللجنة الطرابلسية بالقاهرة استدعاء السَّعداوي وشكري للتحقيق معهما[4].

---

(1) أحمد زارم، مذكرات، صراع الشعب الليبي مع الاستعمار، مصدر سابق، ص267.

(2) محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، مصدر سابق، مج3، ص164.

(3) اورويعي قناوي، بشير السعداوي ودوره في الحركة الوطنية الليبية، مصدر سابق، ص347 ـ 348.

(4) المصدر السابق، ص347.

وبالرجوع إلى تكهنات السَّعداوي بشأن نوايا اللجنة الدولية، وأنها لن توفق في وضع حُلولٍ إيجابية لصالح القضية الليبية «أنْ أصدرت لجنة التحقيق تقريرها المربك والمشوش، والذي ينصُّ على أنَّ البلاد الليبية ليست مؤهلة للاستقلال السياسي بعد، مع تضمين مطالب الليبيين في المطالبة بالوحدة والاستقلال»[1].

هذا التقرير الصادر عن اللجنة الدولية لم يكن مفاجئاً للسَّعداوي، بل إنَّه عندما رأَسَ لجنة أو هيئة تحرير ليبيا أسرع بالاجتماع مع الأمير إدريس السنوسي في بنغازي وأكدَّ في اجتماعه مع الأمير على ضرورة إفشال مخطط لجنة التحقيق، وإظهار الوحدة والقوة لدى النُّخب والشعب الليبي، والمطالبة بالوحدة والاستقلال، ولم يُجادل السَّعداوي في إمارة إدريس السنوسي بل ترك المسألة لما تتطلبه المرحلة والظروف[2].

ولمَّا فشلت لجنة التحقيق في الوصول لأجندتها التي كانت تسعى من خلالها إلى وضع ليبيا تحت الوصاية الدولية، جاءَ مشروع وزيري الخارجية الإيطالي والبريطاني والذي عُرف بمشروع «بيفن ـ سفورزا» والذي كان مُفاجئاً للجميع، الدول العربية متمثلة في الجامعة العربية ومصر التي عارضت ـ وبقوة ـ هذا المشروع، والليبيين الذين أظهروا جامَّ غضبهم وسخطهم اتجاه الدولتين الاستعماريتيْن[3].

وفي الحقيقة كان مشروع «بيفن ـ سفورزا» تحوطه نوعٌ من السريّة؛ إذْ أُعلن عنه في يوم 9 مايو 1949م؛ وهذا التاريخ لا يفصل عن قرار اللجنة الفرعية المنبثقة عن اللجنة السياسية التابعة للجنة الدولية سوى يوميْن؛ وقد تبيّن مُسْبقاً للدولتيْن الايطالية والبريطانية فشل القرار الدولي في إيجاد حلٍّ يُرضي الأطراف المشاركة في اللجنة الدولية، فسارعت إلى الإعلان عن هذا المشروع التقسيمي الذي كاد أن يؤخّر استقلال ليبيا إلى ما بعد عشر سنوات من ذلك التاريخ.

* * *

(1) أحمد زارم، مذكرات، مصدر سابق، ص227.

(2) مصطفى السراج، السعداوي والمؤتمر، مصدر سابق، ص49.

(3) صلاح العقاد، ليبيا المعاصرة، مصدر سابق، ص136.

المطلب الثالث
موقف السعداوي من خلافات النخب ودوره في إنجاز الاستقلال

لعلَّ الخبرة التي امتلكها السعداوي من خلال عملهِ الوطني في الاصلاح بين الزعامات الوطنية إبَّان فترة الاحتلال الإيطالي، وخبرته السياسية في المهجر، قد مكّنته من إدارة ملف القضية الليبية الشائك والمتفاقم، من كلّ جوانبه، وعلى الصعيديْن الداخلي والخارجي، وهذا إنْ دلَّ على شيء فإنَّما يدُلُّ على صبْر الرجل وتجلُّده، وشدّة حنكتهِ السياسية؛ والخلافُ الذي وقع بين بعض الزعامات الوطنية إبَّان حركة الجهاد قد تجدّد بين النُّخب السياسية بداية من أربعينيات القرن الماضي وحتى ما بعد الاستقلال؛ والسعداوي كان من بين تلك النُّخب القليلة التي عملتْ على التوفيق والمقاربة في الآراء والاتجاهات السياسية، بل أستطيع أن أجزم بأنَّ السعداوي كان الأكثر تأثيراً وتوفيقاً بين النخب السياسية آنذاك.

وقد سبق في التمهيد لهذا البحث أن ذكرتُ أنَّ الفترة الممتدة بعد تأسيس هيئة التحرير والاستقلال، أي ما بين 1948 ـ 1952م هي من الفترات الحرجة والحاسمة، بل المتداخلة والشائكة في تاريخ ليبيا السياسي.

ولذا فإنَّ كُلَّ مقاربة وتوفيق بين النُّخب كانت إيذاناً بالتعجيل والظفر بالاستقلال.

ولعلَّ أول بوادر ذلك الإصلاح موقف السعداوي من المؤتمر البرقاوي ـ والذي لم يُناصبهُ العَداء أو التهميش ـ ليقينهِ بأنَّ وحدة ليبيا واستقلالها لن تتأتَّى، أو تتحقق إلاَّ بالتوافق والتنازل عن بعض الحقوق التي ربَّما تؤجّل إلى فترات لاحقة، ففي رسالة بعث بها إلى المؤتمر البرقاوي يقول: «أرجو ألاَّ تتسرعُواْ في الحكم فالبلاد تجتاز بمرحلة عصيبة تدعو إلى التفكير وجميعُنا نحن وأنتم مسؤولون أمام الله والتاريخ، وثقواْ بأننا ننتصر في كُلِّ مرحلة بما يتطلبه هذا الوطن العزيز بحكمة ورويّة، والله من وراء القصد»(1).

وهذا الردُّ الصادر عن السعداوي لم يكن دغدغة لعواطف البرقاويين، وإنَّما سبق

(1) عمر رمضان حمودة، التيار القومي في ليبيا، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 2008م، ص323.

وأن أشرت إلى استقبال أهل برقة من أعيان ومشائخ لهيئة التحرير عند قدومها إلى ليبيا، وذكرت أيضاً أن السعداوي اجتمع بالأمير إدريس السنوسي في بنغازي، وكان الجميع قد أيدوا أهداف هيئة التحرير وأظهروا حماساً لها[1].

وقد تعهد السعداوي للأمير إدريس والمؤتمر البرقاوي بأنَّه لا يسعى لهدف إلاَّ وحدة ليبيا واستقلالها ولم تشغل مسألة الإمارة بال السعداوي بالقدر الكبير فهو يرى أنَّها من «تحصيل الحاصل» وأنها ستأتي في وقتها وإبَّانها، وتأكيده للبرقاويين بإمارة الملك إدريس «على ليبيا موحّدة» لا يُعدُّ ضرباً من النفاق[2]، وإذا ما تحدثنا عن جهوده ومساعيه لتوحيد الأحزاب السياسية الطرابلسية ـ وهي التي تعدّدت مسميّاتها وتباينت وجهات نظرها في قضية الاستقلال والوحدة، من حيث الكيفية والسُّبل الكفيلة بتحقيق هذا المطلب ـ نرى أنَّ السعداوي نجح إلى حَدّ ما في التوفيق بين أغلب النُّخب والأحزاب السياسية، ويظهر هذا التوفيق جليًا في الخطاب الذي بعث به السعداوي إلى الحكومة المصرية قائلاً: «نجحتْ هيئة تحرير ليبيا في جمع كلمة الأحزاب السياسية على تقديم مذكرة واحدة إلى لجنة التحقيق الدولية»[3].

وكان الموقعون عليها: هيئة تحرير ليبيا ويمثلها البشير السعداوي، والحزب الوطني ويُمثله مصطفي ميزران، والجبهة الوطنية المتحدة ويُمثلها عون سوف، وحزب الأحرار ويُمثله الصادق بين زراع، وحزب الاتحاد الطرابلسي المصري ويُمثله يوسف المشيرقي.

ولم يقتصر دور السعداوي على الإصلاح والتوفيق بين النخب والأحزاب السياسية، وإنَّما أخذ على عاتقهِ وإخوانه سواءً في هيئة التحرير أو حزب المؤتمر الوطني توعية المواطنين بحقوقهم المشروعة وتحريك الحس الوطني لدى فئات كبيرة من الشعب، حتى أنَّه عزم أثناء وجود لجنة التحقيق الدولية السفر إلى ولاية فزّان لبثِّ الروح الوطنية والمطالبة بالوحدة

(1) اورويعي قناوي، بشير السعداوي ودوره في الحركة الوطنية الليبية، مصدر سابق، ص271.

(2) مصطفى السراج، السعداوي والمؤتمر، مصدر سابق، ص28.

(3) اورويعي قناوي، بشير السعداوي ودوره في الحركة الوطنية الليبية، مصدر سابق، ص274.

والاستقلال أسوة بولايتي طرابلس وبرقة، إلاَّ أنَّ السلطات الفرنسية عرقلت تحرك السعداوي نحو الجنوب الليبي، خوفاً على مصالحها في تلك المنطقة بما في ذلك المستعمرات الفرنسية في وسط القارة السمراء[1] من أن تطالها إرهاصات الحركة الوطنية في ليبيا.

والسّعداوي من أجل مشروع الاستقلال والوحدة لم يستقرَّ به مكان، ولم يهدأ له بال، بل أخذ يتحرّك يميناً وشمالاً، فانتهاز الفرص السانحة لمصلحة الوطن كانت ديدَنهُ وطبعاً في نفسه ألاَّ يترك كبيرةً ولا صغيرة إلاَّ وسخرها في خدمة الوطن، «فاتصاله بالجالية الإيطالية بطرابلس وهيئاتها السياسية كالحزب الإشتراكي الإيطالي الذي يرأسه «الفارو فيليش» والجمعية السياسية الإيطالية لتَقدّم ليبيا والتي يرأسها «تشيبيللي» والجبهة الاقتصادية الإيطالية التي يرأسها «كاتيني»[2] يصُبُّ في مصلحة القضية الليبية، وحشد كلِّ الجهود في هذا الاتجاه، وكان الغرضُ من هذا الاتصال بالجالية الإيطالية من خلال الهيئات والمنظمات السياسية دفع مسيرة الاستقلال قدُمَاً، والحيلولة دون نجاح المناورات الإيطالية في الرجوع إلى ليبيا، أو بقائها بطرابلس حسب ما تمَّ الاتفاق عليه بين وزير خاريجيتها «سفورزا» ووزير خارجية بريطانيا «بيفن» الذي كان يقضي باستمرار التواجد الإيطالي لمدّة عشر سنوات أخرى في طرابلس، وكان هذا الاتفاق قد وُقّع سنة 1949م.

وأعتقد أنَّ الظروف التي تسببت في هذه الاتفاقية هي تفرّق وحدة الصف الوطني، وكثرة الاجتهادات والآراء بين النخب السياسية الفاعلة؛ حيث انعقد المؤتمر البرقاوي الوطني في قصر «المنار» ببنغازي في منتصف (يونيو) 1949م، وأعلن فيه الأمير إدريس السنوسي استقلال البلد بقوله: «وفي هذا اليوم السعيد المصادف 1 يونيو 1949م الموافق 5 شعبان 1368هـ نعلن استقلال بلادنا التام، وَبأنني سأتولى بمعونة الله وثقتكم سلطات هذه البلاد»[3] والملاحظ في هذا التوافق بين التواريخ أنَّ هيئة الأمم كانت قد وعدت بأن

(1) الهادي المشيرقي، ذكريات، مصدر سابق، ص167.

(2) ارويعي قناوي، بشير السعداوي ودوره في الحركة الوطنية الليبية، مصدر سابق، ص278.

(3) نقولا زيادة، ليبيا في العصور الحديثة، معهد البحوث والدراسات العربية، ص142.

يتم الاستقلال في هذا التاريخ، ولكنه تأجّل للأسباب المذكورة.

وقد طلب الأمير إدريس من بريطانيا العظمي ـ بأن تعترف بهذا الاستقلال وطالب من باقيّ الدول الاعتراف باستقلال ليبيا دون انتظار ما قد يصدُر عن هيئة الأمم[1].

غير أن البشير السعداوي وإخوانهُ في هيئة التحرير، بذلوا قُصَارى جهدهم في الداخل والخارج من أجل إحباط المشروعيْن مشروع «بيفن سفورزا» ومشروع الاستقلال خارج أروقة هيئة الأمم.. والحقُ أنَّ الأمير إدريس اتخذ هذا القرار بإعلان استقلال ليبيا من جهة واحدة لغرض وضع هيئة الأمم أمام الأمر الواقع، في حين كانت بريطانيا وراء هذا الموقف لأجندة لمْ تُعلن عنها في حينها، وتفاصيل هذه الأحداث منشورة في أغلب الكتب التي تحدثت عن هذه الفترة[2].

والمواقف الوطنية في حياة بشير السعداوي ـ والتي مهدت لهذا الاستقلال المجيد ـ ترجعُ إلى زَمن الاحتلال الإيطالي وإن كان خارجاً عن الفترة الزمنية التي يتناولها البحث إلاَّ أنَّه من الجدير التنويه عنها، والإشارة إليها ولو بالقدر البسيط فعندما كان عضواً في هيئة الإصلاح المركزي توجّه برفقة الوفد البوسيفي برئاسة محمد بن بشير، وعضوية «أبو بكر البصير، وأحمد قرزة»، وكان السعداوي ممثلاً لهيئة الإصلاح آنذاك، وقد عالج هذا اللقاء أو الاجتماع مشكلة الخلاف بين الأصابعة والزنتان، وكذلك مشكلة الخلاف بين الأصابعة والهيئة»[3].

وقد ترافق مع مختار كعبار، والصويعي الخيتوني، وعبدالله الشريف ضمن وفد هيئة الإصلاح المركزي، ونزلوُا في ظاهر «الرياينة» وحالوا بين الصفين المتناحرين حتى وصلوا إلى وقف الزنتان والرجبان ـ عن القتال من جهة ـ وطلبوا من الرياينة الكفَّ عن

(1) أحمد زارم، مذكرات، صراع الشعب الليبي مع مطامع الاستعمار، مصدر سابق، ص167.

(2) فليُراجع، نقولا زيادة، ليبيا في العصور الحديثة، مصدر سابق؛ أحمد زارم، مذكرات، مصدر سابق ص167 ـ 168؛ الهادي المشيرقي، ذكريات، مصدر سابق، ص143 ـ 144.

(3) محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، مج2، مصدر سابق، ص540.

القتال، وكان من الزعماء الذين تركوا أثراً في الجهاد أحمد حسن المشاي، والمبروك عويدات اللذان أكبرا هذا الاصلاح الذي ترعاه هيئة الإصلاح المركزي، وقد خصُّوا السعداوي بالشكر والثناء لمساعيه المتكررة لإصلاح ذات البين، وتوحيد الصفوف والجهود ضدَّ المحتل الإيطالي[1].

هذه بعضٌ من مواقف السعداوي الوطنية التي أهلته لرئاسة هيئة التحرير، ومكنته من زعامة حزب المؤتمر الوطني، وجمع كلمة الأحزاب الطرابلسية والتقريب بين النُّخب في المؤتمر الوطني البرقاوي، وبعض النخب السياسية في غرب البلاد، وحتى أولئك الذين تعنتوا في بعض المواقف، أو خالفُوا الإجماع الذي يكون عليه الحل والعقد، لم يؤلِّهم السعداوي ظهرهُ، ولم يَصِمْهمُ بالخيانة والتآمر كما فعلت كثير من النخب في تلك الفترة[2].

كان لِليُونة السعداوي، «والكاريزما» الهادئة التي يتمتع بها نتائج إيجابية على المستوى الداخلي والخارجي ـ وإنْ عدَّها بعضُ شركائه في القضية الليبية ـ ضعفاً وتهاوناً اتجاه الوطن ـ وكذلك بعض مواطنيه الذين عقدوا الآمال عليه قبل إعلان الاستقلال؛ وقبل «ماراثونات» الجمعية الوطنية، وقبل تشريعات لجنة الستين، وقبل مخرجات «أدريان بلتْ»، وقبل الانتخابات التي أطاحت بحزب المؤتمر الوطني، وبزعيمه بشير السعداوي[3].

والذي أعنيه بالنتائج الإيجابية أنَّه حققَّ المطلب الرئيس لليبيين في الاستقلال، وإن لم تتحقّق مطالب حزب المؤتمر الوطني وطموحاته في كيفية إدارة الدولة الجديدة.

وهذا لا يعني أنَّ الفضل يعود للسعداوي وحده في استقلال ليبيا وإنما الفضل لله، ثمَّ للدماء الزكية التي بُذلِتْ رخيصةً في سبيل تحرير البلاد وإلى مصر والجامعة العربية،

---

(1) المصدر السابق، ص548.

(2) الهادي المشيرقي، ذكريات، مصدر سابق، ص331.

(3) نُقلت بتصرف من محمد المفتي، السعداوي والمؤتمر، مصدر سابق، ص194 ـ 195.

وإلى مندوب «هاييتي»، وإلى الكثيرين الذين كان لهم دور «مغمور» لم يظهر في سبيل التحرير والاستقلال[1].

ومن الأعمال الوطنية العظيمة المقترنة بكفاح السعداوي مؤتمر القصبات، أو مَا عُرِف بمؤتمر «مسلاّته» والذي انعقد في 26 من شهر شوال سنة 1368هـ الموافق ليوم 21 من أغسطس سنة 1949م، وكان من جليل أعمال ذلك المؤتمر توقيع وثيقة اتحاد الأحزاب وقيام المؤتمر الوطني، والذي كان للسعداوي الفضل الكبير في نجاح هذا المؤتمر وطنياً وسياسياً، فمن الناحية الوطنية أسهم في وحدة النسيج الاجتماعي للقبائل الليبية والتئام اللُّحمة الوطنية لدى أغلب القطر الطرابلسي، وأقصد به المنطقة الغربية والمنطقة الوسطى حتى برقة، ومن الناحية السياسية فإنه قد دقَّ المسمار الأخير في نعش مشروع التقسيم «بيڤن سفورزا» والذي سبق هذا المؤتمر بثلاثة أشهر فقط، وكانتْ تداعياتُه وآثارهُ من أسباب انعقاد هذا المؤتمر، والذي قابلته هيئة التحرير، والنخب السياسية في ليبيا بعامّة بالرفض والتنديد، واستعانت في إسقاطِهِ بالجامعة العربية، وناشدت الحكومات والمنظمات العربية والدولية لإبطالِهِ ورفضه[2]، وقد أفضى هذا المؤتمر بتشكيل وفد برئاسة السعداوي للذهاب إلى هيئة الأمم في الأول من يونيو 1949م لمناقشة القرار الدولي بشأن قضية استقلال ليبيا[3].

ذكرتُ أن بريطانيا كادت أن تفوّت فرصة الاستقلال الكامل بدفعها وتشجيعها للأمير إدريس السنوسي على أن يُعلن عن هذا الاستقلال من طرف واحد، وخارج أروقة الأمم المتحدة؛ وقد فصّلت الأسباب والدواعي التي حملت الأمير إدريس على تبني هذا الموقف فيما سبق وقد أعقب مؤتمر مسلاّته بعد أقل من عام ـ مؤتمر ثانٍ عُقِدَ في 25 مارس عام 1950م بمسجد مُراد آغا بتاجوراء، وكان هذا المؤتمر تَتِمّة للعمل الوطني الذي ناضل من

(1) مصطفى السراج، ذكريات وخواطر، مصدر سابق، ص370.

(2) أحمد زارم، مذكرات، مصدر سابق، ص89 ـ 90.

(3) ارويعي قناوي، بشير السعداوي ودوره في الحركة الوطنية الليبية، مصدر سابق، ص305 ـ 306.

أجله بشير السعداوي وجاءت نتائج هذا المؤتمر والذي قبلهُ بتسريع وإنجاز الاستقلال الذي كاد أن يتعثر بفعل تدخُلاَّتَ خارجية، كان أبرزها أن بعث عبدالرحمن عزام أمين الجامعة العربية وفداً زعم أنَّه يمثل الموقف الطرابلسي في القاهرة استعداداً للمشاركة في مداولات هيئة الأمم[1].

وتجدُر الإشارة بأنَّ عبدالرحمن عزام أرسل «علي العنيزي» إلى هيئة الأمم لغرض التشويش على الوفد الطرابلسي والبرقاوي الموجود هناك، والسبب الوحيد لهذا الموقف هو الرسالة التي كان قد بعث بها مؤتمر تاجوراء إلى الجامعة العربية بضرورة احترام أمين الجامعة لقدرات النخب الليبية وعدم التفريق بينها في المواقف الدولية[2]، لاسيما وأنَّ من بين أعضائها المستشار محمد فؤاد شكري والذي يُعدُّ بمثابة ممثلاً للجامعة العربية آنذاك.

وتُظهِرُ هذه المواقف سياسة السعداوي بصفة عامّة بأنَّه ملتزم بالقضية الوطنية، وأنَّ ولاءاته وأحلافه كانت دوماً مع الوطن[*].

إنَّ التقريب بين وجهات النظر للنخب الليبية، وسياسة التوافق التي انتهجها السعداوي طيلة عمله الوطني والسياسي كانت من أبرز الأسباب التي تخطىّ بها الوطن حواجز الفشل والرجوع والانتكاس، ولئن اتسمت مواقف السعداوي برفضه الشديد لمساوئ الحكم الفيدرالي، ومخرجات الجمعية التأسيسة، ومن قبلها الجمعية الوطنية، إلاَّ أنَّه اختار أهون الشرّيْن في ظروف غير ملائمة للمناورات السياسية غير المحسوبة، في حين أنَّ شركاءه في المؤتمر الوطني وبعض النخب الطرابلسية من خصومه السياسيين رَأَوْهُ ضُعْفاً وتراجُعاً

(1) الهادي المشيرقي، ذكريات، مصدر سابق، ص334.

(2) الهادي المشيرقي، ذكريات، مصدر سابق، ص335.

(*) وهذه المواقف التي اتُخذت ضد عبدالرحمن عزَّام ليس نكراناً للجميل، وجحوداً لفضْل عزَّام في الجهاد ووقوفه مع القضية الليبية، ولكن ربما خان عبدالرحمن عزَّام اجتهاده، ولم يُحسن تصّور حساسية القضية الليبية، والسعداوي نفسه لقي النهاية نفسها من الإبعاد والنفي، مع الفارق بينه وبين عزَّام، وهذه النهايات لا تُنقِصُ من قدر الرجال بل تزيد في نضالهم وترفع أقدارهم ما أخلصوا للوطن.

كبيراً في المواقف والمبادئ التي سار عليها، ووعد بها[1].

إنَّ هذين الحدثيْن المهمين في تاريخ الحركة الوطنية وأقصد مؤتمر القصبات بمسلاته، ومؤتمر تاجوراء قد أكدًا حضُور وتآلف المجتمع الطرابلسي وتماسك اللّحمة الوطنية، ووحدة المصير والهدف على الرغم من الاختلاف، وتباين وجهات النظر بين النخب الليبية، وأنَّ اختلاف الرأي في قراءة الأحداث ليعدُّ أمراً طبيعياً لولا سياسة الخديعة والكيد والمكر، والتي تولت كِبرها الإدارة البريطانية آنذاك.

وقد انقلب السحر على الساحر فمآرب بريطانيا كانت أكبر مما حققته، ولم يكنُ هدفُها توحيد الشعب الليبي أو إنجاز الاستقلال في ظروفه الطبيعية، وإنّما أرادت خديعة شركائها في هيئة الأمم وخديعة ليبيا كذلك، وأن تستأثر بنصيب الأسد، ولم تخرج بمكرها وخِدَعها إلاَّ باتفاقية القواعد العسكرية والتي أبرمتها في عهد أول حكومة ليبيّة بعد الانتخابات.

وتتمّة لهذه الفترة العصيبة والتي تساورت بمعصم الوطن، وكَبَّلتْ السعداوي إزاءَ الواقع السياسي والثقافي والاجتماعي في البلاد، وهيمنة بريطانيا العظمي على مجريات الأحداث في ليبيا إلاَّ أنَّه أسهم ـ وبكلّ قوّة وَمَن معه من النخب الليبية ـ في أن يصل بليبيا إلى شاطئ الأمان، ولتبدأ ليبيا مرحلة جديدة في الاستقلال والوحدة.

والسَّعداوي قبل أن يُحاور ويُناور في المعترك السياسي، والذي اعتُبر بأنّه فشل ـ سياسياً ـ في تحقيق طموحاته وطموحات المؤتمر الوطني، إلاَّ أنّه تقلدَّ الزعامة الوطنية في سني حياته ليس طلبا لها، أو حُباً في مناصب ومكاسب، وإنّما رفعهُ إليها واجب النضال والكفاح من أجل الوطن.

وفي الأشهر الأخيرة قبل الانتخابات، وقبل تسفيره عُنوةً إلى المهجر، طلب الحاكم

(1) الهادي المشيرقي، ذكريات، مصدر سابق، ص263.

العسكري البريطاني «بلاكَلِي» أن يأتي إليه وفدٌ من المؤتمر برئاسة السعداوي، فرفض بشير الذهاب إليه، وتولّى أحمد زارم هذه المقابلة مع «بلاكلي»، وكان الضاوي امسلّم من ضمن الوفد المذكور، وعن تفاصيل هذا اللقاء يقول الضاوي امسلّم(*): (أعطى الحاكم العسكري «بلاكلي» ـ والذي كان يُتقِنُ العربية إلى حدّ ما ـ إلى أحمد زارم ـ سكرتير المؤتمر ـ أوراقاً، وقال له: خُذها معك ليوقّع عليها السعداوي، فسأله زارم: ما هذه الأوراق؟، فقال الحاكم العسكري: هذه أوراق المعاهدة البريطانية الليبية، فكان جواب «زارم» إنَّه لا يستطيع حتى مجرّد الحديث عنها للسعداوي، لأنَّه يَعْرف مواقف بشير الوطنية، وحاول «بلاكلي» إقناعه بأَنَّ ليبيا تحتاج إلى أموال كيْ تبني دولتها، وأنَّ الإدارة البريطانية ستسعى لتكليف السعداوي برئاسة الحكومة، فرفضَ أحمد زارم أخْذ الأوراق مَعه)(**)؛ وبذا انتهى دور السعداوي وأحمد زارم ومن معهم من الوطنيين الأحرار وقرَّرت بريطانيا إبعادهم من المشهد السياسي في ليبيا، وبعد الانتخابات مباشرةً وتشكيل أول حكومة ليبية بعد الاستقلال هُجّر السعداوي إلى خارج الوطن بتهمة أنه مواطن غير ليبي ويحمل جواز سفرٍ سعودي، وليقضي بعد ذلك سنواته الأخيرة في المنفى، إلى أن توفّاه الله في يناير 1957م ببيروت لبنان، وقد نُقل رفاته إلى طرابلس بمقبرة الصحابي سيدي منيذر أوائل سبعينيات القرن الماضي، وتحديداً سنة 1972م، فعليه من الله شآبيب الرحمة والرضوان.

* * *

(*) كانت تربط الضاوي امسلّم صلةُ جوارٍ بالسعداوي عقِب رجوعه لأرض الوطن سنة 1948م، وكان من المناصرين لهيئة تحرير ليبيا، وحزب المؤتمر الوطني، وعمل عضواً في مجلس النواب بعد الانتخابات البرلمانية الثانية، وتوفي سنة 1982م.

(**) رواية شفهية عن الشاعر واللغوي عبدالرؤوف بالأمين ابن أخت الضاوي امسلّم، وذكر أنَّه سمع هذا الكلام من خاله مُباشرةً، ولم أجد في المصادر والمراجع التي وقفتُ عليها دِقة هذه الرواية، كان هذا اللقاء بمَجْمَع اللغة العربية الليبي بتاريخ 23 يونيو 2017م.

خاتمة

من خلال ما تقدَّم في هذا البحث، والذي يتناول الفترة ما بين سنة 1948 ـ 1952م، والتي عنونتها بالفترة الحَرِجَةِ والحاسمة في تاريخ ليبيا السياسي تبيَّنَ للباحث خطورة هذه المرحلة، وأنَّها مَلأىٰ بالأحداث المتسارعة والمتداخلة، والأجواء المتوترة التي سيطرت على النخب الليبية في كيفية الوصول لتحقيق مشروع الاستقلال، وتأكَّدَ للباحث أنَّ الليبيين في عمومهم قد قاومُوا السياسات الاستعمارية البالية في تركيع وإخضاع الشعوب، وخاضَ القادرون منهم أروع معارك الجهاد، وظهرت فيهم زعاماتٌ راشدة، وبرزتْ شخصياتٌ فذّة، سطّرتْ أروع الصفحات الخالدة في تاريخ النضال الوطني والسياسي.

وَتكشَّفَ في البحث أَنَّ الشخصية الوطنية وحدةٌ لا تتجزأ، تظهَرُ بوادرها من مرحلة التكوين الفكري والثقافي، ويُساعدها في ذلك التهيؤ والاستعداد الفطري والذهني، وهكذا تتشكل وتتطور حسب الظروف والمتغيرات وَفق مبادئ ثابتة، وأهداف لا تحيدُ عنها.

وأثبتت الدراسة البحثية وفق المنهج التحليلي الذي اتبعه الباحث أَنَّ كثيراً من النخب السياسية الليبية هي نخبٌ وَطنيةٌ بامتياز، وأَنَّ الخلافات السياسية بين النخب الليبية كان سببهُا ومُذكِي جذوتها واقع الاستعمار المرير، وأساليبه القذرة في فرض سياسة (فرّق تَسُد).

وتوصَّلَ الباحث إلى أنَّ السعداوي قام بأدوارٍ وطنيةٍ نادرة، وجُهودٍ نضاليةٍ كبيرة في سبيل الدفاع عن قضية وَطنهِ على الصُّعُدِ المحلية والعربية والدولية، وأنَّه أبرزُ زعاماتها الوطنية، ونخبها السياسية الذين نجحوا في انتشال البلاد من وهدتها، وإيقادها من رقدتها والعبُور بها نحو الوحدة والاستقلال.

ويخلُصُ البحثُ إلى أَنَّ شخصية بشير السعداوي، والتي توافرت كثيرٌ من المصادر والمراجع والدراسات على الكتابةِ فيها، وتناولِهَا من جميع الجوانب والاتجاهات، وصدور أحاكم متباينةٍ في حقّهِ لتدُلَّ على أهمية هذه الشخصية اللآفتة ذات الحضور والتميُّز.

ولستُ أرفعُ في هذا المقام الكريم من قدْره بقصْدِ التمجيد والتعظيم، وإنَّما يبقى للباحثين رأيُهَم واجتهادُهم.

وَختاماً فلستُ أدّعي الكمالَ في هذا البحث، ولعلَّ كثيراً من المصادر والمراجع ـ لاسيما الأجنبية منها ـ لم يقع عليها نظري، ولم يصِلْها بحثي، ولا يسعني إلاَّ أن أَقول: أَنَّ شخصية بشير السعداوي ـ رحمه الله ـ تبقى من الشخصيات الوطنية الرائعة، والتي هي بحقٍّ تجعل من كُلِّ وطنيّ غيور، وكُلّ عربيّ ومسلم أن يُفاخِرَ بها.

□ □ □

المصادر والمراجع

1 ـ أحمد زارم: مذكرات، الدار العربية للكتاب، طرابلس ـ تونس، 1979م.

2 ـ أرمار فولي دي كاندول: الملك إدريس عاهل ليبيا، حياته وعصره، محمد عبده بن غلبون، طبعة خاصة، 1989م.

3 ـ ارويعي محمد قناوي: بشير السعداوي ودوره في الحركة الوطنية الليبية 1884 ـ 1957م، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2014م.

4 ـ صلاح العقاد: ليبيا المعاصرة، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1970م.

5 ـ عبدالرحمن محمود الجنزوري: رحلة السنوات الطويلة، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2000م.

6 ـ عمر رمضان حمودة: التيار القومي في ليبيا، معهد الدراسات والبحوث العربية، القاهرة، 2008م.

7 ـ محمد فؤاد شكري: ميلاد دولة ليبيا الحديثة، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1957م.

8 ـ محمد محمد المفتي: السعداوي والمؤتمر، وزارة الثقافة والمجتمع المدني، طرابلس، 2012م.

9 ـ مصطفى فوزي السّراج: ذكريات وخواطر، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، القاهرة، 2008م.

10 ـ نقولا زيادة: ليبيا في العصور الحديثة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1966م.

11 ـ الهادي إبراهيم المشيرقي: ذكريات في نصف قرن من الأحداث، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1980م.

❐ ❐ ❐

السَّعداوي ومشروع بناء الدَّولة الوطنيّة المُستقلّة
المؤتمر الوطني الطرابلسي 1949 ـ 1952م أنموذجاً

د. محمود العارف قشقش
كلية الآداب ـ جامعة المرقب

مُقدِّمة

كانت الحياة السّياسيّة في ليبيا أثناء فترة الاستعمار الإيطالي شبه معدومة في الدّاخل، مع الإشارة إلى بعض الأعمال الفرديّة خارج البلاد والمتمثلة في التنديد بالأعمال والممارسات الإيطالية ضد الشعب الليبي في الصُّحف.

وقد أُتيحت الفرصة لبعض الشخصيات الليبية في المهجر للعمل السياسي بعد أن اتّصلت بهم الحكومة الانجليزية، ليس حباً فيهم أو في ليبيا وإنما محاربةً للوجود الإيطالي.

وبانتهاء الحرب العالمية الثانية بدأت الأحزاب أو الهيئات السياسية في التشكل داخل وخارج ليبيا، مع التركيز على بناء هذه التنظيمات على أسس متعدّدة سواء كانت إقليمية أو مرجعية فكرية، أو غيرها. وطرح موضوع إيجاد الرمز لهذه التنظيمات السياسية وذلك للحدِّ من الانقسامات والسّعي لمشروع الاستقلال، وحدثت خلافات حول شخصية الأمير إدريس نتج عنها انقسامات في بعض الأحزاب.

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على شخصية بشير السَّعداوي والدّور الذي قام به من أجل بناء الدولة الوطنية المستقلة، بدايةً من نشاطاته السياسية في المنفى، وصولاً لتأسيس المؤتمر الوطني الطرابلسي العام، وما كان لهذا المؤتمر من أعمالٍ أسهمت في نيل الاستقلال حتى إعلانه، ولكن كانت نهاية السيد السَّعداوي مشينة ليست في شخصه، وإنما في عمل الحكومة المتمثل في إصدار قرارٍ بإبعاده خارج البلاد.

ويحاول هذا البحث الإجابة على بعض التساؤلات والتي من بينها:

ـ على أي أساسٍ بُنيت التنظيمات السياسية في ليبيا؟ وهل وافقت جُلّ التنظيمات السياسية على اختيار الرمز (إدريس السنوسي) للحدِّ من الانقسام السياسي؟

ـ كيف كان رد فعل السَّعداوي على مشروع بيفن سفورزا؟

ـ لماذا اختيرت مدينة مسلاّتة لعقد المؤتمر التأسيسي للمؤتمر الطرابلسي؟

ـ هل هناك عراقيل اعترضت طريق الوحدة الوطنية، وكيف تغلّب السَّعداوي عليها؟

ـ ما الدور الذي قام به المؤتمر الوطني العام الطرابلسي في نيل الاستقلال؟

ـ وأخيراً ما هو دور السيد السَّعداوي في تأسيس لجنة العشرين (الجمعية التأسيسية) وصولاً للانتخابات النيابية وما ترتّب عليها؟

ونظراً للاختلافات في التوجهات والآراء السياسية بين الزعماء الطرابلسيين والبرقاويين من جهة، وبين زعامة المؤتمر الوطني الطرابلسي وزعامات حزب الاستقلال، ما نتج عنها تشكيل ثلاثة وفود ليبية للإدلاء بوجهة نظرها أمام المنظمة الدولية.

وعلى كلّ حال توجهت الوفود الثلاثة للجمعية العامة للأمم المتحدة، ورأت الجامعة العربية التدخل لتقريب وجهات النظر ومحاولة دمج الوفود الثلاثة في وفدٍ واحد، وتواصلت الجامعة العربية مع مندوبي كلّ من مصر، والعراق، والسعودية، والباكستان للتوفيق بين الوفود الليبية، ونجح مندوبو هذه الدول في رأب الصدع بين الوفود الليبية وتوحيدها في وفدٍ واحد يُمثّل ليبيا بالكامل، وتم ذلك وكانت النتيجة صدور قرار للأمم المتحدة رقم (289) في نوفمبر 1949م بمنح ليبيا استقلالها.

اتُخذت الخطوات التمهيدية قبيل إعلان الاستقلال بإشراف الأمم المتحدة، وكان للمؤتمر الوطني الطرابلسي مشاركات في تقرير شكل الدّولة ونوع الحكم، وصولاً لاختيار العَلَم. وأُعلن عن الاستقلال في 24 ديسمبر 1951م، ودخلت ليبيا مرحلةً جديدة عُرفت بالعهد الملكي.

إن الحياة السياسية في ليبيا طوال الفترة الاستعمارية الايطالية وقُبيل الحرب العالمية الثانية، اتّسمت بعجز معارضي الوجود الاستعماري عن بناء أو تجديد أي شكل تنظيمي جديد أو قديم من أشكال المقاومة.

حيث استطاعت الإدارة الاستعمارية الإيطالية بسط نفوذها على معظم التراب الليبي، من خلال فرض سيادتها على كل مكانٍ تقريباً، وانتزعت الأسلحة القتالية من الجميع، ودمرت الزّوايا وصادرت أملاكها، وأفقدت شيوخها ووكلاءها مكانتهم الدينية والاجتماعية[1].

ولكن كانت هناك محاولات موجودة خارج البلاد من أجل مواصلة العمل السياسي وخاصة في بلاد الشام ومصر، مستفيدين من انتشار الحركات السياسية المناضلة في الشرق، إلاّ أن نشاطهم لم يتجاوز حد التنديد في الصحف بالممارسات الإيطالية الشنيعة في البلاد، ومحاولة كشفها أمام العالم الخارجي، كما أنها لم تَرْقَ إلى مستوى بناء التنظيمات السياسية الهادفة إلى تحرير ليبيا من الاستعمار وإعادة صياغة الحياة السياسية فيها بشكلٍ جديد[2].

وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية، لم يكن هناك أي إطارٍ سياسي في الداخل وفي الخارج يساعد بشكلٍ جدي على تحويل الفكرة التحررية إلى عمل سياسي ميداني فعلي. لكن التداعيات الخطيرة لهذه الحرب على مستوى العلاقات الدولية، دفعت بإنجلترا إلى الاتصال بالزعماء المُهجّرين في مصر، والبحث معهم في إمكانية التحالف معاً ضد

(1) اختلفت الفترة الاستعمارية الإيطالية الأولى 1911 ـ 1922م، وُقّعت في هذه الفترة اتفاقيات مع بعض الزعامات الليبية، وأُعلن فيها عن الجمهورية الطرابلسية 1918م، وحكومة القُطر الطرابلسي وصولاً إلى القانون الأساسي، من 1922 إلى 1942م، واختلفت هذه الفترة عن التي سبقتها بحكم وقوع ليبيا تحت الحكم الفاشستي، فأُلغيت كل الاتفاقيات ولم تَعْترف بأية زعامةٍ وطنية.

(2) انظر: مجيد خدوري، ليبيا الحديثة، دراسة في تطورها السياسي، ترجمة نقولا زيادة، دار الثقافة، بيروت 1966م.

الوجود الإيطالي في ليبيا، فكانت تلك هي الفرصة التي أعادت إلى هؤلاء الحيوية والنشاط السياسي[1].

وبانتهاء الحرب العالمية الثانية في ليبيا سنة 1943م، وحتى سنة 1951م تشكّلت في إقليمي طرابلس وبرقة إلى جانب مصر نحو ستة عشر تنظيماً سياسياً ومنظماتٍ أو نقاباتٍ عمالية. وكل هذه التنظيمات تطوّرت واشتغلت تحت شعارات الاستقلال وبناء الدولة الوطنية، وحدّدت لنفسها أهدافاً سياسية عامة، واستخدمت مفاهيم تتضمن معاني وتطوراتٍ شمولية حديثة (الشعب، الأمة، الوطن)، فهذه التنظيمات السياسية بُنيت على أُسسٍ عدة منها:

ـ الأساس الإقليمي[2].

ـ الاختلاف في المرجعية الفكرية[3].

ـ الصراع بين زعامات الداخل والخارج[4].

على أي حال، بعد الحرب العالمية الثانية تكوّنت في طرابلس وبرقة تنظيمات سياسية جديدة تنادي بالاستقلال، فطُرح موضوع إيجاد الرمز السياسي الموحد الممثل لنشاط جميع الأحزاب والتنظيمات، وذلك للحد من خطر الانقسام والسعي لإنجاح مشروع الاستقلال.

ولكن حدثت خلافات بين رجال السياسة والمثقفين المنضويين تحت مظلة الأحزاب

---

(1) انظر: اللجنة الطرابلسية، الكتاب الأبيض في وحدة طرابلس وبرقة، دار الأنوار للطباعة والنشر، القاهرة، 1949م، ص28.

(2) وُجِدت حركات تحررية نضالية في ليبيا خلال فترة حكم الإدارة البريطانية، وهذه التجربة السياسية ظهرت في إقليم برقة وإقليم طرابلس، ولكل حزب أو تنظيم سياسي وجهة نظره الخاصة به (جهوية).

(3) تتضح المرجعية الفكرية في إقليم برقة بشكلٍ واضح؛ حيث انقسمت حركة التحرير إلى تيارين: الأول تزعّمه الشُّبان الحضريون المتفتحون على الأفكار السياسية الجديدة (القومية العربية)، والثاني قاده من تبقّى من الزعماء السنوسيين وحلفائهم.

(4) ظهر هذا الصراع بشكلٍ واضح في إقليم طرابلس؛ حيث حدث تنافس بين المجاهدين الذين هاجروا إلى الخارج وأولئك الذين لهم علاقات تواطؤ مع الاستعمار الإيطالي.

والتنظيمات السياسية، وهذا ما أكدته الانقسامات بين أعضاء الحزب الواحد بالانقسام على نفسها، مثل الحزب الوطني وهو أقدم الأحزاب الطرابلسية، الذي عَرَف سنة 1948م أزمةً حادّة أدّت إلى انشقاقٍ ثان بين أعضائه[1]، انتهت بخروج الصّادق بن زراع منه وتأسيسه مع أحمد السويحلي الحزب الجديد (حزب الأحرار في العام نفسه)، كما أن مصطفى ميزران لم يلبث بدوره أن استقال من الحزب نفسه بسبب خلافه مع الأعضاء المتبقين، ومنهم محمد إبراهيم الميت[2]، أما سالم المنتصر فقد خَرَج من الجبهة الوطنية المتحدة، وتبعه أغلب الشخصيات الشهيرة من عائلة المنتصر، ومعهم شخصيات مشهورة من زوارة، والجبل الغربي أمثال إبراهيم بن شعبان، وأحمد راسم كعبار[3]، رافضاً الموافقة على إمارة إدريس السنوسي والتي رضي بها العديد من أعضاء الجبهة، وحدث هذا في الفترة نفسها التي قَدِم فيها بشير السَّعداوي إلى ليبيا.

فالسيد السَّعداوي من الشخصيات التي لها تاريخ نضالي، وخبرة سياسية عالية، كثير التجارب، وله صفات مكتسبة، كالتزامه المتواصل بالدفاع عن الوطن في ميدان الجهاد داخل البلاد ضد الغزو الإيطالي، ثم بعثه للحركة الوطنية في المهجر لمناهضة الوجود الاستعماري في وطنه[4].

واستطاع السَّعداوي أن يكتسب من خلال نشاطه السياسي في حركة التحرير مكانةً مرموقة بين الوسط الاجتماعي بعد الحرب العالمية الثانية. كما أنه شارك عملياً في مقاومة الاستعمار في الأقطار العربية الشرقية، ثم عضويته في المؤتمر الإسلامي العام المنعقد

(1) سبق وأن حدث انقسام في هذا الحزب في عام 1946م.

(2) انضم إبراهيم الميّت فيما بعد للمؤتمر الوطني الطرابلسي مع السَّعداوي، والذي نادى بقبول إمارة ادريس السنوسي على ليبيا، ثم انسلخ عن هذا الحزب وأصبح وزيراً في أول حكومة بعد الاستقلال.

(3) قام السيد سالم المنتصر فيما بعد بتأسيس حزبين آخرين وهما حزب الشعب، وحزب الاستقلال.

(4) أحمد زارم، مذكرات صراع الشعب الليبي مع مطامع الاستعمار، الدار العربية للكتاب ـ ليبيا، تونس، 1979م، ص89.

في القدس سنة 1931م، وتم اختياره من طرف المؤتمرين عضواً في اللجنة الدائمة لهذا المؤتمر، ثم مستشاراً سياسياً للملك عبد العزيز آل سعود، ومقابلته للشخصيات العالمية في أوروبا وأمريكا، ثم صداقته للشخصيات العربية السياسية والعلمية المجاهدة، مثل: شكيب أرسلان، وعبد العزيز الثعالبي، وعبد الكريم الخطابي، وشكري القوتلي وغيرهم... إلخ[1].

فالسَّعداوي تشبّع بأفكار الحركات الوطنية، وتدرّب خلال تجاربه على فهم كيفية إدارة مؤسسات الدولة والمنظمات العالمية، وخَبِرَ مفردات التخاطب مع هذه المؤسسات، فأصبح يحمل صفات رجل السياسة بامتياز؛ حيث قام ببناء مكانته السياسية على أساس الدفاع عن مصالح عامة بمفاهيم تجتاز حيّز المجموعات المحلية الضيقة.

ففي شهر مايو سنة 1949م ظهر على السطح المشروع الإنجليزي ـ الإيطالي (بيفن سفورزا)، والذي أُعلن عن رفضه من قبل الشعب الليبي، من خلال خروج الأخير في مظاهراتٍ معلناً ومندداً بهذا المشروع[2].

كما كان لهيئة تحرير ليبيا موقف احتجاجي من خلال تقديمها مذكرة تحتجّ فيها على هذا المشروع إلى السُّلطات العسكرية الإنجليزية في طرابلس، مطالبةً إياها إبلاغ حكومتها استياء الليبيين من هذا المشروع[3].

ومن جانب بشير السَّعداوي أَرْسل برقيةً من القاهرة إلى الليبيين من خلال الصحف المحلية، ونشرتها صحيفة طرابلس الغرب، ناشد فيها الشعب مقاومة هذا المشروع.

حاول السَّعداوي الانضمام إلى إخوته في طرابلس ومشاركتهم التنديد والرفض للمشروع من خلال سفره إلى هناك، ولكن السلطات الإنجليزية حالت دون ذلك بعدم منحه

(1) انظر: أحمد زارم، مصدر سابق، ص89.

(2) محمد عثمان الصيد، محطات من تاريخ ليبيا، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1996م، ص48 ـ 49.

(3) صحيفة طرابلس الغرب، العدد 1831.

تأشيرة دخولٍ إلى بلاده[1].

في شهر يونيو 1949م أُعلن استقلال برقة من جانبٍ واحد، فتقدّمت هيئة تحرير ليبيا بزعامة السّعداوي بمذكرتين إلى وزارة الخارجية المصرية، وإلى الأمين العام لجامعة الدول العربية متضمنةً معارضتها لإعلان استقلال برقة، ومطالبتها للجامعة بالتّدخل السّريع من أجل العمل على وحدة البلاد واستقلالها[2].

ولتأكيد السّعداوي لموقفه حول التّمسك بالوحدة والاستقلال صرّح لجريدة المصري بتصريحٍ دعا فيه الشعب الليبي على أن يكون على استعدادٍ تام لمقاومة كل المخططات الاستعمارية الرامية إلى تجزئة الوطن، مشيراً بأصابع الاتهام إلى إنجلترا[3].

ومن المقترحات التي عارضها ورفضها السّعداوي، المقترح الذي تقدّم به المفوّض الإيطالي بالقاهرة (دي ميشيلي) والمتعلّق بمنح إقليم طرابلس الحكم الذاتي، باعتباره الصيغة المُثلى لتوجيه الإقليم نحو الاستقلال، فكان ردّ السّعداوي على هذا المقترح قائلاً «إنه يحسن والأشياء على ما هي عليه اتخاذ قرار جذري فالحكم الذاتي يفترض أنه بعد عدد من السنين يتعيّن على إيطاليا أن تترك البلد، غير أن لدينا الكثير من الأمثلة التي تبرهن على أنه عندما تنفرد دولة أجنبية في بلد ما تفقد نهائياً الرغبة في تركه بالتي هي أحسن، وعندها يتعيّن اللجوء إلى استنفار الشعب إلى إراقة الدماء»[4].

وللم الشمل ووحدة الوطن، نادت الزعامات الوطنية بالتمسك بمبدأ الوحدة والعمل على مد جسور تواصل الأخوة في طرابلس وبرقة، ولقطع الطريق أمام دُعاة الانفصال والتجزئة تحرّك وفداً من طرابلس متجهاً إلى برقة برئاسة محمد أبو الأسعاد العالم، وعضوية

---

(1) Fo.371.73858.67577.

(2) محمد الطيب الأشهب، ادريس السنوسي، دار العهد الجديد، القاهرة، 1957م، ص154.

(3) انظر: ارويعي محمد علي قناوي، بشير السعداوي ودوره في الحركة الوطنية الليبية، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 2011م، غير منشورة، ص177.

(4) انظر: ارويعي، المرجع نفسه، ص177.

محمود المنتصر، وكان ذلك في يوم 7 يونيو 1949م؛ حيث وصل الوفد وتقابل مع الأمير محمد إدريس السنوسي، ونوقشت مسألة وحدة الوطن تحت زعامة الأمير إدريس، وبعد الانتهاء من الزيارة وُجّهت الدعوة للأمير بزيارة طرابلس. وبعد هذه الزيارة حدثت تطورات إيجابية بمعاونة الجامعة العربية، كان نتيجتها تلبيةً لدعوة الوفد الطرابلسي بزيارة الأمير إدريس إلى طرابلس، وبالفعل وصل الأمير في 10 يوليو 1949م، وهو في طريقه لزيارة انجلترا، وكان الاستقبال بحفاوةٍ بالغة من الزعماء الطرابلسيين والجموع الحاشدة في مقدمتها بشير السَّعداوي، وتوجّه الأخير مصطحباً معه الأمير والوفد المرافق له إلى مقر هيئة تحرير ليبيا بشارع عمر المختار، ومن شرفة المقر حيّا الأمير والسَّعداوي الجموع المحتشدة، وألقى السَّعداوي كلمة ترحيبٍ بالأمير إدريس قائلاً:

«هذا اليوم التاريخي الذي أَعْلن فيه الشعب عن هذه الأمنية الغالية والبغية السامية التي طالما تاقت لها النفوس، وهتفت بها القلوب، وهي وحدة الوطن واستقلاله، وأقول أن هذه الزيارة جاءت في وقت مناسب، ندعو الله سبحانه وتعالى أن يحقق لهذه البلاد ولهذه الأمة أمانيها الوطنية» وما كان للأمير إلاّ أن حيًّا الجموع المحتشدة لاستقباله قائلاً: «إني أشكر هذا الشعب في شخصكم، وأشكركم على خطبتكم هذه البليغة وأشكركم جميعاً. . .»(1).

كان لهذه الزيارة نجاح باهر على كل الصُّعد، فعلى الصعيد السياسي اجتمع الأمير مع الزعماء الطرابلسيين وتباحث معهم في نقاطٍ عدة تصب في مصلحة الوطن والمواطن(2).

غادر الأمير طرابلس متوجهاً إلى لندن؛ حيث اجتمع مع المسؤولين الإنجليز وكانت حوصلة هذا الاجتماع الموافقة على استقلال طرابلس كجزء من الفيدرالية الليبية.

وأرسل الأمير في يوم 15 أغسطس خطاباً إلى بشير السَّعداوي يحثّه على أن يُعلن

---

(1) صحيفة طرابلس الغرب، مقال بعنوان: (طرابلس تستقبل الأمير)، العدد 1857، 17 يوليو 1949م.

(2) صحيفة برقة الجديدة، مقال بعنوان: الذكرى التاريخية لزيارة الأمير المعظم لطرابلس، الشعب الطرابلسي يودع الأمير، بيان أميري إلى الشعب الطرابلسي الكريم، العدد 1219، 12 يوليو 1949م.

للزعماء الطرابلسيين استقلال طرابلس الذاتي باسمه، وأن تتكون وزارة مؤقتة في طرابلس على غرار حكومة برقة، وكان رد السَّعداوي بالرفض شكلاً ومضموناً، على اعتبار أنه ليس من المعقول ولا من المصلحة الوطنية أن يتلقّى أمراً كهذا من انجلترا ويعمل به، بينما الفصل في الموضوع يجب أن يكون عن طريق الأمم المتحدة وليس من لندن(1).

فطن السَّعداوي وبعض الزعماء الطرابلسيين للمناورة السياسية التي لوّحت بها إنجلترا وخطورتها على الوحدة الوطنية، على اعتبار أن ليبيا ليست طرابلس وبرقة المحتلتين إنجليزياً، بل هناك إقليم ثالث وهو فزان المحتل فرنسياً.

فالسيد السَّعداوي رأى أنه لا يمكن المحافظة على سلامة الوطن واستقلاله إلا بالوحدة بين الشرق والغرب والجنوب من خلال التواصل بين الزعامات الوطنية في مختلف المناطق(2).

ولعلّه ليس من الصدفة في شيء أن يجتمع حول السَّعداوي جُل الزعامات الطرابلسية أمثال (عون سوف، والطاهر المريّض ثم ابنه أحمد، وأحمد السويحلي، وأبو الأسعاد العالم. . .) إلى جانب بعض الشباب المثقفين الذين دَرَسوا في المشرق ومارسوا أنشطةً أدبية وشبابية وامتهنوا الصحافة مثل (علي المصراتي، منير برشان، نجم الدين فرحات. . . إلخ)؛ حيث يرى بعض المقربين من السَّعداوي أنه يُمثل تقريباً ما كان يُمثله عبد الرحمن عزّام في أعين القادة الأوائل لحركة المقاومة ضد الاستعمار، والبعض الآخر اعتبر السَّعداوي رمزاً للكيان الوطني الجديد الذي بدأ بالتشكيل(3).

---

(1) ن. أ. بروشين. تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى 1969م، ترجمة عماد حاتم، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس ـ ليبيا، 1988م، ص293.

(2) الهادي إبراهيم المشيرقي، ذكريات في نصف قرن من الأحداث الاجتماعية والسياسية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا، 2000م، ص330 ـ 332.

(3) كان للسيد السَّعداوي (كاريزما) أي قبول اجتماعي؛ حيث يقول أحد الذين واكبوا الحركة الوطنية الليبية في طرابلس وتعرّفوا على بشير السَّعداوي متحدثاً عن نفسه: «انبهر صاحبنا (يقصد ذاته) بشخصية رئيس الحزب (السَّعداوي) الذي سوف يُنقذ الوطن من براثن الاستعمار. . . فالتصق به التصاق المريدين بشيخ الطريقة=

دعا السَّعداوي الزعامات الوطنية إلى اجتماعٍ عام من أجل إنشاء أو تأسيس جبهة وطنية متعددة الأطراف، والعمل على حل كل الهيئات السياسية ودمجها في تنظيمٍ سياسيٍ واحد، وبالفعل تم الاتفاق على عقد مؤتمرٍ وطنيٍ يضم جُل الأحزاب والهيئات السياسية إلى جانب الشخصيات الوطنية المستقلة.

فقد كانت فكرة السَّعداوي في محلّها، وخاصّة بعد وضوح الأطماع الدولية في ليبيا سواء كانت إنجليزية أو إيطالية أو فرنسية[1].

ومن الخطوات المهمة التي خطاها السَّعداوي الاتصال بممثلي الجاليات الأجنبية يطلب منهم وبلهجةٍ فيها القوة، مناصرة الشعب الليبي في طلب الوحدة والحرية والاستقلال، ومن أهم هذه الجاليات (الإيطالية) التي هي أضخمها عدداً وأكثرها تمكناً في البلاد، وأوسعها سيطرة على مقدرات الوطن الاقتصادية[2].

استطاع السَّعداوي التغلب على بعض العراقيل التي كانت تعترض طريق لم شمل ووحدة الصف الوطني، وبدأ في التمهيد لعقد مؤتمرٍ وطني عام يحضره الزّعامات الطرابلسية من أجل توقيع وثيقة اتحاد الأحزاب الطرابلسية في جسمٍ واحدٍ تحت مُسمى (المؤتمر الوطني الطرابلسي)، وجّه السَّعداوي إلى رؤساء الأحزاب والهيئات السياسية الطرابلسية للمشاركة في حضور المؤتمر الوطني الذي سيُعقد بمدينة مسلاّتة، بجامع المجابرة بالقصبات مركز المدينة[3].

وفي يوم 19 أغسطس تكامل وصول الوفود من جميع نواحي القُطر على مقرّ هيئة

= الصوفية». انظر: عبد الرحمن أحمد الجنزوري، رحلة السنوات الطويلة: وقائع وتأملات في سيرة مواطن ليبي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2000م، ص212.

(1) المشيرقي، المصد السابق، ص332.

(2) زارم، المصدر السابق، ص82 ـ 83.

(3) سبق وأن شهدت مدينة مسلاّتة اجتماعات مصالحة ومؤتمرات محلية من أهمها مؤتمر الجمهورية الطرابلسية في 16 نوفمبر 1918م، في الجامع نفسه بمركز المدينة.

تحرير ليبيا بشارع عمر المختار بطرابلس، وفي يوم 20 أغسطس 1949م، تحركت أرتال السيارات من مدينة طرابلس إلى مسلاّتة مكان الاجتماع، وعند وصولهم للمدينة استقبلهم الأهالي بالحفاوة والترحاب، وكانت ضيافتهم على أكمل وجه.

وقبل انعقاد المؤتمر بيومٍ واحد أي في 20 أغسطس عند المساء عُقد اجتماع مُصغّر في صورة لجنة تحضيرية، راجع فيه المجتمعون جدول أعمال المؤتمر ومن ثم إقرار بنوده التالية:

1 ـ توحيد الجهود السياسية وذلك بدمج الهيئات والأحزاب السياسية الطرابلسية في تنظيمٍ واحد يتحدّث باسم الطرابلسيين في المحافل الدولية.

2 ـ اختيار الوفد الطرابلسي الذي سيُمثّل طرابلس في اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورة سبتمبر 1949م.

3 ـ مناقشة المخاطر المحلية والخارجية التي تهدّد سلامة ووحدة التراب الوطني.

4 ـ وضع الخطة المستقبلية التي سيسير عليها المؤتمر الوطني من حيث عمله ولجانه وتمويله المالي.

وفي اليوم الأول لانعقاد المؤتمر كان السيد (جريتوريكس) عن الإدارة العسكرية الإنجليزية متواجداً في مقر بلدية مسلاّتة، ويراقب عن كثب ما يدور بين المؤتمرين من نقاشٍ وما يترتب على المؤتمر من نتائج، محاولاً التدخل بشكلٍ غير مباشر من قبل بعض الأشخاص المتواطئين حسب ما ذكر الهادي المشيرقي في مذكراته[1].

وفي السّاعة التاسعة صباحاً يوم 21 أغسطس 1949م، اجتمع المؤتمر بأكمله في جامع المجابرة بمسلاّتة بحضور زعماء الحزب الوطني، والجبهة الوطنية، وهيئة تحرير ليبيا والعديد من الزعماء والأعيان الطرابلسيين وبحضور محمد فؤاد شكري كمستشارٍ لهيئة تحرير ليبيا، وقد كان عدد الوفود الرسمية حوالي 300 شخص تقريباً، كما حضرت

(1) المشيرقي، المصدر السابق، ص332.

هذا المؤتمر عناصر من الإقليمين الشرقي والجنوبي تشارك بصفتها الشخصية، إذ أنها غير مفوّضة من إقليمها[1].

وقد افتُتح المؤتمر بتلاوة من آيات الذكر الحكيم، وتلاها المقرئ الشيخ «مختار حوريّة» ثم تلاه الأستاذ محمد ميلاد مبارك بإلقاء قصيدة وطنية، وعلى إثر ذلك بدأت المناقشات، وتبودلت الآراء حول نقاط جدول الأعمال المطروحة على المؤتمرين، فتوالى الخطباء على المنصّة وتركزت كلماتهم حول المخاطر التي تهدّد سلامة الوطن من تكالب الدول الاستعمارية على تجزئته واحتلاله، مع الإشارة إلى التكاتف الدّولي الذي أدّى إلى اسقاط مشروع (بيفن سفورزا) الاستعماري، وأعلنوا عن رغبتهم في حل هيئاتهم وتكتلها في تنظيمٍ سياسيٍ واحد لمواجهة المؤامرات التي تُنسج ضد الوطن[2].

استمرّ المؤتمر في الانعقاد لمدة ثلاثة أيام عُقد خلالها ثلاثة اجتماعات كلّها كانت مفتوحة؛ حيث بدأت أعماله بإعلان القيادات السياسية للحزب الوطني، والجبهة الوطنية، وهيئة تحرير ليبيا عن حلّها ودمجها في تنظيمٍ سياسيٍ واحد أُطلق عليه المؤتمر الوطني الطرابلسي، وانتَخب المؤتمرون رئيساً للمؤتمر، ووكلاء للرئيس فكانت النتيجة كما يلي:

بشير السَّعداوي[3]	رئيساً للمؤتمر
محمد أبو الاسعاد العالم	نائباً للرئيس
الطاهر أحمد المريّض[4]	نائباً للرئيس
مصطفى ميزران[5]	نائباً للرئيس

(1) محمود الشنيطي، قضية ليبيا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1951م، ص29.

(2) الجنزوري، المرجع السابق، ص141.

(3) رئيس هيئة تحرير ليبيا.

(4) رئيس الجبهة الوطنية المتحدة.

(5) رئيس الحزب الوطني.

وعلى أثر الانتهاء من انتخاب الرّئيس ووكلائه أُعلن عن انتخاب لجنة مالية للمؤتمر فكانت النتيجة كما يلي:

محمد يونس الكريكشي	رئيساً للجنة
سالم إبراهيم اندير	أمين مال
إبراهيم بورقيبة	عضواً
بشير الزقلعي	عضواً
محمد إبراهيم الميت	عضواً
مفتاح عريقيب	عضواً
بشير بن رمضان	عضواً
علي بن عثمان	عضواً

ثم أثير بعد ذلك موضوع اختيار الوفد الطرابلسي الذي سيكون متواجداً في مقر الجمعية العامة للأمم المتحدة للدفاع عن القضية الوطنية، ومُمثلاً لطرابلس في الجمعية، رأى المجتمعون تكليف السَّعداوي لرئاسة الوفد وله الحرية في اختيار من يرافقه للجمعية العامة[1].

كما أُعلن عن انتخاب اللجنة التنفيذية للمؤتمر، وتُرك لرئيس المؤتمر اختيار أعضاء المكتب للعمل الدائم عند العودة إلى العاصمة. وبعد الوصول، أَعْلن رئيس المؤتمر أسماء هيئة المكتب للعمل الدائم، كما اختارها، فكانت كما يلي:

- أحمد زارم.
- محمد ميلاد مبارك.
- علي محمد المسلاتي.
- سليمان دهان.

(1) زارم، المصدر السابق، ص92.

ثم انضم فيما بعد للمكتب سعيد ساسي، وأحمد أبو عرقوب تطوّعاً منهما وكانا مدرسيّن في وزارة التربية فتخلّيا عنها وانضما للمؤتمر.

وأخيراً طُرحت مسألة تمويل الوفد، فتقرّر أن يبدأ الاكتتاب حالاً قبل انفضاض الاجتماع، وفعلاً فقد بدأت التبرعات ذات المبالغ المحترمة من أثرياء البلاد[1].

ثم تداول المؤتمرون في وجوب إيجاد مورد دائم للمؤتمر كي يستطيع القيام بمهمته، فقرّروا إضافة فرنك واحد: (مال) في الشهر على طريق بطاقات التموين، والمال هذا عُملة مؤقتة أصدرتها الإدارة العسكرية الإنجليزية، والأربعمائة والثمانون (مالاً: فرنكاً) منها تساوي جنيهاً ليبياً آنذاك.

كما أقرّ المجتمعون فكرة ترشيح الأمير محمد إدريس السنوسي زعيماً للبلاد، وبعد نقاشٍ وحوار دام ثلاثة أيام متتالية انتهى المؤتمر من وضع برنامجه الوطني الذي ستسير عليه الحركة الوطنية في طرابلس خلال الفترة اللاّحقة، متمثلاً في النقاط التالية:

1 ـ للشعب الليبي دون سواه حق تقرير مصير ليبيا.

2 ـ تصفية الوضع القائم في طرابلس، وبرقة، وفزان.

3 ـ تحقيق وحدة التراب ورفض كل شكلٍ من أشكال التجزئة.

4 ـ منح ليبيا الاستقلال التّام والفوري برئاسة الأمير إدريس.

5 ـ إعلان جميع المنظمات والتّجمعات المُشكلّة بمشاركة الأجانب على أنّها معادية للشعب والوطن[2].

وبعد الانتهاء من عقد المؤتمر ومناقشة جدول أعماله ووضع برنامجه الوطني المستقبلي، أَلْقَى السيد السّعداوي رئيس المؤتمر خطاباً شكر فيه أهالي مسلاّتة ووجهائها

---

(1) زارم، المصدر السابق، ص92.

(2) مصطفى فوزي السراج، ذكريات وخواطر، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2008م، ص358.

على ما أبدوه من مواقف وطنية صادقة وكرم ضيافةٍ أصيل، وصل إلى حد إخلاء منازلهم من سُكّانها لإيواء الضيوف، وقاموا بتزويد الجموع كلّها بما يلزم لمدة ثلاثة أيامٍ متتالية، ورفضوا أن تتولّى قيادة الحركة الوطنية صرف أية مبالغ طوال فترة الانعقاد.

بانتهاء المؤتمر رَجَع المجتمعون إلى طرابلس فاستقبلهم جمعٌ غفير من المواطنين أمام مقر هيئة تحرير ليبيا بشارع عمر المختار، والذي صار منذ ذلك اليوم مقراً للمؤتمر الوطني العام الطرابلسي، فاعتلى السَّعداوي شُرفة المقر وألقى خطاباً أوجز فيه ما قرّر المجتمعون بمسلاّته، فكانت الجموع تقابله بالتصفيق والهتاف بأهمية المؤتمر الوطني العام الطرابلسي[1].

في يوم 27 أغسطس 1949م أصدر بشير السَّعداوي بياناً من مدينة طرابلس موجهاً للشعب الليبي قائلاً: «لقد ظَهَر اجتماع الأمة على الظفر بوحدتها واستقلالها في كل ما اتخذه المؤتمر الوطني من قراراتٍ تستند على ما أبداه هذا الشعب الأبي المجاهد في جميع مراحل كفاحه الوطني الطويل من عزمٍ قوي، على أن يكون للأمة الليبية وحدها الحق في تقرير مصيرها والتحرر من الأوضاع المؤقتة التي طال أمدها، وهي اليوم تخطو الخطوات الفعالة لتحقيق أماني البلاد المشروعة وأهدافها القومية والوطنية، وما تلك الأماني والأهداف القومية والوطنية سوى تأييد وحدة ليبيا واستقلالها تحت الإمارة السنوسية»[2].

وفي ختام البيان نَصَح الجموع المحتشدة على التحلّي بالصّبر نظراً لحدوث تطوراتٍ خطيرة قد تضطر في النهاية باستئناف حركة الجهاد والنضال ضد قاطعي طريق الاستقلال، محذراً في الوقت نفسه من الانسياق وراء الأخبار المزيّفة التي ينشرها ضعاف النفوس، والذين يشكّكون في وحدة الوطن من خلال أجندة خارجية، ويعملون على تجميد المصلحة

(1) زارم، مصدر السابق، ص93، 94.

(2) بيان بشير السعداوي بتاريخ 27 أغسطس 1949م، ملف السعداوي رقم 173 و. ر. 6، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس.

الوطنية العليا التي هي مصلحة الجميع(1).

ويتبيّن ممّا سبق بوضوحٍ أن المَخاطر التي هدّدت وحدة التراب الليبي هي التي أرغمت زعامات ليبية (طرابلسية) إلى الدّعوة إلى اجتماع مسلاّتة، منادين بدمج معظم الهيئات السياسية الطرابلسية في المؤتمر الوطني العام الطرابلسي، وإلى العمل مع الأمير إدريس لإنقاذ الوطن من مخاطر الوصاية أو التجزئة.

ولما عُرف للإعلام من دورٍ في نشر الوعي السياسي بين المواطنين الليبيين، قام المؤتمر بإصدار صحيفة باسم (شعلة الحرية)، تولّى رئاسة تحريرها أحمد زارم والمعروف بنشاطاته السياسية ونزاهته وتوليه لقيادة الحركة الوطنية الليبية في تونس(2).

وبعد الانتهاء من الترتيبات الأولية واستكمال الإجراءات بشأن تأسيس حزب المؤتمر الوطني العام الطرابلسي، فُتح باب التسجيل أمام المواطنين الذين يرغبون في الانضمام إلى عضوية المؤتمر، ووُزِّعت على المسجلين بطاقات انتساب، فتوافد على المؤتمر عدد كبير من الليبيين للانخراط فيه، وهذا يدل على التأييد الشعبي الواسع، وخاصّة بعد اندماج بعض الهيئات أو الأحزاب السياسية في المؤتمر، بالإضافة إلى القبول الشعبي الذي تحصّل عليه السيد السَّعداوي بفضل فصاحته وقدرته على إقناع الشعب، زد على ذلك كفاحه ونضاله السياسي لفترةٍ طويلة.

تطوّرت الأمور السياسية لصالح الجميع، فالأمير إدريس توجّه يوم 3 سبتمبر 1949م إلى طرابلس قادماً من انجلترا، وقوبل بالحفاوة والترحاب من قبل المؤتمر الوطني الطرابلسي، وأصبحت الوحدة والاستقلال هدف الجميع، وهذا ما أكّده كلّ من الأمير إدريس والسَّعداوي في خطاباتهما أثناء الاحتفال باستقبال الأمير(3).

ومع اقتراب موعد انعقاد الدّورة الرّابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة، كان لزاماً

(1) المصدر نفسه.

(2) انظر: زارم، المصدر السابق، ص92 ـ 98.

(3) بروشين، المرجع السابق، ص259.

على الليبيين الاتفاق فيما بينهم في اختيار الوفد الممثل للقُطر الليبي في الجمعية، ولكن لم يحدث ذلك نظراً لتجدّد الاختلافات بين الزّعماء الطرابلسيين والبرقاويين من جهة، وبين زعامة المؤتمر الوطني الطرابلسي وقيادات حزب الاستقلال، بسبب الاختلاف في التوجّهات والآراء السياسية، مما نتج عن ذلك تشكيل ثلاثة وفودٍ ليبية للإدلاء بوجهة نظرها أمام المنظمة الدولية.

مَثَّل الوفود الثلاثة الشخصيات التالية:

1 ـ تكوَّن الوفد البرقاوي من: عمر فائق شنيب، وعبد الرزاق شقلوف، وخليل القلال.

2 ـ ومثَّل وفد المؤتمر الوطني الطرابلسي: بشير السعداوي، ومصطفى ميزران، ومحمد فؤاد شكري.

3 ـ والوفد الثالث (الطرابلسي) ممثلي حزب الاستقلال وهم: أحمد كعبار، ومختار المنتصر، وعبدالله الشريف، وعبدالله بن شعبان[1].

جرّاء هذا الانقسام الواضح للعيان، فإن القضية الليبية مصيرها الفشل وعدم الوصول إلى حلٍّ يُرضي الجميع، ولكن رأت الجامعة العربية العمل على تقريب وجهات النظر والتوفيق بين الوفود الليبية، فاقترحت الجامعة تكليف شخصٍ واحد (ضابط اتصال) بين الوفود الثلاثة دائم في الأمم المتحدة، لكي لا تبدو الانقسامات واضحة أمام الرأي العام الدولي، وهذا ما أكّده عزَّام في مذكراته عندما قال: «كاتبت السيد عبد المنعم مصطفى الوزير المفوّض في وزارة الخارجية وكنت قد انتدبته لرئاسة الإدارة السياسية بالجامعة العربية بالسفر إلى الأمم المتحدة ليعمل مستشاراً لهذه الوفود، واتفقت مع الزعماء الطرابلسيين على أن يعملوا تبعاً لنصائحه»[2].

(1) انظر: عبد الرحمن الجنزوري، المرجع السابق، ص124.

(2) انظر: عبد الرحمن عزام، صفحات من المذكرات السرية، المكتب المصري الحديث، القاهرة، د. ت، ص314.

بتاريخ 20 سبتمبر 1949م افتتحت الجمعية العامة للأمم المتحدة اجتماعاتها في مدينة نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية، وقد كانت الوفود الليبية متواجدة في مقرّ المنظمة الدولية لتقديم ما عندها من جديدٍ حول القضية الليبية، وفي 6 أكتوبر من السنة نفسها سُمح للوفود الليبية بإدلاء ما في جعبتها حول قضيتهم، فكانت كلمة بشير السَّعداوي من ضمن الكلمات التي أُلقيت على مسامع الجميع قائلاً: «أما مطالبنا فهي الوحدة والاستقلال النّاجز في نطاق وحدة البلاد، ونكرّر شُكرنا للجنة السياسية الموقرة على سماعها لنا، ونُعلن الاحتفاظ بحقنا في الإدلاء ببيان مفصل عن مطالبنا في فرصة ثانية» وفي معرض ردّه على سؤال المندوب الليبيري حول المدة التي يراها كافيةً لتحقيق الاستقلال أجاب السَّعداوي قائلاً «إننا نريد تحقيق استقلالنا في أقرب وقتٍ، بل حالاً»[1].

فرد السَّعداوي كان مختصراً لكنه كان كافياً للوصول إلى بيت القصيد وهو الاستقلال والوحدة الوطنية، ولإفهام مندوبي الدول الموجودين في القاعة وإسكاتهم عن توجيه أي سؤالٍ آخر، بل وصل إلى حد اعتراف المندوب الإيطالي باستقلال ليبيا[2].

واستمرّ وجود الوفود الليبية في نيويورك؛ حيث اجتمعت مع بعضها في 2 نوفمبر 1949م، حول من سيتولّى عرض القضية الليبية على المنظمة الدولية، فبدأت الخلافات بين الوفد البرقاوي ووفد المؤتمر الوطني الطرابلسي من جهة، ووفد حزب الاستقلال الذي تشبّث برأيه في عدم الاعتراف بالأمير إدريس السنوسي أميراً للبلاد، ولتقريب وجهات النظر والقضاء على الخلافات بين هذه الوفود تدخل مندوبو الدول العربية (مصر، العراق، السعودية) والباكستان إضافة إلى اتصال السَّعداوي بمندوبي الهند، وانجلترا، والولايات المتحدة الأمريكية، ومصر، والباكستان؛ حيث سَلّم لمندوب الولايات المتحدة نسخة من قرارات مؤتمر مسلاّتة متضمنةً رغبة الشعب الليبي في الاستقلال ووحدة البلاد بزعامة الأمير إدريس السنوسي، وكان لهذا أثره في نفسه مما دفعه إلى تأييد الوفود الليبية المطالبة

(1) الشنيطي، المرجع السابق، ص238.

(2) انظر: ارويعي، المرجع السابق، ص187.

بالاستقلال والوحدة، مؤكداً للجميع أن الشعب الليبي يطالب بالاستقلال والوحدة، وأنها ستكون عاملاً من عوامل الاستقرار في الشرق الأدنى، والحكومة التي تنشأ في البلاد تكون حكومةً ديمقراطية تضمن الحرية الفردية والحقوق المشروعة للسكان جميعاً، مبيناً أن الاستقلال والوحدة هي رغبة كل سكان ليبيا[1].

وفي نوفمبر 1949م تقدّمت اللجنة السياسية بمشروع قرارٍ للجمعية العامة للأمم المتحدة، وبعد مداولاتٍ حول هذا المشروع صَدَر القرار رقم (289) متضمناً نيل ليبيا لاستقلالها في مدةٍ أقصاها الأول من يناير 1952م، وأن يُقرّر دستور ليبيا بما فيه نوع الحُكم بواسطة ممثلي السُّكان في طرابلس وبرقة وفزان، الذين يجتمعون ويتشاورون على شكل جمعيةٍ وطنية، كما اشتمل القرار على الخطوات العملية التي تكفل للشعب الليبي حقه في اجتياز المرحلة الانتقالية بنجاح، وقد تمثّلت هذه الخطوات في التالي:

1 ـ تُعيّن الجمعية العامة أميناً عاماً يعاونه مجلس لتقديم المشورة.

2 ـ يتكوّن المجلس من: (أ) ممثلاً من كل دولة من الدول التالية: مصر، فرنسا، انجلترا، الباكستان، إيطاليا، والولايات المتحدة الأمريكية.

(ب) ممثل عن كل منطقة من المناطق الليبية الثلاث (طرابلس، برقة، فزان).

3 ـ على الأمين العام أن يستشير ويسترشد بآراء أعضاء المجلس أثناء القيام بالمسؤوليات المنوط بها، وله الخيار في تحديد عدد الممثلين المستشارين وفي المناطق التي يطلب النصيحة بصددها، وكذا في الموضوعات الأخرى[2].

وبعد صدور قرار الأمم المتحدة بإعلان استقلال ليبيا مباشرةً قام السيد السَّعداوي بتهنئة الشعب الليبي عبر أثير إذاعة طرابلس التي رُبطت بإذاعة هيئة الأمم المتحدة في ليك

(1) كهلان كاظم القيسي، السياسة الأمريكية تجاه ليبيا 1949م، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2003م، طرابلس، ص70.

(2) آمال السبكي، استقلال ليبيا بين الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية 1943 ـ 1952م، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م، ص51 ـ 52.

سكسيس، ونشرتها جريدة طرابلس الغرب في 26 نوفمبر من العام نفسه بالفوز بالحرية والاستقلال، وأشاد بجهاد الشعب الليبي وصبره الطويل، وطالب الليبيين بالتضامن والاتحاد والعمل الدائم لمصلحة الوطن قائلاً: «إن العمل لم ينته بعد، إن الفترة الانتقالية تتطلّب بذل جهودٍ أشق من سابقتها حتى يُصبح استقلال البلاد ووحدتها أمراً نافذاً مفعولاً، ولا أخال بني وطني الأعزّاء إلاّ أنهم يُدركون ويعرفون أن المستقبل متوقف على تعاضدهم وتساندهم في كتلةٍ متراصّة لا يجد الأجنبي سبيلاً إلى بث بذور القطيعة. . . اضربوا الدليل الحي على أن هذه الأمة المجاهدة الفتيّة وقد فازت بهذا الاستقلال، ليس فقط تُقدِّر مسؤولية الاستقلال، بل تعمل يداً واحدة لتدعيم بنيانه وتثبيت أركانه»[1].

وفي منتصف شهر ديسمبر تقريباً تلقّى المؤتمر الوطني العام برقية من بشير السَّعداوي يقول فيها: بأنه وصل إلى مصر عائداً من الأمم المتحدة، وأنه شَرَع في اتصالاته السياسية، وعند الانتهاء سيعود إلى طرابلس، وسيمرُّ ببنغازي[2].

بعد صدور قرار الاستقلال، هنأ السيد عبد الرحمن عزّام الليبيين بهذا القرار، وكان ذلك في 12 ديسمبر من العام نفسه، وحثّهم على العمل من أجل تأسيس الدولة الليبية الحديثة على دعائم ثابتة، وحكم وطني هدفه الأول سيادة الليبيين ورفاهيتهم حتى تنال احترام وتقدير العالم أجمع[3].

استمرّ السيد السّعداوي في عمله السّياسي حتى بعد صدور قرار الاستقلال، فكانت له اتصالات مع مندوب الأمم المتحدة في ليبيا (أدريان بلت)[4]، وعبد الرحمن عزّام أمين الجامعة العربية، حول تنفيذ قرار الاستقلال، كما حدثت خلافات مع الأخير والسَّعداوي

(1) أحمد زارم، مصدر سابق، ص290.

(2) المصدر نفسه.

(3) سامي حكيم، هذه ليبيا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1970م، ص143.

(4) في 15 ديسمبر 1949م تم انتخاب (أدريان بلت) كمفوضٍ عام للأمم المتحدة في ليبيا، وهو دبلوماسي هولندي، عمل في خدمة الأمم المتحدة.

نتج عنها اجتماع أو مؤتمر تاجوراء (25 مارس 1950م) بشأن السّعي لتنفيذ قرار الاستقلال وإنشاء دولة موحدة (طرابلس، برقة، فزان)[1].

كما كان للسّعداوي تعقيب على مجلس العَشْرَة الذي أُنشئ في 5 أبريل 1950م قائلاً: «وإن كنا لا نرَى أنها تحقق جميع المطالب العادلة التي تقدَّم بها الليبيون، إلاَّ أننا ندرك بأنه بات عليهم دون سواهم أن يحقّقوا وحدتهم واستقلالهم».

وللسّعداوي صولات وجولات ولقاءات مع الأمير إدريس السنوسي ومستشاريه، والمندوبين الدوليين لبحث تطورات القضية الليبية واختصاصات المجلس الاستشاري وصولاً لتأسيس لجنة الواحد والعشرين.

باشرت اللجنة (الواحد والعشرين) مناقشة الكيفية التي سيتم بها اختيار أعضاء الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية، ورأىَ السّعداوي بشأن تشكيل الجمعية أن تتم بالطريقة نفسها التي اتُّبعت في تأليف لجنة الواحد والعشرين.

بدأت الجمعية الوطنية في عملها المتمثل في تقرير شكل الدولة، ونوع الحكم وتقرير المَلكيَّة، وتعيين لجنة لوضع الدستور، وصولاً لاختيار لون العَلَم.

تحفّظ السيد السّعداوي على بعض النقاط التي تم الاتفاق عليها من قبل الجمعية الوطنية، ومع هذا انتهت الجمعية من أعمالها وحُدِّد موعد إعلان الاستقلال 24 ديسمبر 1951م.

وكان للسعداوي تصريح حول الاستقلال قائلاً: «إنه يعني الاستقلال الحقيقي الصريح وليس المموه المغشوش، ويدرك الواقع الذي عليه ليبيا، فهي محتلة من الانجليز، والفرنسيين، والأمريكيين، وأنها فقيرة أشد الفقر، وليبيا ليست الدولة الفقيرة الوحيدة

(1) في 25 مارس 1950م، عُقد بجامع مراد آغا بتاجوراء شرقي طرابلس مؤتمراً وطنياً من أجل متابعة القضية الليبية وصولاً للاستقلال. انظر: ملف سالم أبو خشيم رقم 12 و. ر 55 بتاريخ 22 مايو 1950م، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس.

على وجه الأرض فمثلها العشرات وعلينا أن نستفيد من خبراتها، وأن نبحث عن النواحي الإيجابية القليلة في محيطنا وننميها مع الصبر والمثابرة، وأن نقتصد في الاستهلاك دون أن نفرط في حريتنا فهي الرصيد الثمين الذي لا يجوز التلاعب فيه أبداً»[1].

وفي فبراير 1952م أعلن حزب المؤتمر الوطني الطرابلسي بزعامة السعداوي عن قائمته وخطته السياسية، ولاحت أمام الحزب فرصة إظهار قوته مجدداً عندما تقرّر إجراء الانتخابات الأولى للمجلس النيابي، وبدأ حملة انتخابية مكثفة من أجل كسب مقاعد منطقة طرابلس بأجمعها من مجلس النواب.

أُجريت الانتخابات وكانت النتائج المعلنة في 20 فبراير 1952م بمنطقة طرابلس أغلبية مؤكدة في سبع دوائر انتخابية بطرابلس والمناطق المجاورة، إلاّ أن النتائج العامة سجلت خسائر كبيرة للحزب بالنسبة لمرشحي الحكومة والمستقلين في الريف؛ حيث لم يكن الاقتراع سرياً، ثم كانت المفاجأة حينما عرف أن الحزب لم يحصل إلاَّ على عشرة مقاعد كلها تقع في دوائر مدينة طرابلس. فأعلن المؤتمر الوطني الطرابلسي عن تلاعب المسؤولين الحكوميين في الانتخابات في بعض الدوائر، وألَّب الرأي العام ضدها، فاندلعت المظاهرات في مدينة طرابلس يوم 20 ـ 21 فبراير 1952م مطالبة بوقف التزوير، ولكن انحرفت المظاهرات على مسارها فتحولت إلى العمل بتخريب الممتلكات العامة، فتدخل البوليس مستعيناً بالشرطة ومعهم قوات انجليزية، وأطلقوا النار على المتظاهرين وقُتل عدد وجرح عدد آخر، وحدث الشيء نفسه في مدينة مصراتة، وكذلك في الزاوية، والعجيلات، وصبراتة[2].

أُتهم بشير السعداوي من الأشخاص المثيرين للشغب في العاصمة وضواحيها، فاتُخذ قرار ملكي بإبعاد السعداوي عن البلاد نهائياً.

---

(1) انظر: مصطفى السراج، السعداوي والمؤتمر وضع النقاط على بعض الحروف، القبس للأعمال الفنية، طرابلس ـ ليبيا، 2006م، ص84.

(2) انظر: المشيرقي، مصدر سابق، ص352؛ زارم، مصدر سابق، ص210 ـ 211.

نُفّذ قرار الإبعاد يوم 22 فبراير 1952م؛ حيث اقتحم الضباط الإنجليز ومفرزة من الشرطة في جنح الظلام منزل بشير السّعداوي رئيس حزب المؤتمر الوطني الطرابلسي العام واعتقلوه وأرغموه على مغادرة البلاد على متن طائرة لحمله إلى الحدود المصرية، وفي أثناء توقّفه ببنغازي وجّه السّعداوي نداءً إلى الملك ليتنصّل من عمل الحكومة الاتحادية، ولكن دون جدوى، فأُخطر لمواصلة سيره إلى المنفى[1].

* * *

الخاتمة

من خلال التساؤلات التي طُرحت في المقدّمة والتي تم الإجابة عنها في المتن، يتّضح تمسّك السّعداوي بوحدة الوطن وحرية الشعب الليبي، فتصدّى لكلّ المخططات الرامية إلى الوصاية والتجزئة، وأثبت السيد السّعداوي حنكته السياسية في التعامل مع الأطراف كافة سواء كانت ضده أو معه طوال فترة رئاسته للمؤتمر الوطني الطرابلسي، فزاحم وناقش لمصلحة الوطن والشعب وليس لمصلحته الشخصية، وهذا ما أكّدته تصرفاته واتصالاته بالداخل والخارج، منادياً طوال فترة نضاله بوحدة التراب الليبي ونيل الاستقلال، وبالفعل تم ذلك بصدور القرار رقم (289) نوفمبر 1949م بأن تنال ليبيا استقلالها، وهذا كان مبتغاه هو ومن رافقه من الزعماء الوطنيين طوال فترة ما قبل الاستقلال.

فالحياة السياسية التي عاشها السّعداوي قبل وبعد الاستقلال، بدأ عدد من أعضاء الحزب الوطني الطرابلسي بتقديم استقالاتهم، فقسم منهم تشكّلت بهم النواة الأولى للحزب، من أمثال أحمد عون سوف، وسالم المريّض، ومحمد أبو الاسعاد العالم، وغيرهم، تركوا السعداوي وقبلوا بعضوية الجمعية الوطنية، في الوقت الذي أُقصي هو منها، بعدما كان أول المترشحين لها. ثم لم يتوانى هؤلاء بعد ذلك في القبول بمبدأ النظام الفيدرالي

(1) صلاح العقاد، ليبيا المعاصرة، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1970م، ص94.

للبلاد، الذي وقف السَّعداوي منه موقفاً معارضاً، وعدد من الذين انضموا إلى المؤتمر الوطني الطرابلسي أثناء فترة ما قبل الاستقلال من أمثال محمد الميت، وسالم القاضي، ونجم الدين فرحات، ومنير برشان، وخير الدين قدارة وآخرين، انسلخوا من المؤتمر بمجرّد أن عُرضت عليهم مناصب سياسية، أو فُتحت أمامهم آفاقٌ أخرى للعمل السياسي خارج حزبهم.

بعد خسارة الحزب الوطني الطرابلسي في الانتخابات النيابية وما ترتّب عليها من مظاهراتٍ في العاصمة وغيرها من المدن، والتي كان نتيجتها إبعاد السيد السَّعداوي عن المشهد السياسي ونفيه خارج الوطن، فكان الذين كسبوا الزعامة السياسية هم الأمير إدريس السنوسي ومحمود المنتصر، وهذان بالذات هما اللذان ساندتهما القوى الخارجية، وهذا ما أكّده القنصل الفرنسي بطرابلس أثناء تعليقه على هذه الأحداث بتاريخ 12/ 03/ 1951م «كثير من الأعيان وخاصّة زعماء القبائل في الدّواخل كانوا مقتنعين بعزم انجلترا على مساعدة محمود المنتصر، وكانوا راغبين في ضمان مصالحهم مع من ستكون بيده خيرات الدولة، فامتنعوا عن الرّد إيجابياً على نداءات الزّعيم (يقصد بشير السعداوي)».

❑ ❑ ❑

المصادر والمراجع

*** أولاً ـ الوثائق:**

1 ـ ملف السعداوي ـ شعبة الوثائق العربية، وحدة الوثائق المعاصرة، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا.

2 ـ ملف أبو خشيم ـ شعبة الوثائق العربية، وحدة الوثائق المعاصرة، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا.

*** ثانياً ـ المصادر:**

1 ـ أحمد زارم: مذكرات . . . صراع الشعب الليبي مع مطامع الاستعمار، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1979م.

2 ـ عبد الرحمن أحمد الجنزوري: رحلة السنوات الطويلة: واقع وتأملات في سيرة مواطن ليبي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2000م.

3 ـ عبد الرحمن عزّام: صفحات من المذكرات السرية، المكتب المصري الحديث، القاهرة، دت.

4 ـ محمد عثمان الصيد: محطات من تاريخ ليبيا، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1996م.

5 ـ الهادي إبراهيم المشيرقي: ذكريات في نصف قرن من الأحداث الاجتماعية والسياسية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2000م.

*** ثالثاً ـ المراجع:**

1 ـ اروبعي محمد قناوي: بشير السعداوي ودوره في الحركة الوطنية الليبية، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، غير منشورة، 2011م.

2 ـ آمال السبكي: استقلال ليبيا بين الأمم المتحدة والجامعة العربية 1943 ـ 1952م، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م.

3 ـ سامي حكيم: هذه ليبيا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1970م.

4 ـ صلاح العقاد: ليبيا المعاصرة: جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية، القاهرة، 1970م.

5 ـ كهلان كاظم القيسي: السياسة الأمريكية تجاه ليبيا 1949م، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2003م.

6 ـ اللجنة الطرابلسية: الكتاب الأبيض في وحدة طرابلس وبرقة، دار الأنوار للطباعة والنشر، القاهرة، 1949م.

7 ـ مجيد خدوري: ليبيا الحديثة دراسة في تطورها السياسي، ترجمة نقولا زيادة، دار الثقافة، بيروت، 1966م.

8 ـ محمد الطيب الأشهب: إدريس السنوسي، دار العهد الجديد، القاهرة، 1957م.

9 ـ محمود الشنيطي: قضية ليبيا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1951م.

10 ـ مصطفى فوزي السراج: ذكريات وخواطر طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2008م.

11 ـ مصطفى فوزي السراج: السعداوي والمؤتمر، وضع النقاط على بعض الحروف، القبس للأعمال الفنية، طرابلس، 2006م.

12 ـ ن. أ. بروشين: تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى 1969م، ترجمة عماد حاتم، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس ـ ليبيا، 1988م.

*** رابعاً ـ الصحف:**

1 ـ صحيفة طرابلس الغرب.

2 ـ صحيفة برقة الجديدة.

التّأريخ للوطن: محاولات للتنظير المنهجي

د. إدريس مفتاح حمودة
الجامعة الأسمريّة الإسلاميّة ـ زليتن

مقدِّمة

من المعلوم أنّ مناهج البحث تهدف إلى تعميق الدّراسة وتأصيلها وأنّ لكلّ علمٍ مناهجه وأدواته، وهو ما ينسحب على علم التاريخ، الذي اعتنى العلماء بوضع أسس مناهج البحث فيه، فضلاً عن العلوم المساعدة التي يتطلّب من الباحث الدراية بها؛ وتوظيفها في الكتابة التاريخيّة ومجالاتها المتعددة؛ كالتاريخ السياسي، أو الاقتصادي، أو الاجتماعي.

وحيث إنّ التّاريخ للوطن يندرج في إطار التاريخ السياسي الاجتماعي؛ فإن هذه الدّراسة تأتي في إطار البحث عن محاولة التنظير المنهجي لمعالجة القصور الناشئ عن الكتابات التقليدية ونقدها، ومن ثم التّطرق إلى أسباب قلّة الدراسات في التاريخ الليبي وسبل التغلّب عليها، كما سنناقش أهميّة تاريخ الأفراد، ونظرية الفلسفة التاريخية القائلة بأنّ التاريخ من صُنع الأبطال، وأُسس الكتابة النقدية الموضوعية عن الزّعامات القيادية.

* **مشكلة البحث:**

إنّ استخدام المنهج التاريخي، للانتقال من التقليد إلى النقد الموضوعي، ومن مرحلة التّأريخ السردي إلى التنظير والتّأطير، من خلال وضع قواعد كلّيّة لضمان نتائج بحثية منطقية عقلانية، هي محاولة وضع نظريات منهجية وتطبيقها في البحث التاريخي، لرسم صورة حية للماضي اعتماداً على المعطيات، واستبعاد الأنا، والميول النّفسية والأيديولوجيّة.

*** فرضية البحث :**

إذا كان التّعصب الفكري؛ والتأثير النفسي العاطفي إزاء بعض المواقف والقضايا ذات البعد السياسي، خصوصاً إذا تعلّق الأمر بالشخصيات والنُّخب التي كان لها الدور القيادي في الحدث التاريخي، فلا بدّ من البحث عن منهجية مُثلى للانتقال من التَّعصب إلى العقلنة، عند التّأريخ للوطن وإدراك أهمية ذلك، حفاظاً على الحقيقة، ومنعاً للأهواء؛ التي قد يترتّب عليها صياغة الوقائع التاريخية برؤيةٍ غير واقعيّة وبأحكامٍ مسبقة.

*** أهداف البحث :**

يهدف البحث إلى التأكيد على أهمية التاريخ الوطني، والبحث عن آلية لجمع مصادره، وإعداد الدراسات والبحوث الجادّة، ذات البُعد العلمي باستخدام مناهج البحث، وحلّ المشكلات المعوّقة لذلك، وإيجاد رؤية موضوعيّة للدراسات النقديّة المتعلّقة بالتاريخ العام أو الرموز والنُّخب والقيادات الوطنية.

*** أهميّة البحث :**

تأتي أهميّة البحث في توضيح مفهوم التاريخ الوطني ومدلوله والإجابة على بعض التساؤلات ذات الطابع المنهجي أو الابستمولوجي، وصياغة بعض الآراء التنظيريّة حول المنهجية المتّبعة في التاريخ الوطني في الماضي وافتراض منهجية أخرى للعمل بها مستقبلاً، والتي ربما تجد اهتماماً من الدارسين، لاعتمادها، أو نقدها.

*** منهجيّة البحث :**

لمحاولة الوصول إلى إجاباتٍ موضوعيّة ومنطقيّة مقنعة عن مشكلة البحث، سنستخدم المنهج التحليلي، ومن خلال ذلك سنحاول صياغة أفكار تنظيريّة للمواضيع التي سنناقشها في صفحات هذا البحث لتحقيق النّتائج المرجوّة.

*** حدود البحث:**

سيكون البحث جلّه متركّزاً على معالجة إشكاليات المناهج البحثية في التاريخ الوطني بين التقليد والتطوير، وقد قسّمت الدراسة بعد المقدّمة إلى الآتي:

- مفهوم الوطن والتّأريخ له.
- منهجية التّأريخ الليبي وإشكاليّة التّقليد.
- هل التاريخ من صنع الأفراد؟: قراءة في نموذج السَّعداوي.
- خاتمة.
- مراجع البحث.

* * *

*** أولاً ـ مفهوم الوطن والتّأريخ له:**

الوطن كلمة لها دلالاتها اللّغويّة ومفهومها السّياسيّ، فمن حيث المدلول اللغوي نجد كلمة الوطن مستخدمة في كتب التراث العربي بمعنى الإقامة والاستيطان؛ حيث يستوطن الإنسان المكان الذي يجد فيه الماء والكلأ، ويأمن فيه على مقوّماته الحياتية، يقول ابن منظور: «المنزل تقيم فيه وهو موطن الإنسان ومحله... يُقال أوطن فلان أرض كذا وكذا، أي اتخذها محلاً ومسكناً يقيم فيه»[1]، فمن هذا التعريف يتّضح أن المكان الذي تعيش فيه مجموعة بشرية أو أمة من الأمم، ما هو إلا موطن الحياة والاستقرار على مساحة من الأرض ارتبط بها الإنسان واستقرّ فيها، فمصيره رهين بوجود ذلك الموطن والمحافظة عليه.

وقد تطوّر مفهوم الوطن بالتّطور الذي مرّت به المجتمعات والأمم والشّعوب وظهور الدول الحديثة ذات الحدود الجغرافية، التي تكون سيادة الدولة عليها، كما ظهرت أسماء

(1) ابن منظور، لسان العرب، قدّم له العلاّمة الشيخ عبدالله العلايلي، مادة (وطن)، ج6، دار الجيل، ودار لسان العرب، بيروت، 1988م، ص949.

الدول، وشعاراتها، وأعلامها، ودستورها، ليصبح مفهوم الوطن مقترناً بمفهوم الدولة القائمة على أُسسٍ ثلاثة هي: الشعب، والإقليم، والسُّلطة السياسية[1].

كان من أوائل المفكرين العرب الذين تناولوا مفهوم الوطن في العصر الحديث رفاعة الطهطاوي الذي عرّف الوطن بقوله: «إنه المتأصل به والمنتجع إليه الذي توطّن فيه، واتخذ وطناً يُنسب إليه. . . فيُقال وطني»[2]، وكان الوطن ـ بذلك ـ من أهم مظاهر الافتخار والانتساب والوحدة، لأنه لابد لذوي الحياة السياسية من وحدة يرجعون إليها ويجتمعون عليها اجتماع دقائق الرمل حجراً صلداً، وأن خير أوجه الوحدة الوطن، لامتناع الخلاف والنزاع فيه[3]، فكان بذلك هويّة الأمة وماهية وجودها، لأنه لا حقيقة له إلاّ بهم وفيهم، ولا رفعة فيه إلاّ منهم ولهم[4].

وعلى هذا، كانت الدّول والحكومات ولا زالت تضع المناهج الدراسية للتاريخ الوطني نظراً لارتباطه بماضي وحاضر الشعوب وهويّتها وثقافتها وحضارتها، لكنّ ذلك قد يخضع إلى رؤية سياسية أو أيديولوجية مُعيّنة، بيد أنّ الكتابة في التاريخ الوطني لدى الباحثين والمؤرّخين من المفترض أن لا تخضع للعاطفة أو النّزعة الذّاتية، بل يتوجّب تقديم الحقائق كما هي بدقةٍ وأمانة[5].

من جانبٍ آخر، هناك من يعتقد أنّ التاريخ الوطني يُقصد به التاريخ الحديث والمعاصر الذي شهده الوطن، وهو مفهوم مجتزأ ومبتور في تقديري، فالأوطان لها إرثها

(1) للمزيد من التفاصيل يُنظر: منصور ميلاد يونس، الوجيز في القانون الدستوري والنُّظم السياسية، ط2، جامعة طرابلس، 2013م، ص37 ـ 92.

(2) رفاعة الطهطاوي، الأعمال الكاملة، دراسة وتحقيق محمد عمارة، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1972م، ص343.

(3) محمد عبده، الأعمال الكاملة، دراسة وتحقيق محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1972م، ص343.

(4) المرجع نفسه، ص342.

(5) قاسم يزبك، التاريخ ومنهج البحث التاريخي، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1990م، ص45 ـ 48.

التّاريخي الطويل؛ الذي يُبتدأ منذ أقدم العصور إلى الوقت الحاضر، وهو سجلٌ حافل بالأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والحضاريّة، لذلك لابدّ من نشر ثقافة المعرفة التاريخية الشمولية للوطن[1]، لكن السؤال المطروح الآن: ما مصادر تاريخنا الوطني؟ وهل استطعنا كتابة تاريخنا الوطني أم اكتفينا بالقليل ممّا كُتب فيه؟.

إن المصادر التي تغطي جزءاً من التاريخ الوطني في معظمها كُتبت بأقلامِ أجانب وعرب، وهي تُمثّل رؤية كاتبيها، وقد تُرجمت بعض أعمال المؤرّخين الأجانب إلى اللّغة العربيّة تيسيراً على الباحثين، للاطّلاع على تلك الدّراسات، وهناك بعض المصادر القليلة وكُتب الرّحلات التي اهتمت بتاريخ ليبيا وأخذت شهرة واسعة لدى المهتمين، وهي لا يستغنى عنها باحث في التاريخ الليبي، ومن تلك المصادر على سبيل المثال لا الحصر: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، ونفحات النسرين والريحان لأحمد النائب الأنصاري، وكتاب التّذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار لابن غلبون، ورحلة التّجاني، والعيّاشي، والحشائشي، والويرثلاني، وغيرها من المصادر، أو بعض المراجع من بعض الكُتّاب الليبيين الذين ألّفوا في التاريخ الليبي من أمثال الشيخ الطاهر الزاوي، ومحمد مصطفى بازامه وغيرهما، ولا يتّسع المجال لذكر عناوين تلك المؤلّفات، ولكن المُلاحظ على ما ذكرناه أن تلك الكتابات لا تغطي تاريخ الوطن بشكلٍ شامل، بل إنها لا تعدو كونها جزءاً من تاريخ ليبيا متعلّق بمرحلةٍ تاريخية مُعيّنة، ولم تشمل تاريخ ليبيا الثقافي والحضاري والاقتصادي والاجتماعي إلاّ في إشاراتٍ قليلة أو بحوثٍ ودراساتٍ ليست كثيرة، لكنّ تاريخ حركة الجهاد ضدّ الغزو الإيطالي قد تم توثيقه وتضافرت جهود

(1) يَرَى قسطنطين زريق أنّ المعرفة التاريخية تتمحور في أربع تيارات، أولها: التيار التقليدي المبني على الاستمداد من المصادر دون نقدها، وثانيها: التيار القومي، الذي تجسّد مع ظهور الأمم وطموحها في إدارة تمتين كيانها المادي والعقلي والروحي، وثالثها: التيّار الماديّ، القائم على الفلسفة الماديّة التي يراها أصل الكون والإنسان قد نشأ بالتّطور والارتقاء، ورابعها: التيّار العلمي، الذي يُحلّل أحداث الماضي دون فكرة مُسبقة ويحاول استعادة الماضي من أصوله لرسم الصورة الحقيقية للحدث التاريخي. للمزيد من التفاصيل يُنظر: قسطنطين زريق، نحن والتاريخ، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1981م، ص27 ـ 45.

كبيرة لجمعه ودراسته، بدأً بجمع الوثائق الأصلية، ثم الاستبانات والروايات الشفهيّة عن حركة الجهاد، وصولاً إلى توثيق المعلومات المتعلّقة بالموضوع من الإرشيف الإيطالي، ما مكّن الباحثين من الكشف عن كلّ ما يتعلّق بهذا التاريخ(1).

إننّا لا نقلّل من المحاولات التي بُذلت لصياغة تاريخنا الوطني عبر عصوره الضّاربة في جذور التاريخ منذ أقدم العصور إلى الوقت الحاضر، لكنّنا لا نكتفي بما كُتب، بل يجب أن نبحث عن مصادر تاريخنا ووضع أسسٍ علميّة للكتابة الموضوعيّة فيه، هذا من جانب، ومن جانبٍ آخر، فإنّ البحث عن المصادر الأصليّة من المخطوطات والوثائق والمراسلات وغيرها تتطلّب تعاون جميع المؤسّسات البحثيّة لوضع ذاكرةٍ شاملة للتاريخ الوطني، إذا أردنا تكوين موسوعاتٍ مرجعيّة تشترك في إعدادها كفاءات متخصّصة، حتى لا يقع الجهد المبذول في مأزق الخيال المفرط عند الكتابة أو النسبيّة المطلقة(2).

إن العناية بالمصادر التاريخية والبحث عن المفقود منها من مخطوطاتٍ ورسائل ونقود قديمة ونقوش، وكل ما من شأنه يحفظ الذاكرة التاريخية في مختلف العصور من الضياع أو التشويه والتزوير؛ يقتضي منّا بطبيعة الحال تكوين أرشيفٍ مقسّم إلى أصنافٍ متعدّدة تشمل الآتي(3):

- الأرشيف التاريخي (الكتب والمخطوطات).

---

(1) أُنشئ مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي عام 1977م الذي أُوكلت إليه مهمة توثيق حركة الجهاد والعناية بالدراسات التاريخية عموماً، قام المركز بتوثيق جميع مراحل الجهاد الليبي ضد الاستعمار الإيطالي من وثائق، وروايات، وصور فوتغرافيّة، وأفلام وثائقية، ويمتلك المركز ما يزيد عن مليون وثيقة مكتوبة بين أصليّة ومصوّرة، ونحو 70 ألف صورة، وأكثر من 15 ألف رواية، وَوَضع أرشيفاً للمخطوطات التاريخية، وتم تغيير اسم المركز الآن تحت اسم المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية.

(2) عبدالله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ط5، ج1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1996م، ص25 ـ 26.

(3) سالم عبود الألوسي، محمد محجوب كامل، الأرشيف: تاريخه، أصنافه، إدارته، دار الحرية للطباعة، ط1، بغداد، 1979م، ص45 ـ 49.

- الأرشيف الثقافي.
- الأرشيف الاجتماعي.
- الأرشيف القضائي.
- أرشيف الأدب والفنون.
- الأرشيف السياسي.
- الأرشيف الإداري.
- الأرشيف العسكري.
- أرشيف الهيئات والمؤسسات الدِّينيّة.
- الأرشيف السِّري.
- أرشيف الخرائط والأطاليس.
- أرشيف الأختام والشعارات والنقود.

إنّ إنشاء مثل هذه الأرشيفات بعد جمع مادتها العلميّة لا تقتصر على التاريخ الليبي الحديث والمعاصر، بل لا بدّ أن تشمل تاريخ ليبيا عبر العصور، ومن ثمّ يمكن وضع دليلٍ لأرشيف التاريخ الليبي، وقاعدة بياناتٍ كبرى، وهي وسيلة متّبعة في كل الأرشيفات الدولية التي تقوم بدورٍ مهم في كتابة التاريخ.

* * *

*** ثانياً ـ منهجيّة التّاريخ اللّيبي وإشكاليّة التّقليد:**

في البداية لابدَّ من التفريق بين مفهوم المنهج ومفهوم المنهجيّة؛ حيث يقع الخلط بين المفهومين، فالمقصود بالمنهج هو «الطريق المؤدِّي إلى الكَشْف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفةٍ من القواعد العامة التي تُهَيْمِن على سَيْر العقل، وتُحدِّد عملياتِه، حتى يصلَ إلى نتيجة معلومة»[1]، وهو مجمل الإجراءات والعمليات الذّهنيّة التي يقوم بها

(1) عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط3، 1977م، ص5.

الباحث، لإظهار حقيقة الأشياء أو الظواهر التي يَدْرُسها.

أمّا المنهجيّة فهي تهتم بكل أجزاء وأقسام البحث العلمي من خلال بيان عناصرها وشروطها والقواعد التي تحكمها، فضلاً عن المسائل المتعلّقة بالشّكل مثل: كيفية الوثقنة في الهامش، وتوثيق قائمة المراجع، وغيرها، وهي أشمل من علم المناهج، وبمفهومها الواسع، هي فلسفة البحث العلمي، والفكر المُتبّع في الأبحاث العلمية، الذي يَدْرُس الطُّرق المستخدمة في العلوم، للوصول إلى الحقيقة، وهو علمٌ يندرج ضمن موضوعات «فلسفة العلم» أو الإبستيمولوجيا (Epistémologie)= (علم المعرفة)[1] التي تَدْرُس كيفية بناء المناهج واختبارها وإعادة بنائها، ويبحث في كلياتها ومسلّماتها وأُطرها العامة، وخلاصة القول أن الفَرْق بين المفهومين يتلخّص في الآتي:

ـ أنَّ المناهج تُطرْح عادةً للنقد والتقويم، فيفصل ما لها وما عليها، وأيها أوْلى بالاتِّباع، وما المنهج المناسب من الدِّراسات، أما المنهجيّة، فمعاييرُ وتقنياتٌ يجب التزامها لتوفير الجهد، وعدم إضاعة الوقت، وتسديد الخُطى على الطريق العلمي الصحيح.

ـ أنَّ المناهج مرتبطة بالمنطق وطُرق الاستدلال والاستنتاج، ولذلك فهي تتطوَّر وتتعدَّل من حينٍ لآخر، أما المنهجيّة فأضحتْ ـ عموماً ـ جملة قواعد ثابتة.

إن اختيار منهج البحث وتطبيق المنهجيّة للباحث في التاريخ الليبي عملية بالغة التعقيد، فقد تصطدم بمعطياتٍ غير منطقيّة في كثير من الأحيان، ذلك لأنها لا تخلو من التّعصّب بمفهومه الشامل؛ والذي تتعدّد صوره وآثاره، كالتّعصّب للوثيقة، أو المؤلّف، أو التّعصب القبلي والجهوي والمناطقي، وفي بعض الأحيان قد تكون تلك المعطيات تحمل فكراً متعصّباً في الجوانب السياسية والأيديولوجية، أو أنّها تُعبّر عن أفكارٍ مسبقة وأحكام عامة، الأمر الذي يعيق الباحث في بعض الأحيان من تلمّس بعض الحقيقة لموضوع الدراسة المراد وضعه تحت مجهر البحث العلمي.

(1) المعجم الفلسفي، مَجْمَع اللغة العربية، الهيئة العامة بشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983م، ص8.

من جانبٍ آخر، هناك مشكلة أخرى تتعلّق بالدّراسات والبحوث التي أُجريت عن التاريخ الليبي؛ حيث أنها في معظمها تكاد تخلو من التحليل والنّقد واستخدام العلوم المساعدة كعلم الاجتماع، والجغرافيا، والأنثروبولوجيا، والآثار، بل اقتصرت على منهج الوصف والسَّرد القصصي للأحداث أو الاقتباس من المصادر دون مقارنتها وتحليلها باستخدام المناهج الحديثة، وقد نجد بعض الدراسات القليلة التي تأخذ حكم النادر التي استخدمت العلوم المساعدة والتحليل والنقد التاريخي(1).

إنّ كلتا المشكلتين اللتين ذكرناهما تؤكّد وجود النَّمط التقليدي في معظم ما كُتب من التاريخ الليبي، بل انعكس سلباً على الذِّهنيّة الليبية في توصيف الحدث التاريخي عند تناوله بالدراسة؛ حيث يعمد بعض الباحثين على النقل من هذا المصدر أو المرجع دون إدراك مضامينها، والتّسليم بما وَرَد في صفحاتها بقصدٍ أو بدون قصد، وكأنّ المؤلّف الذي نقل عنه لا يخطئ ولا يَنْسى، فيتناول أفكاره من منطلق صحتها دون دراسة خلفية تلك الأفكار ومرجعيات أصحابها من الناحيتين السياسية والأيديولوجية.

أمام هذه المعضلة يجب تصحيح المسار الثقافي بشكله العام والخاص، فتغيير النظرة الأحاديّة التّقليديّة للتاريخ يقضي منا وضع برامج تأسيسية عن طريق الندوات العامة والبرامج الإعلامية من قبل المختصين، وهذا ما أعني به تغيير المسار الثقافي بشكله العام حول هذه القضية، أما المقصود بتصحيح المسار الثقافي بشكله الخاص فهو التركيز على تأطير الباحثين من طُلاّب الدّراسات العليا والمراكز البحثيّة المَعْنية بمناهج علميّة متقدِّمة، تعمل على تطوير قدرات الباحثين الشّباب لإحداث تغيير جوهري يُسهم في خلق كفاءاتٍ علميّة تشارك في عملية إعادة صياغة التاريخ الليبي برؤية محايدة ناقدة، واستبدال ثقافة التّسليم بالمصدر أو الوثيقة التاريخية إلى ثقافة البحث عن صحة محتويات المصدر والوثيقة بأسلوب التعليل والتأويل، لأنّ التاريخ هو علم التأويل، وإن تعدّدت مدارسه ومفاهيمه فهو في ظاهره مجموعة من أخبار مرتّبة زمنياً، لا يحتكم إلى أحكامٍ خاصة به وحسب،

(1) ينظر على سبيل المثال: علي عبد اللطيف حميدة، كتاب المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا.

بل وإلى فلسفة تُميّزه من غيره من العلوم[1].

وبالنّظر إلى أهميّة البحث عن وسائل علميّة للخروج من مأزق التقليد في المنهجيّة، فإنه من الضرورة القيام بالنقد الإبستمولوجي للنصوص التاريخية، وهو اتجاه نراه قد بدأ لدى الباحثين العرب من أمثال عبدالله العروي[2]، وبرغم قلة هذه الدراسات إلاّ أنها في قابل الأيّام ستكون رافداً مهمًّا لتكوين مدارس نقديّة تقع على عاتقها تنقية التاريخ من الشوائب الناتجة عن المدارس التقليدية الكلاسيكية، وبشكلٍ عام، فإنّ قلة الدراسات العلميّة الجادّة التي تتناول تاريخ الإنسان الليبي منذ أقدم العصور إلى الوقت الحاضر مردّها إلى الأسباب التالية:

ـ **أولاً**: طبيعة تركيبة المجتمع الليبي التي هي في الغالب نتاج بيئة أقرب إلى البداوة منها إلى الحضر، وبالتالي تتغلّب ذهنيّة البداوة على نمط التفكير الذي يعكس الخلفية الثقافية القائمة في الغالب على التّعصّب القبلي أو الجهوي، ولا شك أن سبر غور موضوعات تتعلّق بالتاريخ الحديث والمعاصر على سبيل المثال باستخدام مناهج البحث، أمرٌ بالغ التعقيد، من حيث حساسية الموضوع المراد البحث فيه، سيّما إذا كان يتعلّق بإحدى الشّخصيات، التي لها دور قيادي أو موقف سياسي مُعيّن، فالقيام بجمع المعلومات، والمقابلات الشّخصيّة، والبحث عن الوثائق المتعلّقة بالموضوع يصطدم بمعوقات ومشاكل وفي بعض الأحيان إلى مخاطر.

ـ إنّ الإنسان الليبي لم ينل حقه من التعليم الحديث بشكلٍ عام إلاّ مع بداية منتصف القرن الماضي، وقد أكّدت التّقارير الدولية أن فترة الأربعينات من القرن الماضي كان حَمَلة الشّهادات العلميّة لا يتجاوز عددهم أصابع اليدين[3]، وهو ما أخّر كثيراً مواكبة حركة

(1) محمود أبو صوّة، جدلية المجال والهوية: مدخل لتاريخ ليبيا العام، دار الرواد، ط1، 2012م، ص6.

(2) محمد وقيدي، كتابة التاريخ الوطني، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، 1990م، ص16 ـ 17.

(3) مصطفى الشعباني، وفاضل فكيني، المنهج النقدي في التاريخ: الثابت والمتغيّر في المواقف والكتابات، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2008م، ص26.

التّطور في البحث العلمي الحديث.

ـ تأثّر المجتمع الليبي من سياسة التجهيل التي اتبعها الأتراك إبان فترة حكمهم لليبيا، وفرض العزلة واتباع أسلوب التتريك وعدم الاهتمام بالثقافة والتعليم.

ـ السياسة الاستعمارية الإيطالية، التي اتبعت عمداً تفوّق العنصر الاستيطاني على أبناء البلد، وطمس الهُويّة العربية الإسلاميّة ومحاولة طلينة المجتمع الليبي المسلم من خلال نشر الثقافة الإيطالية وإهمال التعليم الليبي.

وإضافة إلى ما تقدّم ذكره، فإنّ قلّة المعطيات التاريخية، ومشكلة المنهجيّة التي هي في الغالب قائمة على ثنائية تقليدية، ففي حالة الدراسات النقدية ـ وهي قليلة ـ لما كُتب عن تاريخ ليبيا نجد النّمط الانتقائي لتلك الدراسات، فهي تُهمل الأدبيات المحليّة، وتنتقي تقليد نقد الأدبيات الغربية دون تفكيك أهم ركائز المنظومة المعرفية لها، وبالتالي فهي لا تؤسّس نقدها على قواعد علمية، بقدر ما تؤسّسها على أحكامٍ عامة، تفتقر إلى قواعد النقد العلمي، وعدم التمييز بين ما هو علمي وما هو أيديولوجي(1).

من جانب آخر فإنّ منهج المؤرخين الغربيين ومن قلّدهم من العرب لا يهتمون بدراسة المجال الإقليمي، أي البُعد المكاني، وارتباطه بنمط حياة السُّكان وتأثير ذلك على النواحي الاجتماعية والسياسية والثقافية والحضارية، فضلاً عن التُّراث والعادات والتقاليد القبلية المحلية، الأمر الذي يعطي صورة ضبابية عن الدراسة للباحثين، ويضعف في حقيقة الأمر الرؤية التاريخية الشاملة التي يعوزها البعد التراكمي الكمي والكيفي، والبُعد الموضوعي والمنطقي(2).

إنّ غياب التراكم الكمي والكيفي في التاريخ الليبي قد جعل أحد الباحثين الغربيين يُسقط الإيالة الطرابلسية في العهد العثماني من دراسته، نظراً لأنّ البحوث المتعلّقة بها

(1) محمود أبو صوّة، المرجع السابق، ص43.

(2) للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى: محمود أبو صوّة، المرجع السابق، ص44 ـ 46.

لا زالت في بداياتها[1]، رغم ذلك لابد أن نُقرّ أنّ هناك بعض الدراسات الناقدة ـ رغم ندرتها ـ في التاريخ الليبي[2]، ونخلص بالقول ممّا سبق أن هناك عوائق تنتظر إيجاد حلولٍ من المؤسّسات المعنية لنتمكن من إعادة صياغة التاريخ الليبي وفق رؤية علميّة وهي تتمثّل في الآتي:

- مشكلة شُحّ المصادر المتعلّقة بالمرحلة السابقة للاحتلال الإيطالي.
- وجود الظاهرة التقليدية في الكُتب التي صَدَرت عن التاريخ الليبي، وتأثير المنهجية الغربية في ذهنيّة الباحث، وغياب الدراسات النقدية الهادفة.
- الافتقار إلى رؤية شمولية لجمع التاريخ الليبي من مصادره.
- انتشار الكتابات المجزّأة والمبتورة، التي لا تستند إلى المعطيات، ولا تعالج الإشكاليات بالغوص في العمق بالتحليل والتّقصّي والاستدلال والاستنتاج، للوصول إلى رؤية علمية حول الظاهرة التاريخية موضوع الدراسة.

*** ثانياً ـ هل التاريخ من صنع الأفراد؟: قراءة في نموذج السّعداوي:**

لتحليل هذا التساؤل يمكن أن نصوغ الفرضيّة الآتية: إنّ دور القيادات والزّعامات المحليّة في حركة النّضال السّلمي أو العسكري جزء من التاريخ السياسي الوطني، لو وضعنا هذه الفرضيّة أمام التّساؤل المُعنون في هذا المحور من البحث لِنَرى ما مدى تطابق أو مقاربة هذه الفرضية مع الواقع؟.

بالنّظر إلى أهميّة دور النُّخب الاجتماعيّة في التّاريخ السّياسيّ أو الثّقافي أو الفكري فإن المؤرِّخين في العصر الوسيط قد تركوا لنا العديد من المصنفات التي اهتمت بهذا

---

(1) لوسيت فلانسي، المغرب العربي قبل سقوط مدينة الجزائر 1790 ـ 1830م، ط1، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت، 1980م، ص102 ـ 111.

(2) يُنظر على سبيل المثال: مصطفى الشعباني، وفاضل فكيني، المنهج النقدي في التاريخ: الثابت والمتغيّر في المواقف والكتابات، كذلك: علي عبد اللطيف حميدة، المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا، كذلك: محمد الأخضر العيساوي، رفع الستار عما جاء في كتاب عمر المختار.

الجانب، وهي ما تُعرف بكتب التّراجم والسِّير، يضاف إلى ذلك كُتب المناقب في فترةٍ لاحقة، وهي تحتوي على مادة علمية مهمة للباحثين في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ولا زالت تلك المصنفات محطّ اهتمام الباحثين في الوقت الحاضر، وهذا النمط من الكتابات ينسحب على الدراسات الحديثة والمعاصرة التي تُعنى بالتّراجم والسِّير عن العلماء والأدباء والسياسيين والقادة والمفكّرين وآثارهم، والتي تهدف في عمومها إلى الآتي:

- البحث عن شيءٍ مجهول يتعلّق بالشّخصيّة موضوع الدِّراسة من صفات، وأثر، أو مواقف أو غير ذلك.
- نقد المعلوم من خلال المقارنة بالمعطيات الممكنة.
- تصحيح بعض المغالطات التي قد تقع بين هذا المصدر أو ذاك، بقصدٍ أو سهوٍ أو نسيان يقع فيه المؤلف.
- تهذيب المبالغة في الوصف حول الشخصية، والاكتفاء بما ذُكر فيه من فعلٍ أو سجيّة.

لكن تحقيق هذه الأهداف من الدِّراسة عن الشخصيّات رهين بمناهج البحث، التي تقتضي بالضرورة استعمال الوسائل العلميّة لإثبات صحة المعلومات الواردة في المصادر أو المراجع، هذا من جانب، ومن جانبٍ آخر فإن طبيعة حياة الشخصية المراد الدِّراسة عنها بالبحث، تأتي من خلال سبر غور تفاصيل شاملة عن اتجاهها، ونشاطها، وتأثيرها في محيطها، فشخصيّة الأديب أو الفقيه أو الجغرافي والمؤرِّخ يختلف تأثيرها عن رجل السياسة والحُكم، أو رجل الحرب، وبالتالي فإن تأثّر المجتمع بتلك الفئات النُّخبويّة يختلف بين هذا المجتمع وذاك، وبين مجتمع معاصر ومجتمع غير معاصر، لأن الثقافة متغيِّرة بين عصر وعصر، ومجتمع وآخر.

إنّ التّاريخ الإنساني قد أولى اهتماماً برجال السياسة وبلاط الحكم، وكان لهم الحظ الأوفر أكثر من غيرهم في كُتب التاريخ، وهو ما اصطلح على تسميته بـ (التاريخ السياسي)، فرجل السياسة حاكماً أو زعيماً، يُنظر إليه أنه صانع للتّاريخ والمؤثّر في

المجتمعات من خلال المواقف التي يتّخذها، وهو في حقيقة الأمر إنما يقوم بدور قيادي لمطالب سياسية واجتماعيّة تمسُّ المجتمع نفسه، فإذا ما أحسّ بإحساسهم وعمل على تلبية تلك المطالب تبوّأ مكان الصدارة في مجتمعه لعوامل اجتماعيّة وأيديولوجيّة مُعيّنة.

لو طبقنا التنظير الذي أوردناه على شخصية بشير السَّعداوي للوصول إلى الأهداف التي ذكرتها آنفاً لأدركنا الكثير عن جوانب حياته السياسية، ولعرفنا كيف برزت شخصيته، وأهم مواقفه، ونجاحاته السياسية، وإخفاقاته، ودون الخوض في التاريخ السياسي لبشير السَّعداوي وتفصيلاته ـ فهو خارج عن موضوعنا الأساسي ـ فإنه يمكن القول أن الدّور القيادي الذي بَرَز فيه على مسرح الأحداث السياسية يتطلّب منا النظر إلى اعتبارين:

1 ـ تجنب المبالغة المفرطة في وصف دوره الفردي حتى لا تغيب الحقيقة، وعدم الخلط بين إنجازات العصر وإنجازات الفرد، فإنجازات العصر هي تلك الإنجازات الحضاريّة التي اشتركت فيها فئات المجتمع وإرثه الثقافي والفكري، أمّا إنجازات الفرد فهي المواقف والسياسات والقرارات، فتقول مثلاً: السعداوي طالب باستقلال ليبيا، أو رفض وجود الاحتلال الإيطالي للأراضي الليبية، في مثل هذه المواقف يتجسّد دور السياسي الفرد، الذي تبوّأ المكانة القيادية(1).

2 ـ إذا افترضنا أن التّاريخ من صُنع الأفراد، فإنّ وجهة النَّظر هذه تقضي بالأخذ بنظريّة فلسفيّة مفادها أن الأفراد هم الذين يؤثِّرون في الشّعوب أو المجتمعات، وبالتالي فإن بعض فلاسفة التاريخ يرون أن التاريخ من صنع الأبطال(2)، ولا دور لغيرهم فيه.

---

(1) لتفاصيلٍ أوفى يُنظر إلى: أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، منشورات جامعة قاريونس [سابقاً]، بنغازي، 1989م، ص63 ـ 75؛ كذلك: مصطفى النشّار، فلسفة التاريخ، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، 2004م، ص40 ـ 52.

(2) يُعدُّ الاتجاه البطولي في تفسير التاريخ من أقدم التفسيرات التي عرفها الإنسان، وهو يعني أن الأعمال التي للرجال العِظام هي التي تصنع الحوادث التاريخية في هذا العالم. يُنظر إلى: أنور محمود زناتي، علم التاريخ واتجاهات تفسيره، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 2007م، ص87 ـ 91 .

لذلك برزت إشكالية حول صناعة التاريخ بين الفلاسفة، وأثارت جدلاً واسعاً في أوساطهم، وكلٌّ له رأيه في ذلك[1]، فمن أَخَذ بالرأي القائل أن التاريخ من صنع الأفراد أخذ من مناهج البحث الحديثة وتطبيقاتها ما يناسب هذا الاتجاه في التفسير لكشف مواطن القوّة أو الضعف في القيادات التي برزت في الأحداث التاريخية، فوضعوا المنهج الإحصائي بفرعيه الوصفي والاستدلالي[2]، بالإضافة إلى العلوم المساعدة لدراسة شخصية تاريخية، وهذا الأسلوب من الدراسات نكاد نفتقده من الناحية العمليّة في البحوث والدِّراسات إلاّ في القليل النادر.

مهما كان الجدل الفلسفي حول من يصنع التاريخ؛ تبقى وجهات نظر تستند إلى خلفيات فكرية وثقافية، لكن الأهم هو الاستفادة من تلك النظريات الفلسفية وتوظيفها بشكلٍ أمثل، للبحث عن الحقيقة وصحّة التأويل، وهي مهمة الباحث الذي تتوفّر فيه شروط الباحث الجيّد، الذي يستخدم النّقد البنّاء والأمانة في النّقل من المصادر وتحليلها، والبحث عن المعطيات ومقارنتها، والبُعد عن التّعصب أو العاطفة التي تتنافى مع قواعد البحث العلمي.

* * *

خاتمة

تبيّن لنا من خلال البحث؛ أنّ التأريخ للوطن يستلزم علينا معرفة إرثه التاريخي والحضاري عبر العصور، ولا يمكن أن نعتبر التاريخ الذي اقتصر على فترة زمنيّة مُعيّنة بالتاريخ الوطني، لأن الوطن لا يحدّه الزّمان بل المكان، وأنّ الكتابات التي اهتمّت بتاريخ ليبيا تُعدّ قليلة، رغم أنّها أضاءت بعض الجوانب من تاريخنا من غير تسلسل زمني شامل.

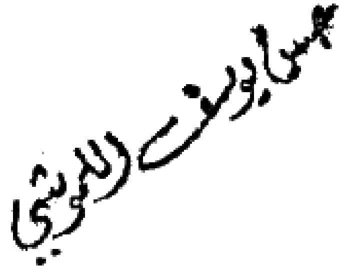
---

(1) محمود الحويري، منهج البحث في التاريخ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2001م، 154 ـ 158.

(2) أمين ساعاتي، تبسيط كتابة البحث العلمي، مركز الدراسات الاستراتيجية، القاهرة، 1991م، ص105 ـ 113.

كما رأينا أنّ إشكالية التقليد في الكتابة عن تاريخ ليبيا قد أعاقت إلى حدٍّ كبير ظهور كتابات ذات طابع علمي يستند إلى مناهج البحث والعلوم المساعدة كالجغرافيا، والآثار، وعلم الاجتماع، والأنثروبولوجيا، وأنّ تغيير النمط التقليدي في الكتابة يتطلّب تغيير كيفي في نمط التفكير وثقافة التلقين القائمة على السَّرد القصصي.

وفي معالجتنا لفلسفة نظرية صنّاع التاريخ؛ ودور النُّخب والقيادات السياسية في ذلك، وأنّ تاريخهم جزء من تاريخ الوطن، قلنا أنّ ذلك يخضع لمعايير من حيث الواقع والمجاز، مع التّأكيد على التفريق بين إنجازات العصر، وإنجازات الفرد، لتأكيد الحيادية والموضوعية في التفسير والتّأويل، إذا سلّمنا بفرضية أنّ التاريخ من صنع الأفراد أو الأبطال، وهي نظريّة جدلية بين فلاسفة التاريخ.



❑ ❑ ❑

المراجع

1 ـ ابن منظور، لسان العرب، قدم له العلاقة الشيخ عبدالله العلايلي، دار الجيل، ودار لسان العرب، بيروت، 1988م.

2 ـ أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، منشورات جامعة قاريونس [سابقاً]، بنغازي، 1989م.

3 ـ أمين ساعاتي، تبسيط كتابة البحث العلمي، مركز الدراسات الاستراتيجية، القاهرة، 1991م.

4 ـ أنور محمود زناتي، علم التاريخ واتجاهات تفسيره، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 2007م.

5 ـ رفاعة الطهطاوي، الأعمال الكاملة، دراسة وتحقيق محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1972م.

6 ـ سالم عبود الألوسي، محمد محجوب كامل، الأرشيف تاريخه أصنافه إدارته، دار الحرية للطباعة، بغداد، ط1، 1979م.

7 ـ عبدالله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط5، 1996م.

8 ـ عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط3، 1977م.

9 ـ قاسم يزبك، التاريخ ومنهج البحث التاريخي، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1990م.

10 ـ قسطنطين زريق، نحن والتاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1981م.

11 ـ لوسيت فلانسي، المغرب العربي قبل سقوط مدينة الجزائر 1790 ـ 1830م، ط1، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت، 1980م.

12 ـ محمد عبده، الأعمال الكاملة، دراسة وتحقيق: محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1972م.

13 ـ محمد وقيدي، كتابة التاريخ الوطني، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، 1990م.

14 ـ محمود أبو صوّة، جدلية المجال والهوية: مدخل لتاريخ ليبيا العام، دار الرواد، ط1، 2012م.

15 ـ محمود الحويري، منهج البحث في التاريخ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2001م.

16 ـ مصطفى الشعباني، وفاضل فكيني، المنهج النقدي في التاريخ: الثابت والمتغيّر في المواقف والكتابات، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2008م.

17 ـ مصطفى النشّار، فلسفة التاريخ، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، 2004م.

18 ـ المعجم الفلسفي، مَجْمَع اللغة العربية، الهيئة العامة بشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983م.

19 ـ منصور ميلاد يونس، الوجيز في القانون الدستوري والنظم السياسية، ط2، جامعة طرابلس، 2013م.

❒ ❒ ❒

الكتابة التّأريخيّة
عن الحركة الوطنيّة اللّيبيّة 1931 ـ 1951م
بين الهواة والأكاديميين

د. فاتح رجب قدارة
كليّة الآداب ـ جامعة الزّاوية

(1) اللّيبيون المعاصرون وكتابة التّاريخ:

يُعدُّ التاريخ مقوّماً أساسياً من مقومات الهُويّة لأي أمّة من الأمم، ولذا كانت ظاهرة استدعاء التاريخ الممجّد لأعمال الأجداد وبطولاتهم وتضحياتهم لأجل بناء حاضرهم واستشراف مستقبلهم، ظاهرة إنسانية عرفتها جلّ الشعوب والأمم، لاسيما تلك الشعوب التي ابتليت بالاستعمار الأوروبي المعاصر، ومنهم الليبيون؛ حيث اتخذ العديد من المثقفين الليبيين على مختلف مستوياتهم وخلفياتهم الفكرية من التاريخ مدخلاً لبعث الحياة في التاريخ الوطني الليبي، بغرض تأكيد حقيقة الكيان الليبي، وغرس أحداثه في بنية الشخصية السياسية والاجتماعية الليبية الناشئة منذ مطلع القرن العشرين، على الرغم من النكبات التي ألمّت بليبيا في هذا القرن.

ومن المسلمات أن الحقيقة التأريخية ليست معطى ناجزاً مكتملاً بقدر ما هي صياغة دائمة، وهي ليست نتاج الماضي وحده بقدر ما هي أيضاً ثمرة الحاضر(1)، لذلك عَرَفت ليبيا في النّصف الأول من القرن العشرين حركة وطنيّة واعية أساسها **إحياء التراث الإسلامي والتقاليد والتاريخ الليبي**، والتي جاءت كمحاولاتٍ فردية من جانب الليبيين المهجّرين قسرياً أثناء مرحلة الاستعمار الإيطالي لليبيا، وكان من أهمها إقدام الشيخ الطاهر أحمد

(1) عبدالله عبد اللاوي، ابستمولوجيا التاريخ، مداخل منهجية في صناعة المعرفة التاريخية، منشورات ابن النديم للنشر والتوزيع، وهران، 2009م، ص7.

الزاوي على تحقيق ونشر كتاب ابن غلبون المسمّى **التّذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار**، في سنة 1349هـ (1930م)[1]، الكتاب الذي أُلِّف سنة 1732م، في الدِّفاع عن طرابلس الغرب ممّا قيل فيها[2]، وجاء تحقيقه الرّائد للدفاع عن الوطن الليبي المحتل في تلك الآونة، وقدّم المحقق لتحقيقه بسردٍ مطوّل حول أهمية التاريخ في حياة الأمم والشعوب، ختمه بالقول: «**والتاريخ نوع من الدفاع عن الوطن، فكما أن الإنسان يُدافع عن وطنه بسيفه وماله فكذلك يُدافع عنه بتقييد حوادثه وبيان ما وقع فيه من وقائع تُعلي من شأنه وتظهره أمام الناس بمظهر العظمة والكمال**»[3].

وفي تقديرنا أنه **من عقد الثلاثينات من القرن الماضي** انطلقت حركة فردية لمحاولة كتابة ما يمكن كتابته من **التاريخ الليبي عبر العصور**، ولم تكن هذه الحركة عفويّة أو غير واعية، بل تستجيب لتحديات تلك المرحلة من عمر ليبيا المستعمَرة الإيطالية، التي استقرّت للإيطاليين وأخذوا في تنفيذ مشروعهم الاستيطاني تحت الإدارة الفاشية، والتي أخذت في العمل على مسخ الشخصية الليبية، ومحاولة هضمها وطلينتها، سواء من خلال السياسة التعليمية الإيطالية في مستعمراتها[4]، أو سياسة الاحتواء الاستعمارية للمؤسسات الثقافية والدِّينية[5]، إلى جانب طبيعة المواجهة الليبية الإيطالية في تلك المرحلة، التي أخذت طابعاً ثقافياً، وسياسياً، من قبيل الملاحقة القنصلية لليبيين في مهاجرهم الإجبارية، ورصد

(1) محمد بن خليل غلبون، تاريخ طرابلس الغرب المسمى التّذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، تحقيق وتقديم: الطاهر أحمد الزاوي، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ.

(2) علي مصطفى المصراتي، مؤرخون من ليبيا، مؤلفاتهم ومناهجهم، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1977م، ص119 ـ 125.

(3) المصدر نفسه، تقديم المحقق، ص (هـ).

(4) رولاند دي ماركو، طلينة الأفارقة، التعليم المحلي الحكومي في المستعمرات الإيطالية 1890 ـ 1937م، ترجمة: عبد القادر المحيشي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1988م، ص43 وما بعدها.

(5) صلاح الدين حسن السوري، ليبيا والغزو الثقافي الإيطالي، ضمن كتاب: بحوث ودراسات في التاريخ الليبي 1911 ـ 1943م، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1984م، ص395.

أي محاولة للدعاية أو للتعريف بالقضية الليبية، أو فضح الممارسات الاستعمارية الإيطالية ضد الليبيين[1]، ومن ثم جاءت عمليات تجنيس الليبيين بالجنسية الإيطالية، وما ترتب عليها من الخدمة في الجيش الإيطالي[2]، ومحاولات فرض المواطنة والوطنيّة الإيطالية[3].

ومن الواضح أن ثلّة من المثقفين الليبيين المُهجّرين أدركوا خطورة السياسة الفاشية الإيطالية لطمس الشخصية الليبية في مختلف أبعادها ومرتكزاتها، لأجل إذابتها في الشخصية الاستعمارية الإيطالية، خاصّة وأنهم سخّروا العديد من الأقلام العربية الصّحفيّة والدِّينية للدعاية وتجميل صور الاستعمار الإيطالي، يقول بن إدريس في هذا السياق: «**إن الكتب التي كانت تُصدرها الدعاية الإيطالية بأقلام بعض إخواننا الشرقيين ومنها كتاب الشيخ نور الجبرتي**»[4]، الموسوم بـ (**ليبيا الإيطالية**) بهدف تشويه التاريخ الليبي، ولا يمت للحقيقة بصلة، ودوّن بإيعاز أجنبي لخدمة المشروع الاستيطاني الفاشي الإيطالي في ليبيا، بحيث شكلت هذه الأسباب مجتمعة لدى المثقفين لمحاولة **كتابة تاريخهم** حالة من حالات المقاومة الوطنيّة للمشروع الإيطالي، انطلاقاً من تلك العلاقة الجدلية بين الماضي والحاضر؛ ولأن النظر إلى الماضي يُحدّدُ الموقف من الحاضر ويرسم ملامح المستقبل[5].

تطوّرت **الكتابة التاريخية الليبية** بالتدريج على مختلف تصنيفاتها: المناضلة،

(1) مصطفى حامد رحومة، أثر كتابات الزاوي في المهاجرين الليبيين إلى تونس ودورهم في حركة المقاومة الليبية ضد الغزو الإيطالي لليبيا 1911 ـ 1932م، مجلة الشهيد، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، العددان الثاني والعشرون والثالث والعشرون، 2001 ـ 2002م، ص145 ـ 148.

(2) عبد الرحمن الجنزوري، رحلة السنوات الطويلة، وقائع وتأملات في سيرة مواطن ليبي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2000م، ص54 ـ 57.

(3) هيئة تحرير ليبيا، الفظائع السود الحمر من صفحات الاستعمار الإيطالي في ليبيا، أو التمدن بالحديد والنار، مطبعة الكرنك بالفجالة، القاهرة، ط2، 1948م، ص99.

(4) محمد الطيب وبن إدريس، برقة العربية أمس واليوم، مطبعة الهواري، القاهرة، 1947م، ص11.

(5) عطيات أبو السعود، الوعي التاريخي بين الماضي والمستقبل، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد 29، العدد 4 أبريل ـ يونيو 2001م، ص90.

والهاوية، والأكاديمية، بدءاً من عقد الثلاثينات من القرن الماضي، وتعدّدت البواعث التي دعت إلى تلك المدونات ذات الصبغة التاريخية، والمراحل التي حظيت أكثر من غيرها بالاهتمام في المؤرّخات الليبية المعاصرة، في مقدم تلك الدوافع: **قضية الانتماء الوطني للوطن الليبي**، التي تنطلق من فلسفة استدعاء الماضي وغرسه في بنية الزمن الليبي الحاضر، بهدف التأسيس لأرضية الوطن التاريخية، أو التأريخ للماضي لتعزيز الحاضر، إلى جانب محاولة لمواجهة تعطش الليبيين للثقافة وطلب العلم والمعرفة والإقبال على النشاط الثقافي[1]، في سياق محاولة المثقفين الليبيين الأوائل تحديث الذاكرة الليبية.

ويُرجع خليفة التليسي الأسباب التي دعت الليبيين للاهتمام بتاريخهم والعناية به إلى «**الحاجة المُلحّة إلى بذل كثير من الجهد لكتابة تاريخنا حتى نعرف حقيقتنا، ونكتشف ذاتنا، ومكاننا عبر العصور**»[2]، واكتشاف ليبيا في ماضيها وحاضرها، وتقييم تراث الآباء والأجداد وإحياء العناصر الصالحة منه وتحليل ظروف التجربة الثقافية التي مرّت بها ليبيا[3]، في سياق البحث عن **حقيقة الكيان الليبي** الذي تعرّض لحالة عدم الاستقرار الحضاري عبر تاريخه، بسبب «**إن ليبيا انتابتها كوارث ومحن وحروب طاحنة، ذهبت بالطارف والتالد مما خطّه علماؤها من مؤلفات في شتى العلوم. . . ولكن الحمد لله الذي أزال ذلك الكابوس الاستعماري عن ليبيا، وأصبحت قائمة على قدميها تُجاري الأمم الراقية، وتبحث عما تركه أسلافنا من تراث علمي**»[4].

وعلى ذلك فإن الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية كانت البدايات الأولى

(1) عمر محمد التومي الشيباني، تاريخ الثقافة والتعليم في ليبيا، إدارة المطبوعات والنشر جامعة الفاتح [سابقاً]، طرابلس، 2001م، ص352.

(2) ايتوري روسي، طرابلس تحت حكم الأسبان وفرسان مالطا، ترجمة خليفة التليسي، المنشأة لعامة للنشر والتوزيع والإعلام، طرابلس، ط2، 1985م، ص5 من مقدمة المترجم.

(3) خليفة التليسي، رحلة عبر الكلمات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، طرابلس، 1973م، ص169 ـ 170.

(4) علي الفقيه حسن، لمحة عن التاريخ الليبي، مجلة مَجْمَع اللغة العربية دمشق، المجلد الرابع والأربعون، الجزء الأول والثاني، كانون الثاني، 1969م، ص363.

للنهضة الليبية الحديثة، لاسيما في بُعدها الثقافي، النهضة التي كانت منشغلة إلى حدٍ كبير بتأكيد حقيقة الوجود الليبي والبحث في كيفية السبيل للانعتاق من أَسْر التخلف[1]، وكان لكتابة التاريخ الوطني الليبي مكانةً بارزة في هذه النهضة الثقافية عشيّة الاستقلال، وبَعده في حركة وطنية واعية لإحياء التراث التاريخي والتقاليد الليبية لبلورة الشخصية التاريخية للدولة الحديثة[2].

وقد تصدّى لكتابة التاريخ خلال هذه المرحلة العديد من الكُتّاب من مناضلين، وفقهاء، وأدباء، وساسة، ونُخب اجتماعية على مختلف مستوياتها الفكرية وانتماءاتها المحلية والوطنية، قبل أن يُرفد هؤلاء بطلائع الجامعة الليبية التي أخذت تؤدّي دورها بما قدّمت وتُقدِّم من دراساتٍ وأبحاث تُسهم في إغناء الواقع الفكري الليبي[3]، وتراكم البحوث والدراسات التاريخية في مختلف العصور التي لا نملك إحصائية دقيقة حولها، وملامحها المنهجية، ومرجعيتها، ومدى انشغالها بالمشروع الوطني الليبي، عدا بعض التصوّرات النّظريّة الأولية الاستنتاجية من خلال دراسة نماذج محدّدة، والتي من أبرزها:

1 ـ التداخل الكبير بين شخصية المؤرّخ أو كاتب التّاريخ وشخصيته الليبية التي هي محصلة عوامل اقتصاديّة، وبشريّة، وتاريخيّة، وثقافيّة، واجتماعية مُعينّة، تشكّلت على مدى التاريخ الليبي الطويل وانعكست على شخصية أفراده، والتي تتصف عموماً بنوعٍ من **المعاندة، والمكابرة** التي صبغتها البيئة الليبية على الليبيين، ومنهم من تصدّوا للكتابة التاريخية، الذين يغلب على مؤرخاتهم صفة المعاندة، والكتابة التاريخية العاطفية الممجّدة لقواعدهم الاجتماعية المنحدرين منها، سواء أكانت قبلية ريفية، أم بدوية، أم حضرية، أم إقليمية، لاسيما مؤرخات المناضلين المعاصرين للأحداث والوقائع التاريخية

---

(1) سالم فنير، نظرة في أدبنا الحديث، دراسات في أدب عبدالله القويري، الدار الجماهيرية [سابقاً] للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته، 1989م، ص100.

(2) أحمد عطية، في الأدب الليبي الحديث، دار الكتاب العربي، طرابلس، 1973م، ص55.

(3) خليفة التليسي، رحلة عبر الكلمات، مرجع سابق، ص170.

المعاصرة، والهواة غير المتخصصين، وكثيراً ما وقع الجامعيون والمتخصصون في الدراسات التاريخية تحت تأثير وتوجيه مؤرّخات المناضلين والساسة، والهواة.

2 ـ حصر اهتمامات المؤرّخات الليبية في **التاريخ المجاهد أو المقاوم** للأجنبي كمراحل جذّابة للكتابة التاريخية في مختلف العصور، بعدّ تلك المجاهدة والمقاومة تمثّل الماضي المجيد الذي يوظّف لتعزيز الحاضر، لاسيما في مراحل ولحظات الرفض الليبي للسيادة والسُّلطة العثمانيّة في الحقبة الحديثة 1551 ـ 1911م، ومرحلة الجهاد الليبي ضد الاستعمار الإيطالي 1911 ـ 1931م، وهذا الحصر والاهتمام انفرط عقده إلى التشتت التدريجي نحو مؤرخات تتناول جزئيات قبلية، ومناطقية، وشخصية تحت تأثيرات سياسية تحاول كل منها التأريخ للمقاومات المناطقية والإقليمية، وتعتمد بإدراكٍ كامل على توزيع الاتهامات، واختلاق الروايات البطولية للجماعة أو المنطقة المنتمي إليها الكاتب أو المؤرخ، حتى أضحت بعض المؤرخات في دائرة التاريخ العبء على المشروع الوطني الليبي الجامع لكل الليبيين.

3 ـ غياب الرؤية الوطنية أو حتى الرسمية للتاريخ، وعدم نضوج الرؤية الوطنية للمؤرخين الليبيين المعاصرين، الأمر الذي أسهم في تشويه الإنتاج التاريخي، وانحدار بعضه إلى منزلقاتٍ مثيرة.

4 ـ أوجد المؤرخون من خلال الكتابات المعاصرة مراحل وحقب (محظورة) أو مسكوت عنها من مراحل وحقب التاريخ الليبي وأحداثه، لأنها تُعدُّ من **التاريخ العبء**، والتاريخ المختلف حول أحداثه، والتي مثّلت ثغرات في البناء التاريخي الليبي، وفي الغالب فإن هذا الحظر جاء تحت تأثير السلطة الحاكمة التي لها تاريخ يستهويها وتجد شرعيتها فيه، فتشجع البحث في أحداثه، ولعلّ اعتصام وافتخار سُلط ما بعد الاستقلال بحياة البداوة بعدّها من رموز الأصالة والمجاهدة، أهملت عن عمد الحواضر والواحات الزراعية المستقرّة، من منطلق أن حياة الاستقرار تجلب المذلة والتعايش مع الغزاة.

وعلى خلفية هذه التّصورات حول مسيرة الكتابة التاريخيّة الليبية أُهملت عن عمد حقبة (**الحركة الوطنيّة السياسيّة المعاصرة 1932 ـ 1951م**)، في بُعدها المحلي الليبي، وإن حظي حراك النُّخب السياسية المهاجرة والمتنافسة على السُّلطة في دولة الاستقلال الموعودة، بالعديد من الكتابات والدراسات الأكاديمية، التي انصبت في أغلبها على دراسة أواخر هذه المرحلة ومخاضها السياسي النّخبوي[1]، الأمر الذي يجعلنا نحاول الاقتراب من تلك المرحلة التاريخية بموضوعية وشمولية، ووضعها في إطار التحقيب المنهجي.

* * *

(2) تاريخ الحركة الوطنية المعاصرة 1932 ـ 1951م: محاولة للتحقيب:

يُعدُّ أمر التحقيب وتقسيم العصور التاريخية إلى حقبٍ وفترات وعهود ومراحل ضرباً من الوهم غير الحقيقي يلجأ إليه المؤرّخون اضطراراً وتسهيلاً لعملية فهم التاريخ الطويل والتاريخ المكثّف بالأحداث، وليس هناك حد فاصل حقيقي بين عصرٍ وآخر، إنما محاولات فقط لاختيار حدث كبير جَلل له أثره لبداية حقبة أو مرحلة جديدة[2]؛ حيث إن الحقبة التاريخية تعني فيما تعني مرحلة أو عصراً يتميّز بسماتٍ خاصة، وغالباً ما تُنسب إلى وقائع سياسية أو اجتماعية محدّدة، ولكن لا يمكن الحديث عن الحقبة أو المرحلة الزمنية المغلقة لتاريخ مُعيّن، وذلك لنزوع الأحداث إلى الامتداد إلى السابق أو اللاّحق[3]، وبالضرورة فإن التحقيبات التاريخية السائدة هي أقرب للأداة المنهجية التي تساعد في

(1) يُنظر حول هذه المرحلة على سبيل المثال: تيسير بن موسى، كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام 1925 ـ 1951م، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس 1983م؛ والناجح محمد الأخضر، المهاجرون الليبيون لبلاد الشام (سوريا) ودورهم في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية 1911 ـ 1952، (أطروحة دكتوراه) جامعة قاريونس [سابقاً]، كلية الآداب، قسم التاريخ، 2009م.

(2) سعد الحلواني، تاريخ التاريخ، مدخل إلى علم التاريخ ومناهج البحث، د.ن، القاهرة، ط3، 2001م، ص20.

(3) سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، عرض وتقديم وترجمة، مطبوعات المكتبة الجامعية، الدار البيضاء، 1984م، ص41.

دراسة مراحل التاريخ الإنساني، وتفتح آفاقاً بحثيّة جديدة، ويرتبط التحقيب بتجديد الكتابة التاريخية إلى درجة أن البعض عَدّ كل تجديدٍ في كتابة التاريخ ليس سوى إعادة النَّظر في تحقيب هذا التاريخ.

وعلى الرَّغم من التَّطورات المتلاحقة للكتابة التاريخية الليبية في القرن العشرين وما لحقها من تأسيس المؤسّسات الجامعيّة والبحثيّة، وإعداد الباحثين المؤرّخين والمعنيين بالدّراسات، التاريخية، فإن مسألة التنظير والتأطير المنهجي للتاريخ الليبي ظلت تدور في فلك تلك التحقيبات الغربيّة المتوارثة والمستمدّة في أغلبها من التقسيم الأوروبي الثلاثي (قديم، وسيط، حديث ومعاصر)، ولم يُولِ الباحثون الليبيون مسألة التّحقيب أو تقسيم التاريخ إلى مراحل أي اهتمام يُذكر، عدا بعض المحاولات الجادَّة والجريئة[1]، أو تلك التي جاءت من غير المتخصصين على الرّغم من أن كثيراً من الحقب والتقسيمات المتوارثة لا تخدم المشروع الوطني والبناء التاريخي للدولة الليبية في مختلف العصور، لاسيما المعاصرة والراهنة التي تسير قدماً بشكلٍ متسارع، الأمر الذي يخلق العديد من الثغرات في البناء التاريخي الوطني الأكاديمي، الذي يُفضل الابتعاد والانتظار. الانتظار الذي تضيع فيه الشاهدة التاريخية، وتتشكّل خلال هذا الانتظار التّصورات الذّهنيّة غير الحقيقية عن الوقائع والأحداث، فيندفع المؤرّخون الهواة لسد هذه الثغرات باجتهاداتهم، أو من خلال إثارة التساؤلات حول الحقب والمراحل والوقائع المسكوت عنها، الأمر الذي يضع مصداقيّة المؤرخين الجامعيين على المحك، ومحل تساؤل فيما أنتجوه من معرفة تاريخية.

وبطبيعة التاريخ كأحد فروع العلوم الإنسانية، يتعامل مع ظواهر زئبقيّة غير ثابتة وقارّة، فإن هذه الظواهر تتحكّم فيها عدة متغيرات، تتسم بالديناميّة وتعدّد الأبعاد، وهذا

(1) عقيل البربار، تاريخ ليبيا الحديث: منهج بنيوي مقارن، مجلة الأكاديمية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، الدار الأكاديمية للطباعة والتأليف والترجمة والنشر، طرابلس، العدد الثاني، ربيع 2009م، ص27 ـ 41.

التعقيد من أهم مميزات الظواهر الإنسانية[1]، لذلك عمد المؤرّخون إلى إيجاد مجموعة من التّقنيات والأساليب لرصد الظّاهرة التّاريخيّة، لعلّ من أبرزها عمليّة التّحقيب للتاريخ في محاولة لتأطير حوادث الماضي وتصنيفها وفق حقب تاريخيّة ذات سماتٍ مشتركة، وينبغي أن يكون بين حقبةٍ وأخرى قطيعة معرفيّة أو وقائعيّة، تميزه عن الحقبة السّابقة واللاّحقة، فهذه العمليّة الإجرائيّة تساعد في فهم معاني الحوادث التاريخية[2].

ومن المحاولات التحقيبية **للتاريخ الليبي الحديث والمعاصر**، محاولة **محمد شاكر مشعل**، الذي أسّس تقسيم **(ثمانيني)** وفق نظام الدورات الحضاريّة الخلدونيّة، جعل لكلّ دورة تاريخية (ثمانين سنة فقط)، التي حاول أن يجعلها تتلاءم مع الأحداث السياسية للتاريخ الليبي أثناء العهود العثمانية[3]، وهي المحاولة التي ترقى إلى مستوى التنظير، ولم يلتزم بها مقترحها في دراسته للتاريخ الليبي الحديث، فيما تعاملت عديد الدراسات بعفويّة واستنساخ غير أمين لتجارب تاريخيّة غير ليبيّة، لها خصوصيتها الحضارية وتجربتها الاستعمارية المغايرة عن التجربة الليبية المقاومة والسياسية، التي تُعدُّ من السِّمات الرّئيسة للتاريخ الليبي.

ومن خلال قراءتنا المتأنية لبعض النماذج من الإنتاج التاريخي الليبي على مختلف تصنيفاته: النضالية، والأكاديمية، والهاوية، يلاحظ أن **الحقبة الليبية المعاصرة** عَرفت العديد من الثغرات الحدثية والمعرفية حول مراحل محدّدة توارت وراء الحدث **الجهادي المقاوم للاستعمار** الإيطالي في بُعده العسكري فقط، في محاولةٍ عدّها البعض **محاولة**

(1) عبد الكريم غريب، منهج وتقنيات البحث العلمي، منشورات عالم التربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997م، ص3.

(2) أحمد أبو شوك، مشكلة التحقيب، التاريخ الغربي الإسلامي أنموذجاً، ضمن التأريخ الغربي وتاريخ العرب: كيف كُتب وكيف يُكتب الإجابات الممكنة، إعداد وتنسيق: وجيه كوثراني، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2017م، ص83.

(3) محمد شاكر مشعل، الشمال الأفريقي والعثمانيون، ليبيا العصر العثماني الأول، 1551 ـ 1711م، د.ن، د.م.ن، 1985م، ص9.

التوزيع الرّسمي للتاريخ بالتراضي قبلياً وجهوياً لحقبة الجهاد الليبي[1]، التي انتهت فعلياً في طرابلس سنة 1923م[2]، وانتهت في برقة عقب استشهاد شيخ الشهداء عمر المختار في 16 سبتمبر 1931م، على الرغم من أن المقاومة استمرّت بعض الوقت تحت قيادة السيد **يوسف بورحيل المسماري** حتى نهاية سنة 1931م، إلاّ أن تكاثر القوّات الاستعمارية الإيطالية، أجبر معظم قيادات الجهاد على الهجرة إلى خارج الوطن، وكان ذلك إيذاناً بنهاية حقبة أو مرحلة **المقاومة الليبية المسلحة**، وبداية حقبة جديدة[3] هي حقبة الحركة الوطنية السياسية المعاصرة.

لذلك نطرح تقسيماً أو تحقيباً جديداً **لتاريخ الحركة الوطنية السّياسيّة المعاصرة 1932 ـ 1951م**، هدفه في الأساس **تشييد مرحلة تاريخيّة**، بهدف ملء الفراغ البحثي، وخدمة العديد من المقاصد الموضوعية، والبحثية، في الدراسات التاريخية الليبية، ويؤسّس هذا التقسيم إلى تطلعات معرفيّة مستقبليّة، وتُخصّص هذه الحقبة وتسميها وتفرزها وتبرزها لأهدافٍ مهنية وتعليمية، وليس هذا من باب البدعة من جانبنا، وإنما هو اتجاه في الدّراسات التّاريخيّة الحديثة التي تؤرّخ للتاريخ الوطني، يتحقّق من خلالها الاقتراب الأمثل منها، وملامسة الأحداث الليبية عن قربٍ وبروحٍ وطنية تتجاوز الآراء والتصورات التي أتت بها الكتابات التقليدية، وتُشجع الباحثين الأكاديميين على خوض غمار حقبة **تاريخ الحركة الوطنية السياسية المعاصرة 1932 ـ 1951م**، وافتراضنا لهذا التحقيب كأداة إجرائية ووسيلة علمية لاستقصاء وقائع وأحداث هذه الحقبة المسكوت عنها، والمختلف عليها، ووضع تصورات نظرية لمعالجة موضوعاتها بحياديّة وموضوعية، في تقديرنا يعيد لتاريخ

---

(1) المولدي الأحمر، المؤرّخ والحقيقة التاريخية والاستخدامات الاجتماعية للتأريخ في كتابتان محليتان لتاريخ مقاومة الاحتلال الإيطالي في ليبيا بين سنتي 1922 ـ 1925م، ضمن كتاب الكتابات التاريخية في المغارب، الهوية، والذاكرة والأسطوغرافيا، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2007م، ص35.

(2) الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، مرجع سابق، ص365.

(3) محمود الشنيطي، قضية ليبيا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1951م، ص125.

الحركة الوطنية السياسية اعتبارها في سيرورة الحدث الليبي المعاصر، ويكون هذا التحقيب فرضية وأداة للعمل البحثي، تستوعب من خلالها وقائع المرحلة وأزماتها وأساليب المقاومة السياسية، والممانعة الليبية السلبية للاستعمار الإيطالي في مرحلة الاستيطان، والنضال السياسي من أجل الاستقلال.

* * *

(3) الكتابات التاريخية حول الحركة الوطنية 1932 ـ 1951م:

البحث العلمي في معناه العام: عمل جاد في تتبع المادة العلمية في موضوع مُعيّن يقوم به باحث يستقصي المادة الأولية، ويفحصها ويبيّن الصواب منها، دراسة تتسم بالأمانة، والإخلاص، بغية استخلاص الحق وإقراره[1]، من خلال مجموعة من الخطوات المنهجيّة التي يتبعها لاكتشاف الحقيقة والاستدلال عليها، لاسيّما في الدّراسات التاريخية التي يحاول خلالها الباحث التاريخي إعادة بناء الأحداث التاريخية وتبويبها في سياق محاولة لفهم الماضي على ضوء الحاضر، فالمؤرّخ وليد عصره وزمانه، وأنه يسعى إلى معرفة الماضي وفهمه لفهم الحاضر[2]، لذلك نجد أنفسنا أمام تساؤلاتٍ أولية تخصّ الإنتاج التاريخي الليبي حول الحركة الوطنية السياسية المعاصرة ينصبّ بالأساس على **لحظة الكتابة والتزاماتها ومتطلباتها، ورؤيتها للحدث التاريخي القريب الذي يؤثّر على الحاضر الاجتماعي والسياسي.**

على الجانب الآخر فإن المؤرّخ سواء أكان مناضلاً مشاركاً، أم شاهداً على الحدث التاريخي، أم من المؤرّخين الهواة، أم الأكاديميين المتخصصين، من الضرورة أن يكون باحثاً وناقداً للحدث الذي يدوّنه، أو مجرد مدون، وهذا الصنف الأخير لا يحتاج في

(1) عز العرب أزمي، تقنيات البحث في العلوم الإنسانية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2007م، ص8.

(2) فريد بن سليمان، مدخل إلى دراسة التاريخ، مركز النشر الجامعي، تونس، 2000م، ص21.

الواقع إلى درجة كبيرة من الاطلاع الفكري، فهو يسجل الحدث كما سمعه أو قرأه من غير أن يتدخّل فيه بتحقيق، أو مقارنة أو دراسة، ويَكثر هذا الصنف بين المؤرّخين التقليديين، وكتاباته لا تكون إلا مساعداً للمؤرّخين المحترفين[1]، وهذا الطرح بدوره يحيل إلى مزيدٍ من الجدل التنظيري عن من هو المؤرّخ الأمثل أو المحترف، هل هو الجامعي المتخصّص في الدّراسات التاريخية، أو الهواة الذين أنجزوا وأنتجوا مؤرّخات تتفوّق على ما أنتجه الأكاديميون «**المحترفون**»[2].

وهذا الجدل الدّائر في الدّراسات التّاريخيّة الذي أنتج كثيراً من الألفاظ والمصطلحات الإقصائية من قبيل: الهواة، والمناضلون المعاصرون للحدث، والسّاسة الصانعون للأحداث، والمثقف الهاوي الذي يبني نفسه، ويتفقّه في مناهج البحث العلمي والمعرفة، ويُقْدِم على الكتابة الثقافية والتأريخ بكفاءةٍ عالية، بحيث أضحت أعمالهم التاريخية علامة بارزة ومهمة في التاريخ الليبي عبر العصور من قَبيل: خليفة التليسي، ومصطفى بازامة، وعلي مصطفى المصراتي، والطاهر أحمد الزاوي. . .، ولكن ذلك لا يُنهي التّساؤلات والجدل حول من هو المؤرّخ في الكثير من المدونات العربية، يحاول من خلالها كل فريق التّمترس وراء مجموعة من الحجج لتفنيد مكانة الآخر وقدراته، وأَنْتج هذا الجدل مقولة «**الارتزاق من وراء الكتابة التاريخية**»[3] أو وسم غير المتخصصين الأكاديميين بـ (**المتطفلين على التّاريخ**)[4]، وفي تقديرنا أن الجامعة، والمراكز البحثية، لا تَصْنع بالضرورة مؤرّخاً، ولا حب المعرفة التاريخية لوحدها، أو أن المعاصرة للأحداث أو المشاركة فيها تصنع

(1) إبراهيم حركات، منهجية التاريخ، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، السنة 19، العدد 4، أبريل 1978م، جمادي الأول، 1398هـ، ص64.

(2) عبدالله العروي، مفهوم التاريخ، الجزء الأول: الألفاظ والمذاهب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1992م، ج1، ص42.

(3) عبد المنعم إبراهيم الجميعي، المؤرّخون الهواة ودورهم في كتابة تاريخ مصر الحديث والمعاصر، ضمن المدرسة التاريخية المصرية 1970 ـ 1995م، دار الشروق، القاهرة، 1997م، ص28 وما بعدها.

(4) عبدالله العروي، مرجع سابق، ج1، ص42.

مؤرّخاً، بل المؤرّخ هو القادر على التّسلح بالكثير من الأدوات والإجراءات العقلانية الرامية إلى تحقيق هدف وفق طريقة مُنظَّمة، والأهم الموضوعية ونبذ الذات، لذلك قال أحد المفكرين في قضايا التاريخ: «**قبل أن تدرس التاريخ أدرس المؤرّخ، وقبل أن تدرس المؤرخ أدرس بيئته التاريخية والاجتماعية، فالمؤرخ بكونه فرداً هو أيضاً نتاج للتاريخ والمجتمع**»(1).

إن هدفنا من هذا التقديم المختزل هو الاقتراب من الأسباب التي جعلت المؤرّخات الليبية المعاصرة تهمل التأريخ **للحركة الوطنية السياسية المعاصرة** التي تقع في دائرة ما يُسمّى عند البعض بـ (**التاريخ السّاخن**)(2) أو **التاريخ المسكوت عنه** في مسيرة الدراسات التاريخية الليبية المعاصرة، ولعلّ في ذلك شكل من التلاقح الفكري مع شاعر الوطن الليبي الكبير **أحمد رفيق المهدوي**، الذي كتب في عنفوان الحركة الوطنية سنة 1949م قصيدة حدثية وسمها بـ (**أنا ساكت**)، التي عبّر فيها عن موقفه من مجريات الأحداث، وممّا جاء في أبيات هذه القصيدة:

ماذا أقول وما تراني قائلاً	**أنا ساكت لكن قلبي يصرخ**
أبكي على شعب يُسيّر أمره	**متزعمون وجاهلون وأفرخ**
أفلا يخاف الله في أوطانه	**أم فاته أن الزمان يؤرّخ**(3)

ولكن المؤرّخين لم يؤرّخوا لتاريخ هذه الحقبة من التاريخ الليبي المعاصر، على

(1) عبد الكريم غلاب، كتابة التاريخ الوطني، الأكاديمية، مجلة أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، العدد الثالث، نونبر 1986م، ص285.

(2) عبد الرحيم بنحادة، البحث التاريخي في الجامعة المغربية: العصور الحديثة نموذجاً (ضمن الكتابات التاريخية في المغارب: الهوية، الذاكرة، والأسطواغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2007م، ص14.

(3) أحمد المهدوي، ديوان شاعر الوطن أحمد رفيق المهدوي، المطبعة الأهلية، بنغازي، 1971م، ص113.

الرّغم من الوفرة الحدثية، والمصادر الأولية من شهادات، ووثائق محلية وغربية، وكتابات راحلية، ومذكرات ويوميات شخصية، وأجيال من المؤرخين التقليديين والمحترفين والهواة، عدا بعض الإشارات التي وَرَد أغلبها لدى المناضلين، والأدباء والكُتّاب البعيدين عن حقل الدراسات التاريخية[1]، ولا نجد تفسيراً منطقياً لهذا السكوت عن هذه المرحلة، وإغراق الحقبة التي سبقها وهي حقبة الجهاد الليبي 1911 ـ 1931م بالعديد من البحوث والدراسات الجامعية والهاوية، ولعلّ هذا السّكوت راجع بالأساس في عَدِّ كثير من المؤرخين والباحثين هذه الحقبة تُمثّل «**التاريخ العبء**»[2] الثقيل الوطأة على الذاكرة الليبية، وله ارتباط وثيق الصلة بمشكلات الحاضر، وتركيز المعنيين بالتاريخ الليبي المجاهد، والابتعاد عن هذه الحقبة نظراً إلى قضاياها الشديدة التعقيد، لارتباط جزء كبير من أحداثها بالحاضر السياسي لسُلط ما بعد الاستقلال سنة 1951م، ولا نجد نصوصاً تخدمنا في هذا السياق عدا بعض الإشارات المبتورة التي تغلق الآفاق البحثية أمام الباحثين.

يصف **عمر التومي الشيباني** الفترة الممتدة من سنة 1931م وحتى نهاية الوجود الإيطالي في ليبيا سنة 1943م، بأن السياسة الاستعمارية الإيطالية تغيّرت تجاه الليبيين فكانت بحسب تقديره: «**تحاول محو الذكريات المؤلمة للأعمال الوحشية التي قامت بها ضد الليبيين في فترة الحرب، وبخاصة في ظلّ الحكم الفاشي وذلك من خلال استمالة بعض الشخصيات الليبية وإغداق العطايا عليهم، والقيام ببعض الإصلاحات والتحسينات في أحوال الليبيين، وإظهار نفسها فيما تبثّه من دعاية خارجية بمظهر المدافع عن الإسلام والمحاولة لتحسين أحوال الليبيين**»[3]، وهذا التوصيف يحيل إلى كثير من الوقائع التاريخية المسكوت عنها والتي عُدَّت عند البعض من التاريخ العبء.

(1) يُنظر على سبيل المثال: عمر التومي الشيباني، تاريخ الثقافة والتعليم في ليبيا، إدارة المطبوعات والنشر، جامعة الفاتح [سابقاً]، طرابلس، 2001م، ص265 ـ 266.

(2) قسطنطين زريق، نحن والتاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط6، 1985م، ص208 ـ 209.

(3) عمر محمد التومي الشيباني، تاريخ الثقافة والتعليم في ليبيا، مرجع سابق، ص266.

وفي نصٍّ آخر لمعاصر لهذه الحقبة بوعي وهو **محمد الأسطى** يصف تلك الحقبة في أواخرها بالقول: «**سمحت الإدارة البريطانية بتأسيس النوادي والأحزاب، وعمدت إلى تشجيع تعدد الأحزاب ضماناً لفرقة الكلمة تسهيلاً لبقائها وسيطرتها على مقدرات البلاد، وبالفعل تعدّدت التوجهات والبرامج والشعارات، . . . ولجأت بريطانيا إلى تحريك المؤامرات الانفصالية، والدسائس للتفريق بين أجزاء الوطن الواحد، وتطوّرت الأحداث على ما هو معروف من اتفاقيات واستفتاءات وانتخابات مزيفة، وتزوير للإرادة الشعبية انتهى إلى استقلال مزيّف وبلا مضمون**»[(1)]، وهذا التحليل يتوافق ولحظة التدوين والمناخ السياسي السائد وإكراهاته. فيما يَعْتبر كاتب هاوي آخر أن مرحلة الحركة الوطنية الليبية المعاصرة كانت: «**المعركة السياسية التي خاضها الليبيون من أجل استقلال بلادهم الذي تحقّق في الرابع والعشرين من ديسمبر 1951م**»[(2)]، والكاتب هنا يُركِّز على الحركة النضالية الليبية عقب الحرب العالمية الثانية تحديداً.

وبالرّجوع للإنتاج التاريخي الليبي عن **حقبة الحركة الوطنيّة السياسيّة المعاصرة 1932 ـ 1951م**، فإن سمة **السّكوت عنها وتهميشها** هي السِّمة الأبرز مقارنةً بغيرها من حقب التاريخ الليبي، لاسيما في الإنتاج الأكاديمي من رسائل وأطاريح جامعية[(3)]، ومقالات ودراسات في دوريات علميّة مُحكَّمة[(4)]، وفي تقديرنا فإن كثيراً من الباحثين

---

(1) محمد الأسطى، ورقات مطوية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1983م، ص410.

(2) محمد يوسف المقريف، ليبيا بين الماضي والحاضر، صفحات من التاريخ السياسي، مركز الدراسات الليبية، أكسفورد، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، 2004م، المجلد الأول، الجزء الأول: ميلاد دولة الاستقلال، ص11.

(3) ينظر على سبيل المثال: المختار الطاهر كرفاع، تطوّر الدراسات العليا بقسم التاريخ بكلية الآداب جامعة السابع من أبريل [سابقاً] بالزاوية 1996 ـ 2005م، مجلة الشهيد، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، العددان الثاني والعشرون والثالث والعشرون، 2005م؛ ويوسف الأحرش، ملخصات الرسائل الجامعية العالية والدقيقة «الماجستير والدكتوراه» الجزء الأول: قسم التاريخ، منشورات جامعة السابع من أبريل [سابقاً]، الزاوية، 2010م.

(4) فِهرس محتويات السنوات العشر الأولى لمجلة البحوث التاريخية، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد=

انتهج منهجاً محدداً يتوخّى **السلامة الشخصية، وعدم إثارة السُّلطة الحاكمة، وبعض الأوساط الاجتماعية التي قد يثيرها التاريخ للحركة الوطنية السياسية**، وركّزت على القضايا والقضايا المتوافق عليها من السُّلطة القائمة، مثل **قضية المهاجرين الليبيين، والأحزاب** «الفاشلة» **والإدارة الاستعمارية، والاستقلال المزيّف**، والسَّاسة **والنُّخب العميلة للدوائر الغربية**...، وإن اقتربت إحدى الدراسات من هذه الحقبة، وقضاياها الحساسة، فإن مصيرها **حضر التداول والنشر**، ومنها الرسالة العلمية الجامعية التي تناولت الحراك السياسي الليبي عقب الحرب العالمية الثانية بشيء من الإيجابية والموسومة بـ (**الجماعات السياسية الليبية 1943 ـ 1951م أصولها التاريخية، مواقفها السياسية، ممارساتها التوفيقية**) التي قُدِّمت إلى جامعة بنغازي سنة 1983م، وحُفظت بعيداً عن التداول لأسبابٍ غير محدَّدة[1].

أما في الرّسائل والأطاريح التي قُدِّمت إلى كلية التربية بجامعة طرابلس خلال الفترة من سنة 1975 إلى سنة 1996م، **لا نجد بينها أية رسالة عن حقبة الحركة الوطنية السياسية المعاصرة**، على الرّغم من عراقة هذه الكلية في الدّراسات ما بعد الجامعية[2]، وإن قُدِّمت في السنوات اللاّحقة لهذا التاريخ عدد من الرسائل الجامعيّة في مرحلة **الماجستير** تناولت جوانب من تاريخ الحركة الوطنية المعاصرة، ولكنّها توارت في الغالب خلف مسمياتٍ أخرى من قبيل الرِّسالة التي قُدِّمت إلى كليّة العلوم الاجتماعية بجامعة طرابلس بعنوان: «**النشاط السياسي للمهاجرين العرب الليبيين في مصر وأبعاده خلال الفترة**

= الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، السنة الحادية عشرة، العدد الأول، يناير 1989م، ص178 ـ 195.

(1) سالمة عبد العال الجاضرة، الجماعات السياسية الليبية 1943 ـ 1951م أصولها التاريخية ومواقفها السياسية وممارساتها التوفيقية، رسالة ماجستير قُدِّمت إلى كلية الآداب والتربية جامعة قاريونس [سابقاً]، بنغازي، 1983م.

(2) سالم امجاهد، دليل الدراسات العليا والرسائل العلمية لكلية التربية من سنة 1975 إلى 1996م، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1998م، ص84 ـ 86.

1922 ـ 1948م» في سنة 1999م[1]، وبالعنوان نفسِه ـ تقريباً ـ قُدِّمت رسالة قبلها إلى كلية الآداب والتربية بجامعة بنغازي سنة 1993م بعنوان (**الكفاح الوطني للمهاجرين العرب الليبيين 1911 ـ 1945م**)[2].

وعَرَفت جامعة الزاوية تقديم رسالتين حول الحقبة التاريخية ذاتها هما: «**الإدارة البريطانية في ليبيا وأثرها على المجتمع المحلي 1943 ـ 1957م**»، التي نوقشت سنة 1997م[3]. والثانية بعنوان: «**الاحتلال الفرنسي لفزان 1943 ـ 1951م وأثره على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية**»، والتي نوقشت بالزاوية سنة 2003م[4]، وهما الرسالتان الوحيدتان ـ حسب علمنا ـ اللتان ركّزتا على المرحلة الأخيرة من **حقبة الحركة الوطنية السياسية**، من خلال رصد التاريخ الليبي المقاوم والمؤامرات الاستعمارية على ليبيا عشية الاستقلال.

على الجانب الآخر فإن التّمعن في أحد أعرق المجلاّت العلميّة اللّيبيّة المُحكَّمة والمتخصصة في الدّراسات التاريخية وهي مجلة (**البحوث التاريخية**) التي يُصدرها مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية بطرابلس[*] وبصورة منتظمة منذ عام 1979م، نلمس في جرد البحوث ودراسات السنوات العشر الأولى من عمر المجلة 1979 ـ 1989م، أن أيٍّ من بحوثها ودراساتها لم يتعرَّض لتاريخ **الحركة الوطنية الليبية السياسية المعاصرة**

---

(1) عز الدين عبد السلام العالم، تاريخ ليبيا المعاصر السياسي والاجتماعي 1922 ـ 1948م، دراسة في تاريخ الحركة الوطنية في المهجر بمصر، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس 2000م، ص17 ـ 33.

(2) ارويعي محمد قناوي، الكفاح الوطني للمهاجرين الليبيين ضد الاستعمار الإيطالي، رسالة ماجستير قُدِّمت إلى قسم التاريخ بكلية الآداب والتربية، جامعة بنغازي سنة 1993م.

(3) أسمهان ميلود معاطي، السياسة البريطانية في ليبيا وانعكاساتها على المجتمع المحلي 1941 ـ 1951م، رسالة ماجستير قُدِّمت إلى قسم التاريخ بكلية التربية بالزاوية سنة 1996م.

(4) حنان سالم منصور، الاحتلال الفرنسي لفزان، 1943م ـ 1952م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة السابع من أبريل [سابقاً]، الزاوية، 2003م.

(*) أصبح اسم هذا المركز البحثي يُعْرَف باسم (**المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية**) بطرابلس.

1932 ـ 1951م[1]، وإن نُشرت مقالات متفرّقة في سنواتٍ لاحقة، ولكن التأريخ للحركة الوطنية لم يكن من الموضوعات الجذّابة للباحثين.

وغير ذلك من الشواهد التي تحيل إلى تهميشٍ متعمّد أو موجّه لإسقاط هذه الحقبة من سيرورة المؤرّخات الليبية المعاصرة، بل تعمّدت دراسات أخرى إلى القفز عن هذه المرحلة وتحديداً المرحلة من سنة 1931م وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية[2]، فيم تُركت الساحة لمؤرّخات المناضلين، وكُتّاب السِّير الذاتية، والمذكرات والشهادات الشخصية، والتي كانت أكثر قرباً في التعامل مع هذه الحقبة الوطنية، وإن كان ذكرها في الغالب عَرَضاً وبما يخدم شخصية ودور المُدلي بشهادته[3].

كلّ ذلك يجعلنا أمام تساؤل منطقي: **لماذا هذا التجاهل والإسقاط لهذه المرحلة الأكثر حضوراً وتأثيراً في المشهد الليبي الآني؟ وهل تُمثل مرحلة الحركة الوطنية السياسية 1932 ـ 1951م التاريخ الليبي العبء الذي يجب تجاهله؟ وهل هذا التجاهل والإسقاط أتى بنتائج إيجابية؟**، تساؤلات معقّدة تحيل بدورها إلى تفسيراتٍ اجتهادية تعتمد التحليل الذي يحيط به كثير من الحذر.

إن حالة **التمجيد للتاريخ الوطني المجاهد والمقاوم للاستعمار والتدخلات الغربية**، وتداخله مع البرنامج السياسي والأيديولوجي للسُّلطة الليبية التي توالت على حكم ليبيا منذ الاستقلال، حَتّم الكثير من الانحرافات التأريخية، ووجّهت المؤرخين بشكلٍ عفوي

(1) مجلة البحوث التاريخية، فهرس محتويات السنوات العشر الأولى لمجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، السنة الحادية عشر، العدد الأول، يناير 1989م، ص178 ـ 195.

(2) يُنظر على سبيل المثال: الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الليبيين في ديار الهجرة 1924 ـ 1952م، الناشرون: دارف المحدودة، لندن، ط3، 1985م؛ وأحمد زارم، مذكراتي، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس، 1979م؛ وأحمد القلال، سنوات الحرب والإدارة العسكرية البريطانية في برقة 1939 ـ 1949م، جامعة قاريونس [سابقاً]، بنغازي، 2003م.

(3) مجلة البحوث التاريخية، فهرس محتويات السنوات العشر الأولى لمجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، السنة الحادية عشر، العدد الأول، يناير 1989م، ص178 ـ 195.

أو رسمي نحو الحقول المتاح فيها البحث والتأريخ، والتي انصبت على حركة الجهاد الليبي ضد الغزو الإيطالي في عشرين سنة من المقاومة الوطنية المسلحة، التي عَرَفت مراحل من النجاحات والإخفاقات والمدّ والجَزر 1911 ـ 1931م، وهي المرحلة أو الحقبة التي عَرفت أشكالاً مختلفة من الأزمات المحلية، ومستويات مختلفة من التدخلات الإقليمية، والدولية في القضية الليبية، وهي العشرينية أو الدّورة التاريخية التي حُشر فيها كل التاريخ الليبي المعاصر المديد.

* * *

(4) لماذا أهمل المؤرّخون التأريخ للحركة الوطنية السياسية المعاصرة؟ :

إن محاولتنا في الصفحات السابقة كانت في الغالب التفافٌ من بعيد عن السؤال الحائر حول أسباب تعمّد الباحثين والمؤرّخين من هواة، ومناضلين، ومؤرّخين محترفين السّكوت عن هذه المرحلة في سياق مؤرّخاتهم، وتجاهل هذه الحقبة من تاريخ الحركة الوطنية السياسية المعاصرة، لاسيما المرحلة التي أعقبت نهاية المقاومة الوطنيّة المُسلّحة عملياً في نهاية سنة 1931م، وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية في الأراضي الليبية سنة 1943م، وهذا يعطينا مشروعية التساؤل والاجتهاد في تفسير هذا السُّكوت المتعمد، ومحاولة إسقاط هذه المرحلة من الذّاكرة التاريخية الوطنية في المؤرّخات السّائدة، على الرّغم من الحركة المتصاعدة في كتابة التاريخ الليبي الحدثي الوقائعي في الأوساط الأكاديمية الجامعية والثقافية الليبية الراهنة.

قد تكون نقطة البداية ممّا أورده المؤرّخ **(قسطنطين زريق)** في مؤلّفه القيّم الموسوم بـ **(نحن والتاريخ)** الصادر في طبعته الأولى سنة 1959م، والذي خصّص فيه مبحثاً لما سماه «**التاريخ العبء والتاريخ الحافز**» الذي يقول فيه «**إن التاريخ تاريخان: التاريخ العبء، والتاريخ الحافز، فثمة تاريخ يثقل كاهل صاحبه ـ فرداً كان أو أمة ـ ويشل حيويته، ويضعف همته**»[1]، ولعلّه من هذه الزاوية «**زاوية التاريخ العبء**»، نَظَر عديد من

(1) قسطنطين زريق، نحن والتاريخ، مرجع سابق، ص208.

المؤرّخين الليبيين من جيل الاستقلال أو (جيل الستينيات) المنشغل بالبحث عن الذّات والشخصية الوطنية للدولة الوليدة من أجل اكتشاف هويتهم الليبية[1]، وهي اللحظة التاريخية التي كانت معنية **بالتاريخ الليبي الحافز** لتأكيد حقيقة وجود الكيان الليبي، والدفاع عن الشخصية الاجتماعية والسياسية للدولة الليبية الوليدة، في ظروفٍ وتحديات داخلية ودولية غاية في الخطورة، انطلاقاً من الهدف الأمثل للتاريخ في أنه يتمثل في إعادة الحياة البشرية كاملة في مجرى تسلسل الأجيال[2].

ويُعلّل **مجيد خدوري** هذا الاهتمام بالتاريخ الليبي الحافز، إن الشعب الليبي كاد أن يفقد هويته لمّا دارت رحى الحرب العالمية الثانية، ولكن الأحوال والظروف الطارئة أتاحت له الفرصة لاستعادة بلاده ليبيا، التي أصبح اسمها مدعاةً للفخر ومصدر فخر لليبيين، بعد أن كانوا «**يسمون طرابلسيين وبرقاويين، وفزانيين**»[3]، لذلك كان **التأريخ للوطن الجامع للشتات الليبي حاجة مُلحّة حتى يَعْرِف الليبيين حقيقتهم ويكتشفوا ذاتهم ومكانتهم عبر العصور**[4]، من خلال البحث في التاريخ الليبي **المقاوم والمجاهد** بعد قرون من **حالة** عدم الاستقرار الحضاري والكوارث والمحن التي عرفها، كان من متطلبات تلك المرحلة انتقاء الحقب والمراحل التي يمكن التأريخ لها، وتمجيدها في الذاكرة الوطنية من منطلق أن شخصية أي شعب هي محصلة عوامل اقتصادية، وبشرية، وتاريخية، وثقافية، واجتماعية مُعيّنة على مدى تاريخه الطويل.

ولكن هل **متطلبات تلك اللحظة التاريخية** في عقدي الخمسينيات والستينيات من

(1) علي عبد اللطيف احميدة، الأصوات المهمشة: الخضوع والعصيان في ليبيا أثناء الاستعمار وبعده، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009م، ص103 ـ 109.

(2) جوزيف هورس، قيمة التاريخ، ترجمة: نسيم نصر، منشورات عويدات، بيروت، ط3، 1986م، ص112.

(3) مجيد خدروي، ليبيا الحدثية، دراسة في تطورها السياسي، ترجمة: نقولا زيادة، دار الثقافة، د.ت، بيروت، ص9.

(4) ايتوري روسي، طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا، ترجمة خليفة التليسي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلام، طرابلس، ط2، 1985م، ص5 من مقدّمة المترجم.

القرن العشرين، لم تغادرنا حتى الآن، بعد مرور أكثر من ستين سنة من الاستقلال؟، ومن الناحية العلمية والمنهجية هل نكتب تاريخنا الوطني لخدمة الحقيقة؟ أم نكتب هذا التـاريخ لخدمة الوطن؟ وهل التاريخ للتأريخ أم التاريخ لخدمة أهداف أخرى؟ . . . ومن أقرّ بـأن **حقبة الحركة الوطنية السياسية 1932 ـ 1951م**، تُمثّل عبئاً في التاريخ الليبي المعاصـر؟، فـي تقديرنا المتواضع أن الفهم السَّطحي وغير العميق لسيرورة الحدث الليبي المعاصر وانتهاج أسلوب التعميم والتفسيرات التآمرية لمواقف الأفـراد والجماعـات والعلاقـة مـع الآخـر الأجنبي، كانت من العوامل المنفرة للباحثين عن تلك الحقبة، **التي يمكن رصد محطاتهـا العبء في رأي البعض والتي من أهمها:**

أولاً: إن حالة التعايش والقبول بالأمر الواقـع كانـت السِّـمة الغالبـة بـين الليبيـين والمستعمرين والمعمرين الإيطاليين منذ نهاية المقاومة المسلحة، ومـا ترتـب علـى هـذا التعايش من حركة إعمار استيطاني، وتطوير للنُّظم والمؤسّسات الإدارية، والحكم المحلي، واستصلاح الأراضي الزراعية لإقامة المشاريع الاستيطانية، وتسخير العنصر الليبـي فيهـا كأيدٍ عاملة رخيصة، نظر إليها بعض المؤرخين الليبيين المعنيين بالتاريخ الليبي المعاصـر من قبيل التاريخ العبء أو مرحلة الخنوع للاستعمار الإيطالي، على الـرّغم مـن أن هـذه الممارسات عرفتها كلّ الشعوب المُستعمَرَة في دول العالم الثالث[1]، كحالة طبيعية للظـاهرة الاستعمارية، ولا تخلوا المرحلة من **أشكال مختلفة للمقاومة السياسية السلبية.**

ثانياً: إن هذه الحقبة التاريخية عَرَفت أكبر العمليات الإيطالية المقننة فـي مصـادرة الأراضي الزراعية، والرعوية من الليبيين لصالح المستعمرين المعمرين الإيطاليين، وإعـادة تنظيم الوحدات الإدارية والمقاطعات الليبية وإلحاقها بالمملكة الإيطاليـة، وسـن قـانون للرعوية أصبح الليبيون بموجبه (**رعايا إيطـاليين مسـلمين**)[2]، وفَـرْض قـوانين الخدمـة

---

(1) إبراهيم خليل أحمد، وعوني عبد الرحمن السبعاوي، تاريخ العالم الثالث الحديث، منشورات كليـة التربيـة، جامعة الموصل، الموصل، 1989م.

(2) نقولا زيادة، برقة الدولة العربية الثامنة، الأعمال الكاملة لنقولا زيادة، الأهلية للنشر، بيروت، د.ت، ص80.

العسكرية في الجيش الإيطالي على أبناء المستعمرات الإيطالية، ومنها ليبيا التي جُنّد العديد من شبابها في القوات الإيطالية النظامية، وفي الوحدات المحلية شبه العسكرية، عبر وسائل وأساليب مختلفة؛ بحيث كان حضور المجندين الليبيين في المجهود الحربي الإيطالي واضح أثناء الحرب الأهلية الأسبانية، واحتلال الحبشة سنة 1935م، وفي الحرب العالمية الثانية.

ثالثاً: مسألة التجنيس بالجنسية الإيطالية، والتي تُعدُّ من المسائل المسكوت عنها في تاريخ الحركة الوطنية الليبية المعاصرة، والممارسات الاستعمارية الإيطالية لإجبار الليبيين على قبول الجنسية، وما عرفته من مظاهر مقاومة سلبية لعمليات التجنيس.

رابعاً: السياسة الثقافية الإيطالية خلال هذه المرحلة، التي عرفت أشد صور الإمبريالية الاستعمارية في صيغتها الفاشية من خلال تطوّر التعليم الإيطالي واستحداث المدارس الإيطالية **لطلينة** أبناء المستعمرة، وما ترتّب على ذلك من نفور الليبيين من التعليم المدني الإيطالي، خشيةً على عقيدتهم وقيمهم الدِّينيّة والاجتماعية، فكان أثر هذا التعليم محدوداً، كما أن الإدارة الاستعمارية الفاشية لاحقت الليبيين في مختلف مناحي حياتهم الثقافية، من خلال احتواء العلماء والأدباء، والشعراء، ومشائخ الطرق الصوفية، وبعض الصحفيين الليبيين، إلى جانب وضع يدها على مؤسسات التعليم التقليدية من كتاتيب، وزوايا، ومساجد، لأجل السيطرة ومحاربة اللغة العربية وتوجيهها لخدمة المشروع الاستعماري الإيطالي.

خامساً: ما أولته الامبريالية الفاشية الإيطالية من اهتمام بشريحة الشباب الليبي واحتوائه في منظمة ماعُرف بـ (**البا ليلا BALILLA**)، المنظمة الشبابية التابعة للحزب الفاشي الإيطالي المعروفة **بذوي القمصان السود** الشبابية، ومحاولات التنصير المسيحية للأطفال الليبيين[1].

سادساً: إن هذه الحقبة عَرفت نجاحاً كبيراً للإيطاليين في ترويض مؤسسة شيخ

---

(1) دور يوسف مادي في حركات التحرر العربية، شهادات أشرف على جمعها وتقديمها: مصطفى حامد رحومة وآخرون، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1991م، ص21 ـ 36.

القبيلة، وشيخ المحلّة، والأعيان، والوجهاء لخدمة السُّلطة القائمة[1]، وكانت هـذه القضـية من محاور الاتهام وتوزيع صكوك الوطنية في الكتابات الهاوية، التي ركّزت على مسـألة شراء الذِّمم والضمائر في التاريخ الليبي المعاصر[2].

سابعاً: سياسة الدعاية الاستعمارية الإيطالية لمشروعها الحضاري في ليبيا التي كانـت من أخطر السياسات التي انتُهجت خلال هذه الحقبة، والتي كـان لهـا أهـداف متشـعبة، ووسائل وأدوات فاعلة دولياً وإقليمياً؛ بحيث حقّقت نجاحات فـي الـرأي العـام العربـي والإسلامي، والدولي تجاه القضية الليبية، من خلال اتخاذها للأشـكال الدعائيـة الأكثـر رواجاً من قبيل: تصوير عدد من الاحتفالات الفلكلورية من التراث الشعبي الليبي المصطنعة لعرضها في دور السينما تظهر اندماج الليبيين في الهوية الإيطاليـة، والمشـاركة بفـرق شـعبية تراثية في المعارض والمهرجانات الدولية، واستكتاب الأقلام الصـحفية فـي المجـلاّت والصحف العربية، ودعوة المشايخ والعلماء المسلمين لزيارة المدن الليبية للاطلاع على الإنجازات الحضارية الإيطالية، الأمر الذي ترتب عليه فقدان القضية الليبيـة للعديـد مـن أنصارها السابقين من أمثال الشخصيات الشّـامية (**محمـد ظبيـان، وشـكيب أرسـلان**)، اللذين أضحت لهما علاقات متينة بالدوائر الفاشية في روما، وعمدوا إلى تخطـي قضـية الاستعمار الإيطالي لليبيا.

ثامناً: وهي تتعلّق بحال الليبيين تحت نيران الدول المتحاربة في الحرب العالميـة الثانية 1939 ـ 1945م، والتي أصبحت خلالها البلاد الليبية إحدى السـاحات الرئيسـة لتلـك الحرب الكونية، وما ترتّب عليها من نتائج اجتماعيّة بعيدة الأثـر فـي الحيـاة الاجتماعيـة الليبية اللاّحقة، وتحيل الشهادات والمذكرات الشخصية في هذا الشأن إلـى موضـوعاتٍ

(1) الهادي إبراهيم المشيرقي، ذكريات في نصف قرن من الأحداث الاجتماعية والسياسية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس 1988م، ص81 ـ 90 وغيرها.

(2) خليفة عبد المجيد المنتصر، ليبيا قبل المحنة وبعدها، وزارة الأنباء والإرشاد، مصلحة المطابع، طـرابلس، 1963م، ص37.

مجهولة لدينا، من قبيل الأسرى الليبيين لدى الإنجليز ودول الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، والعمال الليبيين في مناجم الفوسفات التونسية[1].

تاسعاً: الصراع السياسي بين النُّخب الاجتماعية والسياسية الليبية عشيّة الاستقلال، وهو حراك سياسي عرفته كلّ الشعوب الساعية نحو الاستقلال، ولكن مرويات، وشهادات المعاصرين الأحادية في الغالب، أسّست لرؤية أحادية لا ترتقي إلى مستوى **الرؤية الوطنية الشاملة للتاريخ الوطني**، والتي تستوعب طبيعة ذلك الحراك السياسي والاجتماعي، وتراعي تطوّر الوعي الوطني التدريجي من الرؤية القبليّة والإقليمية إلى الأهداف الوطنية الليبية.

وغيرها من قضايا **التأريخ للحركة الوطنية السياسية المعاصرة 1932 ـ 1951م** المسكوت عنها في سياق المؤرّخات الليبية المعاصرة، وعدم توافق الأكاديميين الليبيين على منطلقات منهجيّة وطنيّة حول تلك الأحداث والوقائع بعيداً عن تأثيرات مؤرّخات النُّخب الاجتماعية والسياسية المناضلة والمعاصرة لتلك الأحداث، التي جاءت في سياق الذكريات والسِّير الذاتية الاسترجاعية، المفعمة بالمواقف الشخصية، والعاطفية، وإرضاء في الغالب لأصحابها لا للوطن، وللحادثة التي عاصروها، وكانوا شهوداً عليها، لا على الحدث برمته أو من مختلف جوانبه.

ومن المتعارف عليه أن المؤرّخين الذين كتبوا تاريخ الدول، والشعوب التي تعرّضت لتناقضاتٍ في مفهوم الوطن جغرافياً، أو قبلياً، أو تاريخياً، تعرّضوا لامتحانٍ عسير لاسيّما في البلدان التي اتّخذت من التاريخ وسيلة دفاعية لتأكيد ذاتها وقيمها المهدّدة[2]، والذي ينطبق إلى حدٍ كبير على التجربة التاريخية الليبية المعاصرة، وما هي حدود الكتابة التاريخية في كل نظام سياسي، الذي يُحدِّد الحقب المسكوت عنها في سيرورة التاريخ الوطني.

(1) عبدالله ناجي، يوميات ليبي تائه، دار الميدان، مطبعة فيديبر أنت، الرباط، 2005م، ص130 وغيرها.

(2) عبد الكريم غلاب، كتابة التاريخ الوطني، مرجع سابق، ص280 ـ 281.

وفي تقديرنا إن الآثار السلبية لأغلب الكتابات المناضلة أو شهادات ومذكرات الفاعلين وشهود العيان، التي كان لها تأثيراتها على المؤرّخات الأكاديمية الليبية الراهنة التي تعاملت مع هذه الشهادات والمذكرات الشخصية على أنها الحقيقة المطلقة، وهي التي أحاطت بعض مراحل التاريخ الليبي المعاصر بالإحاطة المبهرة، وجعلت مراحل أخرى في ظلامٍ دامس، وأوصت بضرورة تجاوزها من خلال التّستر على الجانب المظلم في تقديرهم، أو المراحل والحقب التي لا يجدون أنفسهم فيها، وهذا بدوره يحيلنا إلى قضية مهمة في سياق الدراسات الجامعية الليبية وهو **مدى مكانة وأهمية المذكرات والشهادات الشخصية** التي دوّنها بعض اللذين أسهموا في صنع الحدث التاريخي الليبي[1]، ومن ثم يَحق لنا التساؤل هل يمتلك الباحث الآليات المختلفة للتعامل مع هذه المرويات، وشهادات شهود العيان؟، وإلى أي مدى يمكن الاعتماد عليها في كتابة التاريخ؟، لاسيما وأن بعضها كان منبراً للدفاع عن شخصية الرّاوي الشاهد، أو منصة للهجوم على منافسيه أو خصومه، وتعدّد ظروف كتابة تلك الشهادات النضالية عن الحركة الوطنية بين المنفى، والطمأنينة، والكتابة الرسمية.

وإذا كانت كتابة التاريخ ليست رهينة المصادر والمراجع فقط، بل تتحكّم فيها جملة من العوامل، وتصوّرات الكاتب المؤرّخ حول الإنسان والمجتمع الذي يؤرّخ له[2]، فإن ذلك مدعاة لأن جاءت كثير من المذكرات والشهادات الليبية حول الحركة الوطنية المعاصرة فيما يشبه **(لحظة الانتقام)**، بأن اتّخذ بعض المناضلين والفاعلين من لحظة كتابة شهادتهم لحظة الانتقام من الآخر الذي يعتقدون بأنه أقصاهم من المشهد السياسي الليبي عقب الاستقلال، فكان مشروع تدوين شهاداتهم لحظة انتقام مُنحت لهم عقب التغيرات السياسية الكبرى التي عرفتها البلاد، وسط طغيان الآراء والقناعات القبلية للكاتب، **فيكون فعل**

(1) فاتح رجب قدارة، التأريخ للأحداث المعاصرة من خلال المذكرات والشهادات الشخصية، الأهمية، والمحاذير البحثية (الحالة الليبية أنموذجاً)، بحث قيد النشر، كلية الآداب بالزاوية، جامعة الزاوية، 2017م، ص8.

(2) عبد الأحد السبتي، التاريخ الاجتماعي ومسألة المنهج، مجلة الجدل، الرباط، ع5 ـ 6، 1987م، ص26.

التاريخ لديه انتقائياً مدافعاً عن قناعاته ويستند إلى من يشاركونه ذات الآراء، ويَعْرض قناعاته وتتجاهل الأدلة المضادة، الأمر الذي حوّل بعض الشهادات إلى صحف اتهام، ينحطُّ من خلالها دلالة الألفاظ الموظَّفة في الكتابة التاريخية.

وأخيراً فإن أحد الموضوعات المثيرة، والمنفرة من حقبة الحركة الوطنية الليبية المعاصرة، هي **قضية التدخل الخارجي**، التي تُعدُّ **(الخطيئة التي لا تغتفر)** في أغلب المذكرات والشهادات الشخصية الليبية، ومصدراً نَحَت عديد المصطلحات والألفاظ والتُّهم السياسية المتبادلة من قبيل: **الطلينة، والخيانة، والعمالة، وعدم الوطنية**،... إلخ والتي تتجاهل الظروف المحيطة بالحركة الوطنية السياسية المعاصرة، والظروف التي وُجدت فيها، من الاستعمار الإيطالي إلى الإدارة الإنجليزية والفرنسية، والنفوذ المصري على النُّخب السياسية المهاجرة جعل العمل الوطني بالضرورة لا يمرّ إلا عبر التعامل مع هذه القوى الحاكمة والمؤثرة على الأراضي الليبية، ولا يمكن تصوّر وجود أو تنظيم أي حراك سياسي فاعل إلا عبر أو بموافقة وتأثيرات هذه القوى الخارجية، وبالتنسيق معها، وهذا حال كل الحركات الوطنية في العالم الثالث.

ولكن التجربة السياسية الليبية القاسية جعلت من واقع التدخل الخارجي المفروض نقاط ارتكاز للتخوين وتوزيع الاتهامات بالعمالة، وقد يكون ذلك مقبولاً على مستوى الكتابات النضالية، والهاوية، ولكن ترديد هذه الاتهامات على مستوى بعض الكتابات الأكاديمية يُعدُّ سيراً أعمى وراء المقولات المتوارثة في كتابات المناضلين والفاعلين في تلك الحقبة التاريخية، وتظلّ المعرفة التاريخية معرفة نوعية تحمل قيماً ومفاهيماً إيديولوجية، الأمر الذي يجعل التاريخ في حد ذاته **سلاحاً ذا حدين**: إما أن يُستخدم في بناء الذّات، أو يُسخّر لهدم بنية المجتمع[1]، ولعلّ في إصرار بعض الكتابات التاريخية على

(1) ناصر الدين سعيدوني، كلمة في مكانة التاريخ ودوره في مشاريع التنمية بالجزائر، مجلة المواقف، معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية، المركز الجامعي مصطفى اسطنبولي، معسكر، العدد الأول، جانفي ـ ديسمبر 2007م، ص99.

بيع الوهم، والتأريخ القبلي الانتقائي والاتهامي، والعشوائية في التحقيب والتناول المنهجي، قد يكون أكبر خطر على التاريخ والمجتمع الليبي، ومن الضرورة بمكان أن تحظى مسألة التنظير المنهجي المنطقي للتاريخ الليبي عبر العصور بالاهتمامات المتزايد من جانب الباحثين والمؤسسات الجامعية والبحثية المعنية.

❐❐❐

المصادر والمراجع

1 ـ إبراهيم خليل أحمد، وعوني عبد الرحمن السبعاوي، تاريخ العالم الثالث الحديث، منشورات كلية التربية، جامعة الموصل، الموصل، 1989م.

2 ـ أحمد المهدوي، ديوان شاعر الوطن أحمد رفيق المهدوي، المطبعة الأهلية، بنغازي، 1971م.

3 ـ أحمد زارم، مذكراتي، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس، 1979م.

4 ـ أحمد القلال، سنوات الحرب والإدارة العسكرية البريطانية في برقة 1939 ـ 1949م، جامعة قاريونس [سابقاً]، بنغازي، 2003م.

5 ـ ارويعي محمد قناوي، الكفاح الوطني للمهاجرين الليبيين ضد الاستعمار الإيطالي، رسالة ماجستير قُدِّمت إلى قسم التاريخ بكلية الآداب والتربية، جامعة بنغازي سنة 1993م.

6 ـ تيسير بن موسى، كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام 1925 ـ 1951م، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس 1983م.

7 ـ سالم امجاهد، دليل الدراسات العليا والرسائل العلمية لكلية التربية من سنة 1975 إلى 1996م، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1998م.

8 ـ سعد الحلواني، تاريخ التاريخ، مدخل إلى علم التاريخ ومناهج البحث، د.ن، القاهرة، ط3.

9 ـ سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، عرض وتقديم وترجمة، مطبوعات المكتبة الجامعية، الدار البيضاء، 1984م.

10 ـ رولاند دي ماركو، طلينة الأفارقة، التعليم المحلي الحكومي في المستعمرات الإيطالية 1890 ـ 1937م، ترجمة: عبد القادر المحيشي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1988م.

11 ـ جوزيف هورس، قيمة التاريخ، ترجمة: نسيم نصر، منشورات عويدات، بيروت، ط3، 1986م.

12 ـ خليفة التليسي، رحلة عبر الكلمات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، طرابلس، 1973م.

13 ـ خليفة عبد المجيد المنتصر، ليبيا قبل المحنة وبعدها، وزارة الأنباء والإرشاد، مصلحة المطابع، طرابلس، 1963م، ص37.

14 ـ الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الليبيين في ديار الهجرة 1924 ـ 1952م، الناشرون: دارف المحدودة، لندن، ط3، 1985م.

15 ـ الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب.

16 ـ عبد الرحمن الجنزوري، رحلة السنوات الطويلة، وقائع وتأملات في سيرة مواطن ليبي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2000م.

17 ـ عبد الكريم غريب، منهج وتقنيات البحث العلمي، منشورات عالم التربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997م.

18 ـ عبدالله عبد اللاوي، ابستمولوجيا التاريخ، مداخل منهجية في صناعة المعرفة التاريخية، منشورات ابن النديم للنشر والتوزيع، وهران، 2009م.

19 ـ عبدالله العروي، مفهوم التاريخ، الجزء الأول: الألفاظ والمذاهب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1992م، ج1.

20 ـ عبدالله ناجي، يوميات ليبي تائه، دار الميدان، مطبعة فيديير أنت، الرباط، 2005م.

21 ـ عز العرب أزمي، تقنيات البحث في العلوم الإنسانية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2007م.

22 ـ علي عبد اللطيف احميدة، الأصوات المهمشة: الخضوع والعصيان في ليبيا أثناء الاستعمار وبعده، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009م.

23 ـ علي مصطفى المصراتي، مؤرخون من ليبيا، مؤلفاتهم ومناهجهم، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1977م.

24 ـ عمر التومي الشيباني، تاريخ الثقافة والتعليم في ليبيا، إدارة المطبوعات والنشر، جامعة الفاتح [سابقاً]، طرابلس، 2001م.

25 ـ فريد بن سليمان، مدخل إلى دراسة التاريخ، مركز النشر الجامعي، تونس، 2000م.

26 ـ الفظائع السود الحمر من صفحات الاستعمار الايطالي في ليبيا، أو التمدن بالحديد والنار، مطبعة الكرنك بالفجالة، القاهرة، ط2، 1948م.

27 ـ قسطنطين زريق، نحن والتاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط6، 1985م.

28 ـ محمد بن خليل غلبون، تاريخ طرابلس الغرب المسمى التّذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها

من الأخبار، تحقيق وتقديم: الطاهر أحمد الزاوي، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ.

29 ـ محمد الطيب الأشهب، برقة العربية أمس واليوم، مطبعة الهواري، القاهرة.

30 ـ محمود الشنيطي، قضية ليبيا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1951م.

31 ـ محمد الأسطى، ورقات مطوية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1983م.

32 ـ محمد شاكر مشعل، الشمال الأفريقي والعثمانيون، ليبيا العصر العثماني الأول، 1551 ـ 1711م، د.ن، د.م.ن، 1985م.

33 ـ محمد يوسف المقريف، ليبيا بين الماضي والحاضر، صفحات من التاريخ السياسي، مركز الدراسات الليبية، أكسفورد، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، 2004م، المجلد الأول، الجزء الأول: ميلاد دولة الاستقلال.

34 ـ مصطفى حامد رحومة وآخرون، دور يوسف مادي في حركات التحرر العربية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1991م.

35 ـ نقولا زيادة، برقة الدولة العربية الثامنة، الأعمال الكاملة لنقولا زيادة، الأهلية للنشر، بيروت، د.ت.

36 ـ الهادي إبراهيم المشيرقي، ذكريات في نصف قرن من الأحداث الاجتماعية والسياسية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس 1988م.

37 ـ يوسف الأحرش، ملخصات الرسائل الجامعية العالية والدقيقة «الماجستير والدكتوراه» الجزء الأول: قسم التاريخ، منشورات جامعة السابع من أبريل [سابقاً]، الزاوية، 2010م.

*** الدوريات:**

1 ـ إبراهيم حركات، منهجية التاريخ، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، السنة 19، العدد 4، أبريل 1978م، جمادي الأول، 1398هـ.

2 ـ عبد الأحد السبتي، التاريخ الاجتماعي ومسألة المنهج، مجلة الجدل، الرباط، ع5 ـ 6، 1987م.

3 ـ عبد الكريم غلاب، كتابة التاريخ الوطني، الأكاديمية، مجلة أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، العدد الثالث، نونبر 1986م.

4 ـ عقيل البربار، تاريخ ليبيا الحديث: منهج بنيوي مقارن، مجلة الأكاديمية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، الدار الأكاديمية للطباعة والتأليف والترجمة والنشر، طرابلس، العدد الثاني، ربيع 2009م.

5 ـ علي الفقيه حسن، لمحة عن التاريخ الليبي، مجلة مَجْمَع اللغة العربية دمشق، المجلد الرابع والأربعون، الجزء الأول والثاني، كانون الثاني، 1969م.

6 ـ فاتح رجب قدارة، التأريخ للأحداث المعاصرة من خلال المذكرات والشهادات الشخصية، الأهمية، والمحاذير البحثية (الحالة الليبية إنموذجاً)، بحث قيد النشر، كلية الآداب بالزاوية، جامعة الزاوية، 2017م.

7 ـ ناصر الدين سعيدوني، كلمة في مكانة التاريخ ودوره في مشاريع التنمية بالجزائر، مجلة المواقف، معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية، المركز الجامعي مصطفى اسطنبولي، معسكر، العدد الأول، جانفي ـ ديسمبر 2007م.

8 ـ مجلة البحوث التاريخية، فهرس محتويات السنوات العشر الأولى لمجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، السنة الحادية عشر، العدد الأول، يناير 1989م.

9 ـ مصطفى حامد رحومة، أثر كتابات الزاوي في المهاجرين الليبيين إلى تونس ودورهم في حركة المقاومة الليبية ضد الغزو الإيطالي لليبيا 1911 ـ 1932م، مجلة الشهيد، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، العددان الثاني والعشرون والثالث والعشرون.

10 ـ المختار الطاهر كرفاع، تطوّر الدراسات العليا بقسم التاريخ بكلية الآداب جامعة السابع من أبريل [سابقاً] بالزاوية 1996 ـ 2005م، مجلة الشهيد، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، العددان الثاني والعشرون والثالث والعشرون، 2005م.

❋ البحوث:

1 ـ أحمد أبوشوك، مشكلة التحقيب، التاريخ العربي الإسلامي أنموذجاً، ضمن التأريخ الغربي وتاريخ العرب: كيف كُتب وكيف يُكتب، الإجابات الممكنة، إعداد وتنسيق: وجيه كوثراني، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2017م.

2 ـ صلاح الدين حسن السوري، ليبيا والغزو الثقافي الإيطالي، ضمن كتاب بحوث ودراسات في التاريخ الليبي 1911 ـ 1943م، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1984م.

3 ـ عبد الرحيم بنحادة، البحث التاريخي في الجامعة المغربية: العصور الحديثة نموذجاً (ضمن الكتابات التاريخية في المغارب: الهوية، الذاكرة، والأسطواغرافيا)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2007م.

4 ـ عبد المنعم إبراهيم الجميعي، المؤرّخون الهواة ودورهم في كتابة تاريخ مصر الحديث والمعاصر، ضمن المدرسة التاريخية المصرية 1970 ـ 1995م، دار الشروق، القاهرة، 1997م.

5 ـ المولدي الأحمر، المؤرّخ والحقيقة التاريخية والاستخدامات الاجتماعية للتأريخ في كتابتان محليتان لتاريخ مقاومة الاحتلال الإيطالي في ليبيا بين سنتي 1922 ـ 1925م، ضمن كتاب الكتابات التاريخية في المغارب، الهوية، والذاكرة والأسطوغرافيا، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2007م.

* الرسائل العلمية:

1 ـ أسمهان ميلود معاطي، السياسة البريطانية في ليبيا وانعكاساتها على المجتمع المحلي 1941 ـ 1951م، رسالة ماجستير قُدِّمت إلى قسم التاريخ بكلية التربية بالزاوية، سنة 1996م.

2 ـ حنان سالم منصور، الاحتلال الفرنسي لفزان، 1943م ـ 1952م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة السابع من أبريل [سابقاً]، الزاوية، 2003م.

3 ـ سالمة عبد العال الجاضرة، الجماعات السياسية الليبية 1943 ـ 1951م أصولها التاريخية ومواقفها السياسية وممارساتها التوفيقية، رسالة ماجستير قُدِّمت إلى كلية الآداب والتربية جامعة قاريونس [سابقاً]، بنغازي، 1983م.

4 ـ الناجح محمد الأخضر، المهاجرون الليبيون لبلاد الشام (سوريا) ودورهم في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية 1911 ـ 1952، (أطروحة دكتوراه) جامعة قاريونس [سابقاً]، كلية الآداب، قسم التاريخ، 2009م.

❑ ❑ ❑

بحثٌ ملحق

إتماماً للفائدة التي أتاحتها لنا الندوة، وبَعْد الحضور المميّز للعديد من الباحثين والمؤرِّخين الذين أَثْروا الجلسات العلميّة، كان الأستاذ المؤرِّخ والباحث المدقق عمّار محمد جحيدر من بينهم كعادته في مثل هذه المناسبات العلميّة المهمة، وشارك فعلياً في الحوارات والنقاشات والتعقيبات على البحوث الملقاة من الباحثين، وَوَعَدَنا بأنه سيُرسل لنا بحثاً عبارة عن ترجمةٍ رسميَّة للزعيم بشير السعداوي في الأرشيف العثماني، عندما كان موظفاً في الإدارة العثمانية، وقد أوفى الأستاذ عمّار بوعده، ونظراً لأهمية البحث، رأينا أن يستفيد منه القرّاء فألحقناه بهذا الكتاب تحيةً لذكرى الزعيم بشير السعداوي ـ رحمه الله ـ .

□□□

ترْجَمة بَشير السَّعداوي الرَّسميَّة المُبكِّرة
(في الأرشيف العثماني باستانبول 1913م)

أ. عمّار محمد جحيدر
أمين عام مَجْمَع اللغة العربيّة ـ ليبيا

الحمد لله حق حمده

لقد كُتب الكثير عن الزعيم السياسي المحنَّك بشير السعداوي (1884 ـ 1957م)؛ انطلاقاً من ذلك العمل المبكِّر الذي تضمَّن (سيرته المطوَّلة) للمؤرخ المصري الدكتور محمد فؤاد شكري (1957م)، وكان أقرب الناس إليه في الفترة الأخيرة من حياته/ وحراكه السياسي[1]. إلى أطروحة الدكتور ارويعي محمد قناوي القيِّمة التي صدرت أخيراً في كتاب (2014م)[2]. إلى هذه الندوة العلمية الجديدة الجادَّة التي تسعى اليوم إلى استقطاب (رؤيةٍ جماعية) مزيدة في الذكرى الستين لوفاته (2017م). ومن هنا حرصت على تقديم هذه المساهمة القصيرة المتواضعة بهذه الوثيقة التي قادني إليها ـ في واقع الأمر ـ سياقٌ بحثي آخر، مختلف؛ إذ جاءت ضمن عنايتي السابقة، منذ سنوات عديدة، بجمع تراجم الموظفين الليبيين من الأرشيف العثماني باستانبول. وقد شهدتُ جلَّ جلسات الندوة، واستمتعت بحضورها العلمي، وأفدتُ من بحوثها ومناقشاتها؛ لذلك آثرت تقديم هذه الوثيقة ملحقاً لأعمالها، راجياً أن يجد فيها القراء والباحثون المعنيون بـ **(تاريخ ليبيا**

---

(1) الدكتور محمد فؤاد شكري، **ميلاد دولة ليبيا الحديثة: وثائق تحريرها واستقلالها ـ الجزء الأول (1945 ـ 1947م)**، القاهرة: مطبعة الاعتماد، 1957م. وقد جاء في مستهل التصدير: «وبعد فهذا كتاب عن نشأة المملكة الليبية المتحدة حفَّزني إلى كتابته افتقار المكتبة العربية إلى تاريخ وافٍ لميلاد هذه الدولة العربية الجديدة» ص1. ويُعَدُّ الكتاب سيرة موسَّعة للسعداوي، مع غياب جزئه الثاني الذي لم يصدر...

(2) الدكتور ارويعي محمد علي قناوي، **بشير السعداوي ودوره في الحركة الوطنية الليبية (1884 ـ 1957م)**، طرابلس: المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، 2014م، (544 ص).

المعاصر) بعض النفع والفائدة.

* * *

(1)

مدخل: إلى تراجم الموظفين في الأرشيف العثماني

ينبغي[1] أن نُعرِّج في هذا السياق قليلاً على ذلك العمل الإداري الضخم الذي وصلتنا من خلاله ترجمة المؤرخ أحمد النائب الأنصاري، وذلك أنَّ هذه الترجمة الدقيقة القيِّمة ليست حالةً مفردةً أو عشوائية، وإنَّما جاءت ضمن آلاف التراجم المنظَّمة التي دُوِّنتْ على توالي السنين، وقد أُسْنِدَتْ هذه المهمَّة إلى لجنة سجل الأحوال (**سجلِ أحوال قوميسيونى Sicill ـ I AhvalKomisyonu**)؛ وهو الاسم الذي أُطلِقَ على الدائرة الرسمية التي تحتفظ بتراجم الموظفين[2]. وقد أُجرِيَت هذه الخطوة من خطوات الإصلاح الإداري في أوائل

---

(1) هذه البداية عودة لازمة إلى بحث مدخليٍّ سابق (استانبول 1995م) عن هذا المصدر العثماني القيم: عمار جحيدر، «من تاريخ ليبيا الثقافي في أواخر العهد العثماني: ترجمة المؤرخ أحمد النائب الأنصاري»، **المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية**، (تونس)، العدد 15 ـ 16 (أكتوبر ـ نوفمبر 1997م)، عدد خاص: تحية تقدير للأستاذ خليل الساحلي (رحمه الله تعالى).

(2) MehmedZekiPakain, **OsmanliTarihDeyimleriveTerimleriSozlugu**, Istanbul 1993, C.3, s. 210.

(**معجم المصطلحات والتعابير التاريخية العثمانية**، 3 مجلدات، صدرت طبعته الأولى باستانبول سنة 1946م).

ومن الجدير بالملاحظة في هذا المقام أنَّ اللجنة في وثيقتها التأسيسية الأولى ذكرت باسم (**لجنة سجل الأخلاق**)، ولهذا الاسم دلالته الخاصَّة كما ترى، غير أنَّه استناداً إلى الوثائق التالية سرعان ما تحوَّل إلى الاسم المذكور أعلاه. انظر: **أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول**، تصنيف اراده ـ داخليه:

- وثيقة رقم 63473 (12 صفر 1296هـ): **سجل أخلاق**.
- وثيقة رقم 64082 (10 شعبان 1296هـ): **سجل أخلاق**.
- وثيقة رقم 64406، لف 2 (11 رمضان 1296): **سجل أحوال**.

=

عهد عبد الحميد الثاني سنة 1296هـ (1879م)، واتخذت لذلك كافة الإجراءات الإدارية والمالية والقانونية، وشُكِّلت اللجنة من رئيس (عارفي باشا السفير السابق بباريس) وثلاثة أعضاء من الأعيان، وطُبعت لها الأوراق الرسمية اللاّزمة بمطبعة الدولة. وأخذت **(سالنامة الدولة العثمانية)**[1] تعرض في مختلف أعدادها تركيب هذه اللجنة في سياق التشكيلات الإدارية. بل أصبحت السالنامة نفسها تُعَدُّ من قبل لجنة سجل الأحوال منذ سنة 1306هـ[2].

تهدف هذه العملية الإدارية المنظَّمة إلى الاحتفاظ بتراجم الموظفين العاملين في خدمة الدولة، والوقوف على التطورات الواقعة في سِيرهم الوظيفية، وكانت الترجمة في كثيرٍ من الأحيان تحتوي على معلوماتٍ دقيقةٍ موثوقةٍ مفصَّلةٍ، وشملت التراجم مختلف رجال الدولة وموظفيها على تفاوت فئاتهم ومستوياتهم؛ من الصدور العظام[3]، والوزراء[4]، والولاة[5]،

= ويبدو لي أنَّ هذا التعديل الواقع في صيغة الاسم قد جاء من كلمة (ترجمهء حال Terceme _ l hâl) المستعملة في التركية بمعنى الترجمة/ السيرة، إذ أنَّ محتوى الدفاتر لم يكن إلا تراجم.

(1) **السالنامة Salname** لغوياً: اسمٌ أو مصطلحٌ استعمل للآثار المطبوعة المرتبة بناءً على استعراض مجموعة حوادث خلال سنة، وقد دخل هذا المصطلح إلى اللغة التركية خلال عهد التنظيمات. وهو مركَّب من الكلمتين الفارسيتين: سال Sal التي تعني سنة، ونامه Name التي تعني رسالةً أو كتاباً، ومعناهما معاً: كتاب السنة، أو (الحولية) في العربية. ويقابل هذا المصطلح في التركية اليوم بكلمة (YILLIK). [اكتفيت بهذا القدر من هذه الحاشية المطولة المنشورة سابقاً كاملة، رَوْماً للاختصار].

(2) ظهرت في **سالنامة ولاية طرابلس الغرب** ـ على سبيل المثال ـ ابتداءً من العدد العاشر (1301هـ) **اللجنة الفرعية لسجل الأحوال**، وكان يرأسها (مكتوبجى) الولاية، وتضم عدداً من موظفي (مركز) الولاية.

(3) **خير الدين باشا التونسي** (الصدر الأعظم)، **أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، سجل أحوال، دفتر 2**، ص396.

(4) **محمد كاني باشا** (وزير الجمارك، والمالية، والأشغال العامة)، **دفتر 1/ 1**، ص136 (من النسخة المصورة بالأرشيف).

(5) **أحمد راسم باشا** (والي طرابلس الغرب)، **دفتر 3**، ص596 ـ 597.

والمتصرفين[1]، والقائمي مقامين[2]، والمدراء[3]، ورجال القضاءِ[4]، وغيرهم من كبار/ وصغار الموظفين العاملين في مختلف المؤسسات الواقعة بمركز الدولة والولايات أيضاً. وقد استمرَّ هذا التقليد الإداري إلى نهاية الدولة العثمانية، وبلغ عدد الدفاتر 200 (مائتي) دفتر؛ تضمُّ 92137 (أكثر من أثنين وتسعين ألف) ترجمة[5]، ثم احتفظ بملفات للموظفين فيما بعد كاستمرارٍ لهذه الدفاتر، وهكذا بلغ مجموع التراجم في الدفاتر والملفات معاً نحو 200.000 (مائتي ألف) ترجمة. وتُعَدُّ هذه الدفاتر والملفات التي لم تُنْجَزْ في واقعها إلا تلبيةً للاحتياجات الإدارية آنذاك ـ رصيداً موثوقاً ومهمّاً للتعرُّف على رجال الدولة العثمانية وموظفيها وجهازها الإداري المتشعِّب، خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ـ والربع الأول من القرن العشرين[6].

---

(1) **علي كمالي باشا** (متصرف بنغازي 1290هـ، ووالي طرابلس 1294هـ، ووالي بنغازي 1296هـ)، **دفتر 2**، ص248 ـ 249.

(2) **مصطفى أفندي ابن إبراهيم آغا** (قائم مقام زليتن، مسلاّتة، فساطو، غريان، ترهونة) بولاية طرابلس الغرب، **دفتر 4**، ص100.

(3) **حسام الدين إبراهيم أفندي** (ناظر الرسومات ـ مدير الجمارك) بولاية طرابلس الغرب، 1296هـ، **أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، تصنيف اراده ـ داخليه**، وثيقة رقم 73309.

(4) **أحمد رفعت بن صالح أفندي** (رئيس المحكمة الشرعية ومحكمة البداية بقضاء الزاوية، والجبل الغربي بولاية طرابلس الغرب، ورئيس محكمة التجارة بولاية بنغازي)، **دفتر 18/ 1**، ص19.

(5) أُعِدَّتْ لهذه الدفاتر المحفوظة بأرشيف رئاسة الوزراء باستانبول فهارس حديثة مرقونة على الآلة الكاتبة، وتقع في 17 مجلداً من الحجم الكبير (في الحجم المعتاد للصحف اليومية تقريباً)، وتشمل بياناتها: الاسم، واسم الأب، ومكان وتاريخ الميلاد.

(6) انظر المقالة: الدراسة الموجزة التالية عن (**دفاتر سجل الأحوال وملفاتها**)، وهي (لأحد العاملين القياديين السابقين بالأرشيف العثماني):

Atilla Cetin, "Sicill _ i AhvalDefterleriveDosyalari", **Turk DunyasiTarihDergisi**, Sayi No. 66. (Haziran 1992), S. 34 _ 42.

وقد اطَّلعتُ على عددٍ من هذه الدفاتر التي تتفاوت في سمكها، ويضمُّ بعضها مئات الصفحات، ومن المعتاد ـ وفق ملاحظتي ـ أن تُخَصَّص صفحتان متقابلتان (يمنى ويسرى) لكل ترجمةٍ، لتدوينها منتهيةً بتاريخها الذي أُعدَّت خلاله، وإضافة التطورات اللاّحقة أدناها. وهكذا يتفاوت حجم التراجم، بتفاوت التجارب والأقدار، فمنها ما يقتصر على بضعة أسطرٍ، ومنها ما يتجاوز الصفحة الأولى إلى الثانية، ومنها ما يتجاوز الصفحتين معاً؛ فيُشار في آخرهما (بإحالةٍ) إلى موضع البقية في أحد الدفاتر التالية. كما اطلعتُ على عددٍ من التراجم الملحقة بالوثائق المختلفة في الأرشيف العثماني، وكانت الترجمة تُرفَقُ بغيرها من الوثائق الإجرائية للموظف عند اتخاذ القرار بتعيينه أو نقله، وما إليهما، للوقوف على سيرته وتجربته.

ويوجد بعض هذه التراجم في (**نماذج مطبوعةٍ**) منظَّمةٍ، قُسِّمتْ إلى ست خانات وُزِّعَتْ عليها الأسئلة التي يُطلَبُ من الموظف أن يجيب عنها[1]. ويبدو أنَّ هذه الأسئلة هي التي تحدِّد محتوى التراجم في قالبٍ شبهِ موحَّدٍ، في حالاتها المستوفاة الكاملة، ولعل من المفيد في هذا السياق أن نقف على ترجمة هذه الأسئلة المطبوعة بالتركية في الفقرات التالية:

1 ـ الاسم والشهرة، واسم الأب.

2 ـ تاريخ الميلاد ومكانه.

3 ـ ما هي المدارس التي تعلَّم بها، وما العلوم التي درسها، وهل تحصَّل على شهاداتٍ منها، وما هي اللغات التي يُلِمُّ بها حديثاً وكتابةً، وإذا كانت له مؤلَّفاتٌ فما هي موضوعاتها؟

(1) **أرشيف رئاسة الوزراء، تصنيف إراده ـ داخليه**، رقم 71046، تعيين أحمد رفعت قائم مقام لقضاء مصراتة (16 شوال 1300)، وقد أرفقت بملف الإجراء نسخةٌ من ترجمته المنقولة عن **لجنة سجل الأحوال**. ونجد صدى هذا الإجراء في سالنامة الولاية. انظر: **سالنامة ولاية طرابلس الغرب (1301هـ)**، ص170.

4 ـ في أي سنٍّ/ وأيِّ تاريخٍ التحق بخدمة الدولة، وهل التحق بها موظفاً أم متدرباً (بلا معاش/ ملازمة)؟

5 ـ ما هي الوظائف التي عمل بها، والرُّتب (الدرجات) التي أحرزها، والنياشين التي حملها، وما مقادير الرواتب التي تقاضاها في كل وظيفةٍ، وكم ظلَّ معزولاً، وهل تقاضى معاشاً خلال مدَّة عزله، وما مقداره، وإذا مُنِحَ نياشين أجنبية فما هي أسباب منحها إليه، وما هي تواريخ هذه الوقائع.

6 ـ ما هي أسباب فصله من الوظائف التي كان بها، وهل وقعت في حقِّه شكوى من طرفٍ ما، وإذا كان قد حُوكم فما هي نتيجة المحاكمة، وهل نال جزاءَه، وهل توجد لديه وثائق تُثبت براءَته؟

وممَّا يؤيِّد أنَّ هذه الأسئلة قد أصبحت قالباً موحَّداً لمحتوى التراجم غالباً، تلك الترجمة الموجزة التي حرَّرها لنفسه الأديب الليبي المعروف أحمد الفقيه حسن (الجدُّ: 1843 ـ 1886م)، مكتفياً بأرقام الأسئلة (الستة) دون عباراتها[1]. وقد كان أحمد الفقيه حسن نفسه رئيس الكتَّاب في القسم العربي بدائرة قلم الولاية[2].

---

(1) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، شعبة الوثائق والمخطوطات، مجموعة أسرة الفقيه حسن الوثائقية، ملف أحمد الفقيه حسن (الجد). وعن هذا الأديب الكاتب انظر: محمد مسعود جبران، أحمد الفقيه حسن (الجد) وتحقيق ما تبقى من آثاره ووثائقه، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1988م.

(2) سالنامة ولاية طرابلس الغرب (1302هـ)، ص143.



جدول/ نموذجي مطبوع لأسئلة تراجم الموظفين الرسمية، في الأرشيف العثماني باستانبول، تصنيف: إراده ـ داخلية، وثيقة رقم (70055)؛ وهي ترجمة محمد طاهر أفندي قائممقام قضاء سرت السابق بولاية طرابلس الغرب، الذي عُيِّن قائم مقام لقضاء أوجلة وجالو بولاية بنغازي (تاريخ الترجمة 14 ربيع الآخر 1300هـ). والسؤال الأخير لا يظهر في هذه اللوحة من الوثيقة. وقد وقفت على نماذج أخرى تضمُّ الأسئلة نفسها (مخطوطة/ غير مطبوعة) في تلك الفترة نفسها، وهو ما يؤكد استقرار هذا القالب النمطي لتراجم الموظفين الرسمية. ويتركب الجدول في كلتا الحالتين من ثلاثة أعمدة بالعناوين التالية: (سؤال/ جواب/ ملاحظات).

* * *

وقد تمكَّن بعض الباحثين الأتراك من إجراء الدراسات، وتحرير التراجم، وتصحيح الأخطاء، حول بعض الأعلام، استناداً إلى هذه التراجم الرسمية[1]، كما قام أحد الباحثين[2] بنشر كتابٍ ضخمٍ، في أربعة مجلداتٍ، يضمُّ **تراجم العلماء في أواخر العهد العثماني**، اعتماداً على دفاتر سجل الأحوال المتعلقة بمؤسَّسة المشيخة الإسلامية[3]. [في حين لم

(1) Atille Cetin، (نفس المقالة).

(2) هو الأستاذ صادق البيرق: باحث، صحفي، كاتب. ولد بقرية (ينيجه Ynice/ تشايكر Caykaral)، بطرابزون سنة 1942م. أتمَّ دراسته بثانوية الإمامة والخطابة بطرابزون (1962م)، والمعهد الإسلامي العالي باستانبول (1966م). وعمل خلال السنوات (1970 ـ 1978م) **بأرشيف السجلات الشرعية** بإفتاء استانبول، ومن هنا عُني فيما يبدو بإنجاز هذا العمل التوثيقي الكبير الذي نال عليه **جائزة اتحاد كتّاب تركيا، عن البحث والتحقيق**، لسنة 1981م. كما ذكرت له في ترجمته أعمال أخرى عديدة.

Ihsanlsik, **TurkiyeYazarlarAnsiklopedisi**, Ankara 2001. S. 73 - 74.

(**موسوعة كتّاب تركيا**؛ وهوعملٌ قيِّمٌ يضمُّ وفق بيانات الغلاف نفسه تراجم (3218) شاعراً وكاتباً وأعمالهم، ويقع في مجلد واحد، 1094 ص).

(3) SadikAlbayrak, **Son DevirOsmanliUlemasi**, Istanbul, 1980 _ 1981.

المجلد الرابع من الكتاب مضاعفٌ يضمُّ الجزأين (4 ـ 5). وقد أنجز المؤلِّف كتابه على النحو التالي:

- رتَّب التراجم على الحروف (الاسم الأول، لا اللقب).
- رتَّب الفهرس في نهاية كل مجلدٍ على أسماءِ البلدان التي ينتمي إليها أصحاب التراجم.
- اختتم كلَّ ترجمةٍ بمصدرها الذي استقاها منه، من **دفاتر وملفات أرشيف دار الفتوى باستانبول**:

Istanbul müftülügnünSer'ISicillerArsivi.

ويضمُّ الكتاب عدداً من تراجم العلماء الليبيين، وهم (مرتبون في الجدول التالي على تواريخ الميلاد):

ر.م	الاسم	مكان الميلاد	تاريخ الميلاد
1	محمد بن عامر المصراتي	مصراتة	1254هـ/ 1838م
2	محمد بن محمد الغرياني	غريان	1256/ 1839
3	محمد بن محمد النعاس	الخمس	1262/ 1846
4	سالم بن عمر بن يعقوب	زليطن	1264/ 1848
5	مصطفى بن أحمد المصراتي	مصراتة	1265/ 1849 =

أقف بعد على أيّة مجموعة منشورة من تراجم الموظفين في النظارات والمؤسسات الأخرى][1]. وإذا تضافرت جهود الباحثين والمؤرخين في تركيا والبلاد العربية وغيرها من الأقطار التي كانت بالأمس القريب ولاياتٍ عثمانيةً، على نشر هذه التراجم بمختلف اللغات التي تمسُّ الحاجة إليها؛ وفقاً للتراجم، مع إقامة الفهارس الدقيقة لها، فستكون بين أيدينا في حقل **(الدراسات العثمانية)** موسوعةٌ موثوقةٌ ضخمةٌ، لا غنى عنها حقّاً لتجذير البحث التاريخي الموثَّق[2]. ويشمل الامتداد الجغرافي لهذه التراجم عدداً من الولايات العثمانية التي قُدِّرَ لها أن تظلَّ في إطار الحكم المباشر في أواخر العهد العثماني. ومن الأقطار العربية التي وقفتُ على تراجم موظفيها - من خلال العدد المحدود من الدفاتر

=

ر. م	الاسم	مكان الميلاد	تاريخ الميلاد
6	محمد بن عمر الجديد	مصراتة	1858 /1274
7	إبراهيم بن مصطفى (باكير)	طرابلس	1862 /1278
8	أحمد بن محمد بشير	زليطن	1871 /1288
9	منصور الأبيض آغا	مصراتة	1873 /1289
10	محمد خلوصي (القرمانلي)	درنة	1874 /1290
11	محمد العربي بن حمودة	مسلاتة	1874 /1290
12	محمود بن محمد أبورخيص	غريان	1874 /1291
13	عبد الرحمن بن أبوبكر	طرابلس (عرادة)	1876 /1292

وقد استخرجت منه هذه التراجم الموجزة، وأرجو أن تنشر في سياق بحثي آخر - بإذن الله تعالى.

(1) قامت الباحثة التركية الدكتورة جولدن صاري يلدز بإعداد أطروحتها عن الهيكل التنظيمي للجنة سجل الأحوال التي شُكِّلت للاضطلاع بهذه المهمّة، وصدرت في كتاب سنة (2004م):

Dr. Gulden SARIYILDIZ, **Sicill_i AhvlKomisyonunKurulusuveIslevi** (1879 _ 1909), Istanbul 2004. 215 s.

(تأسيس لجنة سجل أحوال وعملها 1879 - 1909م).

(2) يُتوقع أن يكون حجم هذه الموسوعة إذا نُشرت ما بين خمسين - ومائة مجلد. (المقالة نفسها) AtilleCeti.

الذي تمكَّنتُ من الاطلاع عليه حتى اليوم ـ : **العراق، وسوريا، وفلسطين، ولبنان، واليمن، والحجاز، وليبيا**، في حين تندر تراجم مصر وتونس لبقائهما شبه مستقلتين تحت أسرتين حاكمتين آنذاك، وهو ما يعني بالضرورة ضعف الارتباط الإداري المباشر. وقد جمعت قدراً من هذه التراجم المتعلقة بليبيا، وهي تشمل الفئات التالية:

1 ـ موظفون (ليبيون).

2 ـ موظفون عثمانيون ولدوا في (ليبيا) وعاشوا بها، واندمجوا في نسيج بنائها الاجتماعي.

3 ـ موظفون عثمانيون عملوا في (ليبيا) مدداً تقصر أو تطول، وكانوا شركاء في تاريخها الإداري والاجتماعي.

* * *

ومن الجلي أنَّ الفئة الأولى أحقُّ بالعناية، وأدنى إلى معطيات تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر في سياقيه: الإداري/ والثقافي. ومثلما نُشرت ترجمة المؤرخ أحمد النائب الأنصاري (من رموز تاريخنا الثقافي) قبل عشرين سنة (1997م)، يطيب لي اليوم أيضاً أن تُنشر ترجمة الزعيم المحنَّك بشير السعداوي (من رموز تاريخنا السياسي)؛ (بنصِّها المعرَّب/ وأصلها العثماني)، ضمن هذا العمل العلمي الجماعي المنجز عنه، راجياً تقديم إضاءة أوسع فيما بعد، عن تراجم الموظفين الليبيين في الأرشيف العثماني ـ بإذن الله تعالى.

*** ملاحظات ختامية مزيدة:**

من خلال معايشتي الطويلة نسبياً لنصوص هذه التراجم هنا وهناك، يمكنني الخروج أخيراً بالملاحظات التالية:

1 ـ أنَّ القالب السائد لصياغة هذه التراجم يتشكَّل غالباً من ثلاثة أقسام متفاوتة/ متتالية:

(أ) ـ **رؤوس التراجم**: وتشمل: الاسم (وقد يكون مركَّباً؛ وفقاً للتقليد العثماني

السائد آنذاك)، واسم الأب، ولقب الشهرة أحياناً، ومكان الميلاد، وتاريخه بالتقويم الهجري/ مع ما يقابله في التقويم المالي.

(ب) ـ **المراحل الدراسية**: والتكوين العلمي، واللغات التي يلمُّ بها الموظف (حديثاً وكتابة)، مع الإشارة إلى نشاطه الثقافي وآثاره المنجزة ـ إذا وجدت. ومن هنا تُعَدُّ هذه التراجم، بالاستكثار من النماذج وتعددها، أبرز مصدر لدراسة (**المستوى الثقافي لشرائح الموظفين**) في تلك الفترة.

(ج) ـ **السُّلَّم الوظيفي**: وهو القسم الأكبر من الترجمة، وما ينطوي عليه من المناصب والمهمَّات والرواتب، مع ما يتخلله أحياناً من التلطيفات (التكريم) والرتب والنياشين... الخ. ومن الجلي أنَّ هذا القسم من نصوص التراجم ـ فضلاً على قيمته المحققة في دراسة (**التشكيلات الإدارية**) ـ يلقي بأضوائه أيضاً على (**الجانب الاجتماعي/ ومستوى المعيشة**)، وما إليها، لشرائح الموظفين[1].

2 ـ تُدَوَّن مبالغ الرواتب والمنح المقطوعة؛ والتواريخ الهجرية بالحروف في الأصل

---

(1) تنبغي الإشارة هنا إلى العمل القيّم التالي الذي استفاد من هذا المصدر، وهو مترجم من الإنجليزية إلى التركية:

CARTER V. FINDLEY, KALEMIYEDEN MULKIYEYE: OSMANLI MEMURLARININ TOPLUMSAL TARIHI, Istanbul 1996, 424 s.

(من القلمية إلى المُلكية: **التاريخ الاجتماعي للموظفين العثمانيين**)، ويشمل الفترة من أواسط القرن 18 ـ إلى الجمهورية.

ويبدو من العنوان نفسه هذا التحول بين مصطلحي: (قلمية/ وملكية). ومُلْكيّه: (بضم الميم وسكون اللاّم) مصطلحٌ عثماني من جذر عربي، ظهر بعد (التنظيمات) وأطلق على رجال مختلف الوظائف الإدارية (المدنية)، وهم أحدُ الأصناف الثلاثة من موظفي الدولة في العهد العثماني: (مُلكيه/ علميه/ عسكريه). كما أطلق المصطلح على مدرسةٍ افتتحت في السنوات الأولى من عهد السلطان عبد الحميد الثاني؛ لإعداد موظفي الإدارة وتنشئتهم.

انظر: ش. سامي، **قاموس تركي**، استانبول 1317، ص1403.

MehmtZekiPakalin, **OsmanliTarihDeyimleriveTerimleriSozlugu**, c. 2, s. 613.

العثماني/ في حين تُدرج التواريخ المالية إزاءها بالأرقام.

3 ـ يشار في أواخر التراجم غالباً إلى وثائق الموظف التي تمّت العودة إليها، ومكان حفظها.

4 ـ من الجلي أنَّ هذه التراجم الوظيفية الرسمية تمثل في واقع الأمر (الصيغة السردية/ الأم) لملفات الموظفين الإدارية المعتادة التي لا يخلو منها اليوم أيُّ مكتب إداري في مختلف المؤسسات على اختلاف أحجامها وألوان نشاطها.

5 ـ هل يمكن القول أخيراً إنَّ هذا اللون من التراجم يُعَدُّ أيضاً (إضافة نوعية) أدنى إلى التحديث أو الحداثة لأدبيات كتب التراجم الغزيرة في التراث العربي الإسلامي[1]؟

6 ـ إلى جانب هذه **(الترجمة الموجزة)** لبشير السعداوي، ثمة تلك **(السيرة المطوّلة)** التي حرّرها عنه في أخريات حياته المؤرّخ محمد فؤاد شِكري، وقد جاءت في (التصدير) نفسه هذه الإفادة الدّالة في هذا السياق: «... ولا يقلُّ عن هذين المصدرين أهمية: **المذكرات التي أملاها** بشير السعداوي نفسه على المؤلف بالقاهرة في شتاء 1954م. وقد بذلنا غاية جهدنا لضبط الوقائع التي جاء ذكرها في هذه المذكرات ضبطاً تاريخياً صحيحاً.

(1) عن كتب التراجم الغزيرة في المكتبة العربية انظر ـ على سبيل المثال هذين البحثين:

ـ عدنان درويش، «كتب التراجم منجم التاريخ العربي»، مجلة **الفكر العربي** (بيروت/ طرابلس)، العدد السابع والعشرون (أيار/ مايو ـ حزيران/ يونيو 1982م)، ص149 ـ 168.

ـ ملكة الأبيض، «كتب التراجم ومكانتها في دراسة الثقافة العربية الإسلامية»، في العدد نفسه من **المجلة** المذكورة، ص169 ـ 184، وهو عدد خاص عن **(فكرة التاريخ والوعي التاريخي العربي 1)**.

وقد جاءت في البحث الثاني هذه الإفادة عن تأطير بنية النص في كتب التراجم العربية: «لقد اكتشف بعض المؤرخين المعاصرين أنَّ أسلوب (ترجمة الأعلام) الذي تتبنّاه كتب التراجم العربية، ليس إلاّ شكلاً من أشكال (الاستبانة) أو (الاستقصاء) الذي تعتمده العلوم الاجتماعية في بحوثها، وهو يتضمَّن إجابات عن الأسئلة التي يطرحها المؤلف حول جوانب حياة العَلم المترجم له... الخ»، ص178. وهي تذكرنا بتلك **(الأسئلة الستة)** التي وُضعت بالتركية العثمانية لتكون قالباً عاماً تدور حوله هذه التراجم الرسمية للموظفين في أواخر العهد العثماني.

وجدير بالذكر أنَّنا وجدنا هذا الزعيم يتمتع بذاكرة قوية عجيبة»[1]. ومن هنا تبدو الترجمة الرسمية (متناً قصيراً)، والسيرة المحرَّرة (شرحاً مطولاً)؛ لذا آثرت أن أقتبس من سيرته في مرحلتها الأولى المواكبة لهذه الترجمة ـ على وجه الخصوص ـ بعض الفقرات الموجزة، حتى يقف القارئ الكريم على السياقين معاً، خاصَّةً وأنَّ أصداء الرواية الشفوية فيها، عن السعداوي نفسه، تبدو جليَّة في كثير من المواضع. ولا يخفى أنَّ هذه الحواشي القليلة تزيد الترجمة الرسمية الموجزة وضوحاً/ وارتباطاً بين النصين؛ وكأنَّهما جديلتان/ متفاوتتان حجماً، في ضفيرة سردية واحدة.

7 ـ لئن كانت السيرة المطوَّلة أكثر استفاضة في ذكر الخلفية الاجتماعية/ والثقافية لهذه المرحلة المبكرة من حياته الوظيفية في السنوات الأخيرة من العهد العثماني، فإنَّ الترجمة الموجزة تحتفظ أيضاً بدقتها في تواريخ التعيين/ ومقادير الرواتب، فضلاً على تسلسلها الزمني الموثَّق.

* * *

(2)
ترجمة بشير السعداوي ـ النص المعرَّب

محمد بشير[2] أفندي، ابن إبراهيم أفندي مأمور الإجراء الأسبق

---

(1) د. محمد فؤاد شكري، **ميلاد دولة ليبيا الحديثة**، مج2، ص3.

(2) محمد بشير: اسم مركَّب، وغلب عليه الشق الثاني منه (بشير السعداوي). وقد عرف أبناء إبراهيم السعداوي جميعاً بهذه الأسماء المركبة، وهم وفق تواريخ ميلادهم في تراجمهم الرسمية:
- **محمد نوري أفندي**، المولود بقصبة الخمس سنة 1296هـ/ 1295 مالية (1879م)، دفتر 195، ص163.
- **أحمد طاهر أفندي**، المولود بقصبة الخمس سنة 1299هـ/ 1298 مالية (1882م)، دفتر 181، ص417.
- **محمد بشير أفندي**، المولود بقصبة الخمس سنة 1301هـ/ 1299 مالية (1884م)، دفتر 181، ص385.

وقد دَرَسوا جميعاً بالمدرسة الرشدية.

وفي السيرة المطولة: «وكان إبراهيم قد أنجب أبناء ثلاثة: نوري وهو الأكبر، وأحمد وقد توفي في مصر سنة 1919م، وبشير صاحب الترجمة، وكان بشير عند وفاة أبيه يبلغ الثانية من عمره، حيث كان مولده =

بالخُمس[1]، المعروف بالسعداوي.

ولد بقصبة المركز في سنجق الخُمس الملحق بولاية طرابلس الغرب في 6 ربيع الأول 1301هـ/ 24 كانون الأول 1299 مالية [1884م]. أتمَّ[2] تحصيله بالمدرسة الرشدية[3]

= في أواسط سنة 1301 هجرية (أوائل 1884م)، فكفله عمه الصادق السعداوي». **شكري**، مج2، ص394.

(1) في السيرة المطولة: «وفي الخمس شغل إبراهيم بن محمد السعداوي، والد المترجم له منصب مأمور الإجراء (لتنفيذ الأحكام)، ثم صار أمين صندوق مركز متصرفية الخُمس». **شكري**، مج2، ص394.

(2) من المعتاد في جلِّ تراجم الموظفين الليبيين في الأرشيف العثماني، أنَّ يُستهلَّ ذكر البداية التعليمية بحفظ القرآن الكريم/ وأخذ مقدمات العلوم (كذا) في المكاتب أي الكتاتيب القرآنية المعروفة. غير أنَّ السياق مختلف في هذا الترجمة (وبعض التراجم الأخرى)، إذ جاءت الإشارة رأساً إلى المدرسة الرشدية، وهي المرحلة التعليمية الثانية في واقع الأمر. ومن هنا ورد في السيرة المطولة: «ونشأ بشير السعداوي في الخمس مكان مولده، فبدأ بحفظ القرآن الكريم، وأتمَّ حفظه في سرت، حيث انتقل إليها أخوه الأكبر نوري السعداوي، معيَّناً (مدير مال) بها، فصحبه بشير إليها ليحفظ القرآن في زاوية السنوسية التي في سرت، وذلك في سنة 1315هـ (1897م)». **شكري**، مج2، ص394.

(3) في السيرة المطولة: «ثم دعاه طموحه لاقتفاء أثر السلف الصالح إلى أن يرغب في استكمال دراسته، فتاقت نفسه حينئذٍ لبلوغ هذه الغاية إمّا بالذهاب إلى الأزهر الشريف، ليتقن علوم الدين، وإمّا بالالتحاق (بمدرسة العشيرة) التي أنشأها السلطان عبد الحميد الثاني بالآستانة لتعليم أبناء العشائر، بحيث يتخرجون في هذه المدرسة ضباطاً في خدمة الجيش، أو موظفين مدنيين في خدمة الحكومة...، ولكن حدث وقتئذٍ أن فتحت (المدرسة الرشدية) في الخمس أبوابها، والرشدية هي المدرسة النظامية التركية بها...، وفي هذه المرة وصل إلى الخمس ليشرف على المدرسة الرشدية بها معلم من طراز جديد هو حقي شيناس، أصله من (ريزه) في إقليم (لازستان) على ساحل البحر الأسود الجنوبي، وملاصق للحدود الروسية ولميناء (باطوم) الروسي ـ وسوف يكون بشير السعداوي نفسه «حاكماً» لريزه هذه في مستقبل الأيام. وإلى الغرب من ريزه تقع (طرابزون)، وكانت قد تألفت بهذه الأخيرة جمعية لنشر العلم في ممالك الدولة العثمانية، كان حقي شيناس من أعضائها، ثم صار من نصيبه العمل بمدرسة الرشدية التي بالخمس. وحقي شيناس كان رجلاً مثقفاً يتقن من اللغات الأجنبية الفرنسية والإنجليزية والألمانية، ويعرف قليلاً من العربية، تخرَّج في دار المعلمين، وفي مدرسة الحقوق بالآستانة، ويؤمن برسالته التي هي تنشئة أكبر عدد من التلاميذ الذين يستطيعون خدمة الدولة، ويتولون أكبر مناصبها، وكان بشير السعداوي من الذين استرعاهم حماس حقي شيناس فذهبوا لزيارته، وبالقدر اليسير الذي يعرفه كلاهما من لغة الآخر، أمكن أن يتم التفاهم بينهما على أن يلتحق =

في قصبة الخمس نفسها، ونال الشهادة[1] المؤرخة في 25 تموز 1320[2]، بدرجة على الأعلى (ممتاز)، يتحدث ويكتب التركية والعربية.

بعد أن داوم سنة متدرباً بقلم المحاسبة في سنجق الخمس، عُيِّن في القلم المذكور براتب قدره خمسون قرشاً، في 11 جمادى الأولى 1323هـ/ 1 تموز 1321 مالية [1905م]. ونقل مبيِّضاً بقلم التحريرات في اللواء المذكور في 19 رمضان من السنة المذكورة [1905م] براتب قدره مائة وعشرون قرشاً[3]. وعُيِّن بوظيفة إضافية، وأجرة مقطوعة قدرها ألف وخمسمائة قرش كاتباً لتفتيش تخريص أعشار الحبوب بمركز اللواء المذكور، وقضاء مصراتة، وقضاء مسلاّتة، وناحية تاورغه، في 25 ربيع الأول 1325هـ/ 25 نيسان 1323 مالية [1907م][4]. ونقل إلى كتابة النفوس باللواء المذكور براتب قدره ثلاثمائة قرش في

= الأول بمدرسة الثاني. فانخرط البشير في عداد تلاميذ (الرشدية). وكان هؤلاء يبلغون أكثر من مائتي طالب. وبالتحاق بشير بهذه المدرسة بدأت صفحة جديدة في تنشئته». **شكري**، مج2، ص397 ـ 398. مع إشارات أخرى قيّمة إلى عناية حقي شيناس بتلاميذه وخاصّة المتفوقين منهم، ورعايتهم وحثهم على المزيد من التكوين بالقراءات الأخرى خارج المقرر.

(1) لم ترد هذه البداية التدريبية/ والتي تليها في السيرة المطولة.

(2) 25 تموز 1320 مالية: (7 ـ 9 ـ 1904م).

(3) في السيرة المطولة: «فرشح البشير في بادئ الأمر (مأمور أعشار)، وعمله يتعلق بالضرائب النوعية، ولكنّه عُيِّن (منشئاً في قلم التحريرات) في الخُمس. وطرب أكثر ما طرب حقي شيناس لهذا التعيين، وصار يبذل قصارى جهده لمساعدة تلميذه في عمله الجديد، يتردد عليه في (الديوان) ليرى ماذا يفعل، ويبعث إليه بالرسائل من المدرسة كي يتلقى عنها من البشير جواباً بالتركية؛ وذلك حتى يعتاد تلميذه الكتابة بسهولة بهذه اللغة. وكان البشير أيام تلمذته قد أظهر تفوقاً كبيراً في النحو التركية (قواعد تركية)، حتى كان أستاذه يكلفه إعطاء بعض الدروس في ذلك لزملائه». **شكري**، مج2، ص400.

(4) في السيرة المطولة: «وانفتح باب الترقي أمامه، فانتدب صحبة قائممقام مسراتة للتفتيش على الأعشار؛ ومعنى ذلك زيارة الحقول والأراضي في الأودية البعيدة، للتفتيش على الهيئات التي تقوم بتقدير المحاصيل وقيمة العشور (أو الضرائب) في القائممقاميات التابعة لمتصرفية الخمس، وهي إلى جانب قائممقامية الخمس، قائممقاميات مسلاتة، ومركزها القصبات، وزليطن، ومسراتة، وسرت، وتشتمل على ناحية تاورغاء». **شكري**، مج2، ص400.

15 ذي القعدة [من السنة الهجرية المذكورة]/ 17 كانون الأول 1323 مالية [1907م][1]. ونقل **مسوِّداً ثانياً** لقلم التحريرات براتب قدره مائتا قرش (؟) في 2 ربيع الأول 1327هـ/ 11 مارت 1325 مالية [1909م][2]. وأرسل في الرابع عشر من الشهر [الهجري] المذكور/ 23 مارت 1325 مالية لتحقيق بعض المعاملات في دائرة النفوس بقضاء زليطن[3]. وعُيِّن **مبيِّضاً أول** بقلم التحريرات براتب قدره ثلاثمائة قرش حسب التنسيق، في 22 ذي الحجة/ 28 كانون الأول 1325 مالية [1910م]. وأُرسل موظفاً إلى ناحية تاورغة بأجرة مقطوعة قدرها ألف وخمسمائة قرش لتقسيم الأراضي المتنازع فيها/ عليها بين الأهالي، في 1 جمادى الآخرة 1328هـ/ 15 حزيران 1326 [1910م][4]. وعُيِّن/ (أو رُقِّي) كاتباً لمجلس الإدارة في اللواء المذكور براتب قدره ستمائة قرش، في 4 شعبان/ 27 تموز 1326 [1910م].

---

(1) في السيرة المطولة: «ثم لم يلبث أن عُيِّن مفتّشاً لدوائر النفوس (أي مصلحة الإحصاء)، وكانت هذه ذات صلة وثيقة بعمل المحكمة الشرعية، حيث تعنى مصلحة الإحصاء بقيد المواليد والوفيات، وبحفظ سجلات لقيد الطلاق والزواج مما تحتاج إليه المحكمة الشرعية في مسائل الإرث». **شكري**، مج2، ص400.

(2) يُستشفُّ من الترجمة هذا التسلسل الوظيفي بقلم التحريرات: مبيّض/ مسوّد ثاني/ مبيّض أول. ويؤخذ من (**قاموس تركي**) لشمس الدين سامي، أنَّ (المسوِّد) أكبر رتبة؛ إذ أنَّه المنشئ للنص. فهل يمكن القول إنَّ المسوِّد يقابل من يضطلع (بالتحرير)، في حين تدلُّ المبيِّض على (الطبّاع أو الطبّاعة) في إدارة اليوم. ويبدو أنَّ ما جاء في السيرة المطولة جامع للمرحلتين معاً في هذه الوظيفة.

(3) يبدو أنَّها (مهمَّة) مؤقتة، لعمله السابق بدائرة النفوس.

(4) في السيرة المطولة: «وفي سنة 1908م تولى متصرفية الخمس الدكتور رشيد، وكان من كبار الاتحاديين، جاء إلى الخمس بعد (الانقلاب العثماني) وإعلان الدستور. وفي نفس السنة تعيَّن بشير (باشكاتباً) لمجلس الإدارة بالخمس، والسبب في هذه الترقية أنَّ نزاعاً كبيراً قد نشأ بين أهل تاورغة (تاورغاء) على تقسيم الأراضي بناحيتها، وكانت هذه خصبة وذات مساحة كبيرة، وأوفدت (الولاية) طرابلس، و(المتصرفية) الخمس مندوبين كثيرين لحسم هذه النزاعات، ولكن دون طائل، فقر رأي الدكتور رشيد على انتداب بشير السعداوي لهذه المهمّة، وكتب إلى مركز الولاية بمدينة طرابلس، أنَّه أوفد إلى تاورغة موظفاً يعتمد عليه «الكفاءته» في إنهاء الخلاف القائم، وبالفعل استطاع بشير تسوية النزاع وتقسيم الأراضي بين الأهلين فتعيَّن على إثر ذلك باشكاتب مجلس الإدارة». **شكري**، مج2، ص400 ـ 401.

وهو اليوم يضطلع أيضاً بوظيفة المستنطق المدني بصفة إضافية[1].

وصُدِّق من متصرفية الخمس أنَّ المذكور (الموماً إليه) يفي بحسن الخدمة في وظيفته.

وقد حُفظت من طرف لجنة سجل الأحوال بولاية طرابلس الغرب: التذكرة العثمانية[2]، وشهادة المدرسة[3]، وصور من ثلاثة مضابط من مجلس الإدارة في اللواء المذكور تتعلَّق بالمدد التي وجد بها (قضاها) في أقلام المحاسبة والتحريرات بالخمس، مع ورقة ترجمته. م 18 ربيع الآخر 1329هـ/ 5 نيسان 1327 [1911م][4].

---

(1) المستنطق: (مصطلح عثماني) المحقق. وفي السيرة المطولة: «ولقد ذكرنا كيف أنَّ الموظفين العرب كانوا يخشون (المحقق)، لأنَّ التحقيقات كانت باللغة التركية، ولكنّا لم نذكر أنَّ بشيراً وقد لمس بنفسه (كمحقق) خطورة بقاء التحقيقات باللغة التركية، حاول أن يبيّن للمسؤولين أنَّ النظام المعمول به لا يكفل إجراء العدالة حيث كان يترتب على أيِّ تحريف غير مقصود ولو كان طفيفاً في نقل أسئلة المحققين وأجوبة المتهمين من العربية إلى التركية وبالعكس، تحوير في وصف الاتهام، قد يكون لصالح المتهم أو في غير صالحه، ولكن من الواجب تجنّبه في كلا الحالين تحقيقاً للعدالة، ولم يؤخذ وقتئذٍ بنصح بشير السعداوي». **شكري**، مج2، ص412 ـ 413. وفي موضع لاحق: «وقد نشرت هذا البحث وقتئذٍ جريدة (**الكشّاف**) الطرابلسية لصاحبها محمد النائب» ص424.

(2) تعريف/ شهادة ميلاد.

(3) المدرسة الرشدية المذكورة.

(4) في السيرة المطولة: «ولم يكن هذا آخر عهد بشير السعداوي بالتدرج في المناصب الإدارية الكبيرة قبل مجيء الطليان إلى طرابلس الغرب. فإنَّه لم يلبث في عمله الجديد هذا [باش كاتب...] إلا قليلاً حتى تعيَّن على أيام ولاية المشير إبراهيم أدهم باشا (1909 ـ 1911م) مديراً للتحريرات، وهو منصب لم يكن طرابلسي قد تولاه من قبل [كذا؟]، ولم يكن التعيين لهذا المنصب يصدر من الآستانة رأساً. وقد ظلَّ البشير (مدير تحريرات) بمركز الخمس حتى حصل الغزو الإيطالي في عام 1911م».

وفيها أيضاً التعقيب المهم التالي على هذه المرحلة المهنية: «ولكنَّ هذه السنوات السبع التي قضاها بشير السعداوي في الوظائف الحكومية قبل الغزو الإيطالي، كانت مرحلة مكملة لذلك التكوين الذهني الذي بدأ قطعاً من قبل أيام الدراسة بالمدرسة الرشدية، واستمر طوال هذه المدة. ففي هذا الدور من حياته، زاد اختلاط البشير بالناس، وزادت ـ بحكم عمله ـ معرفته بمشاكلهم، ويطبائع البشر عموماً، ثم هو إلى جانب هذا =

....[1]

ويؤخذ من مذكرة مديرية الموظفين المؤرخة في 11 حزيران 1329 [1913م] أنَّ المومأ إليه نقل مديراً للتحريرات بسنجق لازستان[2]، براتب قدره ألف ومائتا قرش، بتاريخ 10 حزيران 1329. 31 تموز 1329، نظمي[3].

* * *

= ظلَّ شغوفاً بالقراءة والبحث والدرس. أمّا تجاربه في عمله فقد جعلته كبير القلب، محبّاً للناس عطوفاً عليهم. وأمَّا قراءاته فإلى جانب أنَّها عزَّزت في نفسه الشعور بالعزَّة الإسلامية، فإنَّها سرعان ما نبَّهت ذهنه إلى ميادين من الفكر جديدة، تناولت موضوعات الوطن والوطنية في نطاق الفكرة الإسلامية القومية... الخ». **شكري**، مج2، ص401. وفي الصفحات التالية متابعات جيّدة (لسيرته الذهنية) وتكوينه الثقافي من خلال قراءاته واهتماماته... وفي موضع لاحق عودة إلى هذه المتابعة وربما كان القصد إلى أثر ذلك التحول السياسي المعروف سنة 1908م، وما كان يطلع عليه من الكتب السياسية النقدية التي ظهرت في تلك الفترة.

(1) عشرة سطور من نص الترجمة باهتة المداد لا تُقرأ كاملة في النسخة المصورة. وقد تتعذر اليوم العودة إلى الأصل المخطوط للدفتر، إذ صورت كل دفاتر (**سجل أحوال**) رقمياً، ولم تعد العودة إلى أصولها (الورقية) متاحة هناك ـ فيما أعلم.

وقد وصل بشير **السعداوي** إلى استانبول مع رفيقه خليل بك (القائد العسكري المعروف) في الأيام الأولى من شهر يناير 1913م. **شكري**، مج2، ص440. وفي تلك السنة عُيِّن مدير تحريرات في ريزه (ص445)، وفي هذه الصفحات تصوير مسهب لحياته العملية وصلاته الاجتماعية الطيبة بأهالي ريزه، ومتابعاته الثقافية هناك أيضاً...

(2) لازستان: (ريزه) سنجق بولاية طرابزون. عن: (**ير اسملرى قيلاغوزى YER ISIMLERI KILAVUZU**)؛ **دليل أسماء الأماكن**، من مطبوعات أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، 1991م.

(3) يبدو أنَّه محرر الترجمة.

(3)

جدول السُّلّم الوظيفي من معطيات الترجمة الرسمية

ر. م	الوظيفة	تاريخ التعيين	الراتب
1	قلم المحاسبة بسنجق الخمس	مدة سنة	متدرب (ملازمة)
2	عُيِّن في القلم المذكور	11 جمادى الأخرة 1323هـ (1905م)	50 قرشاً
3	مبيّض بقلم التحريرات	19 رمضان من السنة (1905م)	120 قرشاً
4	كاتب لتفتيش تخريص أعشار الحبوب بمركز اللواء وقضاء مصراتة وقضاء مسلاتة وناحية تاورغا	25 ربيع الأول 1325هـ (1907م)	وظيفة إضافية بأجرة مقطوعة 1500 قرش
5	كاتب النفوس بلواء الخمس	15 ذي القعدة من السنة (1907م)	300 قرش
6	مسوّد ثاني لقلم التحريرات	2 ربيع الأول 1327هـ (1909م)	200 قرش؟
7	مهمة تحقيق بعض المعاملات في دائرة النفوس بقضاء زليطن	14 من الشهر المذكور	؟
8	مبيّض أول بقلم التحريرات	22 ذي الحجة من السنة (1910م)	300 قرش
9	مهمَّة بناحية تاورغا لتقسيم الأراضي المتنازع عليها بين الأهالي	1 جماد الآخرة 1328هـ (1910م)	أجرة مقطوعة 1500 قرش
10	كاتب مجلس الإدارة في اللواء المذكور	4 شعبان. . . (1910م)	600 قرش
11	المستنطق المدني بصفة إضافية	اليوم: (عند تحرير الترجمة)	
..؟	............؟ (سطور غائبة من النص)	..........؟	......؟
12	مدير تحريرات بسنجق لازستان	10 حزيران 1329 مالية (1913م)	1200 قرش

* * *

(4)
الأصل العثماني

محمد بشير افندى   خمس اجرا مأمور اسبقى متوفى ابراهيم افنديك مخدوميدر سعداوى دينمكله متعارفدر.

بيك اوچيوز بر سنه سى ربيع الاولنك التيسنده / 24 كانون اول 1299 طرابلس غرب ولايتنه مضاف خمس سنجاغى مركز قصبه سنده تولد ايتمشدر. نفس خمس قصبه سنده رشديه مكتبنده تحصيل ايدرك على الأعلى درجه دن 25 تموز 320 تاريخلى شهادتنامه المشدر، تركجه وعربجه تكلم وكتابت ايدر.

خمس سنجاغى محاسبه قلمنه بر سنه قدر ملازمةً دوام ايتدكدنصكره بيك اوچيوز يكرمى اوچ سنه سى جمادى الاوليسنك اون برنده / 1 تموز 321، اللى غروش معاشله قلم مذكورده توظيف؛ وسنهء مذكوره رمضاننك اون طقوزنده / 3 تشرين ثانى 321، يوز يكرمى غروش معاشله لواء مذكور تحريرات قلمى مبيضلكنه تحويل اولنوب؛ اوچيوز يكرمى بش سنه سى ربيع الاولنك يكرمى بشنده / 25 نيسان 323 نفس مركز لوا ايله مصراطه ومسلاته قضالرى وتاورغه ناحيه سى حبوبات اعشارى تخريص مفتشلكى كتابتنه بيك بشيوز غروش اجرت مقطوعه ايله علاوهء مأموريت اوله رق مأمور ايدلمش؛ وذى القعده سنك اون بشنده / 17 كانون أول 323، اوچيوز غروش معاشله لواء مذكور نفوس كتابتنه؛ واوچيوز يكرمى يدى سنه سى ربيع الاولنك ايكيسنده / 11 مارت 325، ايكيوز غروش معاشله تحريرات قلمى مسوّد ثانيلكنه نقل؛ ايله شهر مذكورك اون دردنده / 23 مارت 325 ظليتن قضاسى نفوس دائره سنك بعض معاملاتنك تحقيقى

ضمننده قضاء مذكوره اعزام؛ وذى الحجه سنك يكرمى ايكيسنده / 28 كانون أول 325، حسب التنسيق اوچيوز غروش معاشله تحريرات قلمى سر مبيضلكنه تعيين؛ واوچيوز يكرم سكز سنه سى جمادى الاخره سنك يكرمى برنده / 15 حزيران 326 بين الاهالى منازع فيه اراضى يى براى تقسيم بيك بشيوز غروش اجرت مقطوعه ايله تاورغه ناحيه سنه مأموراً اعزام قلنمش؛ وشعباننك دردنده / 27 تموز 326، ترفيعاً التيوز غروش معاشله لواء مذكور مجلس اداره كتابتنه تعيين اولنمشدر.

اليوم علاوه مأموريت اوله رق مُلْكيه مستنطقلكى وظيفه سنى ده ايفا ايتمكده در.

خمس متصرفلقندن مومى اليهك وظيفه سنده ايفاى حسن خدمت ايتمكده اولديغى تصديق قلنمشدر.

تذكره، عثمانيه سيله مكتب شهادتنامه سى وخمس محاسبه وتحريرات قلملرنده بولنديغى مدتلره عائد لواء مذكور مجلس اداره سنك اوچ قطعه مضبطه سى صورتلرى ترجمه، حال ورقه سيله طرابلس غرب ولايتى سجل احوال قومسيوننجه محفوظدر. م 18 ربيع الاخر 329 / 5 نيسان 327.

....[1].

....

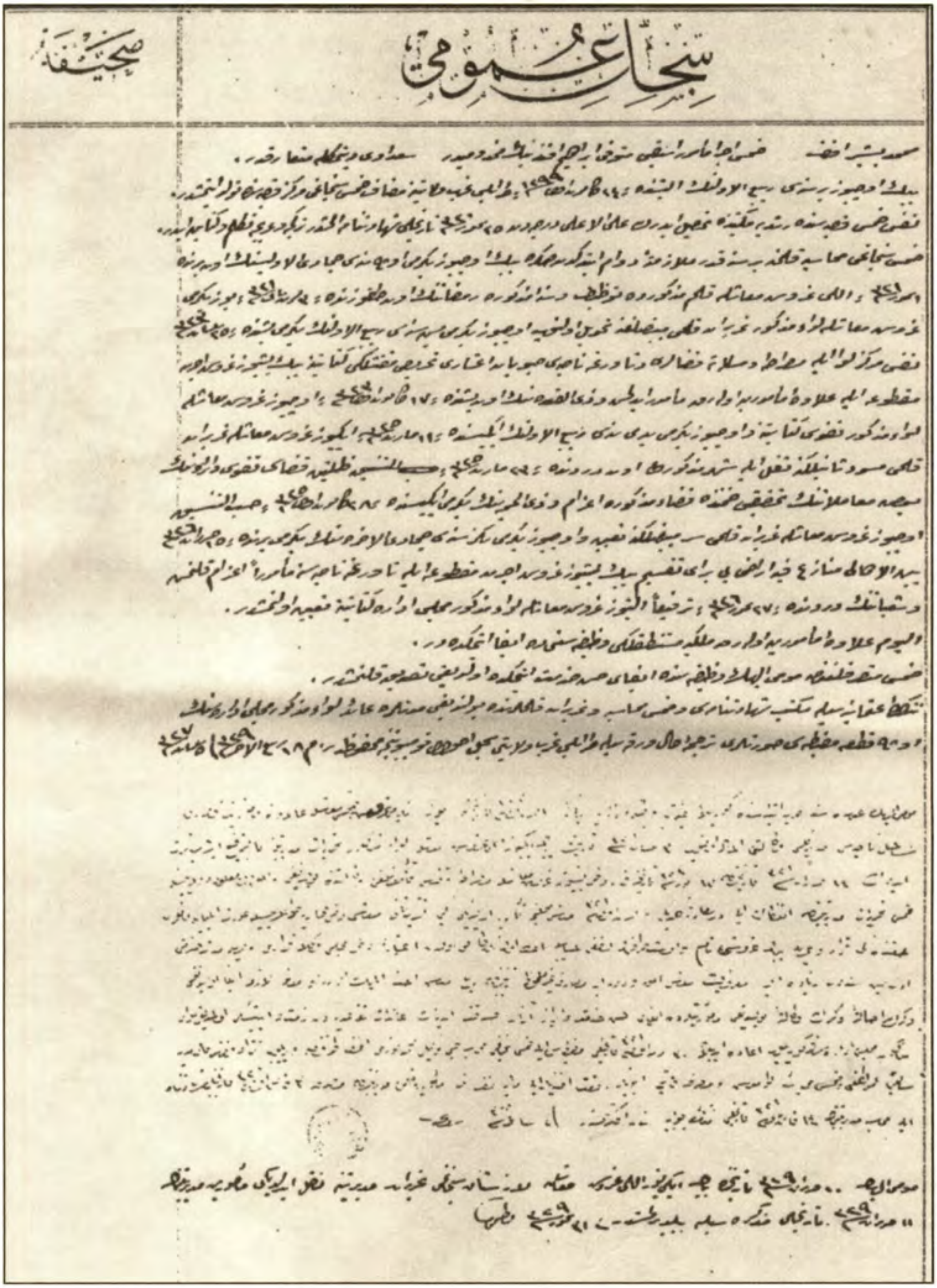
مومى اليهك 10 حزيران 329 تاريخنده بيك ايكى يوز اللى غروش معاشله لازستان سنجاغى تحريرات مديريتنه نقل ايدلديكى مأمورين مديريتنك 11 حزيران 329 تاريخلى مذكره سيله بيلديرلمشدر. م 30 تموز 329 نظمى.

[1] ـ السطور الغائبة (باهتة المداد) المشار إليها أعلاه.

* * *

(5)

الأصل المخطوط للوثيقة


سجل عمومي

صحيفة

المراجع

* **الكتب العربية:**

1 ـ اورويعي محمد علي قناوي، **بشير السعداوي ودوره في الحركة الوطنية الليبيـة (1884 ـ 1957م)**، طرابلس: المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، 2014م.

2 ـ محمد فؤاد شكري، **ميلاد دولة ليبيا الحديثة: وثائق تحريرها واستقلالها ـ الجـزء الأول (1945 ـ 1947م)**، القاهرة: مطبعة الاعتماد، 1957م.

3 ـ محمد مسعود جبران، **أحمد الفقيه حسن (الجد) وتحقيق ما تبقّى من آثـاره ووثائقـه**، طـرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1988م.

* **المراجع الأجنبية:**

1 ـ Atilla Cetin, "Sicill_i AhvalDefterleriveDosyalari", **Turk DunyasiTarihDergisi**, Sayi No. 66. (Haziran 1992), S. 34 ـ 42.

2 ـ CARTER V. FINDLEY, KALEMIYEDEN MULKIYEYE: OSMANLI MEMURLARININ TOPLUMSAL TARIHI, Istanbul 1996.

3 ـ Gulden SARIYILDIZ, **Sicill ـ i AhvlKomisyonununKurulusuveIslevi (1879 ـ 1909)**, Istanbul 2004.

4 ـ IhsanIsik, **TurkiyeYazarlarAnsiklopedisi**, Ankara 2001.

5 ـ MehmedZekiPakain, **OsmanliTarihDeyimleriveTerimleriSozlugu**, Istanbul 1993.

6 ـ SadikAlbayrak, **Son DevirOsmanliUlemasi**, Istanbul, 1980 ـ 1981.

* **الدوريات:**

1 ـ عدنان درويش، كتب التراجم منجم التاريخ العربي، مجلة **الفكر العربـي** (بيـروت/ طـرابلس)، العـدد السابع والعشرون (أيار/ مايو ـ حزيران/ يونيو 1982م).

2 ـ عمار جحيدر، «من تاريخ ليبيا الثقافي في أواخر العهد العثمـاني: ترجمـة المـؤرخ أحمـد النائـب

الأنصاري»، **المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية**، (تونس)، العـدد 15 ـ 16 (أكتـوبر ـ نوفمبر 1997م)، عدد خاص.

3 ـ ملكة الأبيض، «كتب التراجم ومكانتها في دراسة الثقافة العربية الإسلامية»، مجلة الفكر العربـي، (بيروت/ طرابلس)، العدد السابع والعشرون (أيار/ مايو ـ حزيران/ يونيو 1982م).

❐ ❐ ❐

الجَلسَةُ الخِتامِيَّةُ

* **تلاوة التَّوصيات :**

د. نزيهة أبوالقاسم الرجيبي .

توصيات الندوة العلمية الرابعة
لمؤسسة الشيخ الطاهر الزاوي الخيرية
(سِيرَةُ وَطنٍ مِن خَلال سِيرَةِ مُنَاضِـلٍ، الزَّعِيمُ بَشِيرُ السَّعْدَاوِيّ فِي الذِّكْرَى السِّتِّينَ لِوَفَاتِه 1884 ـ 1957م)

بسم الله الرحمن الرحيم

تحت إشراف إدارة الشؤون العلمية بمؤسسة الشيخ الطاهر الزاوي الخيرية انعقدت الندوة العلمية الرابعة في سلسلة الندوات التي تُنظِّمها المؤسّسة تحت عنوان **(سِيرَةُ وَطنٍ مِن خَلَال سِيرَةِ مُنَاضِـلٍ، الزَّعِيمُ بَشِيرُ السَّعْدَاوِيّ فِي الذِّكْرَى السِّتِّينَ لِوَفَاتِـه 1884 ـ 1957م)**، يومي الثلاثاء والأربعاء الموافق 03 ـ 04 أكتوبر 2017م بفندق باب البحر بطرابلس، وبحضور ومشاركة عدد من النُّخب الاجتماعية، والباحثين بالجامعات والمراكز البحثية الليبية، وقد أُلقي في الندوة عدد أربعة وعشرين بحثاً عبر خمس جلساتٍ علميّة مكثفة حول شخصية الزعيم بشير السعداوي 1884 ـ 1957م، وقد أفضت تلك المداخلات والبحوث والمناقشات إلى جملة من النتائج والتوصيات نوجز أهمها في الآتي:

1 ـ أن عقد الندوات العلمية والأيام الدراسية الأكاديمية حول الشخصيات الوطنية الليبية التي أسهمت في التأسيس للوطن الليبي ليس من باب تمجيد الأفراد، بل إحياءاً للدور الوطني واستدعاءً لتجربة الأمس الوطنية، لعلّها تكون بلسماً ونبراساً لهذه اللحظة التاريخية الليبية التي هي في حاجة ماسَّة لتجارب نكران الذّات لأجل مصالح الوطن، وكانت شخصية المجاهد والمناضل بشير السعداوي أنموذجاً آخر من الشخصيات الليبية الفاعلة والحاضرة بقوة في الذاكرة الجماعيَّة الليبية، التي التزمت بمتطلبات الوطن في جهاده ونضاله في المهجر، وحراكه السياسي عشية الاستقلال.

2 ـ يوصي المشاركون في الندوة العلمية على الاستمرار في عقد مثل هـذه النـدوات ورعايتها سعياً إلى تأسيس تقاليد علميَّة ليبية راسخة، تُعنى بالتاريخ الـوطني ورجـالات ليبيـا الأفذاذ، الذين أثروا الذات من أجل الوطن، والذين تجاوزوا برؤيتهم الانتماءات القبليـة والجهوية وسموا إلى الانتماء الوطني.

3 ـ يُثمّن الباحثون والمشاركون فـي النـدوة دور مؤسسـة الشـيخ الطـاهر الـزاوي الخيرية، ويدعونها إلى الاستمرار في هذا التقليد العلمي والثقافي الذي لا يقل أهمية عن الأعمال الخيرية والإغاثية التي تقوم بها المؤسسة.

4 ـ يوصي المشاركون بالدعوة إلى الاسـتفادة مـن الإرث الوثـائقي للسـيد بشـير السَّعداوي وغيره من الأعلام الوطنيين المعاصرين، لإنتاج أفلام وثائقية تاريخية عن هذه الشخصية الوطنية، أسوة بالتجارب الإقليمية والعالمية بهدف الاستفادة من التقنيات الحديثـة في إبراز الأعلام الوطنية، ودعوة المؤسسات الأكاديمية والرسمية، والمنظمات الأهلية، والشخصيات الاعتبارية، وكلّ من بحوزته وثائق وصور وشهادات المبادرة بتقديمها، أو تقديم نسخ منها، حماية للذاكرة الوطنية الليبية.

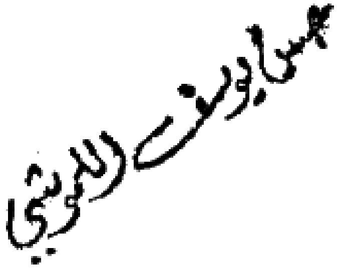
5 ـ يوصي المشاركون في الندوة بضرورة استخلاص المآثر والعِبر من تـاريخ الـزعيم بشير السعداوي، لاسيما جهوده في المصالحة الوطنية، وممارساته التوافقيـة بـين الأطـراف والنُّخب الليبية المتنافرة في تلك اللحظة التاريخية، بهدف التأسي بها في الراهن الليبي، وتعزيز المفاهيم الحضارية، والانتماء الوطني لأبناء الوطن الليبي، من خلال تبنّـي الأبحـاث والدراسات التي تخاطب سائر أفراد المجتمع، وخاصـة فـي صـياغة المنـاهج التعليميـة والمقررات الدراسية.

6 ـ تعميماً للفائدة يوصي المشاركون بنشر أعمال الندوة فـي مُجلّـد مُحكّـم يتضـمن مداخلات المشاركين والأبحاث العلمية للباحثين الذين لم يتسنّ لهم حضور أعمال الندوة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المشاركون في الندوة العلميَّة الرَّابعة لمؤسسة الشيخ الطاهر الزاوي الخيرية (سِيرَةُ وَطنٍ مِن خَلاَل سِيرَةِ مُنَاضِلٍ، الزَّعِيمُ بَشِيرُ السَّعْدَاوِيّ فِي الذِّكْرَى السِّتِّينَ لِوَفَاتِه 1884 ـ 1957م) طرابلس ـ ليبيا، في الرابع من أكتوبر 2017م.

❑ ❑ ❑



مُلْحَقُ ٱلصُّوَرِ



(صورة 1) الزعيم بشير السعداوي في فترة شبابه



(صورة 2) الزعيم يُلقي خطاباً ويبدو خلفه علي مصطفى المصراتي



(صورة 3) الزعيم يُطل على الجماهير

من شُرفة مقر حزب المؤتمر الوطني العام بشارع عمر المختار بطرابلس



(صورة 4) الجماهير تستقبل بحفاوة الزعيم بشير السعداوي

بعد عودته من الأمم المتحدة إثر قرار استقلال ليبيا يوم 21 نوفمبر 1949م



(صورة 5) الزعيم بشير السعداوي في استقبال الأمير إدريس السنوسي في ميدان الشهداء بطرابلس



(صورة 6) الزعيم بشير السعداوي في إحدى جولاته

(المصدر من صفحة الأستاذ سمير السعداوي على الفيسبوك)



(صورة 7) الزعيم بشير السعداوي بعد عودته من الأمم المتحدة إثر قرار استقلال ليبيا، ويظهر على يمين الصورة صالح عمّار النائلي، وعلى اليسار علي مصطفى المصراتي، وسليمان دهان يوم 06 فبراير 1950م (من أرشيف السيد فيصل عبد الحميد السعداوي)



(صورة 8) مجموعة من النشطاء يحملون باقة من الزهور لوضعها في ميدان الشهداء إثر قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة باستقلال ليبيا يوم 21 نوفمبر 1949م، ويظهر في المقدّمة: صالح عمّار النائلي، وسليمان دهان



(صورة 9) من اليمين: سماحة المفتي الشيخ محمد أبوالأسعاد العالم، الزعيم بشير السعداوي، مصطفى ميزران، المنير برشان، في زيارة لبلدتيّ العسّة والجّميل في غرب ليبيا، يوم 22 فبراير 1950م (من أرشيف السيد فيصل عبد الحميد السعداوي)



(صورة 10) الزعيم بشير السعداوي، وسماحة المفتي محمد أبوالأسعاد العالم في أحد المحافل الشعبية



(صورة 11) الزعيم بشير السعداوي في زيارة لبلدة الجّميل يوم 22 فبراير 1950م
(من أرشيف السيد فيصل عبد الحميد السعداوي)



(صورة 12) الزعيم بشير في إحدى جولاته بولاية طرابلس الغرب، ويظهر في يمين الصورة الأستاذ علي مصطفى المصراتي (من أرشيف السيد فيصل عبد الحميد السعداوي)



(صورة 13) من اليمين: مصطفى ميزران، والزعيم بشير السعداوي
في منطقة سوق الجمعة بطرابلس يوم 24 فبراير 1950م
(من أرشيف السيد فيصل عبد الحميد السعداوي)

❒ ❒ ❒

مِن صوَرِ ٱلنَّدْوَةِ



(صورة 14) لحظة افتتاح أعمال الندوة



(صورة 15) م. سالم عبد السلام رمضان رئيس المؤسسة ورئيس الندوة يُلقي كلمة الافتتاح



(صورة 16) أ. محمود المهدي الغتمي رئيس اللجنة التحضيرية
يُلقي كلمة في الجلسة الافتتاحية للندوة



(صورة 17) م. سالم عبد السلام رمضان يُكرِّم أحفاد الزعيم بشير السعداوي بدرع المؤسّسة



(صورة 18) م. سالم عبد السلام رمضان يُكرِّم الأستاذ الدكتور صلاح الدين حسن السوري بدرع المؤسسة نظير ما قدّمه خدمة للدراسات التاريخية الليبية



(صورة 19) جانب من الحضور الكريم



(صورة 20) الجلسة العلمية الثالثة، من اليمين: د. أكرم عثمان عبد الرازق، د. أحمد مسعود عبدالله، د. محمود الديك، د. اورويعي محمد قناوي، أ. مفتاح ناجي أبوالأجراس



(صورة 21) تكريم أ. آمال محمد هدية من اللجنة التحضيرية



(صورة 22) صورة تجمع عائلة السعداوي في ختام الندوة



(صورة 23) صورة جامعة

المركز الليبي للأبحاث والدراسات

L.R.S.C

L.R.S.C

المركز الليبي للأبحاث والدراسات

Libyan Research & Studies contro

هو مركز بحثي مستقل أُنشئ بتاريخ 01 يوليو 2018م، يختصّ بالأبحاث والدِّراسات في العلوم الاجتماعية والإنسانية، ويتكوّن من مجموع إداراتٍ ووحدات، يُنظِّمها هيكله العام، تكُوُن هي وسيلته وأداته في إنجاح برامجه وأنشطته، والإشراف عليها، والتي حُدِّدت ضمن رؤيةٍ متكاملةٍ، وأهدافٍ نبيلة، ورسالةٍ سامية، غايتها بناءِ الانسان في ليبيا ثقافياً ونفسياً واجتماعياً.

وفي خضم الأحداث المتسارعة، وغير المستقرة - إلى حدٍ ما - في ليبيا والعالم العربي والإسلامي، رأى المركز الليبي للأبحاث والدِّراسات، أن الواقع الراهن يفرضُ ضرورة العملِ المنظّم والجادّ في سبيل إنجاح أعماله وأهدافه، والتي تُعنى بالانسان الليبي على وجه الخصوص، والإنسان العربي بعامةٍ، والذي يسعى المركز من خلاله لبذل أقصى الجهود الممكنة، في تبادل الخبرات، وتنمية المهارات بين الشباب الناهض في الدول العربية، والشباب الطموح في ليبيا.

إن رؤية المركز تقوم على دراسةٍ معمقة، ورؤيةٍ متكاملةٍ، مدروسةٍ بعناية، جاءت نتيجة قراءة متأنية، ومشاهدةٍ واعية للمشهد العام في ليبيا، ويأمل المركزُ أن تتبلور هذه الرؤية بإمكانية المعالجة، والإضافة، والبناء على أسس علمية وبحثية، تكون مؤسسات الدولة، وجهاتها الرسمية، العامل الأكبر في تحريك السواكن، والالتقاء والتحاور، وداعمةً لتناغم مؤسساتها مع مراكز البحوث والدراسات المختلفة، ومنظمات المجتمع المدني،

وغايتها في ذلك وصول الانسان في هـذا المجتمع إلى الرفاهيـة والاستقرار ونيل حظّـه ـ كباقي الدول ـ في التقدم والازدهار.

يضطلعُ المركز الليبي للأبحاث والدراسات إلى القيام بدورٍ كبير في إنجاح برامجه وأنشطته المختلفة، من مؤتمراتٍ، وندواتٍ، وأيامٍ دراسيّة، وورش عمل، وإصـدارات مختلفة والتي تتمحور حول العلـوم الاجتماعيـة والإنسـانية، والدراسـات الاسـتراتيجية والدولية، ودراسات أخرى تتصل بقضايا وهموم المواطن في ليبيا، ويرى المركز أهميـة تعدّد وتجدّد الأنشطة التي يقوم بها في ظلِّ الظروف الراهنة، لتسدّ الفراغ حيناً، وللمعاضـدة والإضافة أحياناً أُخرى.

الأمر الذي يدفع بالمركز لاستثمار جميع الإمكانيات والسُّبل المشروعة والمتاحة، للعمل في شتَّى الميادين والساحات ذات العلاقة بمجالات نشاطه واهتمامه، أو المرافـق والمؤسسات الرسمية ذات الصِّلة برقيّ الانسان في ليبيا، وتخلُصُ مهامُ ونشاطاتِ المركز إلى التنوير والتجديد، والتطوير والتحديث لمقتضيات الواقع، ومتطلبـات المسـتقبل خدمـةً للتنمية في ليبيا، كما يأمل المركز في استجابة الأطراف المعنية للمشاركة في تحقيق تلك النتائج التي توصي بها المؤتمرات والندوات، أو تفرزها تلكم البحوث والدراسات إلى واقـع حياتي ملموس، يُسهمُ في حركة البناء والتقدم، ويُعزّز رؤية المركز في تحقيق أهدافه.

❐❐❐

عيسى يوسف الباروني

الفهارس العامة

* فهرس الأعلام .
* فهرس الأماكن .
* فهرس المحتويات .

فهرس الأعلام

الاسم	الصفحة
إبراهيم أحمد أبو القاسم	51، 249
إبراهيم أدهم باشا	77 ـ 230
إبراهيم بن أحمد بن سليمان (أبو شروحة)	78 ـ 376
إبراهيم بن خليفة	66
إبراهيم بن شعبان	334 ـ 409
إبراهيم بن محمد السعداوي	76 ـ 377
إبراهيم بو رقيبة	417
ابن إدريس	451
ابن خلدون	286
أبو القاسم الباروني	217
أبو بكر البصير	395
أبو بكر التركي	233 ـ 296
أبو بكر قدورة	233 ـ 296 ـ 298
أحمد السويحلي	101 ـ 102 ـ 109 ـ 137 ـ 252 ـ 253 ـ 255 ـ 284 ـ 385 ـ 409 ـ 413
أحمد الشريف	114 ـ 223 ـ 293 ـ 373
أحمد الفقيه حسن	185 ـ 186 ـ 260 ـ 273 ـ 319 ـ 325 ـ 384 ـ 488
أحمد المريّض	54 ـ 82 ـ 102 ـ 103 ـ 105 ـ 106 ـ 134 ـ 136 ـ 215 ـ 255 ـ 293 ـ 302 ـ 416

الاسم	الصفحة
أحمد النائب الأنصاري	435 ـ 484 ـ 492
أحمد امراجع نجم	319
أحمد باشا القره مانلي	78
أحمد بهجت	202 ـ 214
أحمد حسن المشاي	396
أحمد خشبة	212 ـ 216
أحمد راسم	233 ـ 296
أحمد رفيق المهدوي	461
أحمد زارم الرحيبي	45 ـ 48 ـ 139 ـ 140 ـ 141 ـ 238 ـ 304 ـ 306 ـ 400 ـ 417 ـ 420
أحمد عز الدين	328
أحمد قرزة	395
أحمد كعبار	421
أحمد مصطفى السّعداوي	41 ـ 76
أحمد نامي	133 ـ 160 ـ 281 ـ 295
أدريان بلت	220 ـ 319 ـ 337 ـ 338 ـ 340 ـ 346 ـ 349 ـ 396 ـ 424
إدريس السنوسي	45 ـ 49 ـ 82 ـ 83 ـ 102 ـ 103 ـ 107 ـ 108 ـ 109 ـ 110 ـ 111 ـ 117 ـ 136 ـ 138 ـ 161 ـ 169 ـ 171 ـ 182 ـ 183 ـ 185 ـ 186 ـ 187 ـ 202 ـ 204 ـ 206 ـ 209 ـ 210 ـ 215 ـ 217 ـ 218 ـ 221 ـ 222 ـ 258 ـ 320 ـ 326 ـ 335 ـ 339 ـ 341 ـ 343 ـ 345 ـ 346 ـ 348 ـ 350 ـ 351 ـ 364 ـ 373 ـ 385 ـ 389 ـ 390 ـ 391 ـ 393 ـ 394 ـ 397 ـ 405 ـ 406 ـ 409 ـ 412 ـ 418 ـ 420 ـ 422 ـ 425 ـ 428

الاسم	الصفحة
إدريس مفتاح حمودة	431
أدهم باشا	61
أديب الحاج	296 ـ 233
ارحومة الصاري	252
الأرناؤوطي	232
ارويعي محمد قناوي	483 ـ 317 ـ 151 ـ 128 ـ 39
اسبرانيا (القنصل الإيطالي)	301 ـ 237
أسعد داغر	163
أكرم عثمان عبد الرازق عمر	227
إميل سان لو	142
أمين الحسيني	ـ 160 ـ 159 ـ 116 ـ 115 ـ 114 ـ 88 ـ 87 ـ 41 241 ـ 162
أميندولا	106 ـ 102
أنطوني إيدن	179 ـ 178
إيمانويل	105
بادوليو	325
بالاي	357 ـ 352 ـ 349 ـ 347 ـ 344 ـ 341 ـ 339 ـ 338
بشير الزقلعي	417
بشير بك السعداوي	284 ـ 275 ـ 259 ـ 252
بشير بن حمزة	384
بشير بن رمضان	417
بصرى باشا	158 ـ 157 ـ 154 ـ 153 ـ 152

الاسم	الصفحة
بلاكلي	183 ـ 347 ـ 357 ـ 400
بيترو مونتاسيني	240 ـ 308
بيفن	394
بيللي	105
تشانو	172
تشيبيللي	394
تيسير بن موسى	131 ـ 135
جريتوريكس	183 ـ 415
جمال احميدة دويش	25 ـ 369
جمال الدين الأفغاني	57 ـ 71 ـ 79 ـ 124 ـ 143
جمال باشا	154 ـ 157 ـ 158
جميل مردم	88 ـ 159 ـ 162
جواد بن زكري	109 ـ 137 ـ 330 ـ 333 ـ 385
جورج نعامة	273
جيمس موس	174 ـ 175
حافظ وهبة	165
حسن البوصيري	233 ـ 296
حسين البوصيري	237 ـ 301
حسين بن امبيريك	154
حسين بك محمد سعيد	207
حسين جبارة	154
حسين ظافر بن موسى	233 ـ 296 ـ 298

الاسم	الصفحة
حقي شيناص	58 ـ 59 ـ 77 ـ 124 ـ 229 ـ 378
حمد باشا الباسل	163 ـ 181 ـ 182
حَمَد سيف النصر	339 ـ 344 ـ 345 ـ 346 ـ 350 ـ 353 ـ 364
خالد القرقني	88 ـ 136 ـ 165 ـ 168 ـ 169 ـ 174 ـ 175
خالد بن سعود	174
خلوصي بك	60 ـ 77 ـ 229
خليفة التليسي	452 ـ 460
خليل الخوري	273
خليل القلال	421
خليل مردم	170
خير الدين قدارة	428
دخيل الله القاضي	154 ـ 156
دي غاسبري	325
دي كاندول	383
دي ميشيلي	411
رابكس	105 ـ 106
رجب فردي	295
رشدي ملحس	165
رشيد بك	61 ـ 65 ـ 66 ـ 68 ـ 230 ـ 371
رفاعة الطهطاوي	434
رفعت بك الأيوبي	281
رمضان السويحلي	54 ـ 83 ـ 101 ـ 203 ـ 293

الاسم	الصفحة
روجيه غاروو	355
روزفلت	151 ـ 178 ـ 189
رياض الصلح	88 ـ 116 ـ 160 ـ 161 ـ 162 ـ 170
سالم إبراهيم انديز	417
سالم البجباج	252
سالم الكبتي	134
سالم المريّض	427
سالم المنتصر	136 ـ 325 ـ 326 ـ 327 ـ 334 ـ 337 ـ 339 ـ 343 ـ 355 ـ 384 ـ 409
سالم عبد السلام رمضان	25 ـ 34 ـ 35
سام القاضي	428
سامي السراج	163
سراج الدين علي جحيدر	29
سعود بن عبد العزيز	163 ـ 183 ـ 184
سليمان الباروني	54 ـ 128 ـ 168 ـ 232 ـ 251
سليمان دهان	417
السنوسي بن صالح	66
سيف النصر	358
سيفورزا	62 ـ 63 ـ 64 ـ 71 ـ 394
سيليتي	172
شارل ديجول (ديغول)	173 ـ 322 ـ 325
الشريف حسين	112 ـ 153 ـ 154 ـ 156 ـ 292 ـ 295

الاسم	الصفحة
شكري القوتلي	115 ـ 178 ـ 410
شكري بنغازي	209
شكيب أرسلان	114 ـ 143 ـ 159 ـ 162 ـ 374 ـ 380 ـ 410 ـ 471
شلقم	360
شمبار	333 ـ 334 ـ 338 ـ 359 ـ 361
شومان	341
الصادق السعداوي	56 ـ 377
الصادق بن الحاج	106 ـ 232
الصادق بن زرّاع	384 ـ 388 ـ 393 ـ 409
الصادق بن هنيدي	66
صالح الأطيوش	256
صالح السّايح	359
الصّفدي	377
صفي الدين السنوسي	127 ـ 202
صلاح الدّين حسن السّوري	43
صلاح القابسي	233 ـ 296 ـ 298
الصويعي الخيتوني	106 ـ 395
الضاوي امسلّم	400
طارق الأفريقي	233 ـ 241 ـ 296
الطاهر الزاوي	39 ـ 44 ـ 49 ـ 102 ـ 167 ـ 217 ـ 435 ـ 449 ـ 460
طاهر القرمانلي	334 ـ 337 ـ 352 ـ 353
الطاهر المريّض (طاهر المريّض)	83 ـ 109 ـ 137 ـ 184 ـ 327 ـ 330 ـ 384 ـ 385 ـ 413

الاسم	الصفحة
طاهر جلغم	359
الطّغرائي	377
عارفي باشا	485
عائشة محمد بن مسعود فشيكة	271
عبد الجليل سيف النصر	78 ـ 103 ـ 134 ـ 256 ـ 303 ـ 376
عبد الحميد الثاني	485
عبد الحميد بدوي	204
عبد الخالق حسونة باشا	214 ـ 215
عبد الرحمن الزقلعي	66 ـ 70 ـ 80 ـ 81
عبد الرحمن القلهود	47
عبد الرحمن الكواكبي	58 ـ 71 ـ 79 ـ 100 ـ 143 ـ 379
عبد الرحمن عزام	136 ـ 167 ـ 169 ـ 176 ـ 177 ـ 180 ـ 184 ـ 204 ـ 208 ـ 212 ـ 213 ـ 214 ـ 217 ـ 222 ـ 223 ـ 294 ـ 381 ـ 385 ـ 386 ـ 390 ـ 398 ـ 413 ـ 424
عبد الرزاق شقلوف	421
عبد السلام أدهم	233 ـ 296
عبد السلام بن يونس	66
عبد العزيز آل سعود	42 ـ 77 ـ 87 ـ 88 ـ 92 ـ 115 ـ 116 ـ 151 ـ 152 ـ 159 ـ 160 ـ 161 ـ 163 ـ 164 ـ 165 ـ 166 ـ 167 ـ 169 ـ 170 ـ 171 ـ 173 ـ 174 ـ 175 ـ 176 ـ 177 ـ 178 ـ 179 ـ 180 ـ 181 ـ 184 ـ 189 ـ 190 ـ 205 ـ 242 ـ 309 ـ 369 ـ 410
عبد العزيز الثعالبي	238 ـ 305 ـ 410

الاسم	الصفحة
عبد العزيز الزقلعي	47
عبد العزيز نوّار العميد	249
عبد الغني الباجقني	171 ـ 233 ـ 237 ـ 296 ـ 301
عبد الفتاح عمرو باشا	207
عبد القادر عبد الحفيظ	140
عبد الكريم الخطابي	410
عبدالله إبراهيم الفضل	206
عبدالله الدملوجي	165
عبدالله الشريف	395 ـ 421
عبدالله العروي	440
عبدالله بن الوزير	116
عبدالله بن شعبان	421
عبدالله بن عبد الرحمن	165
عبد المنعم محمد الصَّادق	75
عبد المنعم مصطفى	421
عبد الناصر علي اشتيوي	319
عبد النبي بالخير	54 ـ 101
عثمان القيزاني	106
عزام باشا	260 ـ 352
عفيف الصلح	159 ـ 170
علي العنيزي	142 ـ 211 ـ 398
علي الفقيه حسن	325 ـ 328 ـ 329 ـ 337 ـ 339 ـ 340 ـ 352

الاسم	الصفحة
علي المنقوش	103
علي بن عثمان	417
علي حيدر	157
علي رجب	326 ـ 340 ـ 384
علي محمد المسلاتي	417
علي مصطفى المصراتي	45 ـ 413 ـ 460
علي يوسف	230
عمار حسيني	360
عمار محمد جحيدر	481 ـ 483
عمر أبو دبوس	106 ـ 256
عمر التومي الشيباني	462
عمر الغويلي	185 ـ 217
عمر المختار	87 ـ 133 ـ 237 ـ 301 ـ 302 ـ 310 ـ 458
عمر المنتصر	79 ـ 339 ـ 343
عمر النعاس	70 ـ 80
عمر بن قدارة	66
عمر طوسون	162
عمر فائق شنّيب	130 ـ 168 ـ 233 ـ 237 ـ 296 ـ 297 ـ 300 ـ 301 ـ 315 ـ 421
عمر منصور الكيخيا	187 ـ 216
عمر لطفي	207
عون بك سوف	256 ـ 284 ـ 388 ـ 393 ـ 413 ـ 427

الاسم	الصفحة
غبراييل بيو	170
غراتسياني	105
غيرهارد رولفس	62
فاتح رجب قدارة	37 ـ 95 ـ 449
الفارو فيليش	394
فاروق (الملك)	178 ـ 205
فخري البارودي	161 ـ 170
فخري باشا	158
فخري بيك	157
فرج المسلاتي	252
فرحات الزاوي	232
فرحات القاضي	54 ـ 66
الفضيل المهشهش	256
فهمي الحشاني	233 ـ 296
فؤاد حمزة	165
فؤاد عازوري	113
فوزان	205
فوزي النعاس	131 ـ 233 ـ 296 ـ 297 ـ 298
فولبي	104 ـ 105 ـ 106
الفيتوري السويحلي	217
فيصل بن الحسين بن علي	155 ـ 156 ـ 157 ـ
فيصل بن عبد العزيز	165 ـ 176

الاسم	الصفحة
فيصل عبد الحميد بشير السعداوي	25 ـ 518 ـ 519 ـ 520 ـ 521
فيليب السّتاتي	273
فيليب ناصيف	113
قسطنطين زريق	467
كاتيني	394
كامل عبد الرحيم	211
كامل عياد	164
كامنج ـ كومنج (العميد)	183 ـ 186 ـ 187
كمال سليم	346
لطفي الحفار	170
لودفيغ سلفاتور	63
لوكلير	323
ماسيجلي	350 ـ 358
المبروك عويدات	396
المبروك محمود صالح	291
المتنبي	377
المجددي	159
مجيد خدوري	468
محمد إبراهيم الميت	409 ـ 417 ـ 428
محمد أبو الأسعاد	187 ـ 327 ـ 342 ـ 345 ـ 348 ـ 411 ـ 413 ـ 416 ـ 427
محمد الأسطى	463

الاسم	الصفحة
محمد الترجمان	66
محمد الخرشي المالكي	376
محمد الذيب	252
محمد الرضا	183
محمد الزقعار	47
محمد السعداوي	76 ـ 230 ـ 377
محمد المجدوب التاجوري	304
محمد المحمودي	66
محمد المنصوري	259
محمد المهدي الغتمي	25 ـ 31 ـ 39
محمد الهادي البوسيفي	121
محمد بن إبراهيم السعداوي	78 ـ 125
محمد بن الحسن	102
محمد بن بشير	395
محمد بن خليل غلبون المصراتي (أبو عبدالله)	78 ـ 435 ـ 450
محمد بن عبد السلام المصراتي	273
محمد بن عبد العزيز	171
محمد بن علي بديوي	153
محمد بن مسعود فشيكة	261 ـ 271 ـ 273 ـ 275 ـ 276 ـ 278 ـ 279 ـ 280 ـ 281 ـ 284
محمد بي سيف النصر	345
محمد دريبيكة	233 ـ 296

الاسم	الصفحة
محمد رشيد رضا	58 ـ 379
محمد شاكر مشعل	457
محمد ظبيان	471
محمد عباس المصراتي	304 ـ 306
محمد عبده	57 ـ 71 ـ 79 ـ 124 ـ 125 ـ 130 ـ 143 ـ 230 ـ 379
محمد عثمان الصيد	141
محمد علي	304
محمد علي علوبة	159
محمد عمار	304
محمد عوض القوني	207
محمد غالب بك الكيب	284
محمد فريد وجدي	124 ـ 125 ـ 143 ـ 230 ـ 379
محمد فكيني	91 ـ 106 ـ 134 ـ 302
محمد فؤاد شكري	82 ـ 125 ـ 207 ـ 209 ـ 211 ـ 214 ـ 219 ـ 222 ـ 249 ـ 278 ـ 279 ـ 280 ـ 333 ـ 334 ـ 379 ـ 381 ـ 385 ـ 390 ـ 398 ـ 415 ـ 421 ـ 483 ـ 494
محمد مصطفى بازامه	435 ـ 460
محمد ميلاد مبارك	416 ـ 417
محمد نوري بك	41 ـ 42 ـ 56 ـ 66 ـ 76 ـ 77 ـ 81 ـ 84 ـ 85 ـ 103 ـ 124 ـ 129 ـ 228 ـ 293 ـ 294 ـ 372 ـ 377 ـ 378
محمد يونس الكريكشي	417
محمود أحمد الديك	97

الاسم	الصفحة
محمود السيد الدغيم	126
محمود العارف قشقش	405
محمود المسلاتي	102
محمود المنتصر	83 ـ 109 ـ 184 ـ 258 ـ 330 ـ 339 ـ 343 ـ 355 ـ 358 ـ 365 ـ 385 ـ 412 ـ 428
محمود فهمي النقراشي	204 ـ 209 ـ 210 ـ 214 ـ 215
محمود ناجي	232
محيي الدين القليبي	238 ـ 305
مختار الصادق السعداوي	76
مختار المنتصر	343 ـ 421
مختار حورية	416
مختار كعبار	106 ـ 395
مصطفى السراج	47 ـ 117
مصطفى النحاس	88 ـ 117 ـ 162 ـ 163 ـ 167
مصطفى بن نوح	233 ـ 296
مصطفى كامل	379 ـ 380
مصطفى كمال	295
مصطفى ميزران	47 ـ 327 ـ 339 ـ 351 ـ 384 ـ 388 ـ 393 ـ 409 ـ 416 ـ 421
مصطفى نجيب باشا	78
مفتاح التريكي	66
مفتاح بلعيد غويطة	199

الاسم	الصفحة
مفتاح عريقيب	417
منصور (الأمير)	174
منصور بن قدارة	83 ـ 109 ـ 137 ـ 211 ـ 233 ـ 237 ـ 284 ـ 296 ـ 298 ـ 301 ـ 330 ـ 333 ـ 385
منير برشان	413 ـ 428
المهدي السنّي	106
موريس كوف دو مورفيل	336 ـ 344 ـ 345 ـ 351
موسوليني	83 ـ 90 ـ 159 ـ 237 ـ 294 ـ 301 ـ 308 ـ 374
موفق الألوسي	165
مونتغمري	323
ناجي التركي	233 ـ 296 ـ 298
ناظم باشا	291
نجم الدين فرحات	413 ـ 428
نزيهة أبو القاسم الرجيبي	39 ـ 507
نصر الدين البشير العربي	53 ـ 247
نور الجبرتي	451
الهادي المشيرقي	125 ـ 167 ـ 415
هاشم الأتاسي	159 ـ 170
هتلر	172
هشام منصور مفتاح بدر	227
هوجو فراندي	62
ورفنيا سادي	62

الاسم	الصفحة
ولي الدِّين آل أسعد	283
ونستون تشرشل	151 ـ 174 ـ 178 ـ 189
يحيى حميد الدِّين	87 ـ 89 ـ 115 ـ 116 ـ 171 ـ 262
يوسف المشيرقي	388 ـ 393
يوسف باشا القره مانلي	376
يوسف بورحيل المسماري	458
يوسف ياسين	165، 174
يونغر	350 ـ 358

❑ ❑ ❑

فهرس الأماكن

المكان	الصفحة
أبو المطامير	257
الاتحاد السوفيتي	137
أجدابيا	82 ـ 102 ـ 294 ـ 373
الأردن	171 ـ 176 ـ 209 ـ 235 ـ 300
الأزهر	213 ـ 376 ـ 378
الأستانة	41 ـ 67 ـ 128 ـ 376
اسطنبول	84 ـ 292 ـ 293 ـ 295 ـ 483
الاسكندرية	63 ـ 171 ـ 176 ـ 177 ـ 252 ـ 255 ـ 256 ـ 285
آسيا	165
إفريقيا	165 ـ 174 ـ 228 ـ 231 ـ 319 ـ 323 ـ 324 ـ 331 ـ 363 ـ 375
إقليم لازستان	84 ـ 500 ـ 501
ألمانيا	113 ـ 170 ـ 171 ـ 172
أمريكا	137 ـ 139 ـ 142 ـ 174 ـ 208 ـ 214 ـ 223 ـ 337 ـ 349 ـ 369 ـ 410 ـ 422 ـ 423
انجلترا (المملكة المتحدة)	107 ـ 110 ـ 112 ـ 323 ـ 369 ـ 407 ـ 411 ـ 412 ـ 413 ـ 420 ـ 428
الأندلس	129
أوروبا	132 ـ 410
إيران	175

المكان	الصفحة
إيطاليا	24 ـ 63 ـ 64 ـ 65 ـ 68 ـ 70 ـ 80 ـ 84 ـ 85 ـ 86 ـ 100 ـ 104 ـ 105 ـ 106 ـ 108 ـ 125 ـ 127 ـ 131 ـ 168 ـ 172 ـ 173 ـ 174 ـ 213 ـ 217 ـ 227 ـ 231 ـ 232 ـ 233 ـ 234 ـ 234 ـ 235 ـ 242 ـ 253 ـ 254 ـ 256 ـ 281 ـ 292 ـ 293 ـ 294 ـ 296 ـ 297 ـ 299 ـ 301 ـ 302 ـ 305 ـ 306 ـ 309 ـ 310 ـ 321 ـ 323 ـ 324 ـ 325 ـ 327 ـ 330 ـ 331 ـ 334 ـ 337 ـ 352 ـ 353 ـ 355 ـ 363 ـ 364 ـ 369 ـ 371 ـ 372 ـ 373 ـ 374 ـ 384 ـ 411 ـ 423
باريس	113 ـ 223 ـ 240 ـ 293 ـ 308 ـ 309 ـ 323 ـ 324 ـ 329 ـ 346 ـ 354 ـ 373 ـ 485
باكستان	337 ـ 349 ـ 349 ـ 352 ـ 406 ـ 422 ـ 423
بحيرة قارون	178
برقة	45 ـ 46 ـ 49 ـ 82 ـ 90 ـ 102 ـ 103 ـ 106 ـ 107 ـ 108 ـ 110 ـ 111 ـ 127 ـ 133 ـ 135 ـ 137 ـ 178 ـ 179 ـ 184 ـ 188 ـ 202 ـ 208 ـ 213 ـ 215 ـ 217 ـ 234 ـ 237 ـ 239 ـ 240 ـ 253 ـ 257 ـ 258 ـ 283 ـ 297 ـ 299 ـ 302 ـ 305 ـ 308 ـ 314 ـ 325 ـ 335 ـ 337 ـ 339 ـ 346 ـ 349 ـ 353 ـ 354 ـ 382 ـ 383 ـ 385 ـ 389 ـ 393 ـ 394 ـ 397 ـ 408 ـ 411 ـ 412 ـ 418 ـ 423 ـ 425 ـ 458
البركات	360
بروسّه	373 ـ 379
بريطانيا	84 ـ 85 ـ 136 ـ 137 ـ 138 ـ 170 ـ 171 ـ 174 ـ 175 ـ 205 ـ 208 ـ 213 ـ 214 ـ 259 ـ 332 ـ 333 ـ 334 ـ 337 ـ 348 ـ 349 ـ 350 ـ 355 ـ 358 ـ 363 ـ 365 ـ 389 ـ 395 ـ 397 ـ 399 ـ 400 ـ 463
بعبدا	113

المكان	الصفحة
بغداد	115 ـ 176 ـ 180 ـ 189 ـ 251
بلاد الشام	24 ـ 77 ـ 85 ـ 86 ـ 92 ـ 104 ـ 113 ـ 127 ـ 128 ـ 129 ـ 131 ـ 133 ـ 164 ـ 227 ـ 236 ـ 237 ـ 240 ـ 260 ـ 281 ـ 291 ـ 292 ـ 294 ـ 295 ـ 297 ـ 300 ـ 301 ـ 302 ـ 303 ـ 308 ـ 309 ـ 310 ـ 407
بلودان	117
بنغازي	45 ـ 110 ـ 173 ـ 187 ـ 201 ـ 202 ـ 210 ـ 211 ـ 214 ـ 215 ـ 218 ـ 221 ـ 222 ـ 231 ـ 250 ـ 254 ـ 344 ـ 345 ـ 348 ـ 353 ـ 361 ـ 383 ـ 391 ـ 393 ـ 394 ـ 424 ـ 427
بنك دي روما	372
بني وليد	333
بورتا بينيتو	352 ـ 361 ـ 363
بورصة	113
بولندا	170
بيروت	23 ـ 32 ـ 84 ـ 85 ـ 115 ـ 130 ـ 176 ـ 232 ـ 236 ـ 237 ـ 263 ـ 292 ـ 293 ـ 294 ـ 295 ـ 300 ـ 301 ـ 400
تاجوراء	63 ـ 112 ـ 140 ـ 397 ـ 398
تاورغاء	61 ـ 66 ـ 229 ـ 230 ـ 497 ـ 501
تركيا	41 ـ 68 ـ 81 ـ 84 ـ 85 ـ 100 ـ 113 ـ 129 ـ 281 ـ 371 ـ 373 ـ 491
ترهونة	69 ـ 101 ـ 102 ـ 104 ـ 333
تطوان	115
تونس	48 ـ 63 ـ 85 ـ 86 ـ 135 ـ 174 ـ 209 ـ 230 ـ 234 ـ 235 ـ 238 ـ 282 ـ 295 ـ 300 ـ 303 ـ 304 ـ 305 ـ 307 ـ 310 ـ 311 ـ 316 ـ 323 ـ 330 ـ 363 ـ 420 ـ 492

المكان	الصفحة
تونين	360
ثانوية الأزهر	283
جادو	140
جامع الزيتونة	304
جامع المجابرة	111 ـ 327 ـ 414 ـ 415
جامع مراد آغا	112 ـ 397
الجامعة الإسلامية	24
جامعة الجبل الغربي	75
جامعة الدول العربية	10 ـ 44 ـ 83 ـ 84 ـ 109 ـ 110 ـ 136 ـ 175 ـ 176 ـ 180 ـ 182 ـ 186 ـ 205 ـ 212 ـ 217 ـ 218 ـ 220 ـ 326 ـ 327 ـ 330 ـ 332 ـ 344 ـ 349 ـ 350 ـ 369 ـ 381 ـ 382 ـ 385 ـ 386 ـ 390 ـ 391 ـ 396 ـ 406 ـ 412 ـ 421
جامعة الزاوية	449 ـ 465
جامعة القاهرة	249
جامعة المرقب	53 ـ 199 ـ 405
جامعة بنغازي	151 ـ 319 ـ 464 ـ 465
جامعة سرت	319
جامعة طبرق	227 ـ 291
جامعة طرابلس	97 ـ 271 ـ 464
جامعة عمر المختار	227
جامعة عين شمس	249
جامعة فؤاد الأول	207

المكان	الصفحة
جبال طوروس	153
الجبل الأخضر	302
الجبل الغربي	232 ـ 293 ـ 409
جبل لبنان	113 ـ 293
جدّة	116 ـ 154 ـ 155 ـ 174 ـ 176 ـ 177 ـ 205
الجراند هوتيل	342
الجزائر	115 ـ 174 ـ 230 ـ 282 ـ 323 ـ 341 ـ 363
الجزيرة العربية	24 ـ 87 ـ 92 ـ 112 ـ 152 ـ 158
جزّين	41 ـ 77 ـ 113
جنزور	28 ـ 140
جنيف	240 ـ 308
الحبشة	166 ـ 172 ـ 470
الحجاز	77 ـ 81 ـ 116 ـ 152 ـ 153 ـ 158 ـ 163 ـ 166 ـ 168 ـ 176 ـ 282 ـ 292 ـ 293 ـ 307 ـ 492
حلق الواد	63
الحمام	256
الخُمس	41 ـ 54 ـ 55 ـ 56 ـ 57 ـ 58 ـ 59 ـ 60 ـ 61 ـ 62 ـ 63 ـ 64 ـ 65 ـ 66 ـ 67 ـ 68 ـ 69 ـ 71 ـ 76 ـ 77 ـ 78 ـ 80 ـ 100 ـ 140 ـ 203 ـ 227 ـ 228 ـ 229 ـ 230 ـ 231 ـ 232 ـ 280 ـ 293 ـ 371 ـ 375 ـ 376 ـ 377 ـ 378 ـ 496 ـ 499 ـ 501
دار الحكومة اللبنانية	300
دِرج	323

المكان	الصفحة
درنة	112 ـ 353 ـ 376
دمشق	23 ـ 85 ـ 107 ـ 115 ـ 130 ـ 135 ـ 160 ـ 161 ـ 164 ـ 167 ـ 168 ـ 170 ـ 171 ـ 173 ـ 176 ـ 180 ـ 189 ـ 232 ـ 233 ـ 234 ـ 237 ـ 251 ـ 252 ـ 255 ـ 262 ـ 291 ـ 293 ـ 296 ـ 298 ـ 300 ـ 301 ـ 302 ـ 305 ـ 310 ـ 314
دوما	281
الرباط	285
الرميلة	126
روسيا	85 ـ 208 ـ 321 ـ 369
روما	173 ـ 223 ـ 237 ـ 293 ـ 301 ـ 471
الرياض	164 ـ 166 ـ 168 ـ 170 ـ 174 ـ 176 ـ 180 ـ 184 ـ 189 ـ 205 ـ 206
ريزة	77 ـ 84
الزاوية	43 ـ 44 ـ 46 ـ 48 ـ 49 ـ 56 ـ 140 ـ 232 ـ 426
الزروق (اسم منطقة)	126
الزّعابة	280
زليتن	66 ـ 69 ـ 77 ـ 102 ـ 140 ـ 229 ـ 231 ـ 252 ـ 431 ـ 498 ـ 501
زمُّورة	375
الزنتان	140 ـ 333
زهراء أنشاص	242
زوارة	409
سبها	327 ـ 346

المكان	الصفحة
سرت	41 ـ 56 ـ 63 ـ 66 ـ 69 ـ 77 ـ 81 ـ 103 ـ 106 ـ 124 ـ 125 ـ 228 ـ 229 ـ 355 ـ 358 ـ 365 ـ 377
سردال	360
سلطنة عُمَان	251
سنجق الخمس	496 ـ 497
سوريا	87 ـ 88 ـ 112 ـ 115 ـ 117 ـ 122 ـ 143 ـ 151 ـ 160 ـ 163 ـ 168 ـ 170 ـ 171 ـ 173 ـ 177 ـ 189 ـ 209 ـ 228 ـ 232 ـ 234 ـ 236 ـ 238 ـ 281 ـ 282 ـ 291 ـ 295 ـ 296 ـ 297 ـ 300 ـ 305 ـ 306 ـ 309 ـ 310 ـ 311 ـ 373 ـ 492
سوق الجمعة	333 ـ 361
سوق الخُمس	372
سيلين	66
شارع عمر المختار	412 ـ 415 ـ 419
شرق الأردن	281
شقران	102
الشواهدة	280
صبراته	140 ـ 426
صرمان	140
صنعاء	116 ـ 176
صوفر	162
الطائف	88 ـ 92 ـ 116 ـ 159

المكان	الصفحة
طرابلس	44 ـ 45 ـ 46 ـ 47 ـ 49 ـ 61 ـ 62 ـ 65 ـ 67 ـ 69 ـ 78 ـ 81 ـ 82 ـ 85 ـ 90 ـ 100 ـ 103 ـ 104 ـ 106 ـ 107 ـ 108 ـ 110 ـ 112 ـ 114 ـ 115 ـ 124 ـ 125 ـ 127 ـ 129 ـ 133 ـ 140 ـ 141 ـ 165 ـ 167 ـ 168 ـ 174 ـ 178 ـ 179 ـ 180 ـ 181 ـ 183 ـ 184 ـ 185 ـ 186 ـ 187 ـ 202 ـ 203 ـ 206 ـ 209 ـ 211 ـ 215 ـ 216 ـ 218 ـ 219 ـ 220 ـ 230 ـ 232 ـ 234 ـ 237 ـ 238 ـ 239 ـ 240 ـ 250 ـ 252 ـ 253 ـ 256 ـ 257 ـ 258 ـ 259 ـ 262 ـ 272 ـ 276 ـ 281 ـ 283 ـ 284 ـ 292 ـ 297 ـ 299 ـ 305 ـ 308 ـ 309 ـ 314 ـ 316 ـ 319 ـ 320 ـ 321 ـ 322 ـ 323 ـ 324 ـ 325 ـ 328 ـ 329 ـ 330 ـ 332 ـ 333 ـ 336 ـ 337 ـ 339 ـ 342 ـ 343 ـ 344 ـ 345 ـ 346 ـ 347 ـ 348 ـ 349 ـ 350 ـ 351 ـ 354 ـ 355 ـ 358 ـ 361 ـ 364 ـ 371 ـ 372 ـ 378 ـ 381 ـ 382 ـ 383 ـ 384 ـ 387 ـ 389 ـ 394 ـ 400 ـ 408 ـ 410 ـ 411 ـ 412 ـ 413 ـ 415 ـ 417 ـ 418 ـ 419 ـ 423 ـ 424 ـ 425 ـ 426 ـ 428 ـ 450 ـ 458 ـ 465 ـ 499 ـ 509
الظهران	174 ـ 189
العجيلات	140 ـ 426
عدن	242
العراق	165 ـ 170 ـ 175 ـ 176 ـ 204 ـ 300 ـ 406 ـ 422 ـ 492
العزيزية	140
عسير	115
العَلَمين	174
العلّوص	69
عمّان	176 ـ 180

المكان	الصفحة
غات	360
غدامس	323 ـ 327 ـ 328 ـ 337 ـ 345
غريان	102 ـ 103 ـ 140 ـ 333
غيافه	360
الغيران	126
فرساي	200 ـ 293
فرنسا	85 ـ 112 ـ 137 ـ 170 ـ 173 ـ 174 ـ 200 ـ 208 ـ 236 ـ 239 ـ 240 ـ 305 ـ 310 ـ 319 ـ 320 ـ 321 ـ 322 ـ 323 ـ 324 ـ 325 ـ 327 ـ 329 ـ 332 ـ 334 ـ 336 ـ 337 ـ 338 ـ 339 ـ 341 ـ 344 ـ 346 ـ 348 ـ 349 ـ 351 ـ 352 ـ 353 ـ 355 ـ 356 ـ 358 ـ 359 ـ 360 ـ 363 ـ 364 ـ 369 ـ 423
فزان	46 ـ 107 ـ 110 ـ 112 ـ 141 ـ 142 ـ 174 ـ 256 ـ 257 ـ 302 ـ 319 ـ 320 ـ 322 ـ 323 ـ 327 ـ 331 ـ 332 ـ 336 ـ 337 ـ 339 ـ 341 ـ 342 ـ 343 ـ 344 ـ 346 ـ 349 ـ 350 ـ 351 ـ 353 ـ 354 ـ 358 ـ 361 ـ 362 ـ 363 ـ 364 ـ 413 ـ 418 ـ 423 ـ 425 ـ 465
فلاجة	126
فلسطين	88 ـ 112 ـ 117 ـ 160 ـ 162 ـ 165 ـ 168 ـ 180 ـ 212 ـ 235 ـ 241 ـ 259 ـ 282 ـ 293 ـ 300 ـ 326 ـ 492
فندق الأوبرج	178
فندق الشريف (قصر الشريف)	373
الفندق الكبير	351

المكان	الصفحة
فندق باب البحر	509
الفهيوات	360
فيكتوريا	171
الفيوم	178 ـ 181
القاهرة	48 ـ 49 ـ 111 ـ 152 ـ 161 ـ 162 ـ 176 ـ 183 ـ 184 ـ 185 ـ 188 ـ 189 ـ 202 ـ 204 ـ 205 ـ 206 ـ 207 ـ 208 ـ 210 ـ 211 ـ 212 ـ 213 ـ 214 ـ 215 ـ 216 ـ 217 ـ 218 ـ 220 ـ 221 ـ 249 ـ 283 ـ 310 ـ 330 ـ 344 ـ 345 ـ 347 ـ 369 ـ 381 ـ 390 ـ 398 ـ 410 ـ 411 ـ 494
القبة	204
قِبلة	333
القدس	41 ـ 87 ـ 92 ـ 105 ـ 114 ـ 115 ـ 158 ـ 164 ـ 166 ـ 189 ـ 241 ـ 243 ـ 410
القره بولي	69
القُرى	353
القصبات	414
قصبة المركز	496 ـ 497
قصر أحمد	76
قصر الحكومة	69
قصر الزعفران	204
قصر المنار	348 ـ 394

المكان	الصفحة
قصر بن غشير	140
قصر حمد	81 ـ 126
قصر سرت	103
قصر غريان	101 ـ 102
القنصلية الإيطالية	131
الكرك	115
الكُفرة	303
لبدة	62 ـ 63
لبنان	41 ـ 77 ـ 81 ـ 115 ـ 122 ـ 143 ـ 160 ـ 162 ـ 165 ـ 170 ـ 171 ـ 232 ـ 235 ـ 236 ـ 282 ـ 293 ـ 300 ـ 310 ـ 400 ـ 492
لندن	207 ـ 215 ـ 223 ـ 323 ـ 412
ليك سكسيس	332 ـ 334 ـ 336 ـ 424
المجر	113
محافظة البحيرة	257
محطة بواط	157
مدرسة الأفغاني	125
المدرسة الرشدية	378 ـ 496
المدينة المنورة	152 ـ 154 ـ 155 ـ 156 ـ 157
المرج	353
المرقب	80 ـ 126
مزدة	140
مسقط	251

المكان	الصفحة
مسلاّتة	61 ـ 66 ـ 69 ـ 77 ـ 81 ـ 102 ـ 103 ـ 104 ـ 111 ـ 140 ـ 229 ـ 397 ـ 399 ـ 406 ـ 414 ـ 415 ـ 418 ـ 420 ـ 497 ـ 501
مصر	78 ـ 85 ـ 86 ـ 88 ـ 92 ـ 105 ـ 107 ـ 115 ـ 129 ـ 130 ـ 135 ـ 137 ـ 151 ـ 159 ـ 161 ـ 163 ـ 165 ـ 167 ـ 169 ـ 173 ـ 176 ـ 177 ـ 181 ـ 183 ـ 189 ـ 199 ـ 201 ـ 202 ـ 203 ـ 204 ـ 205 ـ 208 ـ 218 ـ 219 ـ 221 ـ 222 ـ 227 ـ 232 ـ 242 ـ 254 ـ 256 ـ 260 ـ 262 ـ 281 ـ 282 ـ 283 ـ 294 ـ 302 ـ 303 ـ 330 ـ 331 ـ 337 ـ 344 ـ 349 ـ 350 ـ 352 ـ 355 ـ 363 ـ 376 ـ 377 ـ 378 ـ 390 ـ 391 ـ 396 ـ 406 ـ 407 ـ 408 ـ 422 ـ 423 ـ 424 ـ 464 ـ 492
مصراته	66 ـ 69 ـ 76 ـ 77 ـ 78 ـ 101 ـ 102 ـ 103 ـ 104 ـ 126 ـ 229 ـ 253 ـ 280 ـ 284 ـ 333 ـ 355 ـ 359 ـ 361 ـ 375 ـ 426 ـ 497 ـ 501
مصرف روما	62 ـ 65 ـ 66 ـ 67 ـ 68 ـ 69 ـ 70 ـ 74 ـ 231
معسكر السوالم	126
المغرب	65
المغرب العربي	304 ـ 324
مقبرة الصحابي سيدي منيذر	400
مقر الأمم المتحدة	333 ـ 334 ـ 337 ـ 338 ـ 349 ـ 354 ـ 357 ـ 397 ـ 398 ـ 406 ـ 415 ـ 417 ـ 421 ـ 424
مقر هيئة تحرير ليبيا	412
مكة المكرمة	87 ـ 115 ـ 116 ـ 155 ـ 159 ـ 177 ـ 292
المملكة العربية السعودية	42 ـ 77 ـ 87 ـ 88 ـ 92 ـ 115 ـ 116 ـ 122 ـ 135 ـ 143 ـ 152 ـ 159 ـ 164 ـ 166 ـ 167 ـ 168 ـ 176 ـ 178 ـ 181 ـ 187 ـ 204 ـ 205 ـ 262 ـ 309 ـ 310 ـ 386 ـ 389 ـ 406 ـ 422

المكان	الصفحة
منشوريا	65
منظمة اليونسكو	285
مينا هاوس	183
ميناء الاسكندرية	204
ميناء الخمس	292
ميناء رابغ	154
نالوت	140
نجد	165
النمسا	113
نيويورك	422
الهند	282
واشنطن	211
ولاية طرابزون	84
يفرن	140 ـ 293
اليمن	87 ـ 88 ـ 92 ـ 115 ـ 122 ـ 143 ـ 158 ـ 159 ـ 166 ـ 171 ـ 172 ـ 176 ـ 242 ـ 262 ـ 492
ينبع البحر	77 ـ 112 ـ 116 ـ 129 ـ 151 ـ 152 ـ 153 ـ 155 ـ 156 ـ 178 ـ 189 ـ 292 ـ 293
ينبع النخيل	156

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
* الإهداء	5
* مدخل مصور	7
* الورقة الخلفية للندوة	8
* جدول جلسات الندوة العلمية الرابعة	13
* اللجنة التحضيرية واللجنة العلمية للندوة	19
* هذا الإصدار: م. سالم عبد السلام رمضان رئيس المؤسّسة ورئيس الندوة	21
* مقدمة الأستاذ محمود المهدي الغتمي	23

جَلسَةُ الافتِتَاح

* آيات من الذِّكر الحكيم	29
* كلمة رئيس اللّجنة التّحضيريّة: أ. محمود المهدي الغتمي	31
* كلمة مؤسّسة الشّيخ الطّاهر الزّاويّ الخيريّة للمهندس سالم عبد السلام رمضان رئيس مجلس الإدارة ورئيس النّدوة	35
* كلمة رئيس اللّجنة العلميّة: د. فاتح رجب قدارة	37
* كلمة أسرة الزعيم بشير السّعداوي: أ. أحمد مصطفى السّعداوي	41
* السّعداويّ والزّاوية والزّاويّ، من ذكرياتي عن المرحلة: أ. د. صلاح الدّين حسن السّوري	43

الموضوع	الصفحة

الجَلْسَةُ العِلْمِيَّةُ الأُولَى

رئيس الجَلْسَة: د.إبراهيم أحمد أبوالقاسم

* موقف بشير السّعداوي من التّغلغل السّلْمي الإيطالي لاحتلال ليبيا (1884 ـ 1911م):

د. نصر الدين البشير العربي 53

* مواقف وطنيّة في حياة المُناضل بشير بك السَّعداويّ (1884 ـ 1957م):

د. عبد المنعم محمد الصَّادق 75

الجَلْسَةُ العِلْمِيَّةُ الثَّانِيَةُ

رئيس الجَلْسَة: د. فاتح رجب قدارة

* بشير السّعداوي ودوره في المصالحة الوطنيّة:

أ. د. محمود أحمد الديك 97

* محطات مضيئة من حياة الزّعيم بشير السَّعداويّ 1884 ـ 1957م:

أ. محمد الهادي البوسيفي 121

الجَلْسَةُ العِلْمِيَّةُ الثَّالِثَةُ

رئيس الجَلْسَة: أ.د. محمود أحمد الدّيك

* بشير السعداوي مستشاراً سياسياً للملك عبد العزيز بن سعود 1939 ـ 1946م:

د. اورويعي محمد قناوي 151

* الدبلوماسيّة المصريّة والمناضل بشير السّعداوي 1945 ـ 1952م:

د. مفتاح بلعيد غويطة 199

الموضوع	الصفحة
* نشاط بشير السَّعداوي السِّياسيّ خارج ليبيا من أجل نشر فضائح الاحتلال الإيطالي ضد الشَّعب اللّيبي 1924 ـ 1931م:	
د. أكرم عثمان عمر، ود. هاشم منصور بدر	227

الجلسة العلمية الرابعة

رئيس الجلسة: د. نصر الدّين البشير العربي

* مراسلات بشير السَّعداويّ مع قادة حركة المقاومة والأعيان في ليبيا (1932 ـ 1952م):	
د. إبراهيم أحمد أبوالقاسم	249
* قراءة وثائقيّة لتهنئة الزّعيم السّعداوي للمؤرِّخ محمد مسعود بصدور كتابه (تاريخ ليبيا العام):	
د. عائشة محمد بن مسعود فشيكة	271
* الجمعيّة التّنفيذيّة الطّرابلسيّة ـ البرقاويّة في سوريا بقيادة بشير السَّعداوي ودورها في النّضال ضد الايطاليين (1925 ـ 1931م):	
د. المبروك محمود صالح	291

الجلسة العلمية الخامسة

رئيس الجلسة: د. ارويعي محمد قناوي

* موقف فرنسا من القوى الوطنيّة في طرابلس: بشير السَّعداوي أنموذجاً (1945 ـ 1951م):	
د. أحمد امراجع نجم، ود. عبد الناصر علي اشتيوي	319
* الفترة الحرجة والحاسمة في تاريخ ليبيا السِّياسي ودور البشير السَّعداوي فيها (1948 ـ 1952م):	
أ. جمال احميدة دويش	369

الموضوع	الصفحة
* السَّعداوي ومشروع بناء الدَّولة الوطنيّة المُستقلّة المؤتمر الوطني الطرابلسي 1949 ـ 1952م أنموذجاً:	
د. محمود العارف قشقش	405
* التّأريخ للوطن: محاولات للتّنظير المنهجي:	
د. إدريس مفتاح حمودة	431
* الكتابة التّأريخيّة عن الحركة الوطنيّة اللّيبية 1931 ـ 1951م بين الهواة والأكاديميين:	
د. فاتح رجب قدارة	449
* بَحْثٌ مُلحق	481
* ترْجَمة بَشير السَّعداوي الرَّسميَّة المُبكرة (في الأرشيف العثماني باستانبول 1913م):	
أ. عمّار محمد جحيدر	483

الجلسة الختامية

الموضوع	الصفحة
* توصيات الندوة	509
* ملحق الصّور	513
* المركز اللّيبيّ للأبحاث والدّرَاسات	527

الفهارس العامة

الموضوع	الصفحة
* فهرس الأعلام	531
* فهرس الأماكن	549
* فهرس المحتويات	563

□ □ □

منشورات
المركز الليبي للأبحاث والدراسات
سلسلة الندوات والمؤتمرات (07)

الزَّعِيمُ بَشِيرُ السَّعْدَاوِيُّ

سِيرَةُ وَطَنٍ مِنْ خِلَالِ سِيرَةِ مُنَاضِلٍ

فِي الذِّكْرَى السِّتِّينَ لِوَفَاتِهِ

1884 - 1957 م

أَعْمَالُ النَّدْوَةِ الْعِلْمِيَّةِ الرَّابِعَةِ

الْمُنْعَقِدَةِ بِطَرَابُلُس - لِيبِيَا يَوْمَيْ 03-04 أكتوبر 2017 م



الباحثون المشاركون في الكتاب:

- د.نصر الدين البشير العربي (جامعة المرقب)
- د.عبد المنعم محمد الصادق (جامعة الجبل الغربي)
- أ.د.محمود أحمد الديك (جامعة طرابلس)
- أ.محمد الهادي البوسيفي (باحث في تاريخ ليبيا الحديث)
- د.إرويعي محمد قناوي (جامعة بنغازي)
- د.مفتاح بلعيد غويطة (جامعة المرقب)
- د.هاشم منصور بدر (جامعة عمر المختار)
- د.أكرم عثمان عمر (جامعة طبرق)
- د.إبراهيم أحمد أبوالقاسم (المركز الليبي للمحفوظات والدِّراسات التاريخية)
- د.عائشة محمد بن مسعود (جامعة طرابلس)
- د.المبروك محمود صالح (جامعة طبرق)
- د. أحمد امراجع نجم (جامعة بنغازي)
- أ.عبدالناصر علي اشتيوي (جامعة سِرت)
- أ.جمال احميدة دويش (باحث جامعي)
- د.محمود العارف قشقش (جامعة المرقب)
- د.إدريس مفتاح حمودة (الجامعة الأسمرية الإسلامية)
- د.فاتح رجب قدارة (جامعة الزاوية)
- أ.عمّار محمد جحيدر (مَجْمَع اللغة العربية - ليبيا)

L.R.S.C
المركز الليبي للأبحاث والدراسات
Libyan Research & Studies centre